

المود

3

المود

WWW.ATTAWHEEL.COM

المود

WWW.ATTAWHEEL.COM

# المورد

## مجلة تراثية فصلية



تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - الجمهورية العراقية  
رئيس مجلس الإدارة الدكتور محسن جاسم الموسوي

المجلد الثامن عشر

شتاء ١٩٨٩

العدد الرابع

رئيس التحرير طراز الكبيسي

سكرتيرة التحرير هادي شوكتهنام



### الهيئة الاستشارية

الأستاذ كوركيس عواد      الدكتور فوري حنودي القيسي  
الأستاذ عبد الحميد العلوي      الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف  
الأستاذ أسامة ناصر النقيبدي      الدكتور حاتم صالح الضامن  
الدكتور صالح المايد

---

● عنوان المجلة : دار الشؤون الثقافية العامة - الامظمية - ص . ب ٤٠٢٢ بغداد - الجمهورية العراقية .

● لا تعاد المواد الي اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .



# ملحمة اعمار الفاو

## مدينة الفداء وبوابة النصر العظيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ إعمارِ الفاو: مدينة الفداء وبوابة النصر العظيم!  
حَسَنًا... إِنَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِهِ خَبْرًا:

● يعود تاريخ مدينة الفاو الى سنة ألفين وخمسمائة قبل الميلاد. وقد أشارت اللقى الأثرية الى أن الملك الآشوري سنحاريب أطلق عليها (بيو سلامو) أي باب السلامة. وسماها الكلدانيون أرض الماء، وأطلق عليها العرب عام ٦٣٥م: ماء الصبر، أي المر. وأطلق عليها الرئيس القائد صدام حسين: مدينة الفداء وبوابة النصر العظيم.

● يُقال أن «الفاو» أخذت اسمها من سفينة جاءت الى مصب شط العرب كان اسمها «فاو» ففاصت فيه وتحطمت... وذهب ياقوت الحموي الى أن معنى الفاو: «الفتح الواسع بين جبلين» وقيل أنها بمعنى «القم» فهي قم العراق المتدلي على الخليج العربي. وذهب آخرون الى أنها مشتقة من «الفولاف» وهو نبات تشتهر بزراعته منطقة الفاو، وتُستخرج من أزهاره، مادة صبغية حمراء استعملت في طلاء شناشيل البصرة.

● ابتدأ الغزاة الإيرانيون، غزوهم للفاو ليلة التاسع عشر من شباط ١٩٨٦ وفي أرض إذا انفتحت شمالاً ذُقيت الى البصرة. وإذا امتدّت غرباً أدنى بها الطريق الساحلي المعبّد الى أم قصر فالحدود الكويّية.

- سَقَطَتْ عَلَى أَرْضِ الْفَاوِ - بَيْنَ اخْتِلَافِهَا وَتَحْرِيرِهَا - عَشْرَةُ مِلايِنِ قَدِيفَةٍ مُتَفَجِّرَةٍ . وَضَحَّى الْعِرَاقِيُّونَ دِفَاعاً عَنِ الْفَاوِ بِعَدَدٍ مِنَ الشَّهَدَاءِ يَزِيدُ عَلَى مِائَتَةِ الْعَرَبِ مِنْ شَهِدَاءِ فِي الْحُرُوبِ الْعَرَبِيَّةِ - الْأَسْرَانِيَّةِ . وَغَنِمَ الْعِرَاقِيُّونَ فِي أَرْضِ الْفَاوِ . . . سِلَاحاً وَمُعَدَّاتٍ وَذَخَائِرَ يَتَجَاوَزُ وَزْنُهَا نِصْفَ مِليُونِ طَن .
- شَرَعَ الْعِرَاقِيُّونَ بِتَحْرِيرِ الْفَاوِ فِي السَّاعَةِ ٦٣٠ - ١٧ نَيْسَانَ ١٩٨٨ . . . وَفِي السَّاعَةِ ١٧١٥ - ١٨ نَيْسَانَ ١٩٨٨ انْفَرَسَ الْعَلَمُ الْعِرَاقِيُّ فِي أَعْلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَتَحَكَّمُ بِمَنْطِقَةِ رَأْسِ الْبَيْشَةِ عَلَى رَأْسِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ . وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْعُرَاةِ فِي أَرْضِ الْفَاوِ غَيْرُ الْجُنُثِ وَالْأَسْرَى .
- مَاكَادَ الْعِرَاقِيُّونَ يُحَرِّروْنَ الْفَاوِ فِي سِتِّ وَثَلَاثِينَ سَاعَةً حَاسِمَةً ، حَتَّى بَدَأُوا يُحَرِّروْنَ الْأَرْضَ الْعِرَاقِيَّةَ الْمُحْتَلَّةَ كُلَّهَا مِنْ شَرْقِ الْبَصْرَةِ جَنُوباً إِلَى الْمُرْتَفَعَاتِ الْجَبَلِيَّةِ شَمَالاً . . فَكَانَ تَحْرِيرُ الْفَاوِ ، حَقّاً ، فَتْحُ الْفَتْوحِ .
- كَانَ تَحْرِيرُ الْفَاوِ وَشَرْقِ الْبَصْرَةِ وَبَقِيَّةِ الْأَرْضِ الْعِرَاقِيَّةِ ، فِي قِيَاسَاتٍ زَمَنِيَّةٍ مُثِيرَةٍ ، وَبَدَأَهُ عَسْكَرِيٌّ مُنَظَّمٌ وَمُتَكَامِلٌ ، وَبِتِلَاحِمٍ شَعْبِيٍّ رَائِعٍ . . هُوَ خِلَاصَةٌ عَوَامِلِ الصَّرَاعِ فِي الْحَرْبِ مَعَ الْعَدُوِّ الْأِيرَانِيِّ ، وَخِلَاصَةٌ فَنِّ إِدَارَةِ هَذَا الصَّرَاعِ مِنَ الْجَانِبِ الْعِرَاقِيِّ ، وَتُخَصِّصُ كَانُ ثَمَرَةُ الدَّوْرِ الْقِيَادِيِّ الْفَذِّ الَّذِي اضْطَلَعَ بِهِ الْقَائِدُ الْعَظِيمُ : صَدَّامُ حَسِينِ .
- وَمِثْلَهَا خَطُّ وَقَادَ الْقَائِدِ الْمَلْهُمِ صَدَّامِ حَسِينِ ، مِلْحَمَةُ تَحْرِيرِ الْفَاوِ ، وَبِشْكَلٍ مُبَاشِرٍ ، خَطُّ وَقَادَ الرَّئِيسِ الْقَائِدِ صَدَّامِ حَسِينِ ، حِلَّةَ إِعْمَارِ الْفَاوِ وَبِأَشْرَافِ مِيدَانِي مُبَاشِرٍ .
- تَنْفِيذاً لِأَمْرِ السَّيِّدِ الرَّئِيسِ الْقَائِدِ صَدَّامِ حَسِينِ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْفَاوِ . . بِأَشْرَفَتْ وَمُنْذُ الدَّقِيقَةِ الْأُولَى لِيَوْمِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ حَزِيرَانَ ١٩٨٩ ، فَرَّقَ الْعَمَلِ عَمَلَهَا ، مُوَاصِلَةً اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ . . لِتَنْتَهِيَ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ تَشْرِينَ أَوَّلِ ١٩٨٩ .
- وَمِثْلَهَا شَارَكَ الْعِرَاقِيُّونَ جَمِيعاً فِي تَحْرِيرِ الْفَاوِ . . كُلٌّ مِنْ مَوْقِعِهِ . شَارَكَ الْعِرَاقِيُّونَ جَمِيعاً فِي إِعْمَارِهَا . وَكُلٌّ مِنْ مَوْقِعِهِ .
- وَمِثْلَهَا كَانَ إِحْتِلَالُ وَتَحْرِيرُ الْفَاوِ ، مَذْعَاةً لِلتَّضَامِنِ الْعَرَبِيِّ مَعَ الْعِرَاقِ - إِلَّا مَنْ شَذَّ عَنْ الْإِجْمَاعِ الْعَرَبِيِّ وَتَوَاطَأَ مَعَ الْعَدُوِّ الْأِيرَانِيِّ - فَإِنَّ إِعْمَارَ الْفَاوِ ، اسْتَقْطَبَ الْجُهْدَ الْعَرَبِيَّ وَالْمُشَارَكَةَ فِي حِلَّةِ الْإِعْمَارِ - وَلَوْ بِحَجَرٍ .

«رئيس التحرير»

# بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة كما اوردها الرحالة الاوربيون في العصر الحديث

**دراسة**  
**د. فلاح حسن عبد الحسين**  
كلية التربية/جامعة البصرة

الاولى لصراعاتها من اجل السيطرة والتوسع فيها وراء البحار، وقد بدأت اسبانيا والبرتغال وهولندا كقوى بحرية استطاعت الوصول الى هذه المناطق من العالم وبذلك وفروا معلومات مهمة وقيمة لحكوماتهم وبلدانهم عن تلك المناطق والاصقاع التي زاروها، وهم لم يخفوا تلك الاهداف فقد ذكروها اما في مقدمة او نايا تلك الرحلات. ذكرت كاريه عند مرورها بالبصرة عام ١٦٦٣ ان هدف رحلتي للهند لا يخلو من مهام استطلاعية لحساب شركة الهند الشرقية الفرنسية، لا لمراقبة حركة الهولنديين والانكليز هناك، وانما لملاحظة اعمال شركة الهند الفرنسية نفسها هناك. . . . ولذلك جاءت رحلتها مليئة بالملاحظات والانطباعات عن الهند والصراع الانكليزي - الهولندي، والصراع الفرنسي - الهولندي في مياه الهند الشرقية<sup>(١)</sup>.

لكن الملك الاسباني فيليب الثاني (١٥٥٧ - ١٥٩٦) كان متبهاً قبل كاريه الى اهداف تلك الرحلات وخاصة الانكليزية منها التي كان ابرزها رحلة آيارد - فيج - نيويري عام ١٥٨٣ الى الشرق لدراسة طريق الفرات ومدى صلاحيته للتجارة حيث كتب الى نائبه في الهند بان « عليه الانتباه الى الخليج العربي الذي

تعتبر كتب الرحلات احدى مصادرنا المهمة لدراسة تاريخ المشرق العربي والعراق خاصة في العصر الحديث حيث نكمن تلك الاهمية لا في عددها الضخم فقط وانما في مادتها ومنهجيتها التي تناولت جوانب مختلفة وعميقة من تاريخنا الذي تفتقر اليها مصادرنا المحلية في الغالب. حقيقة ان معلوماتنا غير دقيقة عن عدد تلك الرحلات بالضبط حيث يذكر لونكريك ستة وتسعين منها واغلبها اوروبية في حين قدرها بعض الباحثين المحدثين بما يقرب الثلاثمائة<sup>(٢)</sup>، لكن معرفتنا بها مازالت قليلة جداً وفي الوقت الحاضر ولا توازي اهميتها بالرغم من ظهور بعض الاعمال في الاونة الاخيرة سواء « تلك التي ترجمت الرحلات الى اللغة العربية مباشرة او التي درست بعض المواضيع المجددة من خلالها<sup>(٣)</sup>، لعل السبب في ذلك هو اما تعدد اللغات التي كتبت بها، او صعوبة العثور عليها في اوربا لتقديمها، او التنوع الكبير للمواضيع التي بحثها.

عما لاشك فيه ان اهداف وغايات اولئك الرحالة متعددة ومتباينة لكنها كانت تعكس الاهتمام المتزايد بالشرق من قبل القوى الاوروبية منذ مطلع القرن السابع عشر عندما بدأت البوادر

بحاول الانكليز استخدامه ك بوابة للوصول الى الهند ... (١٠٠) .  
ولذلك فان الرحالة الانكليزي S. Cowper لا ينكر هدف  
رحلته الى العراق عندما كتب:

« بالرغم من زيارة رحالة كثيرين لمدينة البصرة التي وصلوها  
اما عن طريق الخليج العربي او عن طريق الفرات فان تلك  
الرحلات كانت نهية اهتمت بالجوانب الملاحية والجغرافية ولا  
تعطي وصفاً «دقيقاً» للتجار الانكليز عن طريق الفرات الذي  
ظل مجهولاً ، وباستثناء رحلة Blunt ليس هنالك وصف دقيق  
عن هذا الطريق الى البصرة ، لان التاجر الذي يريد الذهاب الى  
الشرق فانه يذهب عن طريق البحر المتوسط - اورقه - ديار بكر  
ماردين - الموصل - بغداد حيث توجد في هذا الطريق العقبات  
الملاحية وصعوبة الحصول على التجهيزات ... ولذلك فاني  
سافرت لاكتشاف طريق الفرات ... وحتى البصرة الذي يمكن  
ان يكون طريقاً للسفن التجارية ... » (١٠١)

اما السير وليس بوج فقد كتب بصراحة عند وصوله الى  
البصرة عام ١٨٨٦ .

« وبعد ان رحب بي القنصل البريطاني في البصرة السير  
رويرنسن وبحث معي الهدف المقصود من زيارتي لهذه البلاد  
باسهاب وزودني بمقترحات مفيدة حيث اعلمني ان هناك تجارة  
عظيمة نجحت في صفف العاديات وان بيوتاً عدة في البصرة  
وبغداد تعمل على تصديرها بصورة منظمة الى وكالاتها في لندن  
وتقوم سفن الحكومة التركية بنقلها من بغداد الى  
البصرة ... » (١٠٢)

ليس من الصعب قراءة العديد من تلك الاهداف في  
الرحلات الاوربية عامة التي تمثل في بعض وجوهاها النمو المتزايد  
من الاهتمام بهذه المنطقة ، في حين تمثل بعض اهداف الرحلات  
الاخرى مقاومة ذلك الاهتمام ، فبعد تزايد الاهتمام البريطاني في  
العراق مثلاً ، تلاحظ فرنسا ارسلت قوتانيه في منتصف القرن  
التاسع عشر الى العراق والبصرة وذلك لدراسة المصالح  
البريطانية هناك والسبل الكفيلة لمرقلة تلك المصالح ، فكانت  
الحصيلة ان كتب لنا كتابه الشهير ثلاثة اجزاء عن تاريخ المنطقة ،  
وكذلك الحال مع القنصل الروسي آداسوف في البصرة (١٠٣) .

وأخريين ولذلك فان صراع الاهداف هذا هو الذي شكل  
الاعتقاد السائد من ان هدف تلك الرحلات هو التجسس وجمع  
المعلومات ، فقط لحكومات اولئك الرحالة وهو شيء لا يمكن  
نكرانه .

ولكن ذلك يجب ان لا ينسنا الدافع الفردي وحب  
الاطلاع والمغامرة الذي كان وراء الكثير من تلك الرحلات  
وخاصة تلك التي بدأت اثناء او بعد عصر النهضة الاوربية التي  
اكدت على قدرات الانسان وطاقاته الخلاقة ودعوتها الى اكتشاف  
المجهول . لقد ساد اوروباً نزعة واضحة للترحال والاكتشاف فيها  
وراء البحار ليس باتجاه الشرق وانما حتى في الغرب (١٠٤) في مرحلة ما  
بعد حركات الكشف الجغرافي حتى لحص تلك النزعة Walter  
Raleigh بان « جو العصر الاليزبيثي هو ذلك الجو الملىء  
بالتوقعات والنجاح ، فاحياء العلوم الكلاسيكية فتح الباب على  
مصراعيه على كل التراث الكلاسيكي ، وان اكتشاف العالم  
الجديد يبدو وكأنه ازاح الستار ليتمكن الانسان من النظر الى  
مستقبل رائع ... » (١٠٥)

ولذلك فان تلك النزعة برزت بصورة واضحة في الكثير  
من كتب الرحلات المبكرة ، كتب لودفيكودي فارتيا وهو واحد  
نبلاء مدينة روما الذي زار الشرق في ١٥٠٤ :

« فاذا ما سألت عن سبب رحلتي ، بالتاكيد فاني لا ارى سبباً  
افضل من تلك الرغبة الجامحة للمعرفة التي كانت سبب الكثير من  
الرحلات لرؤية العالم ومعجزات الخالق . ونظراً لكون البعض قد  
سافر الى بعض اجزاء العالم بما فيه الكفاية ، فاني قررت زيارة  
ووصف تلك الاجزاء التي لم تكن معروفة من قبل ... » (١٠٦)

اما تاجر البندقية المعروف Caesar Fredrick الذي  
جاس الشرق ايضاً عام ١٥٦٣ فقد ذكر في مقدمة رحلته ونتيجة  
لرحلاته العديدة في الهند الشرقية وما بعدها التي استغرقت ثمانية  
عشر عاماً لاقت النجاح والافاق ولكفي رأيت وادركت اشياء  
جيلة ورائعة يجب تسجيلها ونشرها ليعرفها هذا  
العالم ... » (١٠٧)

ولا يقل الرحالة البرتغاليون صراحة عن سابقهم في



تهم بالتفصيلات الدقيقة عن المناطق التي تذكرها. ان رحلات القرن السادس عشر مثلاً لا تذكر شيئاً ذا أهمية عن مدينة البصرة ولا عن الطرق التجارية منها وحتى تلك التي سلكها الرحالة انقسم في الوصول اليها كما يبرز ذلك واضحاً في رحلات قيصر فردريك عام ١٥٦٣. والرحالة الانكليزي نيويري دفيج وأيلدورد عام ١٥٨٣. والرحالة تاجر البندقية الشهير كاسبار بالي في ١٥٩٠ وعلى العكس تماماً من رحلات القرون اللاحقة.<sup>(١١)</sup> والمرحلة الثانية:

جاءت اهداف وغايات رحلاتها معقدة ومتنوعة لأنها تمثل فترة ما بعد غزوة نابليون لمصر، وفتح قناة السويس، وسكة حديد برلين - بغداد. حيث اخذت الانظار تتوجه الى بلاد وادي الرافدين لاستكشاف طريق الفرات كطريق بديل للقناة للوصول الى الهند. ولذلك فان عدد رحلات هذه الفترة هي اكبر بكثير من رحلات الفترة الاولى، فاذا اخذنا عدد الرحلات التي ذكرها لونيكر، برغم تحفظنا عليه. نرى ان ٢٤ رحلة فقط للفترة ١٥٥٣ - ١٦٩٥ مقابل ٧٤ للفترة ١٧٢٠ - ١٩١٣<sup>(١٢)</sup> ولذلك فان رحلات هذه الفترة ونتيجة لتعدد وتنوع اهدافها تميزت بغزارة مادتها ومنهجها التحليلي الذي لا يعتمد في مادته على المشاهدات المباشرة لاولئك الرحالة فقط وانما تستخدم المادة التاريخية والجغرافية والاجتماعية لمدينة البصرة في الوقت الذي نلاحظ تكسيرا كذب عن البصرة عام ١٦٠٤ مادة لاتتعدى ١٠ - ١١ صفحة فقط كتب فوشثاين في ١٨٨٤ خمسة فصول عنها تضم اكثر من مائة صفحة وما كتب دي لافال لا تتجاوز عشر صفحات فقط كتب بكنفهام عام ١٨١٦ اكثر من سبعين صفحة، وما كتب فيليب اوليفيه صفحة واحدة او صفحتين عام ١٦٥٢. نلاحظ اداموف كتب في ١٩١٢ كتاباً بجزءين عن البصرة وهكذا...

ومها تكن غايات تلك الرحلات واساليبها واهدافها. فقد احتلت البصرة مكانة بارزة فيها وذلك بسبب اهميتها التجارية في العصر الحديث، وشهرتها التاريخية المعروفة وموقعها الاستراتيجي المهم فتلك الرحلات لا تتحدث كثيراً، عن تاريخ انتقال البصرة من موقعها القديم (قرب النهر الحالية) الى موقعها

ذكرهم للدافع الذاتي في رحلاتهم الشرقية، فترى Pedro Teódera الذي بدأ رحلته من الهند عام ١٦٠٢ يصير على السفر عبر الخليج العربي الى حلب بالرغم من توتر العلاقات العثمانية - البرتغالية آنذاك حيث يقول: "ان رغبتى ملحة لمعرفة هذا الجزء من العالم"<sup>(١٣)</sup> في حين ذكر الاب الكرمل غمودنو نفس الاصرار في رحلته عام ١٦٦٣ عندما كتب: "انه بالرغم من التحذيرات التي حذرني منها اصدقائي... بعدم الذهاب عن طريق الصحراء للمخاطر الجمة... ولكنني ارجب بالاطلاع على احوال هذه الصحراء..."<sup>(١٤)</sup>.

ولا تخلو الرحلات الفرنسية كذلك من دافع حب المعرفة والاطلاع فقد تحدث تيفنو عن دافع رحلته الاولى عام ١٦٦٨ عندما ذكر انه يريد "توسيع معرفته وتحسين ثقافته والبرهنة على طاقاته وايداعته في هذا المجال، واكد الهدف نفسه في رحلته الثانية عام ١٦٩٠ وهو حب الفضول والتعلم Curiosity and Learning<sup>(١٥)</sup> اما تافرنيه فهو من الرحالة الاوربيين القلائل الذين جابوا الارض بنطاق واسع. ففي رحلاته الست (١٦٣٢ - ١٦٦٨) التي جاس فيها اغلب الاقطار الاوربية وبلدان الشرقين الاقصى والاطلس واقطار الوطن العربي حتى قال عن نفسه في مقدمة رحلته:

"ولو جاز لي ان اعد اثر الترية علي ثانية، لقلت وانما ياني جئت الى هذا العالم وفي رغبة في الاسفار..."<sup>(١٦)</sup>.

ومها تنوعت وتعددت اهداف تلك الرحلات الاوربية الى الشرق العربي خلال الفترة موضوع البحث (١٥٤٧ - ١٩١٣) فمن الممكن تحديد فترتين متباينتين لتلك الرحلات من حيث اهدافها ودوافعها وكذلك اسلوبها ومنهجها وهي:

#### المرحلة الاولى:

تمتد من وصول الاتراك العثمانيين الى المشرق العربي حتى منتصف القرن الثامن عشر حيث تزايد الاهتمام الاوربي بالمنطقة وخاصة البريطاني منه ولم يكن الدافع الاقتصادي هو البارز وانما الدافع الذاتي وحب الاطلاع وجمع المعلومات ولذلك فان تلك الرحلات يغطي على اسلوبها ومنهجها البساطة والاختصار ولم

الحديث الحالي (البصرة القديمة الحالية) وهو ما يزال مثار جدال ونقاش عدائياً تكسيرا الذي ذكر ان موقعها الاخير ما هو الا الموقع الثالث الذي انتقلت اليه المدينة ولكن دون ان يشير الى موقعها السابقين.<sup>(١٨)</sup>

ونجمع تلك الرحلات على ان المدينة في الفترة العثمانية كانت تبعد عن الضفة اليسرى لشط العرب بحوالي الميل الى ميلين لكن رحالة القرن السادس عشر لا يتحدثون شيئاً عن استخدامات الارض فيها، وبالرغم من مكوث الرحالة الانكليزي جون ايلدرستة اشهر فيها عام ١٥٨٣ فإنه لم يترك لنا وصفاً عنها سوى ذكره بان مساحة نطاقها السكني تبلغ ميلاً ونصف وان بنايتها وقلعتها واسوارها مبنية من اللبن المجفف في الشمس<sup>(١٩)</sup>.

لكن تكسيرا أكثر وضوحاً عندما ذكر عام ١٦٠٤ بان البصرة (كانت محاطة بأسوار يبلغ ارتفاعها ثلاث ياردات، وتقع قلعتها المربعة الصغيرة على الضفة، عند التقاء قناة العشار الحالية) بالنهر، وان بعض اجزائها مهددة لحدوث انفجار هائل فيها قبل وصولي الى المدينة بشمانية او عشرة ايام وذلك لاستخدامها كمخزن للعتاد حيث كان ٥٠٠ كيس من البارود فيها، وسماها تكسيرا بقلعة الترك Fort of Turks، ويبدو ان تكسيرا لم يكن دقيقاً عندما ذكر ان مكان المدينة البالغ عشرة الاف شخص كانوا يسكنون تلك القلعة. بالإضافة الى دار الحكومة فيها، ربما يقصد في ذلك انهم كانوا يسكنون داخل السور وليس القلعة؟<sup>(٢٠)</sup>

وعلى العكس مما ذكره تكسيرا، فان دي لافال الذي زار المدينة عام ١٦٢٤ لا يشير الى وجود اسوار Walls للمدينة وانما يذكر استحكامات ترابية Earthen Rampart اقامها السكان بسبب حروب المدينة مع بلاد فارس، ولكن لا يذكر طولها الذي لا بد ان يكون كبيراً لانها مدينة كبيرة وماهولة بالسكان وان كانت بيوتها غير منتظمة... وتضم ساحة كبيرة معروضة فيها بعض قطع المدفعية، من ضمنها بعض الاسلحة البرغالية التي استولى عليها عرب البصرة من مسقط عندما كانوا يجيرون البحار بسفنهم...<sup>(٢١)</sup>

ويؤكد تافرنيه ما ذكره دي لافال حيث يشير في عام ١٦٨٦ الى كون والبصرة كبيرة وتقع داخل اسوار ترابية Walls of Earth يبلغ طولها ست ساعات مشياً على الاقدام ويحتوي ذلك السور على ثلاثة ابواب وهي: البوابة الشرقية، والبوابة الغربية، وبوابة بغداد وهناك مساحات كبيرة من الارض ما بين تلك الاسوار والنطاق السكني للمدينة لا توجد فيها الحدائق ولا اشجار النخيل...، ويخرج الحجاج الى مكة من بوابتها الشرقية عند مقام علي Dgiam—Hall<sup>(٢٢)</sup>.

ويبدو مما تقدم ان سور البصرة بقي عبارة عن سداد ترابية عالية لفترة غير قصيرة من القرن السابع عشر حتى ادراك حكام المدينة وباشواتها عدم كفاءة تلك الاسوار وضعف تحصيناتها انذاك حيث ذكر الاب الكرملي الايطالي فنشئوا الذي زار المدينة عام ١٦٥٦ من ان حاكم المدينة طلب اكثر من مرة وضع مخطط جديد لها وتحصينها جيداً على مثال ما تم في مالطه... بل واراد تحصين القلعة (الحط الدفاعي الاول عن البصرة) كي يعيش فيها بامن وسلام. وباشرف فعلاً، ببناء مخططين للمدينة بالقرب من النهر، ثم توقف عن البناء وبالإمكان مشاهدة ذلك، حيث قبل ان سبب توقيفه هو قلة الجص الذي يجلب من اطراف الخليج وافتقر البصرة الى الحطب اللازم الذي يشعل لفخر اللبن<sup>(٢٣)</sup> ويؤيد ذلك تيفنو وفيليب اللذان زارا البصرة في ١٦٥٢ و ١٦٨٦ ولكنها يريان ان الباشا تحمل عن رغبته في بناء مدينة جديدة بالقرب من القلعة الواقعة على ضفة شط العرب عند التقائه بقناة (العشار) خوفاً من مهاجمة الانكليز والهولنديين ولاتفه الاصابات<sup>(٢٤)</sup>.

لا ينكر ان انشاء مدينة جديدة على الضفة اليمنى من شط العرب ربما تكون اكثر ملاءمة لتجارة البصرة وسكانها على السواء وذلك بايجاد ميناء يطل مباشرة على النهر يكون قادراً على استيعاب السفن الكبيرة لعمق المياه وان استخدامات المياه لاغراض الشرب افضل مما عليه في قناة العشار التي اصابتها التلوث نتيجة استخدامات السكان اليومية لها ولكن الاسباب التي اوردها اولئك الرحالة تبدو غير كافية لتفسير توقف حسين باشا افر اسباب عن بنائه لمدينته الجديدة، ربما عدم استقرار الأوضاع

السياسية في المدينة وعدم توفر الموارد المالية الكافية من الاسباب الواضحة وراء ذلك، وخاصة اذا ادركنا ان مثل تلك المشاريع تحتاج الى فترة زمنية طويلة فلا تتوفر لحاكم واحد، وان واردات باشوية البصرة انذاك لا تتجاوز ٨٠٠ الف قرش سنوياً<sup>(٣٠)</sup>.

وعلى اية حال، يبدو ان سور البصرة والتركيب الداخلي للمدينة اتخذ شكله النهائي في القرن الثامن عشر، فبالرغم مما ذكره الرحالة الانكليزيان بلاستيد وكار ماكيل اللذان زارا المدينة في ١٧٥٠ و ١٧٥١ على التوالي ووصفوها بأنها «مدينة كبيرة لكن بناها غير منظم ويبيتها تتألف من طابقين ومبينة من اللبن المجفف في الشمس، وليس فيها بنايات مميزة عدا مساجدها التي هي في حالة رديئة ايضاً كما هو الحال بالنسبة لسورها الذي لا يمكن اصلاحه الا بصعوبة»<sup>(٣١)</sup> لكن الرحالة الدانماركي كاسترون نيور اول رحالة ترك لنا وصفاً دقيقاً للبصرة التي زارها عام ١٧٦٥ حيث قال ان اسوارها مازالت مبنية من الطابوق (اللبن) المجفف في الشمس، الذي صب بشكل خاص وتحتوي على خمسة ابواب وليس ثلاثة كما ذكرها تافرنه في ١٦٨٦، وهي: باب الرباط، وباب الزبير، وباب بغداد، وباب مجموعة، وباب السراجي<sup>(٣٢)</sup> وهي نفس البوابات التي ذكرها بكنفهام عام ١٨٨٦ فيما بعد والتي بقيت حتى مطلع هذا القرن<sup>(٣٣)</sup>.

ولكن ما اغفله نيور من سور البصرة هو اجزاؤه ولا سيما ذات الطبيعة العسكرية، التي جاءتنا من الرحالة الانكليزي بارسنز الذي مكث في المدينة فترة غير قصيرة اثناء حمله كريم خان عام ١٧٧٥ ووصف اساسات السور بأنها «قوية ومتينة ومبينة من الطابوق المجفف الذي يصل ارتفاعه في السور حتى مستوى سطح الماء المجاور في الخندق»<sup>(٣٤)</sup> وان الخندق المحيط بالسور مكون من قناتي الحفورة والخندق الحاليين حيث يسير بمحاذاتهما ابتداء من التقائهما بشط العرب وحتى اطرافها عند بوابة الزبير. ولذلك اتخذ سور البصرة شكلاً مستطيلاً تقريباً ويبلغ محيطه ما يقرب من ثمانية اميال ومن هذا يبدو ان سور البصرة لا يتميز عن اسوار المدن العراقية الاخرى انذاك في شكل محيطه، وانما في كونه حصناً بخندق مائي كبير يحيط به في اجزائه الشمالية والشرقية

والجنوبية ولا يرتبط باليباس الا في طرفه الغربي عند التقائه بالصحراء باتجاه هضبة الزبير، ولذلك سيلعب هذا دوراً بارزاً في افشال الهجمات الخارجية على المدينة ولا سيما هجوم كريم خان عليها انذاك<sup>(٣٥)</sup>.

يبلغ سمك السور ٢٠ - ٢٥ قدماً ويوجد في اعلاه ثمانية مشارف (مزاول) Bastions، وفي كل شرفة ثمانى مدافع وثمانى بنادق، ومقابل كل مزغل في اسفل السور عدد من المدافع المحمولة بالعربات الصغيرة، لكن تلك الاسلحة قديمة وغير صالحة للاستعمال. ويؤيد بكنفهام بارسنز بان تلك المزاول تستدير باستدارة السور وترى فيها مصادفة محلات للمدافع وان لم تكن مرتفعة كثيراً، وان بعض اجزاء السور محصنة بابرار مستديرة ومتوجهة بشرفات، لكن حالة تلك الاسوار مزرية بسبب عدم اجراء التعليمات التي تحتاجها في حبنه وتبدو اشبه بالاسوار لمدينة مهجورة اكثر منها بأسوار تحيط بمدينة مأهولة<sup>(٣٦)</sup>. ولعل عدد المزاول التي ذكرها بارسنز اقرب الى الدقة من العدد ٩٩ مزغلاً وهو الذي اورده بلاستيد عام ١٧٥٠<sup>(٣٧)</sup>.

ومهما تكن حالة السور في البصرة فانها لا تختلف كثيراً عن احوال اسوار المدن العراقية الاخرى كاسوار مدينة بغداد مثلاً التي لم تكن بحالة جيدة على الدوام الا في حالة وجود خطر واهم. ولكن ما تختلف فيه مدينة البصرة بالتأكيد عن بقية المدن الاخرى هو في استخدامات الارض وخطط العمران فيها طيلة الفترة. موضوع البحث حيث يمكن تمييز نطاقين هما:

#### النطاق الاداري والعسكري:

يقع بالقرب من ضفة شط العرب اليمنى ويشتمل على محلي النواى على الضفة اليمنى من قناة العشار والمقام على الضفة اليسرى، وتضم النواى التي كانت خارج السور حتى مده البها حسين باشا افراسياب على القلعة الصغيرة المربعة<sup>(٣٨)</sup> التي ذكرها تكسيرا في ١٦٠٤ وتافرنه في ١٦٥٢ التي «لا يمكن لاية سفينة دخول القناة من النهر دون اذن منها»<sup>(٣٩)</sup>، بالإضافة الى مسجد ذي منارة صغيرة والى بعض المخازن لطرح الاخشاب والمواد اللازمة

الرحالة الذين مروا بالمدينة او مكثوا بعض الوقت فيها . وطالما ان الاحصائيات المحلية عن سكان المدينة في هذه الفترة غير متوفرة فان تلك الارقام تفي مصدرنا الرئيسي في هذا المجال لعل تكسيرا اول رحالة اوروبي ذكر ان البصرة تقسم في ١٦٠٤ عشرة الاف بيت اي ما يقارب ٥٠ الف شخص اذا اعتمدنا معامل ٥ اشخاص لكل بيت<sup>(١)</sup>. في حين قدر غودينو بيوتا بثلاثين ألفاً عند زيارته لها في ١٦٦٣<sup>(٢)</sup>. وهذا التخمين ربما تعوزه الدقة، لانه اذا اخذنا ارقام تكسيرا بنظر الاعتبار وهي اقرب الى الصواب، فليس من المعقول ان يتضاعف عدد البيوت ثلاث مرات في فترة نصف قرن.

اما في القرن الثامن عشر، فان نيبور هو الرحالة الوحيد الذي قدر سكان المدينة بأسلوب علمي وهو ذكر عدد المحلات وعدد البيوت لكل محلة وعدد الاشخاص لكل بيت، حيث قدرها بسبعين محلة (وان اورد اسماء ثلاث وسبعين محلة) وقدر مئة بيت لكل محلة وسبعة اشخاص لكل بيت، وبذلك يبلغ عدد السكان حوالي ٤٩ الف نسمة، ولكنه شك في النهاية من ان عدد سكان المدينة لا يتجاوز اكثر من اربعين ألفاً<sup>(٣)</sup>. حقيقة ان المدينة تعرضت الى الطاعون القاسي في ١٧٧٣ والى الغزو الاجنبي في ١٧٧٥ الذي ادى الى خسارة نسبة عالية من سكانها الى الحد الذي وصل فيه عدد سكانها اكثر بقليل من ثمانية الاف نسمة في ١٧٩٠ عندما زارها تايلر<sup>(٤)</sup>.

لصناعة السفن والزوارق الصغيرة . واما المقام فانه يضم دائرة الكمارك عند الضفة ومقهى ومسجداً ومساكن لاولئك الذين اجتذبهم الاعمال الحكومية هناك والميدان يقع بعد دائرة الكمارك وهو ساحة مربعة كبيرة لا تستخدم فقط حقله خارج السور<sup>(٥)</sup> وليس محلة سكنية وحتى المحلات التي تحمل اسماء اشخاص (ابن عبد شيخ جوهر، شيخ عمر، شيخ حبيب، شيخ بادي، محمد تحته، شيخ قنبر سيد رمضان، حسن دانه، عز الدين، محمد جواد، عباس) هي ربما اسماء لبيوتات وعوائل اكثر منها محلات سكنية مستقلة اذ لم يبق منها حتى الان اية محلة (عدا عز الدين) وكذلك الحال بالنسبة لتلك المحلات التي تحمل اسماء حرف ومهن (الشربيتية، مجصصة، الحدادة، معصرة، حصرجية، الخضراوية، خشابة، مقبيرة...)، ربما تمثل مناطق تركز لتلك المهن والحرف اكثر منها مناطق سكن . وهذا يجعلنا على الاعتقاد ان محلات المدينة السكنية اقل من ذلك العدد الذي ذكره نيبور بكثير وخاصة اذا ما ادركنا ان الرحالة اللذين جاءوا قبل نيبور وبعده، يجمعون على ان مساحة النطاق السكني للبصرة لا تتعدى ميلين مربعين باية حال من الاحوال، فابن يمكن استيعاب (الثلاث وسبعين) محلة فيها؟

ان تحديد المحلات السكنية وعددها لمدينة البصرة في عصرها الحديث لابد ان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعدد السكان الذي تضمه تلك المحلات والذي بقي موضع تخمين وجدل بين اولئك

#### جدول رقم (١) (٥)

اسماء محلات مدينة البصرة كما ذكرها الرحالة كاسترون نيبور

١٧٦٤

الاسم بالعربية	الاسم بالالمانية	٧ : الدوخ	Doagh
١ : المناخ	Menach	٨ : ام البلابل	Om el Bellabl
٢ : المشرق	Mischrak	٩ : ام البزازين	Om el Bissazin
٣ : دنانيك	Denanik	١٠ : شيخ بادي	Schech Badi
٤ : ابن عيد	Iben Aid	١١ : شيخ قنبر	Schech Kumber
٥ : عباية	Abaieh	١٢ : شيخ جوهر	Schech Dsjohar
٦ : ميدان العبيد	Meidan al Abid		



Samke	: ٤٥ غمقة	Om el Ettonuk	: ١٣ أم الطنوق
Bahama	: ٤٦ بحارنة	Kable	: ١٤ قبله
Dsjusser el Abid	: ٤٧ جسر العبيد	Schech Omer	: ١٥ شيخ عمر
Balled Essias	: ٤٨ بلد السيس	Medbuga	: ١٦ مدبغة
Doagh	: ٤٩ الدوغ	Naher el Benat	: ١٧ نهر البنات
Holal	: ٥٠ حلل	Schech Habib	: ١٨ الشيخ حبيب
Mokam	: ٥١ المقام	Dajusser ellaueh	: ١٩ جسر اللوح
Mehallet el Dajedide	: ٥٢ محلة الجديدة	Megkul	: ٢٠ مكول
Naduran	: ٥٣ نظران	Maadan	: ٢١ المعدان
Sabcha	: ٥٤ الصبغة	Mohammad Tachate	: ٢٢ محمد تحت
Maasra	: ٥٥ معصرة	Hammam Kud	: ٢٣ حمام كوت
El Kchodder	: ٥٦ الخضر	Mehallet el Kadi	: ٢٤ محلة القاضي
Hadade	: ٥٧ الحدادة	Mehallet el Arsa	: ٢٥ محلة العرصة
Chalife	: ٥٨ الخليفة	Mehallet Said Ramadan	: ٢٦ محلة سيد رمضان
Scherbatie	: ٥٩ الشربة	Mehallet el Afghan	: ٢٧ محلة الأفغان
Mehallet el Ihud	: ٦٠ محلة اليهود	Hakeke	: ٢٨ حكاكة
Hasirchie	: ٦١ حصرجة	Mehallet Murdajana	: ٢٩ محلة مرجانه
Seimer	: ٦٢ الصمير	Hassan Dade	: ٣٠ حسن داه
Fatale	: ٦٣ فتالة	Kauas	: ٣١ الكواز
Dajusser el Haus	: ٦٤ جسر الخوز	Bustan Kasab	: ٣٢ بستان قصب
Chaschabe	: ٦٥ خشابة	Kauarchin	: ٣٣ كوارخين
Mehallet Essai	: ٦٦ محلة السامي	As Eddin	: ٣٤ عز الدين
Menau	: ٦٧ مناوي	Chan Zikkar	: ٣٥ محلة خان زكار
Brahe	: ٦٨ بريهة	El Kotana	: ٣٦ القطناه
Abbas	: ٦٩ عباس	EISif	: ٣٧ السيف
Firai	: ٧٠ فرسي	Hausch el pasha	: ٣٨ حوش الباشا
Choddraule	: ٧١ الحضراوية	Dajusser el Gurban	: ٣٩ جسر الغربان
Kud el Kummerli	: ٧٢ كوت الكومرلي	Medajemoa	: ٤٠ المجموعة
Medajoessaa	: ٧٣ بمجصصة	Mogaber	: ٤١ مقبيرة
		Samgonie	: ٤٢ صمغونية
		Mohammem Dajoad	: ٤٣ محمد جواد
		Arroa	: ٤٤ عروة

(\*)Source: Niebur, op. cit, p. 173

وبلاحظ : ١ - المشرق :

كتب في الاصل مشارق ٢ - الدوغ : مكررة مرتين ( ٧ ، ٥٣ )

ولذلك فإن ما ذكره بكنفهام في ١٨١٦ من أن نفوس البصرة ربما وصل الى نصف مليون نسمة وانها فقدت في طاعون ١٧٧٣ ثلاثمائة ألف نسمة هو امر تصوره الدقة<sup>(١١)</sup>، لأن بعض احصائيات القنصلية البريطانية في بغداد، قدرت سكان العراق في منتصف القرن التاسع عشر بمليون وربع، كان عدد البلونهم الذين يسكنون الصحراء نصف مليون شخص<sup>(١٢)</sup>، والبقية في المدن والريف، فكيف كانت البصرة وحدها تضم نصف مليون نسمة. ولا تختلف تقديرات بكنفهام عن تقديرات لوخر الذي ذكر ان البصرة فقدت مائتي ألف نسمة في طاعون ١٨٣١<sup>(١٣)</sup>. لا ينكر ان طاعوني عام ١٧٧٣ و ١٨٣١ كانا قاسيين حتى في مدينة بغداد التي فقدت في الاول ٥٠ - ٦٠ ألف شخص وما يقرب ذلك الرقم في الطاعون الثاني<sup>(١٤)</sup>.

ان المبالغة في حجم خسارة السكان نتيجة تفشي الطاعون ربما يعكس حاله الخوف والهلع الذي اصاب المدينة لسرعة انتشار ذلك الوباء وعدم توفر وسائل الوقاية منه، ولكن بالرغم من ذلك، نلاحظ ان سكان المدينة تزايدوا خلال الربع الاول من القرن التاسع عشر حيث تذبذب سكان المدينة ما بين ستين ألف وثمانين ألف كما اورد ذلك يارستز ودويريه وهيود وكيل، وبالرغم من تعرض المدينة الى الكوارث الطبيعية والامراض في النصف

الثاني من القرن التاسع عشر، فإن عدد السكان بقي حتى مطلع هذا القرن مستقراً حول الاربعين ألفاً. اما ارقام القنصل الروسي في البصرة الكسندر اداموف في عام ١٩١٢ فلا تساعدنا على معرفة عدد السكان بدقة في المدينة لانه ذكرها لكل ولاية البصرة التي كانت تضم المدينة والاقضية والنواحي التابعة لها<sup>(١٥)</sup>. وعلى اية حال، لو قارنا عدد سكان مدينة البصرة بعدد سكان مدينة بغداد مثلاً لوجدنا البصرة اقل كثافة من بغداد التي ظل عدد سكانها يتذبذب حول مائة ألف نسمة طيلة القرن الثامن عشر ومائة وخمسين ألفاً طيلة النصف الاول من القرن التالي عدا فترات الطاعون والكوارث الطبيعية الاخرى التي ضربت المدينة<sup>(١٦)</sup>. ولكن اذا قارنا سكان مدينة البصرة في اواخر القرن التاسع عشر بعدد سكان بعض موانئ الخليج العربي المهمة آنذاك، كالمحمرة، ومسقط، والكويت، مثلاً لوجدنا البصرة اكثر كثافة في سكانها من كل تلك الموانئ وفي الوقت الذي وصل عدد سكانها في ١٨٨٩ اربعين ألفاً، كان سكان المحمرة آنذاك ٥٦٠٠ نسمة، وفي عام ١٩٠٩ عندما ارتفع سكانها الى ستين ألفاً كان سكان الكويت في العقد الاول من القرن العشرين اثني عشر ألفاً، وقطر وعشائرها ستاً وعشرين ألفاً والقطيف وضواحيها عشر الاف نسمة فقط . . . . . الخ<sup>(١٧)</sup>.

#### جدول رقم (٢)

عدد سكان البصرة ١٦٠٤ - ١٨٨٨

كما اوردتها الرحالة الاوربيون

اسم الرحالة	السنة التي زار البصرة فيها	عدد السكان/شخص
١: ب. نكسيرا	١٦٠٤	١٠ ألف بيت
٢: ب. دي لافال	١٦٢٣	مأهولة بالسكان
٣: أ. كاريه	١٦٢٤	مأهولة بالسكان
٤: ر. ب. فيليب	١٦٣١	_____
٥: ثافرنيه	١٦٥٢	_____
	pedro Teixeira	
	Deila Valle	
	Abbe Carre	
	R. P. Philipe	
	V. Tavernaie	

٦: م. غودنهر	M. Godinho	١٦٦٣	٣٠ ألف بيت (١٠٠ ألف نسمة)
٧: ثيفونو	Thevenot	١٦٨٦	مأهولة بالسكان
٨: ك. نيور	C. Niebure	١٧٦٤	٥٠ ألف
٩: ج. تايلر	J. Tayler	١٧٩٠	٨ ألف (٩)
١٠: بارستر	Parsons	١٨٠٨	٨٠ ألف - ٩٠ ألف
١١: دويريه	Duprieh	١٨٠٩	٦٠ ألف
١٢: بكنفهام	J. Buchkingham	١٨١٦	١٠٠ ألف
١٣: و. هيود	W. Hude	١٨١٧	٨٠ ألف
١٤: ج. كبل	G. Kapple	١٨٢٤	٦٠ ألف
١٥: ج. اشهر	J. Uasher	١٨٥٦	٥ ألف - ٦ ألف (٩)
١٦: أ. شيفرد	A. Shepherd	١٨٥٧	٦٠ ألف
١٧: أ. لوخر	A. Locher	١٨٨٩	٤٠ ألف

وبما لاشك فيه ، كان العنصر العربي يشكل الغالبية العظمى بين سكان المدينة على الدوام في الفترة موضوع البحث. وبما ان البصرة مركز تجاري حدودي وميناء بحري مهم فمن الطبيعي ان نجد المدينة تضم بعض الاقليات الدينية والجناليات التجارية من كل اقطار اسيا ، ولكن لاشك ارقاماً دقيقة عن حجم كل اقلية او جالية ما عدا ما ذكره بكنفهام في ١٨١٦ حيث ذكر وجود ٥٠ عائلة من الارمن ، و ١٠٠ عائلة من اليهود ، و ٢٠ عائلة من الكاثوليك ،<sup>(١١)</sup> وارقام آداموف عن عدد تلك الاقليات في مطلع هذا القرن لا تساعدنا كثيراً في معرفة حجمها في المدينة لانه ذكرها للولاية البصرة وليس للمدينة فقط<sup>(١٢)</sup> .

ويجمع الرحالة الذين زاروا البصرة من ان سكانها يهتمون الاجانب ، ولم اشاهد في اي مكان زرتة من قبل مثل ذلك الاحترام ، كما ان هناك نوعاً من التسامح الديني بين كل الطوائف التي تسكن المدينة ، كما ذكر بكنفهام<sup>(١٣)</sup> ، ويؤيده في ذلك استون

شفر الذي زار البصرة في ١٨٥٧ الذي كتب ان في دكل رحلاتنا داخل المدينة وفي اريافها القرية وجدنا السكان مؤدبين ويعملون على اكرامنا بالتمر واللبن والحليب وكل شيء يستطيعون تقديمه . . . . .<sup>(١٤)</sup> وحتى حكام البصرة وباشواتها نظروا الى تلك الاقليات نظرة ود واحترام فيذكر الابهاء الكرمليون الايطاليين فنشسرومبستياني اللذين زارا البصرة في ١٦٥٦ ان اميرها حسين باشا (آل افراسياب) كان ينظر نظرة ود واحترام الى الابهاء الكرملين ويلبي طلباتهم ويعاملهم كأصدقاء له ، وقام بزيارة الدبر ودخل كنيسة وستانه فامر بشق ترعه على نفقته ، كما سمح للاب منصور الذي كان صديقه ان يشيد غرفاً جديدة من اجل راحته وفائدة الدبر ،<sup>(١٥)</sup> اما دي لاثال فيذكر انه بعد ان انتهى الابهاء الكرمليون ببناء كنيستهم في ١٣ نيسان ١٦٢٤ حضر الباشا بنفسه اليها في اليوم التالي لزيارتها . . .<sup>(١٦)</sup> ويؤيد نيور ذلك حيث اكد بان حسين باشا منح حرية واسعة للمسيحيين واجتذب كثيراً منهم للاستقرار في المدينة . . .<sup>(١٧)</sup> .

ويدوان وصول الكرملين الى البصرة اقدم من وصول  
الاوغسطينيين البرتغاليين اليها. في ١٦٠٤، ذكر تكسيرا انه  
شاهد بيتاً يشبه الابوشية يقع على الضفة الاخرى للنهر وانه  
يرجع الى جماعة عيسى بن مريم وتبعه مساحات شاسعة من  
الاراضي ومزارع النخيل حيث لم اسمع بوجود مثل تلك  
الابوشية لعبادة السيد المسيح<sup>(٣١)</sup> وهذا نفس الوصف الذي ذكره  
الاب الكرملى الرحالة فنشنسو الذي وصل البصرة عام  
١٦٥٦، وبذلك فان وصول الكرملين الى البصرة ليس في عام  
١٦٢٣ كما يعتقد البعض وانما اقدم من ذلك<sup>(٣٢)</sup>. ففي ذلك الدير  
نزلت الرحالة الفرنسية كاريه عام ١٦٢٧<sup>(٣٣)</sup> وفيه نزل الابهاء  
الكرمليون فنشنسو ومبستيان حيث ذكروا:

«اعجبنا ذلك الدير الذي يعد من بيوت البصرة الحديثة  
وعتري على مختلف المرافق الضرورية الخاصة بالاديرة: فناء  
مخطط اروقة، وفي وسطه حديقة عامرة بالازهار وكانت كنيسة الدير  
على اسم العذراء مريم . . . . هناك في الطابق الارضي غرف  
الاستقبال، اما الطابق العلوي ففيه صوامع الرهبان تعلوها  
السطوح التي ينام فوقها الرهبان في الصيف . . .»<sup>(٣٤)</sup>

ويدوان الكرملين بنوا كنيسة اخرى في البصرة حيث ذكر  
دي لافال ان الاب الكرملى Basilio de San Francisco ابنى  
عام ١٦٢٤ بناء كنيسة صغيرة ومعبد لجمعيته في البصرة سماها  
Nostra Senora del Remedio واقام وليمة حضرها كافة  
المسيحيين الاربين في المدينة<sup>(٣٥)</sup>، ويؤيده تيفنو الذي ذكر في عام  
١٦٨٦ ان الابهاء الكرملين في البصرة يملكون بيتاً وكانت الكنيسة  
في ذلك البيت حيث تقدم خدماتها ليس فقط للفرنجة وانما  
للساطرة والارمن الذين يأتون الى المدينة خلال موسم  
التجارة<sup>(٣٦)</sup>.

اما نيور فيشير في ١٧٦٤ الى ان تلك الكنيسة قد تهدمت  
ويقوم راهبان يتسبان الى المذهب الكاثوليكي الروماني بتشييد  
كنيسة صغيرة للمرة الثالثة<sup>(٣٧)</sup>.

ولا نذكر لنا كتب الرحلات تفصيلات عن ادارة  
ونشاطات الابهاء الكرملين في البصرة عدا بعض الاشارات عن  
اولئك الابهاء الذين تولوا الاشراف على الكنيسة ويعتبر الاب

كازيميرو الكرملى من ابرزهم وهو فلمنكي الاصل وهو عالم بارع  
يتقن عدة لغات ويكن له المؤلنديون في المدينة احتراماً كبيراً<sup>(٣٨)</sup>.  
اما غودينو فقد ذكر ان الاب الكرملى Braz de Santa Barbara  
قام بضيافته اثناء مكوته في المدينة عام ١٦٦٣<sup>(٣٩)</sup>. ولكن انخذ  
الكرمليون وجمعيتهم يفقدون مكانتهم في البصرة بسبب غمورها  
في بغداد في اواخر القرن التاسع عشر فقلصوا نشاطهم تدريجياً  
حتى لم يبق لهم في المدينة سوى مدرسة واحدة للبنين واخرى  
للبنات وان اعيد جزء من نشاطهم فيها بعد لجوء الراهبات  
الفرنسيات اليها عام ١٨٩٩ لفترة قصيرة<sup>(٤٠)</sup>. اما المسيحيون  
الاوغسطينيون وهم في الغالب من البرتغاليين فكان مجيئهم الى  
البصرة بعد وصول الكرملين اليها، فيذكر دي لافال في ١٦٢٥  
انهم لم ينوا كنيستهم في المدينة بعد بسبب الحروب والغارات التي  
كانت تتعرض لها . . . وانما كانوا يمارسون طقوسهم في بيت مؤجر  
ويدفع الباشا تلك الاجور . . . وكان الاب Consalvo Mar-  
tin de Castbranco زعيماً للبرتغاليين في البصرة<sup>(٤١)</sup>، ويدوان  
ليس لتلك الاقلية دور كبير في المدينة وعلى عكس سابقها حيث  
ذكر ثالترينه الذي زار البصرة في ١٦٥٢ بان اولئك الرهبان  
غادروا البلدة منذ انقطاع البرتغاليين عن المتاجرة معها، في حين  
ذكر غودينو في ١٦٦٣ وجود اثنين من الابهاء الاوغسطينيين  
البرتغاليين في المدينة ولكن لم يذكرهم بالاسم<sup>(٤٢)</sup>.

كما تقدم يبدو ان الاهمية التجارية للمدينة هي التي ادت  
الى بروز اهميتها الدينية للاربيين فالى جانب تلك الاقلية  
كانت هناك الجاليات التجارية الاجنبية في المدينة التي كانت  
اقامت فيها اما مؤقتة او بصورة دائمة. فيذكر الرحالة الفرنسي  
فيليب الذي زار البصرة في ١٦٥٢ ان التجار البرتغاليين اعتادوا  
على مغادرة البصرة في اواسط شهر تشرين الاول من كل عام بعد  
نهاية موسم جفئ التمور فيها<sup>(٤٣)</sup> وذلك بشرائها وتصديرها الى  
الهند، اما تيفنو فكان اكثر وضوحاً حيث ذكر في ١٦٨٦ في خلال  
فترة الموسم التجاري لاتزدحم البصرة بالتجار الاجانب القادمين  
من الهند فقط وانما ياولئك التجار القادمين من بغداد لشراء السلع  
الهندية حيث يكون السكن نادراً جداً فيها . . .<sup>(٤٤)</sup> ففي ذلك  
الموسم تصل السفن التجارية من الخليج العربي الى البصرة في



نهاية تموز من كل عام وتبقى هناك حتى نهاية تشرين الاول لانها لا تستطيع الخروج من شط العرب بسبب هبوب الرياح المعاكسة (الجنوبية الشرقية)، بعد ذلك تبدأ الرحلات النازلة الى الهند وتستمر حتى مايس من السنة التالية.

وهكذا يبدو ان شط التجارة الاوربية مع البصرة في الفترة ما قبل انشاء الوكالات التجارية الدائمة كان شطاً موسمياً يشبه الى حد كبير شط التجارة الاوربية في العصور الوسطى وعصر النهضة حيث لم يكن حجم الانتاج الاجالي كافياً لقيام الاسواق العالمية بصورة دائمية ويقوم فيه التجار المتنقل بدور رئيسي فيه اذ سرعان ما يبيع بضاعته في البصرة ليشترى منها بضاعة اخرى ينقلها معه الى هرمز او سورات او صلب لبييمها هناك وهكذا.

ولعل هذا النمط من التجارة هو الذي يفسر لنا عدم ورود تفصيلات دقيقة عن مدينة البصرة في رحلات اولئك الاوربيين من التجار الذين مروا بالمدينة في الفترات المبكرة من العصر الحديث. فتاجر البندقية المعروف قبصر فردريك ذهب عام ١٥٩٣ من حلب الى الهند عبر بغداد والبصرة وهرمز ولكن دون ان يترك لنا ملاحظاته عن المدينة وفي عام ١٥٦٥ وجد في احدى القوافل التجارية المتجهة من البصرة الى حلب تسعة من التجار البنادقة وجماعة من البرتغاليين بزعامة Antonio Teixeira ولكن لاتعرف تفصيلات رحلاتهم وكذلك الحال مع تاجر البندقية الاخر كاسبابا ياني الذي مر بالبصرة في ١٥٧٩. وحتى رحلة اولئك التجار الانكليزي نيومري - آيلدرد - فيج (الاخير يوصف بانه من الرواد الانكليزي في الهند) الذين كانوا برفقة تجار آخرين يحملون رسائل من الملكة اليزابيث الى اباطرة الصين والمغول، لم يتحدثوا عن البصرة والطريق الذي سلكوه، عدا ما ذكره آيلدرد من انه وزميله التاجر William Shales انزلوا لتجارعتهم في البصرة وقد كانت عملة على مبيعين باركا Barks، ويبحر كل بارك اربعة عشر رجلاً في رحلتهم النهرية. اما نيومري فكان يبحث عن بعض المخطوطات العربية النادرة لشرائها لحساب ريمارد ماكليوث تاجر الكلب الانكليزي في مدينة اكسفورد حيث كتب له في ٢٨/مايس/١٥٨٣ ما يلي:

«سألت كثيراً في طرابلس بسوريا عن مخطوطة وصف

البلدان لابي الفداء ولم اعثر عليها. وربما يمكن العثور عليها في بلاد فارس كما ابلفني البعض ولكن لم اذهب الى هناك بعد، وسأبحث عنه في بابل والبصرة وحالما اجدته سأرسله لك . . . . ٣٧٤.

ولا يختلف الرحالة الفرنسي ثافرنيه عن الرحالة المذكور اعلاه بالرغم من انه كتب عن البصرة بصورة مقتضبة جداً، فهو تاجر مجوهرات باريسي كان يحمل معه في رحلته الى الشرق عام ١٦٦٤ مجوهراته بقيمة ١٣٠ الف باون استرليني، باع قسماً كبيراً منها الى الشاه عباس الثاني في اصفهان في كانون الاول من تلك السنة، وقسماً آخر الى احد امراء الهند المسمى Aurangzeb في مايس من السنة التالية، بل ويذكر الرحالة الانكليزي كارمايكل ان القافلة التي كان يسافر معها المتجهة من البصرة الى حلب كانت تضم ثلاثة وثلاثين تاجراً مسيحياً، وسبعة من التجار اليهود وعشرين تاجراً من المسلمين نقل تجارعتهم ٦٠٠ رجلاً وتقدر قيمة تلك التجارة بثلاثمائة الف باون استرليني.

ولكن تلك التجارة الموسمية لاتعني عدم وجود بعض الجاليات التجارية الاوربية في البصرة وخاصة الايطالية والبرتغالية منها أقدم الجاليات التي استقرت في المدينة، فعند مجيء تكسيرا عام ١٦٠٤ الى المدينة سكن في بيت احد التجار البنادقة وهو Santo Fonte الذي رافقه من هرمز الى البصرة حيث استقبلها في المدينة تاجر بندقى آخر وهو Jerom Ben Tempety الذي قدم لنا خدمات جليلة في المدينة كما ذكر تكسيرا وكان معهم على نفس السفينة التاجر البرتغاليان James de Melo de San Payo و John Pinto وهو تاجر ثري وذو سمعة حسنة وعلى علاقة قوية مع الايطالي Fonte ولم يغادر البصرة مع تكسيرا بسبب ومالديه من بضاعة كثيرة لبييمها في المدينة. . . . ويبدو ان تلك الجاليات التجارية قد بقيت في البصرة حتى منتصف القرن الثامن عشر وعلى عكس الهولنديين الذين اختفوا منها عندما زارها نيبور الذي ذكر ان الايطاليين على اختلافهم موجودون في المدينة وعامسون تجارة لا بأس بها مع البندقية ولوفروا عن طريق حلب وكان التاجر البندقى الشاب Leoni من ابرزهم ويملك تجارة كبيرة وله علاقات تجارية وثيقة مع بغداد.

لكل كيس<sup>(٣٠)</sup>.

والبصرة غنية بسوق الرقيق فيها حتى عرفت إحدى محلاتها بميدان العبيد ولكنها ليست أكبر من سوق مسقط وبالرغم من أن هذه التجارة كانت محرمة من الناحية القانونية لكنها معروفة آنذاك وكانت بيوتات الموظفين والملوك الكبار في البصرة من أحسن مصادر اقتناء الرقيق فيها. ويذكر الأب فنشور في ١٦٥٦، أنه قبل وصوله بإيام قليلة إلى البصرة وصلتها قافلة من الصبيان والفتيان من روس ويونانيين وعجريين وبولنديين<sup>(٣١)</sup>، أما ثافرنه فيرى أن ما يشتري من الرقيق في سواحل البحر الأحمر وجنوبه كان يرسل إلى مسقط التي كانت سوقاً رئيسية له ويقدر ما يدخلها من الرقيق بأربعة آلاف منوبيا يصل إلى البصرة منها حوالي ثلاثمائة ويذهب الباقي إلى موانئ آسيا الأخرى<sup>(٣٢)</sup>.

أما تجارة الخيول فلا بد أن تكون رائجة في البصرة منذ الفترات المبكرة للمصر الحديث وذلك للاستخدامات العديدة للخيول سواء في القوافل التجارية، وقوافل الحج، وحاجات صنف الفرسان في الجيش العثماني بالإضافة إلى حاجات التصدير. وبالرغم من أن الباب العالي كان قد حرّم تصدير الخيول من الامبراطورية لكن ذلك التحريم بقي حبراً على ورق وكانت ترسل الخيول إلى المحمرة لأغراض التصدير.

ويتبين عدد الخيول التي كانت تصدرها البصرة من ١٥٠٠ رأس خيل عام ١٨١٦ كما ذكر بكنفهام<sup>(٣٣)</sup> إلى مليون حصان عند منتصف القرن التاسع عشر كما يعتقد فوتتانيه<sup>(٣٤)</sup> وكانت مدن الهند الكبرى مثل كلكتا وبومباي والسفغال وبلاد فارس من الأسواق المهمة لها. أما مصادر البصرة من الخيول فهي عديدة تمتد من الجزيرة الفراتية وتكريت ويغداد نزولاً إلى البحرين والجزيرة العربية لوفرتمها ولرخص اثنائها كما ذكر سبستيان في ١٦٥٦<sup>(٣٥)</sup> ولكن دور البصرة في تجارة الخيل لا تكمن في كونها منفذاً لتصديرها وإنما مكاناً لتربيتها أيضاً وخاصة للفترة ما بين شرائها وتصديرها وقد تستغرق عدة شهور وذلك لتوفر المراعي الجيدة حول المدينة. وكذلك في كون البصرة نفسها سوقاً رائجة للخيل وذلك لاستخدام أعداد كبيرة من الخيول في القوافل التجارية الصحراوية الصاعدة إلى حلب.

إن البصرة كمركز تجاري إقليمي معروفة من خلال العديد من الدراسات، ولا حاجة لتكرار ما توصلت إليه تلك الدراسات فقد وصف غودنهو سوقها في ١٦٦٣ بأنه أعظم سوق في هذه البحارة، «ويرسو في ميناها سنوياً أكثر من أربعين سفينة محملة بالملابس الساعمة والحديد والخشب والتوابل والكهرمان، والأعشاب الأخرى»، ويسكنها تجار أغنياء يشتغلون على مائتي سفينة، ويقول الهولنديون أن التجارة في البصرة تحقق ربحاً بمقدار مئة بالمائة<sup>(٣٦)</sup> واستون شيفرد أكثر دقة عندما أكد أن سوق البصرة في أهميته وسمعتها أكبر من أي سوق سواء في القاهرة أو في الاسكندرية حيث تتوفر فيه:

- حولات الرز والسكر، والساكين والاولاي من برمنكفهام (بريطانيا)

- القطن والاقمشة المطبوعة من مانجستر

- السجاد، والتركواز، من بلاد فارس

- التوابل من سيلان، واللؤلؤ من البحرين، القهوة من مخا (اليمن)

- الحرير الطيبي والشاي من الصين

- الحديد والقصدير من انكلترا، والبنادق من السفغال

- التحفيات من بابل ونيوى، والرقيق من هرمز.

والذهب والفضة، والشاي والعصائم والنيلة من

سورات ....<sup>(٣٧)</sup>

ولكن أهمية تجارة البصرة لا يمكن في ذلك النوع من السلع التي ذكرها استون شيفرد وإنما في تجارتها الكبرى القائمة على التمور والخيول، والرقيق والأبل، فيذكر تيفنو في ١٦٨٦، أنه كانت في الميناء قبل وصوله إلى البصرة خمسة عشر سفينة كبيرة قسماً منها هولندي والقسم الآخر لتجار اجانب وعرب كلها محملة بالتمور فقط وبكميات هائلة وبما تكفي لكل الهند<sup>(٣٨)</sup>. ويقدر فوتتانيه صادرات البصرة من التمور سنوياً والمارة فقط عبر قناة العشار ب ١٥٠ Bagios (٦٠ طناً) وهذه الكمية قليلة، حيث تباع الـ Bagio الواحدة بستة آلاف قرش وتذهب الانواع الجيدة منه إلى موانئ البحر الأحمر في حين تذهب الانواع المادية منه إلى الهند وكانت الضريبة على التمور المصدرة قرشاً واحداً

ويبدو من كتب الرحلات ان تجارة الحبل هذه مريحة جداً وانها تعرض الى الكساد والخسارة بعض الاحيان، فيذكر بكتنهام ان سعر الحصان الواحد الواصل الى الهند من البصرة يبلغ ٦٠٠ روية في حين يباع بـ ٨٠٠ روية. واما الحبول التي ترسل الى اقليم البنغال فيكون عادة اجمل واعلى سعراً واكثر عدداً حتى جذبت المقوم البريطاني للاستغلال بتجارتها وكان يرسل على حسابه الخاص عدداً من الحبل الجميلة التي يبلغ ثمنها واصلها الى اقليم البنغال ١٥٠٠ روية في حين يمكن بيعها بالقلي روية، وهكذا<sup>(١١١)</sup>.

ولا نتحدث كتب الرحلات الاوربية بصورة مباشرة عن تجارة الابل في البصرة في الفترة موضوع البحث، ولكن نستج من دراستنا للقوافل التجارية الصاعدة من البصرة الى حلب وجود قوافل تقتصر على تلك الابل الفنية المخصصة للبيع فقط والتي ترسل اما من الجزيرة العربية مروراً بالبصرة او من الصحراء المحيطة بالبصرة فيذكر الرحالة بلاستيد ان شيخ الاحياء يرسل سنوياً قافلة من تلك الابل الى حلب بقيادة احد اقربائه او اتباعه وبعد ثلاثة ايام من رحلتها يلتحق بها عدد اخر من الجمال حتى يتضاعف عددها الى ثلاث مرات . . . . حيث ذكر ان قافلته وحدها التي سافر معها عام ١٧٥٠ كانت تتألف من الفني جمل وكلها مخصصة للبيع<sup>(١١٢)</sup>. اما القوافل التجارية التقليدية فانها تستخدم اعداداً لا يباس بها من الابل في رحلاتها وهي غالباً تتحدد بحجم التجارة المراد ارسالها في كل رحلة. في اواخر القرن السادس عشر يذكر Barker ان حجم تلك القوافل كان يتراوح ما بين الفين الى خسة الاف جمل، ولكن يبدو ان تلك الارقام تعوزها الدقة. حقيقة ان جون آبلدرد سافر بقافلة في ١٥٨٣ تتألف من اربعة الاف ما بين حلب وبغداد، ولكن الرحالة الذين ذهبوا من البصرة الى حلب لا يذكرون ارقاماً عالية للجمال التي كانت في قوافلهم، فالرحالة البرتغالي Bernardino سافر في مطلع القرن السابع عشر بقافلة تتألف من ١٤٠٠ جمل، وشافرنيه بقافلة تتألف من ٤٠٠ جمل، وكارمايكل في ١٧٥١ بقافلة تتألف من ١٢٠٠ جمل، ستمائة منها فقط عملة بالضياع<sup>(١١٣)</sup>. ولا نملك تفصيلات عن اسعار الجمال

في البصرة، عدا تلك التي ذكرها بلاستيد عام ١٧٥٠، وهي لا تعطينا تصوراً دقيقاً عن اسعارها، لقد اشترى بلاستيد جملاً واحداً للمحفة بسعر ٧٥ قرشاً في حين اشترى ثلاثة جمال اخرى لحمل امتعته بـ ٧٥ قرشاً (اي ٢٥ قرشاً للجمال الواحد). وينصح كارمايكل اولئك الرحالة الذين يغادرون البصرة الى حلب بشراء الجمال منها بسعر ٤٠ روية لبيعها في حلب بربح مئة بالمئة<sup>(١١٤)</sup>.

ان مدينة البصرة وتجارتها ربما لم تبلغ تلك الشهرة الواسعة لولا موقعها الاستراتيجي على واحد من اهم الطرق التجارية الدولية الذي يربط الشرق الاقصى باوروبا. ولذلك فاهم الخطوط التجارية التي تتفرع من البصرة هي:

١ : الطريق البحري الذي يربطها باهم موانئ الخليج العربي انذاك ولا سيما هرمز والذي تعتبر جزيرة خرج المحطة الرئيسية فيه وذلك لموقعها في منتصف الطريق وتتوقف عندها كافة السفن المبحرة ما بين البصرة وهرمز.

٢ : وترتبط البصرة ببغداد بواسطة الطرق النهرية التقليدية عبر نهري دجلة والفرات ويفضل الرحالة استخدام طريق الفرات اكثر من طريق دجلة لان الاخير توجد فيه تعرجات كثيرة في اجزائه الجنوبية، ولعدم وجود قرى سكنية كثيرة عليه وخاصة ما بين العمارة وبغداد التي تعتبر مهمة لاية رحلة وخاصة عند تعرض تلك السفن الى المخاطر المتعددة كالغرق وهبوب الرياح والسرقات، والا هم من ذلك كله، هو ان طريق الفرات كان يشكل الجزء الجنوبي من طريق القلوجة البصرة وتكون بابل من اكبر المناطق التي يتوقف الرحالة فيها وتتخذ كنقطة مرور لما الى بغداد او الى الاماكن المقدسة في كربلاء والنجف. ولعل اول من استخدم هذا الطريق هم الرحالة الانكليزي ابلدرد - فيج - نيويري عام ١٥٨٣ عند نزولهم من حلب عن طريق البرجسك ولكن لم يتركوا لنا وصفاً عن اهم محطاته التجارية انذاك<sup>(١١٥)</sup> حتى عام ١٦٦٣ عندما ملكه الرحالة البرتغالي غود نيو الذي ترك وصفاً دقيقاً له ما بين البصرة وبابل والذي اكتملت معاملة عند نيور بعد قرن تقريباً. ان اهم محطاته بعد البصرة هي:

## القرنة :

الصحراوية عندما وصلها غودنو في ١٤ نيسان ١٦٦٣ ، ووجد نيبور بيوتها مشيدة جميعها من الطين المجفف بالشمس وقدمات سكانها باجمعهم تقريباً ومنذ بضعة سنوات بسبب الطاعون<sup>(١١)</sup> .  
للوم :

وصلها نيبور في ١٩ كانون الاول ١٧٦٥ ووصفها وبالقرية الكبيرة وهي مقر عشيرة الخزاعل ، في حين لم يذكرها غودنو<sup>(١٢)</sup> .  
وتعتبر بابل المحطة النهائية لطريق الفرات النهري وتوفر للرحالة خيار الاستمرار في رحلته الى اعالي الفرات كما فعل غودنو الذي اصل سفره الى عنه ، او التحول الى طريق الفرات الصحراوي (بصرة - حلب) وذلك بالذهاب اما الى النجف او كربلاء الحاليتين ومنها السير باتجاه حلب ، او الذهاب الى مدينة بغداد كما فعل نيبور حيث يمكن قطع المسافة في يومين اثناء الصيف وثلاثة ايام في الشتاء ، ولكنه قطعها في اربعة ايام نظرا لكونه وليس على عجلة من امره<sup>(١٣)</sup> .

### جدول رقم (٣)

رحلة غودنو عام ١٦٦٣ من البصرة الى حلب عام ١٦٦٣ عن طريق الفرات (طول الرحلة = ٢٧ يوماً)

الفترة بالايام	التاريخ	المناطق التي مر بها
١	٤/٩ - ٤/١٠	البصرة الشالوشية
١	٤/١١ - ٤/١٠	الشالوشية - العرجة
٢	٤/١٣ - ٤/١١	العرجة - النجيب
٢	٤/١٥ - ٤/١٣	النجيب - السماوة
٢	٤/١٧ - ٤/١٥	السماوة - النجف
٢	٤/١٨ - ٤/١٧	النجف / الحلة
٢	٤/٢٠ - ٤/١٨	(استراحة ليومين في بابل)
٨	٤/٢٨ - ٤/٢١	بابل - عنه
٢	٤/٢٨ - ٤/٣٠	عنه - طيبة (الصحراء)
١	٥/١ - ٤/٣٠	استراحة ليوم واحد في طيبة
٤	٥/٤ - ٥/١	طيبة - حلب

وقد مر بها ثافريه عام ١٦٥٢ وذكر انها كانت تحكم من قبل ابن امير البصرة وتوجد فيها قلعة جيدة بجميعها مدفع واحد وتسجل فيها كافة البضائع النازلة الى البصرة من بغداد وتزود السفن بقوائم الضرائب فيها ولكن تدفع عند وصولها الى البصرة<sup>(١٤)</sup> . يبدو ان القلعة بقيت في المدينة حتى مطلع القرن التاسع عشر عندما وصفها الرحالة الانكليزي هيود عام ١٨١٧ وذكر ان القرنة . «مدينة صغيرة وفيها نقطة كمراك»<sup>(١٥)</sup> . في حين وصفها صموئيل ايفثر عام ١٧٨٩ بانها كانت مسورة بسورين من الطين ولم يتجاوز سكانها ٥٠٠ شخص<sup>(١٦)</sup> .  
الشالوشية :

وبالرغم من ان غودنو ذكرها في ١٦٦٣ وان نيبور لم يوردها عام ١٧٦٥ ، في حين ذكرها مايلز في رحلته عام ١٧٨٩ كقرية تقع على نهر دجلة وليس على نهر الفرات<sup>(١٧)</sup> واغلب الظن انها لم تكن منطقة محددة ولربما كانت تشمل المناطق التي نسكنها عشائر الشلاش التي كانت تنتشر ما بين دجلة والفرات هناك .  
التصورية :

لم يذكرها غودنو والمها وصفها نيبور بانها «قرية كبيرة» تقع على الفرات والى الشمال من نهري عثر وصالح ، ولكن ذكرها تايلر في ١٧٨٩ بانها تقع على دجلة وليس الفرات ، وكما هو الحال مع الشالوشية فلربما انها كانت مناطق سكن عشائر بني منصور الحالية المتلة بين دجلة والفرات<sup>(١٨)</sup> .  
العرجة :

وهي الى الشمال من مدينة الكوت وفيها كمرك يعود الى عشائر آل صالح<sup>(١٩)</sup> .  
السماوة :

وهي قرية صغيرة وفيها برج عال لارشاد القوافل



ان معرفة الوقت الذي تستغرقه الرحلة النهرية من البصرة الى بابل لابد ان يختلف نتيجة عوامل عديدة، لعل اهمها هو فترة السفر نفسها هل في الصيف او الربيع او الشتاء وذلك للملاءمة مناسب المياه للسفر، ويأتي بعد ذلك حجم السفن وحمولاتها وحتى عدد الاشخاص الذين يقومون بسحبها بين تلك المحطات. وفي الوقت الذي يذكر فيه نيبور انه بالامكان قطع المسافة بين البصرة وبابل في فترة ٦-٨ ايام لكنه احتاج الى واحد وعشرين يوماً للوصول الى بابل.<sup>(١٠٠)</sup>

ومهما تكن الفترة التي تستغرقها الرحلة النهرية في الفرات ما بين بغداد والبصرة فانها لا تختلف كثيراً عن مثيلتها في نهر دجلة، رحلة فنشوسوبستاني في ١٦٥٢ مثلاً استغرقت واحداً وعشرين يوماً وان يمكن قطعها بفترة اقصر<sup>(١٠١)</sup> وارثاد هذا الطريق ايضا ثاقريه في رحلته الثانية عام ١٦٥٢ ايضا ولكن لا يذكر تفصيلات عن المناطق التي مر بها وانما وصلنا بعضها من قبل الرحالة المتأخرين وخاصة جورج كبل في ١٨٢٤ ومينان ١٨٢٧ الواقعة عليه وهي:

العمارة - الحجر - القصر - القرنة - نهر عمر - العزيز - السدير - البصرة<sup>(١٠٢)</sup>

حيث يلاحظ عدم ذكر اية قرية او مدينة تقع على دجلة ما بين العمارة وبغداد .

اما الطريق البري الذي يربط البصرة ببغداد فهو ذلك الطريق الذي يمثل الجزء الجنوبي من طريق بصرة - حلب الصحراوي الكبير حيث يذهب اغلب الرحالة اما الى النجف الحالية والتحول منها الى بابل ومن ثم الى بغداد وهذا يستغرق ثلاثة الى اربعة ايام، او الذهاب ابعده حتى كربلاء ومنها الى بغداد وهذا يستغرق من يومين الى ثلاثة ايام بدون اقامة او توقف في المدن .

ولكن اهم الطرق البرية التي تربط البصرة بالعالم الخارجي هو طريق بصرة - حلب الشهير الذي لازال ينتظر الدراسة والبحث. فبعد ان شهدت اوربا نهضتها المعروفة في اواخر المصور الوسطى وقد كان من اهم نتائجها هو يقظة اوربا نحو

اسيا واهميتها، وخاصة بعد انحاء اسبانيا والبرتغال نحو العالم الجديد، الذي نه انكثرا وفرنسا وهولندا لتجارة الشرق وقد ادركنا ان تجارة الهند هي تجارة العالم. وبذلك فقد توجه الى الهند الكثير من الرحالة الانكليزي والفرنسيين واغلبهم من مبعوثي شركتي الهند الشرقية الانكليزية والفرنسية وهم سلكوا طريق وادي الفرات الصحراوي المعروف انذاك باسم طريق قوافل الصحراء الكبرى Great Desert Caravan Route كأقصر طريق يربط اخليلج العربي بالبحر الابيض المتوسط، بل واقصر بكثير من طريق رأس الرجاء الصالح الذي كان يخضع للسيطرة الاسبانية - البرتغالية انذاك.

لعمل البرتغاليين اول من استخدم طريق القرات الصحراوي بالرغم من محاولتهم على عدم تشجيع الطرق البرية التجارية لزيادة قبضتهم على الطرق البحرية التي كانت عصب امبراطوريتهم ويعتبر Antonio Tenreiro اول برتغالي استخدم هذا الطريق مرتين في العصر الحديث لنقل البريد الى الهند مرة في ١٥٢٣ عند عبوره الصحراء من حلب الى البصرة والثانية في ١٥٢٨ عند عودته من الهند الى لشبونة. وبالرغم من ان Tenreiro نشر رحلته عام ١٥٦٠ لكنه لم يورد اية تفصيلات عن هذا الطريق، وكذلك الحال بالنسبة الى جماعة من الرحالة البرتغاليين عام ١٥٦٥ والرحالة الانكليزي نيبوري - فيج - أبلرد عام ١٥٨٣ الذين سلكوا اجزاء من ذلك الطريق دون ذكر وصف له<sup>(١٠٣)</sup>.

ولكن Pedro Texeira اول رحالة اوروبي وصف الجزء الجنوبي من الطريق (بصرة - كربلاء) عام ١٦٠٤ حيث سافر من البصرة عبر الصحراء الى كربلاء ثم بغداد وعنه وحلب. وبالرغم من ان الرحالة الايطالي دي لالسال سلك الطريق نفسه الذي سلكه تكسيرا بعد عشرين عاما لكنه لم يذكر لنا تفصيلات عنه اما الجزء الشمالي، من الطريق فقط سلكه البرتغالي Gaspar de Bernardino للفترة ١٦٠٦ - ١٦٠٧ دون اية تفصيلات ايضا.<sup>(١٠٤)</sup>

ان الوصف الكامل لطريق بصرة - حلب الصحراوي للقوافل التجارية وصلنا من الرحالة الانكليزي منذ منتصف القرن

الثامن عشر عندما بدأوا يرتادونه بكثافة تلبية لحاجات شركة الهند الشرقية الانكليزية وخاصة G. Kapper ويلاستيد عام ١٧٥٠ حيث ذكروا ان اهم محطات هي :

الزبير ، جويده ، الحائق ، الغضاري ، الائلة (وهي قرب بركة الرحمة الواقعة مقابل مدينة النجف من جهة الغرب) ، هدية ، الاخيشر ، الرحالية ، حكمة الحوران (حيث تلتقي فيها القوافل التجارية القادمة من بغداد بقوافل البصرة) ، طيبة (وهي من اكبر المحطات التجارية الصحراوية قبل مدينة حلب وقد ذكر عنها تكسيرا في ١٦٠٤ بانها تضم ٢٥٠ بيتاً ، ويوجد فيها وكيلاً للجلالية الاوربية في حلب كما اضاف دي لافال ) ، ولعل اخر محطة هي Hagher (الحكمة؟) وتقع بالقرب من قرية قديعة نعرف بالجبون يعتبرها بلاستيد نهاية الطريق حيث تنتظر القوافل هناك لاستلام اوامر الباشا من حلب ليحدد مكان التجمع ولينمكن الشاهبندر ورجاله من رؤية القافلة ، وتعتبر قرية نيرب هي مكان تفتيش القافلة وفرض الضرائب حيث يوجد عشرون موظفاً من الكمارك هناك<sup>(١٠٠)</sup>.

اما الطريق الذي ذكره نيبور في ١٧٦٥ استنداً الى رواية احد البدو الذي سافر لكثر من عشرين مرة فيه ، وزاد عليه احد التجار بعض الاسماء لا تختلف في محطاته الرئيسية ولكن يبدو ان بعض المحطات والمناطق قد ادخلت دون تدقيق لانها لم تذكر من قبل الرحالة الذين سلكوا الطريق لمرات عديدة ، فهذه المحطات هي :

الزبير - جويده - شكره - الخنقة - القصر (وهو قلعة مهذمة) - وادي ابو مريس (عيون سعد ام كرون) - الغضاري - Dejourné (?) - القائم او الائلة - بركة الرحمة (بالقرب من النجف الحالية) - الطقظة (الحجابية) - الحسين (كربلاء) - الاخضير - رأس العين - لجيل - كيسة - عقلة الحوران جب الجلموس - الماني - الرنقة - البرودن - الرحبة - جب الغنم الحمض - جبل البشير - العدة - طيبة - قصر العين - قاع ابو الفياضي - عز الروتة - صهاريج - مرتفعات سيث (وفي هذه المرتفعات توجد الحكلة) وتوجد عين سفيرو او عين ذهب - حلب<sup>(١٠١)</sup>.

ومن ذلك يبدو ان وادي ابو مريس (عيون سعد ام كرون) هو وادي مازال موجوداً حتى الان وليس محطة تجارية لتتوقف القوافل ولقطعت كذلك نفع بالقرب من الكوفة الحالية وهي اول محطة تتوقف فيها القوافل الصاعدة من النجف والكوفة باتجاه بلاد الشام ولم يسبق ان مر بها طريق البصرة - حلب الصحراوي وكذلك الحال بالنسبة لكربلاء حيث لم يمر بها القوافل الا قوافل المسافرين الى بغداد انما تقع الى الشمال الشرقي من الطريق وانما تمر بالاخير القريب منها وكذلك كيسة التي هي اخر محطة تجارية للقوافل الصاعدة من بغداد الى حلب ويجمع كل الرحالة الذين سلكوا طريق بصره - حلب - انهم لم يتوقفوا عند كيسة وانما الى الغرب منها<sup>(١٠٢)</sup>.

ويغرد نيبور من بين الرحالة الآخرين بذكر طريق بديل عن الطريق اعلاه وذلك لاستخدامه عندما يتعدم الامن في مناطق الطريق السابق ، ويعد اكثر باتجاه الغرب في حق الصحراء وفي هذه الحالة يجب التزود بالماء اللازم لمدة ٤ - ٥ ايام على الاقل واهم محطات هي :

الزبير - جويده - شكره - الحائق - القصر - السلطان - الائلة - قطري البرية - حجره او عيوز - القصرة - صواب - الصرايم - الصخرة - بئر قديم - ابو فياض - الحلم - جبل الحص - الحكلة - سفير - حلب<sup>(١٠٣)</sup>.

ويبدو من محطات هذا الطريق ان الاختراق عن الطريق الاول يبدأ من الحائق باتجاه السلطان (نقطة السلطان الحالية) ومن ثم العودة الى الائلة ، اي الابتعاد عن مناطق عشائر الفرات الجنوبي وخاصة عشائر المتضك ومن ثم الرجوع الى عشائر الصحراء حتى جبل الحص والحكمة اي الابتعاد عن عشائر الفرات الاعلى حيث كانت تلك العشائر في صراع مستمر مع السلطات العثمانية .

اما الطرق التي تخرج من البصرة الى الجزيرة العربية فهناك طريق الفرين (الكوت الحالية) الذي يفرغ من جويده - صفوان - الجهره والفرين على ساحل الخليج العربي وهذا ما ذكره نيبور فقط دون الرحالة الآخرين والطريق الثاني هو طريق

الحج البري الذي ذكره تيفنو فقط في ١٦٨٦ حيث يخرج الحجاج من البوابة الشرقية للبصرة (مقام هل) ويتجهون الى قلعة صغيرة تبعد ثلاثة اميال الماتية *Agatch* عن المدينة حيث يوجد فيها ماء مر (واطن الدرهمية الحالية) - ثم الى جبل سنام وفيه يوجد الماء النقي الطيب المذاق، ومنها الى منطقة الحصار - *Techa* *Haffer* ويتوفر الماء الجيد فيه ومنه الى العنيز *Anizo* التي تبعد مسافة ثلاثة عشر يوماً مشياً على الجمال. ومن العنيز يتجه الطريق غرباً نحو نجد التي توجد فيها قلعتان الواحدة مقابل الاخرى وتسكنها بعض القبائل العربية لكن الماء فيها غير جيد، ومن نجد يتزلون جنوباً باتجاه المدينة المنورة ومكة ولا يتحدثون تيفنو عن محطات الطريق ما بين نجد ومكة ويكتفي فقط بذكر ان على الحجاج التزود بالماء لعدد معين من الايام وحتى وصولهم قرب مكة لارتداء الاحرام. ويستغرق الطريق عند العودة من مكة الى البصرة حوالي ٣٥ يوماً<sup>(١١٤)</sup>. ولا يذكر غرد نهر في ملخصه الصغير عن الطرق في القرن السابع عشر هذا الطريق والمناطيق مكة - السويس فقط<sup>(١١٥)</sup>.

وفي مثل هذه المجتمعات والمراكز التجارية لا بد ان توجد فيها عمليات منظمة للائتمان والصيرفة وخاصة مدينة البصرة التي تلقي فيها الجاليات من مختلف انحاء العالم، وكل النقود فيها معروفة كما يذكر تكميرا<sup>(١١٦)</sup>. ولكن اغلب الرحالة الميكريين لم يتطرقوا الى انواع العمليات الائتمانية في البصرة ما عدا ذكرهم لبعض انواع النقود المتداولة وحتى منتصف القرن الثامن عشر عندما بدأ بعض الرحالة الذين سلكوا طريق الفرات الصحراوي يشيرون الى بعض تلك العمليات التي كانت تسيطر عليها الجالية العربية في المدينة واحمها ما سماه الرحالة بلاستيد عام ١٧٥٠ باسم *Respondentia* ولا بد انها تشبه عملية *Ricorsa* التحويل واعادة التحويل للاموال بين مكانين وقد اخترعها التجار الايطاليون في العصور الوسطى الاوربية واخذت بالانتشار الى بقية انحاء اوروبا فيما بعد.

يوصي بلاستيد الرحالة بان لا يحملوا نقودهم معهم اثناء رحلتهم لمخاطر السرقة والضياع، والمنا عليهم اقراضها في البصرة الى احد التجار اما في المدينة او احد التجار الذين يسافرون معه

في القافلة والذين هم بحاجة اليها عند الرجول. فاذا وجد احدهم من يرغب الاقتراض فانه عليه اعطائها الى ذلك التاجر مقابل ان يقوم الاخير باعطائه تمهدا مكتوباً يسمى (*Respondentia*) يتمهد فيه (او وكيله) عند الوصول الى مدينة حلب يدفع المبلغ اما بعملية مدينة حلب او بعملية يتم الاتفاق عليها مقدماً ويبدو ان العملات المستخدمة في هذا النوع من المعاملات هو القرش *Piastre* <sup>(١١٧)</sup>.

ويذكر بلاستيد في ١٧٥٠، وتابلر في ١٧٨٩ وجود نوعين من القروش هما: القرش الجاري او السرايح *Piastre Courante* (وهي النقود الحسابة)، والقرش الخاص او يسمى القرش الرومي *Piastre en Specie* (وهي النقود الحقيقية) ويقال للاول باللغة الايطالية التي كانت لغة المال والصيرفة انذاك *Moneta Comente* وللثاني *Moneta Bouna* حيث كان الاخير اقل من الاول بنسبة ١/٢٢ بالمائة عند بلاستيد و ١٠ - ١٢ بالمائة عند تابلر الذي يوصي الرحالة بان يكتبوا كافة معاملاتهم المالية بالقرش الرومي لانه اقل من القرش السرايح لانه اذا لم يفعلوا ذلك فان الصرافين سيدفعون لهم في حلب بالقرش السرايح وهذا حدث فعلاً لبلاستيد الذي اقترض احد التجار في البصرة الفري قرش ولكنه لم يجد نوع القرش في التمهد، فعند وصوله الى حلب اراد الطرف المسحوب عليه الحوالة (التمهد) ان يدفع له بالقرش السرايح ولكن الصدقة ان التاجر (الساحب) كان معه في القافلة حيث رجع اليه وعرضه ذلك لانه كان من التجار الشرفاء، ولكنه حتى في هذه الحالة حصل على ربح قدره ١٥ بالمائة<sup>(١١٨)</sup>.

ومن هذا يبدو ان المجتمع التجاري في البصرة او حلب لا يختلف عن المجتمعات التجارية في الاسواق والموانئ الاوربية في العصور الوسطى وعصر النهضة حيث تنعدم البنوك المركزية وتتمدد المصارف الخاصة وتعدد انواع النقود المعدنية ووجود نوعين من النقود في العمليات الحسابة: نقود حسابة (خيالية) ونقود حقيقية الاولى اخترعت لمجرد تسهيل العمليات الحسابة وللتقليل من تداول النقود ولكن لها ما يساويها من العملات المتوفرة في السوق في كل وقت حيث يملك الصرافون والتجار

جداول خاصة ومعقدة لمعرفة ما يساويها .

فالشامي مثلاً كان العملة التي تقام بها صفقات التمور منذ فترة مبكرة في البصرة ولكنها انقرضت في القرن الثامن عشر. الا انها ظلت كأساس لبيع التمور وكانت قيمتها الرسمية تقل عن قيمتها في السوق ولكن المشتري في النهاية يدفع حسابه بالعملات المتوفرة لديه بعد ان تتم عملية تحويل الشاميات التي تمت بموجبها الصفقة الى تلك العملات المتوفرة لدى المشتري وفق جداول خاصة يمتلكها الباعة والدالون والصرافون . وكذلك الحال مع (قران الدقر) في القرن التاسع عشر الذي كان قرانا خياليا حيث كان كل ٣٤,٤ منه يساوي ليرة عثمانية، ورغم ان تلك الليرة اصبحت تساوي ٥٤ قرانا حقيقيا فيما بعد الا ان القران الخيالي بقي العملة التي تحسب بموجبه الصفقات التجارية ثم تبدأ عملية المعادلة والتسوية وفق جداول خاصة وبعدها يتم الدفع بالعملات المتوفرة وهكذا<sup>(١٣٣)</sup>.

ان وجود هذا النوع من العمليات الحسابية سببه عدم توفر كميات كافية من النقود الحقيقية المعدنية، واختفاء النقود المعدنية الجيدة من السوق وخاصة الذهبية والفضية منها بسرعة وبذلك نرى تيفنو مثلاً يذكر ان «الزكين البندقي» او «زكيتو» كما

ذكره فنشنسوف في ١٦٥٦، وهو عملة ذهبية لمدينة البندقية الايطالية كان يساوي ٧/٥ قرشا (نقود فضية) وكل قرش = ٣ - ٣/٥ عباسي (نقود حسابية)، لكن الزكين البندقي «نادر جدا» في البصرة ويحمله المسافرون معهم من الهند<sup>(١٣٤)</sup>، ويبدو انه كان معروفا في البصرة حتى عندما زارها تايلر في ١٧٨٩ ذكرياته كان يساوي ١٧/٥ قيراطا من الذهب<sup>(١٣٥)</sup>.

ولكن بلاستيد ذكر المعادلات في حسابه لنفقات رحلته عام

١٧٥٠ :

١ : روبية هندية (فضة) = ٥ محمودي (نحاسي)

١ زيت عثمان (Zeloti) فضة = ٥ محمودي (نحاسي)

١ قرش (Piastre) فضي = ٦ محمودي (نحاسي)

١ دوكانو (زكين) ذهبي = ٢١,٥ محمودي (نحاسي)

١ باوند استرليني = ٤٥,٥ محمودي (نحاسي)

والزيت وهي من النقود الفضية العثمانية المعروفة في

البصرة وعند تحويلها الى نقود ذهبية كان الشخص يحصل على فائدة قدرها ٤,٥ بالمائة . ولكن بلاستيد ينصح الرحالة بشراء الذهب في البصرة لانه افضل من اية نقود معدنية ويمكن بيعه في اية محطة تجارية اثناء الطريق<sup>(١٣٦)</sup>.

## الهوامش والمصادر

من رحلات فنشنسوف وسبتياني للعراق عام ١٦٥٦، وتأثير عام ١٧٨٩ - ٩٠ :  
لنورد المجلد الخامس، العدد الثالث (١٩٧٦) ص ٧١ - ٨٩، والمجلد التاسع العدد الثالث (١٩٨٠) ص ١٦٧ - ٢١٢، والمجلد الحادي عشر، العدد الاول (١٩٨٢) ص ٢٥ - ٤١.

اما الاستاذ سليم طه التكريتي فقد قام بترجمة رحلة بكتفهام بمنوان : رحلتي الى العراق عام ١٨١٦ بجزئين (بغداد ١٩٦٧ و ١٩٧٠)، كما ترجم رحلة راورولف بمنوان (رحلة المشرق الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين (بغداد ١٩٧٨).

اما فؤاد جميل فقد ترجم رحلة السير وليس بيلج بمنوان ورحلات الى العراق (بغداد ١٩٦٦) في حين ترجم علي البصري رحلة مدام دي لالوا بمنوان ورحلة مدام دي لانوال كلدة العراق عام ١٨٨١، (بغداد ١٩٥٨) . الخ . . . . .

اما عن طريق بعض البحوث التي درست مواضيع محددة من خلال تلك الرحلات راجع مثلا :

× تومس، د. علاء موسى كاظم، بغداد في رحلات الاجانب في العهد العثماني،

١ : لوتنبرك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، (بغداد ١٩٦٨) راجع الفهرست، الملحق الاول : ص ٣٩٧ - ٤٠٨  
وهذا الرقم يعتقد الاستاذ كوركيس هواد وهو من المهتمين بتلك الرحلات الاجنبية التي ذكرت العراق في العصر الحديث . راجع : المورد، المجلد التاسع، العدد الثالث (١٩٨٠) ص ١٦٧.

٢ : من الترحلات التي ظهرت بالعربية مثلاً ما قام به الدكتور محمود الامين عندما ترجم الجزء الخاص ببغداد والموصل من رحلة كاسترون نييور باسم (رحلة نييور الى العراق في القرن الثامن عشر)، (بغداد ١٩٦٥)، وترجمت سماد هادي المصري الجزء المتعلق برحلة نييور من البصرة الى الحلة باسم ومشاهدات نييور في رحلته من البصرة الى الحلة (١٧٦٥)، (بغداد ١٩٥٥)، كما كتبت دراستها عن بغداد بمنوان (بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة)، (بغداد ١٩٥٤). وترجمه بشير فراتيس وكوركيس هواد ثالوثه باسم «العراق في القرن التاسع عشر (بغداد ١٩٤٤)». وكذلك ترجم الاب الدكتور بطرس حداد القسم الخاص بالعراق

المورد ، المجلد الخامس العدد الثالث (١٩٧٦)، ص ١٣ - ٢٧ .

x الراوي ، سلمان ولقي ، بغداد في رحلات الاجانب ، المورد : المجلد الثالث ، العدد الرابع (١٩٧٦) ص ٦٥٠ - ٦٥٧ .

3 — The Travels of Abbe Carre in India and the Near East from 1627 to 1674 (Charles Fawcett, ed) , (London, 1974), Vol. 1, p. 8 — 13.

4 — The Great Desert Rout to India, (Doglius Caruthers, ed.), (London, 1929), p. 14.

5 — Cowper, S, Through Turkish Arabia: A Journey from the Mediterranean to Bombay by the Euphrates and Tigris Valleys and the Persian Gulf, (London, 1884), see the Introduction.

7 — Fontainer, V. Voyage dans L'Inde et dans Le Golfe Persique par L'Egypte et le Mer Rouge, 3 tomes, (Paris, 1844 — 46).

حيث كتب عن البصرة وحدها خمسة فصول (الثامن - الثالث عشر) من الجزء الاول من ١٦٥ - ٢٨٥ وهناك اراء مستفيضة تناقش جهوده في العراق والبصرة بصورة خاصة والرحالة لعرفلة المصالح البريطانية في كتاب د . عبد العزيز نوار تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا القاهرة ١٨ من ٢١٦ - ٥١٨ ، وكذلك في اطروحة د . صادق ياسين الحلو الموسومة .

L'Europe et Les Problemes Maritimes du Golfe Arabe de 1789 a 1857 2 tomes (Unpublished ph. D thesis). University of provencal, 1983, Vol. 2, p 598 — 88.

اما كتاب ادولف لافد ترجمه د . هاشم صالح التكريتي بعنوان ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ج ١ (البصرة، ١٩٨٢) في حين ان الجزء الثاني تحت الطبع .  
٨ - عن اولئك الرحالة الذين انجسوا الى الغرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر راجع .

Raymond Beazly , (ed.) Voyages and travels during the Sixteenth and Seventh centuries, 2 Vols. , (London, 1903)

9 — Hakluyt, R. The Tudor Venturers, Selected from the principal Navigations, Voyages traffiques and Discoveries of English Nation, Vol. 3, (Glasgow, 1904), p. 83.

10 — Bidwell, R. Travellers in Arabia, (London, 1976), p. 20.

11 — Hakluyt, R. Op. Cit. Vol. 5, p. 365 — 66.

12 — Ferguson, S.W. The Travels of peter telxiera from India to Italy by Land, (London 716, p. 1 — 2.

13 — Godinho, Manuel Relecao do Novo Caminho que Faz por Terra e Mar, vindo da India para Portugal no anno de 1663, Second Edition, (Lisboa, 1824), p. 127 — 31.

14 — L'Estrange, R. The Travels of Monsieur de Thevenot into Levant, (ed.) (London, 1687) , The Introduction.

١٥ - تالفرية ، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تالفرية ترجمة بشير فرنسي وكوركيس هواد ، (بغداد ١٩٤٤) . ص ٣ .

١٦ - ملام يتجوز ما كتبه فرديك الصنعة الواحدة عند مشاهداته في البصرة ، في حين ما كتبه الرحالون الانكليز الثلاثة اكثر من ثلاث صفحات راجع Hakluyt, R. op. cit. Vol. 5, p. 365 — 71, and p. 452 — 56.

لما كاسبار بالبي فلم يكتب اكثر من صفحة واحدة عن البصرة في ١٥٩٠ . توجد الترجمة الالمانية للرحلة في مكتبة المتحف العراقي بعنوان Gaspar Balbi Venetiaans koopman, naar o ost — Indien Van't Jaar 1579 tot het Jaar 1588.

١٧ - لوتكريك : المصدر السابق ،  
١٨ - يذكر تكسيرا ان البصرة نشأت في هذا المكان منذ مائتي سنة وهذا موقعها الثالث .

Telxiera, Op. cit. p. 17.

19 — Hakluyt, R. Op. Cit. Vol. 6, p. 6 — 7.

20 — Telxiera, Op. Cit. p. 15.

21 — The Travels of peter Della Valle, simamed the Traveler containing a Description of the East Indies and Arabia... etc., Hakluyt Society (ed.), (London, 19) .

٢٢ - المصدر السابق : ص ٩٤ - ٩٦

٢٣ - المصدر السابق : ص ٨٥

٢٤ - تقيتو ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ philipe, R. p. Voyage D'O- rient, (Lyon, 1652), p. 79.

٢٥ - هذا المبلغ اوردته تقيتو عند تقديمه لواردات باشوية البصرة السنوية في النصف الثاني من القرن السابع عشر .  
Thevenot, Op. Cit. p. 59. 162.

26 — Carruthers, D. Op. Cit. p. 59, p. 177 — 78.

٢٧ - نيور ، المصدر السابق : ص ٧ - ٨

٢٨ - بكنهام ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ - ٢٦٣

29 — Parsones, A. Travels in Asia and Africa including a Journey from Scanderon to Alppo and over the Desert to Baghdad and Bussora, (London, 1808), p. 155 and passim.

٣٠ - راجع بعض الخرائط الاسوار التي رسمها نيور مثلا لبعض المدن العراقية كبغداد والموصل والتنجف حيث تبدو اسوارها على شكل دائري او شبه دائري .

بكنهام ، المصدر السابق : ص ٢٥٧ - ٢٦٠

31 — Parsones, Op. Cit. p. 162 — 84.

32 — Carruthers, Op. Cit. p. 60.

٣٣ - بكنهام ، المصدر السابق : دي لالال ص ١٣٦

٣٤ - تالفرية : المصدر السابق : ص ٩٤

35 — Thevenot, Op. Cit. p. 157 and 559

٣٦ - تالفرية : المصدر السابق : ص ١١١ ، بالنسبة لنيور راجع جدول رقم

(٢)

37 — Thevenot, Op. Cit. p. 163.

٣٨ - نيور : المصدر السابق ، ص ١٧٢ ، بكنهام ، المصدر السابق : ص

٢٦٠ - ٢٥٧

٧٥ - وردت هذه المعلومات بصورة مفصلة في ملحق كتاب حول طريق الصحراء الى الهند

Doguiias Camuthers

78 — Godinho, Op. Cit. p. 118 — 122.

77 — Shepherd, Op. Cit. p. 187.

78 — Thevenot, Op. Cit. p. 157.

78 — Fontainer, Op. Cit. p. 250.

٨٠ - فشنو، المصدر السابق : ص ٨٦

81 — Fontainer, Op. Cit. p. 277 — 78.

٨٢ - بكتنهام، المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢٨١ ، ٨٣

83 — Fontainer, Op. Cit. p. 252 — 55.

٨٤ - سبتياني، المصدر السابق : ص ١٧٦

٨٥ - بكتنهام، المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢٨١

86 — Camuthers, Op. Cit. p. 62.

87 — Ibid, P1/2 33.

88 — Ibid, p. 65 and 167.

89 — Hakiuyt, Op. Cit. vol. 5, p. 367 — 71.

٩٠ - المصدر السابق : ص ٩٢ - ٩١

91 — Hude, Op. Cit. p. 52.

92 — Evens, Samuel A Journal Kept on a Journey from Bassora to Baghdad over the Little Desert to Alppo, Cyprus..... in the year 1779, (London, 1784), p. 7.

93 — Godinho, Op. Cit.

نيور، المصدر السابق : ص ٦٦ تاليل المصدر السابق : ص ٤٠

٩٤ - المصدران السابقان ، نفس الصفحات

٩٥ - نيور للمصدر السابق : ص ٦٥ - ٦٦

٩٨ - المصدر نفسه : ص ١٠٨ و ص ٥٥

١٠٠ - سبتياني، المصدر السابق : ص ١٨١

101 — Mignan, R. Travels in Chaldaea including a Journey from Bassura to Baghdad, Hila, and Babylon performed on Foot in 1827, (London, 1829), p. 15 and Passim.

Kappel, George personal Narrative of A Journey from India to England by Bussorah, Baghdad, the ruins of Babylon .... in the year 1824, 2 Vols., (London, 1827), p. 78 — 94.

102 — Camuthers, Op. Cit. p. 16 — 18.

103 — Kepper, James Observations On the Passage to India Through Egypt, by Vienna to Constantinople to Alppo and from thence by Baghdad and Directly across the Desert Bassora, (London, 1785), p. 178 — 270.

١٠٤ - اما عن رحلة بلاحتيد فقد وردت في كتاب D. Corrihuers المترن : The Great Desert Route to India : p. 51 — 134.

١٠٥ - نيور، المصدر السابق : ص ٤٨

Parsones, Op. Cit. p. 156 — 58.

39 — Dupre, Voyage en perse, fait dans Les annees 1807, 1808, et 1809 en traversant La Natolie et La Mesopotamie ..... etc., tome premier, (Paris, 1819), p. 198.

40 — Teixiera, p. Op. Cit. p. 16 — 17.

٤١ - نيور، المصدر السابق :

42 — Della Valle Op. Cit.

الرسالة الحادية عشرة / حلب ١٦٢٥/٨/٥

٤٣ - وهو العامل الذي اعتمد مؤرخو التاريخ السكاني استخدامه لمعرفة حجم العوائل في البصرة .

٤٤ - حيث ذكر خرد هو ان عدد سكانها يبلغ مائة مائة الف نسخة وبذلك فهو استخدم معامل ٣/٢ نسخة/بيت تقريبا .

Godinho, M. Op. Cit. p. 117

٤٥ - نيور للمصدر السابق : ص ١٠ - ١١

٤٦ - تاليل، للمصدر السابق : ص ٣٦

٤٧ - بكتنهام، المصدر السابق :

48 — Issawi, Charles The Economic History of the Middle East 1800 — 1914, population and Movement In Iraq, (Chicago, 1966), p. 157.

49 — Locher, A. With Star and Crescent: A Full and Authentic Account of a Recent Journey with a Cravan from Bombay to Constantinople, (London, 1889), p. 73.

٥٠ - نورس د. علاء كاظم، المصدر السابق : ص ٢٢ - ٢٣

٥١ - اداموف، المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٢٩

٥٢ - عن سكان بغداد في تلك الفترة، راجع، نورس، د. علاء كاظم، المصدر السابق : ص ٢٣

٥٣ - الفهراتي، د. محمد حسين، البصرة دورها التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩ - ١٩١٣، البصرة (١٩٨٠) ص ٤٥

٥٤ - بكتنهام، المصدر السابق : ص ٥٥

٥٥ - اداموف، المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٣٠

٥٦ - بكتنهام، المصدر السابق :

57 — Shepherd, W.A. From Bombay to Bushire and Bussora : Including an Account of the present State of Persia and Notes on the Persian War, (London, 1857) p. 197

66 — Thevenot Op. Cit. p. 163

٦٧ - نيور، المصدر السابق :

٦٨ - سبتياني، المصدر السابق : ص ١٨٢ - ١٨٣

69 — Godinho, M. Op. Cit. p. 141 — 42.

٧٠ - اداموف، المصدر السابق : ج ١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣

71 — Della Valle Op. Cit. p. 246 — 47.

٧٢ - فشنو، المصدر السابق : ص ١٠٠

73 — Phillipe, Op. Cit. p. 47.

74 — Thevenot, Op. Cit. p. 157.

- ١١٥ - تلبلر ، المصدر السابق :  
 116 — Carthures, Op. Cit. p. 128.
- ٥٨ - فشنسو ، المصدر السابق ، ص ٥٨ . مسبقا ، المصدر السابق ، ص ١٨٤  
 الرسالة الماثرة ، أحداث ١٣ نيسان / ١٦٢٤
- ٥٩ — Della Valle, op. cit.
- ٦٠ - نيور ، المصدر السابق ، ص ١٠
- 81 — Tebdera, op. cit. p. 17.
- ٦٢ - اداموف ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٩
- 63 — Fawcett, Ch. op. cit. Vol. I, p. 8.
- ٦٤ - فشنسو ، المصدر السابق ، ص ٨٣
- 65 — Della Valle op. cit. الرسالة الماثرة في ١٣ نيسان / ١٦٢٤
- ١٠٦ - راجع رحلة J. Capper الذي لم يذكر انه مر في اي من تلك المناطق التي  
 اضاعها نيور الى المحطات الخيلية 183 Capper, op. cit., p. 183 . اما بلاستيد  
 فقد ذكر ان قناته نزلت في وادي يمد ميلين من كيبه وارسل قائد قناته رسولا الى  
 القبة لاستطلاع الرأي حول وصول قناته بنجاح . راجع : Carthures: op.  
 cit., p. 78 — 80.
- ١٠٧ - نيور ، المصدر السابق : ص ٤٨ - ٥٠
- 108 — Thevenot, Op. Cit. p. 163 and Passim.
- 109 — Godinho, Op. Cit.
- 110 — Tebdera, Op. Cit. p. 17.
- 111 — Carthures, Op. Cit. 104
- ١١٢ - تلبلر ، المصدر السابق :  
 7. p. 105. Ibid.
- ١١٣ - الفهراتي ، المصدر السابق : ص ١٧٧ - ٧٨
- 114 — Thevenot op. cit p. 158.



#### صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة







# ادب الرحلات العراقي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

## دراسة

د. محمد حسن علي مجيد

كلية الآداب - جامعة بغداد

مختلفة ، فمن المتقين عن الآثار الى مبشرين وتجار ، او رحالة وسياح ، او مهندسين واطباء ، او باحثين وخبراء ، او بصفتهم كثيرة اخرى غيرها<sup>(١)</sup> لقد اخترنا حقبة القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ميدانا لدراسة (ادب الرحلات) فيها ، لانها تشكل انعطافاً مهماً في تاريخ العراق الحديث . فهي من اخطر الحقب وادقها واحفلها بالاحداث وذات خصوصية متميزة ، لانها ليست فترة خمول وبأس ثامين ، او مرحلة خضوع واستسلام لمستعمر قوي مثلاً سبقتها من العصور ولا هي عصر استقلال وطني او استقرار فكري مثلاً صار بعدها ، انما هي حقبة التملل والقلق على الصعيدين السياسي والاجتماعي ونشاط علمي وادبي على الصعيد الثقافي ، مهد لنهضة العراق الفكرية والاجتماعية في القرن العشرين . وهذا ما جعلنا نولي هذه الحقبة عناية خاصة . وندرس جانباً مهماً من جوانب حياتها الثقافية وهو (ادب الرحلات) فيها ، مما يلقي ضوءاً كثيراً على نوع الحياة فيها من جوانبها المختلفة من احوال الناس واتجاهات السياسة وانواع البيئة ، واشكال المدن ، وطراز العمارة ، ومظاهر الطبيعة ... الى آخره .

ومع ان عصر القرن التاسع عشر عصر هدوء نسبي في الحركة بالنسبة للعراقيين ، وقلة في السفر والتنقل بسبب صعوبة

الانتمية حب السفر والترحال ، وارتداد المجهول ، وطلب المعرفة والاستطلاع ، واكتشاف الغريب من اهم غرائز الانسان ، لذلك شُفِّفَ بحب التجوال والاطلاع منذ اقدم العصور ، فقد قام المصريون القدماء برحلات طويلة في الافاق ، ثم الفينيقيون ثم الاغريق فالرومان<sup>(٢)</sup> ثم رحلات العرب قبل الاسلام الى انحاء الجزيرة العربية وخارجها الى اليمن والحبشة والشام والعراق . وحسبنا ان نشير الى رحلتي (الشتاء والصيف) اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم مما كان يقوم به في كل عام التجار والرحالة العرب الى جنوب الجزيرة العربية وشمالها ، ثم جاءت رحلات العرب المسلمين منذ البعثة النبوية المباركة حتى القرن العاشر الهجري<sup>(٣)</sup> (السادس عشر الميلادي) ، حين قلَّت حركتهم ، ودخل السفر والترحال في عصر هدوء نسبي وخمول في الحركة والتنقل ، وذلك بسبب الاجتياح الاجنبي للبلاد وسيطرته عليها ، واستبداده بمقداريتها ، وخطورة السفر ، وتخريب الطرق ، وقلة وسائل النقل ، وسوء المسالك وكثرة قطاعي الطرق ، وفقدان الامن وفساد الادارة ، ورداءة الحالة الاقتصادية ، حتى بدأ نشاط الاوربيين في القرون المتأخرة والعصر الحديث ، وكثر سواحهم ورحالتهم ، وصاروا يجوبون بلاد الشرق بالعشرات ، تحت اسماء شتى وعناوين كثيرة

المواصلات - كما اسلفنا - وردامة وسائل النقل وسوء المسالك ، وفقدان الامن وكثرة قطاعي الطرق ، فان رحلات كثيرة قام بها مرحلون عراقيون وسجلتها كتب التاريخ والادب الى خارج العراق ، او اليه من الخارج ، هذا فضلاً عن عشرات الرحلات التي قام بها العراقيون داخل العراق لافراض السياحة والاطلاع ، او لافراض شخصية او تجارية او سياسية ، قطعوا بها الطرق وشاهدوا المدن ووصفوا الناس وركبوا الدواب والسفن ، هذا فضلاً عن الرحلات التي كان يقوم بها الحجاج العراقيون الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج ، وسجلوها في مدوناتهم شعراً أو نثراً باسم (الرحلات المكبة او الرحلات الحجازية) مما حفلت به الكثير من كتب الادب والتاريخ والمجموعات الشعرية المطبوعة والمخطوطة . ولكن مما يلفت النظر ان هؤلاء السياح والرحالة العراقيين الكثيرين لم يذكرهم بعض من ألف في (ادب الرحلات) العربي في القرن التاسع عشر والمصر الحديث ، واغفلوا ذكرهم ، ولم يدرجهم ضمن من ذكروا من الرحالة والسياح العرب . ولعل هؤلاء المؤلفين لم يلقوا على رحلات العراقيين هذه بسبب عدم توافر المصادر لهم ، ولان الادب العراقي في القرن التاسع عشر لم يزل حظه من الدرس والتدقيق والنشر مثلما نال ادب الاقطار العربية فيه . فقد ذكر (احمد ابو سعد) مثلاً في كتابه (ادب الرحلات) الكثير من رحلات العرب في عصر النهضة من السوريين واللبنانيين والمغاربة من غير ان يذكر معهم سائلاً هراً واحداً - هل كثرتهم مثلاً ذكرت - ، فقد تحدث عن رحلات (احمد فارس الشدياق) اللبناني الى مصر ومالطة وتونس واوروبا ، ورحلة (محمد عمر التونسي) من القاهرة الى بلاد السودان ، ثم رحلات (امون الريحاني) المصري الى ربوع البلاد العربية ومنها العراق . وغيرهم .

ان اهمية (الرحلات) تكمن أولاً في قيمتها العلمية حيث تزود اهل التاريخ والجغرافية والآثار والادب وغيرهم بمعلومات قيمة عن وصف البلدان والاضيق والمدن والآثار والطرق والعمران ، وازياء الناس واخبارهم وتقاليدهم واشكالهم

وعاداتهم ، ومظاهر الطبيعة ، وخراب الحوادث والاخبار عما يملأ ويقتح ، ثم في قيمتها الفنية ثانياً ، حيث تزود القراء بمعلومات كثيرة وصورة متممة وحوادث غريبة ، مما تؤلف رافداً ثراً من روافد الفن والتمعة الادبية .

لقد كتب السياح والرحالة العراقيون رحلاتهم في هذه الحقبة على نمطين ادبيين . هما : (الرحلات النثرية) التي كتبها الادباء (نثراً) ، والاخرى (الرحلات الشعرية) التي نظموها (شعراً) ، وهي اكثر من الاولى . وستحدث عن كلا النوعين ، ولكننا سنهتس في الحديث عن (الرحلات الشعرية) ، لانها - كما ذكرت - اكثر عدداً ، واجل لغة والطف صوراً ، وامتع خيالاً ، واغرب احداثاً ، واشد طرافة .

#### ١ - الرحلات النثرية

رحلات كثيرة سجلتها اقلام العراقيين نثراً في هذه الحقبة ، منها رحلاتهم الى خارج العراق ، فقد رحل عدد كبير منهم الى استانبول عاصمة الدولة العثمانية ، للدواعي شتى وسجلوا رحلاتهم ، ومنهم من ارحل الى بلاد الشام ومنهم من رحل الى ايران ، وقسم رحل الى الهند لافراض سياسية او شخصية او تجارية ، ومنهم من سافر الى نجد والحجاز لافراض التجارة او الحج ، مما زخرت به مصنفات المؤلفين في ذلك العصر ، ومنها رحلات العراقيين في داخل العراق وبين مدنه وسجلوها نثراً او شعراً .

وطبيعي اننا لا نستطيع في هذا البحث المتواضع ان نحيط بكل تلك الرحلات ذكراً ومجمللاً وتقوياً ، انما سنشير الى اثنتين منها ، من الرحلات التي اتجهت الى خارج العراق ، حدثت الاولى في مرحلة القرن التاسع عشر ، وحدثت الثانية في مطلع القرن العشرين وهما رحلة العلامة ابي الثناء الالوسي الى الاسكندرية عاصمة الدولة العثمانية ، ورحلة الشيخ محمد رضا الشبيبي الى الحجاز ، وستنهتس في الحديث عن الاولى ، ونختصره عن الثانية ، وان كانت الاولى ذات طابع فردي ، والثانية ذات طابع وطني وقومي ، الا انها اكثر تفصيلاً واطرف صوراً ، واطول زمناً وامتع خيالاً من الثانية .

## أ - رحلات القرن التاسع عشر

رحلة أبي الشتاء الألويسي الى الأستانة ( ١٨٥١ - ١٨٥٣م )

صاحب هذه الرحلة هو العلامة الجليل السيد محمود شهاب الدين أبو الشتاء الألويسي ( ١٨٠٢ - ١٨٥٤م ) ، صاحب التفسير الكبير للقرآن الكريم المعروف بـ ( روح المعاني )<sup>(١)</sup> الذي يقع في تسعة مجلدات كبيرة ، والمؤلفات الكثيرة القيمة التي عُرفت عنه ونسبت إليه .

إن رحلة أبي الشتاء الى الأستانة هي أشهر رحلات العراقيين المكتوبة (نثرًا) في القرن التاسع عشر ، ومن أطولها وأمتها ، فقد سجلها في ثلاثة كتب ، تحدث في الكتاب الأول عن المرحلة الأولى من الرحلة ، (سماء نشوة الشمول في السفر الى اسلامبول) صور فيه سفرته من بغداد الى الأستانة . وقد استغرق هذا الجزء من الرحلة أربعة شهور تبتدىء من غرة جمادى الآخرة من عام ١٢٦٧هـ ( ١٨٥١م ) ، وتنتهي في أواخر شهر رمضان المبارك من العام نفسه<sup>(٢)</sup> وهي مدة تكفي للطواف حول العالم في هذه الأيام عشرات المرات ، وإبرز ما فيه وصفه للطريق من بغداد الى الأستانة التي سماها (فروق) وهو موجز مشاهداته تلك ومصادقاته ويحيط الانطباعات السريعة التي كثرها وسجلها بسرعة قبل أن تغيب عن باله . والكتاب الثاني سماه (نشوة اللذام في العودة الى دار السلام) وقد سجل فيه الجزء الأخير من الرحلة ، وهي - رحلة العودة - ومشاهداته فيها ، وهو مثل الكتاب الأول في الأيجاز ، وسرعة تسجيل المشاهدات والاتصالات التي تعرض لها في العودة ، ويبدو أن أبا الشتاء كتب هذين الكتابين خلال مشاكل السفر وزحمة الأحداث وانعباب الطريق واضطراب الزواج ، فسجل خواطره فيها قبل أن يجتاحها النسيان ويهدم بها الزمان ، لذلك أوجز فيها إيجازاً تاماً ، كما جملت الأحداث مضطربة فيها ، والأفكار غير منسقة والخواطر غير مرتبة ، والعبارة فيها بعض الارتباك . وقد طبع هذان الكتابان في مطبعة الدولة ببغداد سنة ١٢٩١ ، ١٢٩٣هـ ووضعا في مجلد واحد .

لكن الرجل بعد أن عاد من رحلته هذه التي استغرقت حوالي ستين<sup>(٣)</sup> واستقرت به الدار وانحسر عنه غبار السفر وأصاب قسماً من الراحة ، عاد مرة أخرى لتسجيل أحداث رحلته المثيرة من جديد في كتاب ثالث كبير : سماه : (غرائب الاضطراب في السفر والاقامة والآباب ) وقد كتبه في هذه المرة : بأسلوب متمهل مثالي يختلف عن أسلوبه في كتابيه السابقين ، وثائق كثيرة في انشاء عباراته واختيار أفكاره وبسط معانيه ، وإطال في الوصف ، وأصحب في تصوير المواقع والمدن والمشاهد والأحداث والعالم والناس ، وذكر ما دار به من وبين من النفي بهم من رجال العلم والسياسة والتدريس والأدب أثناء سياحته هذه من مطارحات ومناقشات . وقد كان حرصاً على ذكر كل كبيرة وصغيرة عما صادفه ، فوصف المدن التي رآها أو مكث فيها في اللعاب والآباب وصفها كلها بلغة جميلة ميسرة ، مطعمة بالشعر في كثير من الأحيان من نظمه أو من نظم غيره . وبأسلوب حافظ بالحسنات والزخرفة اللفظية ، المنتقاة بتلوق عما لا يجد القارئ معه مللاً ، مما شاع في عصره ، واستحسنه الناس حتى استحوذت أحداث الرحلة وأسلوبها على إعجاب معاصريه من شعراء وأدباء وأصدقاء<sup>(٤)</sup> .

بدأ أبو الشتاء قصة الرحلة بذكر أهدافها ودوافعها ، والمعروف أن أبا الشتاء قد نال في حياته حظوة كبيرة من المعرفة والرفعة والدين ، وسطح نجمه في البلاد وتسلم أرفع المناصب وبلغ من العلم أهل المراتب ، وكتب كثيراً من المؤلفات والكتب القيمة ، كما تسلم وظائف مهمة ، كان منها وظيفة التدريس في مدارس بغداد ، والوظيفة في الحفصة القادرية ، والإشراف على أوقاف مدونة مرجان ، وهي وظيفة لا توكل إلا لكبار العلماء ، ووظيفة الانتدب في بغداد وهي أرفع المناصب الدينية ، وكان ذلك كله إلهام إلهي على رضا باشا ببغداد ( ١٨٣١ - ١٨٤١م ) ، وعندما جاء بعده الوالي محمد نجيب باشا ، أوفر بعض الوشاة صدره على أبي الشتاء ، وسعوا بالزور عليه حقداً وحسداً ، وكان هذا متحرفاً عن أبي الشتاء ، فيصعد الى أقصاه من افتاء بغداد وتجريده من أوقاف مرجان وقطع راتبه وفصله من التدريس وعزله عن مناصبه عملاً بمشورة بطانته السيئة ، وبذلك سلمت حال أبي

الثناء سوياً شديداً ويبلغ به الضرب كل مبلغ ، وشعر بحيف مرير من جراء الظلم الذي وقع عليه ، حتى ضاقت به السبل ، واضرت به الحال ، ولم يعد لديه ما يديم الرمم ، حتى اضطره الى بيع اثاث بيته وكتبه وعاشاش بشمئنا فترة من الزمن ، حتى وصف هو ما آل اليه حاله من ضيق ذات يده بقوله : وحتى كدت أكل الحصى واشرب عليه مداد التفسير<sup>(١١)</sup> ، فرغب ان يعرض حاله على اولى الامر في الاستانة ، حين يقول (وقلت لنفسي لا بد من السفر ... لا عرض حالي وما انا فيه من البلية على مراحم الدولة العلية<sup>(١٢)</sup>).

ويعد تبيان سبب الرحلة ودوافعها ، وصف بعدها موقف وداع الاهل والمعارف ، وساعة الفراق المريرة (غرائب الاغتراب ٤٧ - ٤٨) ، ثم وصف طريقه من بغداد الى الموصل ، ولابد ان نقف معه وقفة قصيرة في وصفه لها ، وجمال طبيعتها ونبل اهليها ، وفضل علمائها . والظاهر انه وصل اليها في الربيع فقد وصفها هذا الوصف البديع حين يقول :

وهي مدينة عذبة الماء ، طيبة التربة والهواء . طعامها هنيء ، وشرابها مريء ، واسعة البلاد وسرتها ، ووجهها الصبيح وغرتها . تلد الربيع في السنة مرتين ، فهي بين البلاد ام الربيعين ... وهي كالعرائس في حليها وزخارفها ، والقيان في وشيها ومطارفها .. ولا عيب فيها سوى انها ايام الربيع تسرق المعائم الخضر من السادة فتشرها على سطوح دورها :

كان نسيم الريح في جنباتها  
نسيم حبيب او لقاء مؤمل

ولعمري ان من اختبر وامتنح ، حكم بان كل روضة بالنسبة الى رياضها خضراء الدمن ، وانما نبت العلماء المحققين كما نبت الاقحوان والنسرين ، وتخرج الاخيار كما تخرج الازهار ... (غرائب الاغتراب ص ٦٥) . وغيرها العشرات من الصور ، مما اشتملت عليه هذه الرحلة ، مما يدل على سعة خيال الرجل وخصب قريحته ، وقدرته على سبائك اللغة وصياغة العبارة وانتقاء الالفاظ .

ويعد الموصل بدخل الاراضي التركية فيصف مدنها مدينة مدينة ومواقعها موقعاً موقعاً ، منها وصفه لـ (جزيرة ابن عمر ، وارضروم ، وميوس وتوقات وسامسون) وغيرها حتى يصل الى الاستانة بأسلوب طريف دخله التلوين وتفتنت به يد التطريز والتنميق ، وحفل بالطباق والمحسنات . لعل من اطرفها وصفه للبحر الاسود حين قطعه في باخرة بحرته به عياب اليم في طريقها الى القسطنطينية وما لاقاه من احوال البحر ، ومخاطر المراكب فيه ، منها هذه الصورة الطريفة التي استعمل فيها الالوان للتعبير عما في نفسه من مشاعر متضاربة :

(ثم ركبنا البحر الاسود لطلب العيش الاخضر واذقة العدو الاصفر طعم الموت الاحمر) (غرائب الاغتراب ١٠٥) .

الا ان اكثر ما يقد مركز قل في رحلة ابي الثناء هذه ، هو وصفه للقسطنطينية - عاصمة الدولة العثمانية - وصفاً مسهباً دقيقاً مفصلاً ، دل على انبهارها وعجب بكل مناحيها ، فهو لم يترك جانباً منها الا ذكره ، ولا ركناً الا مر به ، ولا جماعة او فئة من الناس الا اسهب في تفصيل القول فيها ، كما ان على ذكر المعالم ووسائل النقل ، والابنية والاسواق ، كما وصف نساءها ورجالها ، ومدارسها ومساجدها ، ونكايا الدراويش فيها ، بل وصف حتى الحانات والنواصي والمقاهي وروادها فيها . كما وصف الشطار والافاقين واهل الفتنة فيها ، كما وصف اصحاب الطرق الصوفية مثلاً وصف رجال الحكم والسياسة والموظفين ، ووصف علماءها ومدرسيها وطلاب العلم فيها مثلاً وصف التجار والباعة واهل الحرف ، كل هذا بوصف دقيق مباشر يكاد ينطبق على الواقع الذي شاهده او نقل اليه من بعض معارفه انطباقاً تاماً .

وقد لا يتسع المجال هنا لآتي على الجوانب الكثيرة التي تناورها وصف ابي الثناء من معالم الاستانة ، مما يزخر بالتمعة ويجلدر بالقراءة ، والذي يمكن ان يتحقق بالرجوع الى كتابه المذكور (غرائب الاغتراب ٦٦ - ١٩١) ليطلع على ما حواه هذا السفر النفيس من غرائب الترحال وعجائب السفر . ولكننا هنا نثبت جانباً من وصفه للاستانة ، مما يعطي فكرة عن صفاتها ، وعن اسلوب الكاتب فيها وعن معالم هذه المدينة الواسعة الممتدة بين

اليابسة والبحار التي شعر ابو التشاء ازاءها بالذهول والانبهار مقارنة ببغداد في منتصف القرن التاسع عشر التي ذكر المؤرخون عنها انها كانت (مدينة كابية قليلة العمران والبناء) ، قال ابو التشاء يصف القسطنطينية وصفه المشهور الذي قرأناه في كتب الادب المدرسي ، حين تأسره فيها نشوة الجمال ، ويسرح فيها مع الخيال :

«بلدة مونة الارجام ، رائقة الانحاء ، ذات قصور تضيق  
عن تصورها سعة الازهان . وتتجاذب الحسن هي وقصور  
الجنان ، وربة رياض اريضة واهوية صحيحة مريضة . قد  
تفتت اطيارها ، فتمايلت طرباً اشجارها . وبكت امطارها ،  
فتضاحكت ازهارها ، وطاب روح نسيمها ، فصبح مزاج  
اقليمها .. فلما رويت من الصهباء اشجارها ، ونحها من  
النسات المسكية خاوها ، فتدانت ولا تداني المحبين وتعاقت  
ولا تمنق العاشقين :

وكان السرجس الخفض بها  
اعين العيين وما فيهن غمضه

ثم يسهب ابو التشاء في وصف اهل القسطنطينية وعاداتهم  
واشكالهم ،

ثم يرجع الى وصف البحر الذي تقع عليه المدينة ، والمراكب  
العائمة فيه ، فيصور ثغر البسفور وصفحة الدردنيل ، ثم طرق  
المواصلات ، والقصور ، ومواد البناء ، وقال ان اكثرها مبني من  
الخشب الذي يسبب في كثرة الحرائق عندما تحف وتتناكل وتعت  
به الدودة ، وهكذا يسير مع معالمها ، حتى يصل الى نسايتها  
فيفصهن بدقة وتعجب وانبهار مما يُعد غريباً على ابي التشاء ، لاننا  
لا نتوقع من رجل له مثل علمه وفضله ، وصلاحه وثأمه ، ان  
يراقب النساء وعاداتهن ، ويدقق النظر في اشكالهن وازيائهن ،  
ويتبع سيرهن وسلوكهن ، ولكننا سبق ان ذكرنا : ان الانسان  
ذو فضول . ومفتون في التعرف على المجهول ، ويتطلع للمعجب  
والغريب من العادات والاشكال . وان نساء الاستانة في ذلك  
الوقت شيء عجيب بالنسبة الى نساء بغداد . فنساء عاصمة

الدولة ، الكبيرة الحاكمة القريبة من بلاد اوربا بثوراتها الصناعية  
والسياسية والاجتماعية والحضارية . وقد اخذن بنصيبهن من  
العلم والحضارة . من غير نساء بغداد ، المدينة المنكوبة بحكم  
الاجني .

لذلك جاء وصف ابي التشاء لنساء الاستانة بهذا الشكل  
الذي يحمل طابع التعجب والاستغراب وهو يرى اكثرهن  
سافرات ، عاريات الوجوه والاكتاف ، يستطيع ان يراهن  
مباشرة من غير حجب ولا استار :

(وفيها من النسوان ما يتجلى البك انهن من حور الجنان ...  
وفيهن من عادات نساء الاعراب ، انهن يبرزن الى الازقة من غير  
نقاب ، الا انهن اللطف من شمائلهن ، وادعى بالصوبة بين من  
تمايلهن ، فكانهن نسيم هم ان يتجسد ... وربما يقول ظمآن  
النظر اذا اتى منهل مياه خلودهن وورد ، الله اكبر كيف نسج  
الريح على الماء زرد ، وربما يُنشد اذا ذاق نظره خر خدحا  
للتورد :

(رقى الزجاج ورقى الخمر  
فتشاكلا وتشابه الامر)  
(فكأنا خر ولا قلدح  
وكأنا قلدح ولا خسر)

ومعظمهن حرائر ، وان لم يحتجبن عن التواظر ... والله  
تعالى دَرَمَن قال في حَفْهَن :

(هن الحرائر لا ربات اخرة  
سود المحاجر لا يقرآن بالسور)<sup>(١)</sup>

x x x

ب - رحلات مطلع القرن العشرين :

- رحلة الشيخ محمد رضا الشيببي الى الحجاز وبادية السماوة  
١٩١٩ - ١٩٢٠ - :

المشهور ان الشيخ محمد رضا الشيببي (١٨٨٩ - ١٩٦٥م) قد

كُلف بمهمة وطنية وقومية معروفة ، للقيام برحلة الى الحجاز عام ١٩١٩ لمقابلة الشريف حسين بن علي متدباً من العراقيين<sup>(١)</sup> فقام برحلته هذه وكانت على اربع مراحل . الاولى كانت من النجف الى البصرة . والثانية من البصرة الى حائل في نجد ثم الى المدينة المنورة في الحجاز قاطعاً بادية البصرة من الشرق الى الغرب ، وماراً ببقاع ووديان وسهول وجبال وقبائل عدة استغرقت سبعة وعشرين يوماً سماها (سبعاً وعشرين مرحلة) باعتبار ان المرحلة هي مسيرة اليوم الواحد لعدم وجود وحدة قياسية للمسافة عندهم حينذاك ، ثم المرحلة الثالثة : وهي المرحلة الاولى من (رحلة العودة) من الحجاز الى دمشق حيث مكث في الشام وفي بعض مدنها ما قرب من عام<sup>(٢)</sup> ، ثم المرحلة الرابعة ، وهي المرحلة الثانية من رحلة العودة من الشام الى العراق قاطعاً بادية الشام او بادية السماوة من الغرب الى الشرق . وان هذا الجزء من الرحلة هو المرحلة الوحيدة التي سجلها الشبيبي بدقة واصدرها بكتاب مستقل سنة ١٩٦٥ تحت عنوان (رحلة في بادية السماوة) الذي طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي بعد ان كانت مجلة المجمع العلمي العراقي قد نشرت الرحلة تحت العنوان المذكور في المجلد الحادي عشر من عام ١٩٦٤ .

اما (رحلة الذهاب) الى الحجاز التي تبدأ من النجف او من البصرة ، فلم يسجلها الشبيبي ، او بالاحرى لم تصدر بمقال او مذكرات او كتاب مطبوع ، ولذلك فاننا لا نعرف عن تفاصيلها الا الشيء القليل مما ذكره عنها في مقدمة كتاب رحلة العودة المذكورة من اشارات سريعة واخبار مختصرة التي سماها (الرحلة التجلية او الرحلة الحجازية) ، ويبدو ان احداث الرحلة الرابعة هي التي كانت الصق في باله عندما سجل احداثها ، لانه كان قد انتهى ثوباً منها ، ومازلت وقائمه ومناظرها شاخصة في ذهنه ، لانه - كما يتأكد من قراءة هذه المرحلة من الرحلة - انه كتبها بعد رجوعه الى وطنه واستقراره في داره ، بينما كانت احداث المراحل السابقة قد مضى عليها اكثر من عام ، لذلك يبدو ان الرجل حرص على تسجيل القريب الحاضر منها .

اما ما سجله في احداث المرحلة الرابعة (رحلة في بادية السماوة) ، فيقع في قسمين متميزين ، الاول عبارة عن مقدمة طويلة عن السفر وفوائده والرحلات ومتعتها ، واشتهار التجفين بحب السفر وحب التنقل وتُعد الهمة وشدة الرغبة في الترحال والاغتراب ، ثم تحدث فيها عن البادية وطبيعتها ، مقارنة بين معالم بادية الشام (بادية السماوة) وبادية نجد ، وما وقع في منطقته السماوة وباديتها من احداث ومعارك عبر التاريخ ، وذكر من قطعها من الرواد والقواد التاريخيين امثال القائد خالد بن الوليد الذي قطع هذه البادية الى الشام في رحلته القيادية التاريخية المشهورة ، ثم رحلة ابي الطيب المنيني بعلمه عندما قطعها متجهاً الى مصر . وغيرهم من المشهورين . . . الى آخره .

وفي القسم الثاني يبدأ بوصف هذا الجزء من الرحلة ، وقد جعلها على مراحل وقال انه قطعها في (ست وعشرين مرحلة) لان الطريق استغرق ستة وعشرين يوماً تبدأ في السابع والعشرين من تشرين الاول من سنة ١٩٢٠ وتنتهي في الحادي والعشرين من تشرين الثاني من السنة نفسها وهي مدة يكفي اقل منها للسفر الى اليابان بالباخرة في هذه الايام .

لقد ذكرت ان الشبيبي كتب هذا الجزء من الرحلة بعد عودته واستقراره ، وليس في اثنائها ، ولذلك جاءت عباراته مرتبة ، وافكارها منسقة وذكرياته فيها طريفة متقاة . وسبب من كون الشبيبي واحداً من رجال اللغة والتاريخ فان اسلوب السرد في الرحلة اتسم بطابعه ، فهو كثيراً ما يعلق على بعض ما يشته من اساء او افعال خلال الحديث ، وما اذا كانت هذه الكلمة فصيحة صحيحة مستعملة ، ويعلق على اساء الاماكن والبلدان والمواقع واساء القبائل وانسابهم ، ومذا قيل عن اصل تلك الكلمة في لسان العرب او في القاموس المحيط وماذا قال الفيروز ابادي فيها ، وهل هي من الفاظ التراث ام من كلام الحضارم من الفاظ الريف ام كلام البادية ، وكثيراً ما كان يرجع المصادر ويتأكد من المعجمات او كتب التاريخ ، وغير ذلك مما نجده من طوابع لغوية وتاريخية .

وهذا مقطع من رحلته الذي وصف به نساء البادية اللواتي

شاهد من إبان الرحلة ، وما تميزت به من جرأة في الرأي ، وخفة في الحركة ووشاقة في الشكل : «بقينا في نظر فريق من هؤلاء البدو الخالص مضافا الى من لقيناهم في البادية من الاغراب لغزا غامضا ... وملامح غير مألوفة لرفاقنا في الاشكال والانوان ، ولا يتمكن بعض القوم زيارتهم على ثقل خطانا وبطء حركتنا ومظاهر الترهل في ابداننا وطلما جوبه الحضر من اهل القافلة بهذه العبارة (ما اتفلكم على وجه الارض) وقد لاحظنا ان البدويات من نساء القوم اكثر رشاقة واخف حركة واعظم جلدأ وصبرا من رجائنا المنفصين في اسباب الحضارة ، ولا عجب فالحجارة البرية اصلب صودأ وابطأ خودأ ...»<sup>(١)</sup> ، ثم يتحدث عن طريقة ابناء البادية في اكرام الضيف فيقول :

«دعينا الى طعام العشاء بعد المغرب ، وقد ارضى الليل سدوله ... وغاب العرب المضيفون عنا ساعة واطفأوا الضياء ، كل ذلك حرصاً على حرية اضيافهم ساعة تناول الطعام ...» ، ثم يذكر حادثة طريفة جرت لهم في احدى الليالي وهم في البادية فيقول : «وقد استحوذ علينا الفلق ليلة الضمير ، ولم تمنض لنا عين الى الصباح ، وذلك لاشتباهنا بغارة شها علينا جيش من البدو الغزاة ، ومن عادات القوافل التي تقطع البوادي اذا توقفت شراً او بوغت بغزو ان تتظم في شكل دائرة تامة تحيط بها احوال البضائع وبعدها الرواحل والجمال ، يكمن خلفها الرجال باسلحتهم كما يكمن الجنود في خندقهم متأهين للطوارئ وهكذا فعلنا في تلك الليلة وكنا نطلق النار بكثرة على اشباح وهمية وما اكثر الاشباح في آفاق الصحراء ، ولما اصبح الصباح ظهر لنا اننا كنا نطلق النار على كلب ضل اهله وراح يتبع آثار القافلة»<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - الرحلات الشعرية

ذكرنا : ان الرحلات الشعرية اكثر عدداً والطف صورا ، واطرف خيالا وامتع قصصاً . وستحدث عن ثلاث رحلات من القرن التاسع عشر وهي رحلة عبد الجليل البصري من البصرة الى البحرين سنة ١٨٢٥م ، ورحلة حبيب بن طالب البغدادي

من لبنان الى بغداد سنة ١٨٤٧م ، ورحلة الشيخ عبد المحسن الكاظمي من بغداد الى مصر سنة ١٨٩٧ - ١٨٩٩م ، اما عن رحلات العراقيين في مطلع القرن العشرين فستحدث عن عدد منها لشم الموازنة بين المرحلتين ، وما اتسمت به كل منها من خصائص فنية .

### أ - رحلات القرن التاسع عشر ،

- رحلة الشاعر عبد الجليل البصري الى البحرين سنة ١٨٢٥م<sup>(٣)</sup>

من الرحلات (الشعرية) الممتعة التي سجلها الادب العراقي في القرن التاسع عشر رحلة الشاعر عبد الجليل البصري (١٧٧٥ - ١٨٥٣م) وهي (رحلة بحرية قام بها في الخليج العربي وجزر البحرين) مع لقيف من اصدقائه ، ثم العودة معاً الى البصرة ، سماها الشاعر (نزهة الجليس) واستغرقت اسبوعين كاملين ابتداءً من منتصف شهر رجب من عام ١٢٤١هـ (١٨٢٥م) حتى آخر يوم منه<sup>(٤)</sup> . وهي قصيدة رجز طويلة بلغت (مائة وثمانية وثمانين) بيتاً ، وصف فيها باسهاب وتفصيل تمتع من مراحل الرحلة من ساعة قيامها من البصرة حتى وصوله الى اقصى مناطق البحرين ثم وصف معانم رحلة العودة الى البصرة . وتكمن اهمية هذه الرحلة في جانبها العلمي والتاريخي حيث ثبت المواقع وشخص الاماكن وعين الاتجاهات ووصف الموانئ وذكر العشائر القاطنة على جانبي شط العرب والخليج العربي وغيرها من الحوادث والمناظر والمفارقات ، فضلاً عما فيها من فن ممتع وادب طريف .

في بداية الرحلة حدد ساعة الحركة وزمانها ، وذكر واسطة النقل التي اعدوها للابحار ، والاسلحة التي حملوها للدفاع عن انفسهم عند الحاجة ، ثم مجموعة من كتب متنوعة في الفقه والتفسير والحديث والادب ، مما يشير الى ان الجماعة السائحة كانت تعرف ان الرحلة قد تطول . فلا بد اذن من استغلال الوقت والافادة من الزمن فحملوا الاسفار للدراسة والمداولة وهذا يدل على انهم كانوا من اهل العلم وفؤي الفضل والمعرفة . قال محدداً ساعة الحركة وتاريخها :

صبح الخميس النصف من شهر رجب  
في خامس الحوت وإذا فصل يُحب  
من سنة في ضبطها ارتخنا  
(عني للنزومة قد خرجنا)  
في رفقة غرّ الوجوه كُمل  
ما فيهم الا فصيح المقول.

ثم يستمر في وصف رفاق السفر وما فيهم من لطف  
الاربية وحسن المعشر في تسعة ابيات اخرى ، بعدها يتحول الى  
وصف الخدم الذين معهم وما كانوا عليه من صدق في الخدمة  
وامثال للامر . قال في اولها عنهم :

غلما تانا كل خفيف الروح لا  
ينفك في بشر وطبع سهلا  
ثم يصف السلاح الذي احتاطوا به للطوارئ :  
سلاحنا الاسياك والبنادق  
وبالرماية الجميع حافق  
ثم الكتب ، واسفار المعرفة ، وهي متنوعة من فقه وحديث  
وادب :

وقد صحبتنا معنا اسفارا  
نقطف من اسطارها ازهارا  
اما موكب الرحلة فقد تألف من قاربين مصنوعين بدقة  
وعفوفين بالعناية :

قد استطينا قاربين حفا  
بحسن تبسیر الاله لطفنا  
ثم وَصَفَ شَط العرب والخلج العربي ، وبنابيع المياه  
فيها ، وما سقى على جوانبها من باسقات النخيل واشجار  
الكروم وما اثمرته من كل لذيق وشهي لمن يجنيه :

تسرى بها النخيل باسقات  
من كل نوع لذّ للجنة  
فيها بنابيع مياه قد جرت  
في برها وبحرها تفجرت  
حتى يصل الى مناطق البحرين وجزرها ، فيصفها منطقة

منطقة وجزيرة جزيرة وصفاً دقيقاً مفصلاً مشتملاً على تثبيت  
المواقع وتحديد الاتجاهات وتسير الرياح وصعوبات الابحار  
واوقات الحركة ، ثم كل ما وقعت عليه عيناه من خضرة  
وماء ، واناس وحيوان ، ومبان وقلاع ، وعين ومزالق وامواج  
وعراصف ، كل ذلك في وصف نسخي فيه الكثير من دقة  
النقل ، وصدق التصوير ومطابقة المشاهدة مع تشويق في الحديث  
وحبكة في الاسلوب ووضوح في اللغة وطرافة في المعاني مما يمكن  
ان يعد وثيقة تاريخية ونادرة علمية وثقافة ادبية ، لولا قلة في الخيال  
واسهاب في السرد .

فيعد دخوله مياه البحرين ، يصف جزرها واجواءها ،  
فيقول في قسم منها :

وقد غنمنا نزهة الجزيرة  
سرنا الى (جنى) بحسن سيره  
وقد وردنا منها مستصفى  
فيه مريئاً مكرباً اصفى  
ثم ارتحلنا الصبح للجنوب  
فزاد فينا الريح بالمحبوب  
فاذا وصل الى بعض مواقعها ووقعت عينه على بعض  
نسائها ، وما فيهن من حسن وصباحة وفتنة وملاحة يصفهن في  
ايات عدة يقول في بدايتها :

دار لربات الجمال الخرد  
من كل هيفاء بقيد اميد  
وفي ايات بعدها يصف مهارة الصيادين وقدرتهم الحاذقة على  
تعين الصيد وتحديد حركته والظفر فيه . في ايات عدة يقول في  
اولها :

سوى فريق حلّ منها ناحية  
وكلهم في الصيد هاد داهية  
ولا تستطيع هنا ان تعرض لكل معالم الرحلة وملاحقة  
احداثها ، الا اننا نختم حديثنا عنها بوصفه الدقيق والطريف  
(لقلمة) نزلوا بها في بعض مراحل السفر ، وما فيها من حسن  
الطرار وضخامة البناء ، وجمال المنظر ، وما حوته من اشجار  
عالية وثمار دانية وفاكة متدلية مما يعكس عجبها وانهاره



في ضحوة الخميس منتهى رجب  
جئنا الى المكان اذ نلنا الارب<sup>(١)</sup>

بفخامتها حين يقول في بعض ابياتها :

حتى نزلنا في فناء (القلعة)

والنخل فيها قد ابدان طلعة

اشجارها تنوعت ازهارها

فغنى على افنانها هزأها .

كأننا الاترج في الاوراق شُب

في خيمة خضرا قناديل ذهب

والماء جار قد صفت جدولة

واستعذبت لوارد مناهلة

منظر هندي القلعة العظيمة

نعرف منه انها قديمة

صخورها منحوتة مربعة

عظيمة السمك بطول وسعة

حاط بها سوران ثم الخندق

يمعجب رايه عرضه والعمق

فصورها نامت عن التقصير

وقد زهت بزخرف التعمير

وبعد ان تصل الرحلة الى نهايتها ، وتحقق غاياتها ، وتبلغ

اقاصي البحرين ، يميلون للرجوع ، ويستعدون لرحلة الاياب

فيصف هذا : الجزء من الرحلة مثلما وصف (رحلة الذهاب)

ولكن مع بعض الاختصار لان اكثر المعالم كان قد ذكرها في

المجيء ، فصار يقتصر على ذكر ما صادفهم فيها وما فاتته من

امور . . قال في بدايتها :

وبعد ما ملنا الى الرجوع

للاهل قبل آخر الاسبوع

هب علينا عاصف الشمال

فلم نجد وجهاً للارتحال

ثم توجهنا الى البلاد

بخير حال مقتضى المراد

رحلة الشاعر حبيب بن طالب البغدادي

من لبنان الى العراق سنة ١٨٤٧م

اما الرحلة الثانية التي قطع بها الشاعر حبيب بن طالب  
البغدادي (المتوفى بعد سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م) ماراً بمدن  
الشام ، فانها فاقت رحلة زميله البصري طول مدى ، وعدد  
ايات وطرافة اسلوب وغرابة خيال وحسن تصوير ، وكثرة  
تفصيل ، في قصيدة رجز ايضاً بلغت (مائتين وستة وسبعين)  
بيتاً .

تبدأ الرحلة بما هو متعارف عليه من حمد الله والثناء عليه  
والصلاة على نبيه الكريم وصحبه وآله الطاهرين (عليهم الصلاة  
والسلام اجمعين) . وبعد اكثر من عشرة ايات من الحمد  
والثناء ، يذكر ساعة الحركة ويحدد مكان الانطلاق :

فحين سرنا من بلاد عاملة

بحمد خير منعم والشكر له

فبلده مبيري كان من (تبين)

غيب وداع الطرف الامين

وقد نهضنا عند ضوه الفجر

نفري الفلا من مهمة وقفر

حتى وردنا (الشق) وهو منبع

صاف كعين الديك صرف يلمع

ثم يأخذ بذكر المواقع والمدن ومعالم الطريق ووسائل النقل

ومتاع السفر ومفارقات الرحلة وعادات الناس ، ومشاهد

الطبيعة ، كما يصف الابنية والقصور ، والجوامع والاديرة ،

والقلاع والحصون ، والخانات والحمامات ، والبرك والينابيع ،

والانهار والنواير ، كما وصف وسائل النقل التي استخدموها ،

وقال انها كانت (البغال) في المرحلة الاولى من الرحلة ، حتى ديار

بكر في شمال العراق ، فتحولوا الى (الاكلاك) واستخدموا نهر

دجلة في بقية الرحلة الى بغداد ، كما ذكر المدن التي مر بها ابتداءً

من مدن جنوب لبنان : صور وصيدا ، ثم مدن الشام : دمشق

وحصن وحاه والمعرة وحلب وغيرها ، وانتهاء بمدن العراق : ديار بكر والجزيرة والموصل وتكريت وسامراء حتى بغداد ، كل ذلك بوصف تفصيلي تمتع لكنه لا يبلغ حد الملل لما فيه من حسن التشويق وجمال السرد المنقول من الواقع وبأسلوب التصوير المباشر ، مع الكثير من الخيال في احيان كثيرة .  
وها نحن نسير مع بعض مراحل الرحلة ووصفه للطرق والمدن بهذا الاسلوب الطريف :

ويُكرّ الركب الى الشّام  
ولا نسل عن ذلك المقام  
حتى وردنا حارة الخراب  
من الشّام مركز الانجاب  
وقد بقينا في (دمشق) شهرا  
مرادفاً ليلتين اخرى  
وقد سرينا من (دمشق) عصرا  
براة ذي الحجة أرخ (يسرا)  
اي عام ٢٦٣هـ ، ويقصد بعد الالف طبعاً .  
وفي صباح الثالث الركب ارتحل  
الى (حماة) والعصير قد وصل  
وحين يصل (حماة) يصف نواحيها المشهورة في ابيات عدة  
طريقة منها قوله :

وللنواحي حنينٌ موجعٌ  
لكل قلب بالنوى مصدع  
تدور سمياً وتثن كماً  
كانها تطلب إلهاً فقداً  
وهو تصوير جميل ، كما انه من المرات القليلة التي يوصف بها (الناعمون) في الشعر العراقي في هذه المرحلة عل الرغم من ان بيئة العراق حينذاك كانت بيئة زراعية كثيرة البساتين والنواحي .  
ولا شك في اني لا استطيع ان اسير مع احداث هذه الرحلة الطويلة النفس ، الكثيرة الشعر ، او اتبع في هذا البحث معالمها ، اذن لطال البحث ، او لاحتجت الى اكثر من مقال ، اذن لا نصاع للضرورة ، واقتصر على ثلاثة مواقف مهمة ،

اولها : وقفة الشاعر في منطقة (سوريك) في الشام ، وثانيهما وثالثهما وصفه لمدينتي الجزيرة والموصل في العراق .

فبعد ان يقطع الشاعر البغدادي مرحلة طويلة من الرحلة ، ويمض به التنب ويبلغ منه الاعياء مبلغاً كبيراً حين يصل الى منطقة (سوريك) في الشام يبدأ بتصور امور وهمية ويتخيل اشياء غريبة حين ينقل : انه شاهد في هذه المنطقة ستة اجساد من آل الرسول (ﷺ) ملقاة على الارض من غير مواراة من زمن طويل ، من غير ان يسها التلف ، وهي باقية هكذا منذ سنين يفوح منها اريج المسك ، وهم (شيخ ، وابناء ، وابنتاه ، وزوجه) .  
نستمع الى هذه الرواية الغريبة في هذا الجزء المخرج من رحلة البغدادي :

وفي (سوريك) شهدنا آية  
نايسة بالنقل والروايه  
ان بها من عصبة المختار  
سنة اجسام بلا توارى  
اجسامهم على مرور الحجج  
باقية تذكو بطيب الارج  
واحدهم شيخ كبير اشيب  
يُدعى علياً ومرفيهم مطب  
مبضع الصدر طمين الحاصرة  
باد لمعني ناظر وناظرة  
وابنان في جنبه وابنتان  
وزوجة له عل البيان  
وهم على مرتفع كالصطبة  
اجسادهم مصفوفة مرتبة  
اما وصفه للبلدة (الجزيرة) العراقية ، فيقول فيها هذا الكلام الطريف ، ويرسم لها هذه الصورة الطريفة :

حين وردنا بمدها (الجزيرة)  
وهي لمعسري بلدة خطيره  
وقد خلّت من نظره ومن شجر  
ومن قصور ترتقى ومن اثر

وما بها سوى المياه دائره  
مثل غواة حول بنت حاسره  
رخيصة الاسعار غد ولا تسل  
اللحم والسمن كثير والعمل  
وعلى الرغم من ان هذا الوصف تقريرى ، الا ان الخيال  
لدى الشاعر قد ادى دوراً موقفاً في البيت الثالث .  
اما الموصل ، فيصورها هذا التصوير المتع ، الذي  
يسبب في تبيان جهاتها ومخارجها ، ومزارات الانبياء فيها ، وفضل  
الخيرين من اهلها ، حتى يصل الى هذا المقطع الطريف الجدير  
بالقراءة :

وهي لعمري بلدة عظيمه  
احوالها باللطف منتقيمه  
فماؤها دجلة ، والماء  
فيه لكل علة شفاء  
زاهية الجنات بالاشجار  
لكثرتها رخيصة الاسعار  
وغبزا مثل صدور النيد  
مهفهفات كاعبات رود  
اشهى الى العيين من الرقاد  
من ناعس بالغ في السهاد  
كذلك (الفيس) كالزود  
منهن ر (التفاح) كالحدود  
ولا اطيل الشرح في حسن الثمر  
فمن جنان الخلد قد ذاع الخبر  
..... (٣)

(رحلة الشيخ عبد المحسن الكاظمي الى مصر سنة

١٨٩٧ - ١٨٩٩ م)

اما الرحلة الشعرية (الثالثة) في القرن التاسع عشر ، فقد كانت  
رحلة الشاعر عبد المحسن الكاظمي (١٨٦٥ - ١٩٣٥ م)  
الشهيرة من بغداد الى البصرة فايران فالهند ثم الى مصر بين عامي  
(١٨٩٧ - ١٨٩٩ م) وعلى ان رحلة الكاظمي قد ذاعت في

الناس اكثر من رحلة زميله البصري والبغدادى . بل لعل  
الكثير منهم ، وبينهم بعض هواة الادب من لم يسمع بها او يعرف  
عنها شيئاً ، لكنها مع ذلك اقل اهمية من رحلة زميله من الناحية  
الفنية واقل وضوحاً ، وايبائاً وتفصيلاً وتشويقاً وجبكة ، وابهت  
صوراً ، على الرغم مما يتمتع به الكاظمي من شاعرية متدفقة  
لا يملكها زميله ، كما انه ليس في الرحلة نفسها ، ومناظرها  
ومتاعها ومفارقاتها ما وجدناه في الرحلتين السابقتين من افاضة في  
السرد ودقة في الوصف وتنبع للمشاهد .

ولعل سبب عدم لحاق رحلة الكاظمي فنياً برحلة  
زميله ، ان الرجل في رحلته كان يحمل همومه بين جنبه في رحلة  
الهجرة هذه ، وفي صدره مضاضة الفراق الاجباري عن  
الوطن ، وفي قلبه سحير الشوق الى الاهل اكثر مما يحمل من شعور  
برحلة متممة يقضي معها اياماً هائلة ، وشاهد فيها مناظر خلابة ،  
ثم يعود بعدها الى وطنه آمناً مطمئناً مثلاً كان عليه حال زميله ،  
لذلك فان قصائد الكاظمي في رحلته ليست مستقلة  
الفرض ، انما جاءت في اغراض متعددة اكثرها في وصف مصر  
واهلها وفرحه بالوصول الى مصر ، ثم في مدح بعض معارفه او  
تبيان ما احاطه بعض من التقى بهم خلال الرحلة ، واشادة  
بكرمهم ، ووصف اشواقه للاهل وللوطن .

وعلى الرغم من ان رحلة الكاظمي كانت اطول زمناً وابعد  
مسافة واشد معاناة واكثر خطراً ، بل هي مجموعة رحلات متصلة  
في رحلة طويلة واحدة . فقد رحل الكاظمي من الكاظمية الى  
البصرة في المرحلة الاولى ... ثم غادرها الى الهند ... ومن  
الهند ركب الباخرة مرة اخرى وذهب الى مصر ... وكان وصوله  
الى مصر سنة ١٨٩٩ م (٣) ليقيم فيها بقية حياته حتى وفاته سنة  
١٩٣٥ فان الرجل لم يخلف لنا في وصف رحلته الطويلة هذه غير  
ثلاث قصائد (٣) اكثرها في وصف عواطفه ومشاعره واشواقه  
للاهل وللوطن . والاشادة بمصر واهلها عند وصوله اليها ، او  
ببعض معارفه ممن اقام عندهم خلال رحلته ، وليس فيها من  
وصف الرحلة ومشاهدها غير لقطات سريعة ، الا انها جيلة  
وتشير الى مراحل حساسة مهمة من الرحلة .

فمن ذلك ما جاء في قصيدته (العينية) : نعم اهل مصر

انتم خیرامة . . . في وصف المرحلة الاولى من سفرته على الابل من بغداد الى البصرة حين صورها تصويراً موفقاً بأسلوبه البدوي الجزل الذي عُرف به الكاظمي ، وواصفاً شدة المعاناة وصعوبة الرحلة :

سرينا نجوب البید في غلس السدجی  
وسارت مطاینا نخب وتوضع  
تموج بنا شرقاً وغرباً كأنها  
تقبس بمسراها القفسار وتذرع  
كأننا وقد مالت بنا سنة الكری

سجود علی اکوارهن وركع  
اما في المرحلة الثانية من الرحلة ، فيصف ركوبه البحر في باخرة ، شقت به عباب اليم ، ثم وصوله الى السويس في رحلة مخوفة بالخطر ، الا انه يصف شدة سعادته حين علم انه وصل الى مصر ، صاغها بذات الاسلوب البدوي المسبوك ، والصور الطريفة ، ولكن على اختصار وسرعة شديدتين بحيث يفقد القارئ متعة التأمل والسير معه في عرض البحر وطوله ، وتأمل مناظره ، ومشاطرته احواله ومخاطره . فها ان ينزل برحله الى البحر حتى يصل بنا الى السويس وينزل مصر ، فيشعر القارئ بانقطاع ذهني مرعب وصحوة مفاجئة من حلم للبد ، ويبدو ان فرحته العارمة بالوصول الى مئنته - مصر - بعد طول مشقة وترقب ولهفة هو الذي جعله يقطع علينا وعلى نفسه فرصة تأمل البحر ، واسترجاع احواله ومناظره حين يقول :

ولما نفلنا لبواخر رحلنا  
وعفنا المطايا وهي حسرى وظلُّع  
هجمنا على جيش من الموج ضارب  
بزخاره نحو السما يترفع  
يطالعنا من كل فج كأنه  
جبال شرورى اصبحت تنقلع  
ولما تبينت السويس وسار بي  
الى النيل سيار من البرق اسرع  
هرعت اليها عاطفاً من حشاشي  
وقلت لصحبي هذه مصر فاهرعوا<sup>(١)</sup>

ونلاحظ ان آثار الاسلوب البدوي التقليدي القديم ما يزال يلاحق بيان الكاظمي ولغته ، على الرغم من انه يصف موضوعاً حضارياً حديثاً متمثلاً بالباخرة وفخامة صنعها ، ولكنه بقي يستخدم عبارات الاقدمين وتشبيهاتهم في السفر ، المتمثلة بـ(المطايا ، وحسرى ، وظلُّع) وغيرها . ثم تشبيه الموج ، ثم المطايا ومراكب السفر النوق بارتفاعها وضخامتها بـ(جبال شرورى) ثم (البرق) الذي كثيراً ما يلزم السائرين في الصحراء .

اما قصيدة الكاظمي الثانية في الرحلة (دعوني اجوب هذي الدياميم) فلا توضح خط سيره في الرحلة ، او تحدد الطريق او ترسم المعالم او تصف المواقع او تذكر المواقع ، لكنها انصبت على ذكر وسائل السفر التي استخدمها في رحلته من بغداد حتى القاهرة ، من (جمال ونخيل) في المرحلة الاولى من بغداد الى البصرة ، ثم (الباخرة) في رحلته البحرية الى مصر في المرحلة الثانية ، ثم وصف (القطار) في المرحلة الثالثة حين نزل على ارض مصر واستقله من السويس الى القاهرة . وفي الحق انه يفصل في ذكره هذه الوسائط ويبدع في وصفها . لكنه يرسم لها ذات الصور التراثية القديمة التي رسمت للناقة والفرس ، بل حتى في وصفه للباخرة والقطار يشعر بك انقطاعه عن الفغار ، لا المزارع والبحار ، او كأنه يسير بك في صحراء جرداء لا خضرة فيها ولا ماء في المرحلة الاولى ، مستخدماً الفاظ البادية وصورها المألوفة . ولاسيما عندما يصف الناقة التي افلته في رحلته ، فهو يحشد لوصفها كل اسما الناقة المعروفة في القاموس العربي ، فهي :

(خوص ، زينة ، شمالة ، مرقال ، داعر ، كوما ، هوجاء ، سعوم . . . . الى آخره) ، اما القطار فتظهر لنا فخامته وانهيار الشاعر بهيأته وهيئته ولكنه يبقى مشدوداً الى صورة سوكن (القطار الصحراوي) المتمثل بمجموعة الجمال السائرة في البادية . كل ذلك بلغة فخمة ، توجهها ثقافة قديمة قوية ، واسلوب متماسك يوجه يده وقلمه وفكره ، لكنها متمعة جزلة تشعرك ببيئة اللغة وعنفوانها . ويؤدي لو ايسط اجزاء من وصف وسائل النقل هذه ليطلع القارئ على صورها ، وعلى لغتها

والسلوب وصفها :

قال في قسم من الرحلة بصف حنيته الى الامل والوطن :

ايها القلب كم تحن الى الكبر

خ وتنفو لساكفي الزوراء

وشجيباً اراك في كل حين

لمصاحب من الجوى اخلياء

انخذوا النوم من جفوني وياتوا

في جفوني رياً من الاغفاء

اما الابل التي يمتطي ظهرها فيقول فيها :

ودعوني اجوب هذه الدياميد

م واسري في هذه الاجواء

فوق غوص ترغوفتنتظم البه

د جميعاً في سلك ذاك الرغاء

كل زيافة تزف كما الار

واح من نسل داصر كوما

وسموم من آل شدقم مرقا

ل واخرى شمالة هوجاء

عائمات كما السفائن في بحر

ر سراب التنوفة القفراء

تلطم الارض لطمه الكاعبات ال

خود خد المليحة الحسناء

اما (الخيل) التي ركبها ، فيقول فيها :

وعلى ضئر اذا صوّت الحاء

دي حسبت الصهيل رجع الحداء

يتسابقن للمغار لا يح

جن في كل غارة شمواء

كذئلب الفضاء عواسل في القا

ع خاص البطون والاحشاء

اما الخيل كالرجال فهذا

للمفاني وذاك للمهيجاء

اما (البواخي) فيصفها هذا الوصف المتع حين يقول :

ناطحات البحار طولاً وعرضاً

بين صيف يقودها وشتاء

فكأنها في اغريات الليالي

اولبات الخدور في الاحياء

كل قارئة توشح في حر

رأة جاذبة وفي صفراء

وكان الرايات حر جمال

لحن من فوق قبة حمراء

او طيور حر وخضر يرفرف

ن على الكور فوق عالي البناء

ابدأ تنطح الرياح بخيشو

م وتغري به عباب الماء

ولما حافز يقوم جنب

ها، وينزوي ضلعها العوجاء

ما امر الضمير منها وما اب

رد ظهرانها من الارتواء

يغمر الماء نصفها الاسفل وال

اعل مجال الارواح والانداء

وسق تلتقي باخرى تقل ثهـ

لان اضحى معانقا لحراء

وحين ينزل الكاظمي البر المصري ويستقبل (القطار) فانه

يرسم له هذه الصور الطريفة التي تدل على انبهاره بهذا المخترع

الجديد عليه :

وبائشاء كل ذي عجلات

دائرات بذلك الاثناء

من يساوي به المراكب في السـ

ر وما كل مركب ببواء

مرعد برق ، ولا رعد في السحـ

ب ، ولا بارق بلوح لرائي

ساحباً خلفه قصورا كما ذا

ك وراعه سحاب الانواء

من رأى قبلها المقاصير تسري  
هوياً في المفازة البهائم  
فإذا جاز أو دنا من ربوع  
ناح نوح الحزينة الشكلاء  
وإذا همّ للرحيل دعا القرو  
م فكان الجميع طوع الدعاء  
ومنى سار ينشر الظل في السهـ  
لر ، ويطوي الحزوم طي الرداء  
قلْتُ سلك من الزوج تردى  
برداء الجلال والكبرياء  
ملك قامر له الرعد الغب  
را وبتز قبة الخضراء<sup>(١)</sup>  
وفي قصيدة الرحلة الثالثة (رحلة مصر) يجيد الكاظمي  
ابيضاً ، ولكنه على طريقته ، وهو يجعل همومه ، ويذكر بلاده ،  
ويصارع اشواقه ، ثم في وصف بعض مراحل السفر ، وبعض  
مناظره ومراكبه التي يسميها (بنات الماء) ، لكنه يرسم لها صوراً  
طريفة . والحق ان الرجل يبدع في هذه الاجزاء من مكونات  
الرحلة ، ولا سيما وصف الباخرة وصراعها مع امواج البحر  
المتلاطمة ، حين يقول في القسم الاول منها واصفاً لوعته واشواقه  
بسبب البعد والغربة والفراق :

بعدت عن الديار وصرت تدعو  
على البعد الديار ولا مجيب  
رحلت وانت للعلياء صايد  
تحوم على الموارد او تلوب  
وخلفت المنازل آتات  
سروب الغيد يتبعها سروب  
تشق حشاك من كلف عليها  
وتأنف ان تشق لك الجيوب  
وفي مصر اراك وانت لاه

وقلبك في العراف جوى يذوب  
فكم والى تم تنحب ثم تكبي  
ولا يجدي البكاء لا النحب

اما في تصوير رحلته فيقول :  
بنفسي ما بنفسك يوم شطت  
(ابوشهر) وسرت ولا صحيب  
اقمنا برهةً والفجر طفل  
بظلمته قرون الليل شب  
وسرنا والهموم يها انسياب  
علينا والظلام له دبيب  
وعجنا راكبين اليوم فلكا  
وهل اغنى الفوارس ذا الركوب  
بواخر من بنات الماء شُها  
عل هام السحاب لها محروب  
تحلق كالمقاب بنا وتهوي  
هوئي الطود اوته الخطوب  
ولم يرع الحشا منا ومنها  
صمود بالمواصف او صبوب  
تكف الموج وهو بها محيط  
نزع النفس لاقتها شموب  
بلغت بها قنطرة كل لج  
بמיד القمر ، لؤلؤه رطب  
وارض جزئتها من بعد ارض  
سباسبها المريعة والسهوب  
اعوم بحارها طوراً ، وطوراً  
اجوب من السوامي ما اجوب  
.....

الى ان قادني املي لصبر  
قياد الجامحات وهن لوب  
.....<sup>(٢)</sup>

x x x

قلنا اننا متحدث عن ثلاث رحلات شعرية من القرن  
التاسع عشر . ونعود الان فنستذكر ، ونقول : لتحدث عن  
رحلة رابعة ، لها نكهة خاصة ، لانها كتبت بنمط آخر من انماط

الشعر ، كان قد شاع في تلك الحقبة واغرم به الناس ، ونظمه الكثير من الشعراء «وكان مستفاضاً بين ادباء العراق في القرن الماضي ونبيغ فيه كثيرون فاجادوه كل الاجادة ، وكتبوه في مراسلاتهم ومحاوراتهم»<sup>(٣٠)</sup> . اعني به (شعر البند)<sup>(٣١)</sup> ، فقد قام شاعر عراقي برحلة ممثلة على فرس له من الحلة الى بغداد ، فوصفها وصفاً دقيقاً طريفاً مفصلاً بقصيدة بند طويلة احترت على وصف فرسه ، ثم وصف الطريق الذي سلكه ، والمنازل التي مر بها ، ثم وصف بغداد حين وصوله اليها ووصف مقامات الائمة فيها ، ثم ذكر العديد من الشخصيات والوجهاء الذين التقى بهم .

قلنا انه بدأ الرحلة بوصف (جواده) الذي سافر عليه ، وقد كان وصفاً ندر مثله في وصف الخيل في الشعر العراقي في هذه الحقبة ، حين رسم له صوراً انحاذة جميلة يدل على معاناة حقيقية ، والفة مع الحيوان ، وقرب منه ، وان تلك الاوصاف وان كانت تقليدية ، الا انها ذات اطار مجمع من الخيال الطريف ، والمحسوس الجديد ، والقالب الشيق ، والانفاذ السهلة ، والاسلوب المتع من اساليب الشعر العربي ، وهو الشاعر (عمد بن الخلفة الحلبي - المتوفى سنة ١٨٣١م) وهو صاحب البينود الكثيرة المشهورة<sup>(٣٢)</sup> ، ويبدو ان الرحلة قد تمت خلال العقد الثاني من القرن التاسع عشر ، لانه ذكر فيه اسم الوالي (سعيد باشا) ابن الوزير سليمان باشا الاول ، وان سعيداً هذا كان قد ولي بغداد بين سنتي (١٨١٣ - ١٨١٦م) .

ان وصف ابن الخلفة في مطلع الرحلة لجواده يدل على بداية نشيطة ، وعزم مندفع للسفر ، وثقة كبيرة برفيق الطريق وقدترته على مواصلة الرحلة الطويلة المضنية الى نهايتها ، لذلك اطرى ذلك الجواد ، وفصل في اجزائه ووقف عند ميزاته من قوة وسرعة وجلال ، ومن حسب واصالة . وهذا جزء من وصفه لجواده الاثير :

دايا مرتقياً سرج جواد من جياذ الخيل جراح . رباعياً من الضمر في غرته . النجم اذا لاح ، طويل العنق والساق ، سريع الخطو سباق . قصير الاذن والظهر وسبع العين والجبهة

والصدر ، فلا الريح يباريه اذا غار ، ولا السهم يجاريه اذا سار . ولا الطير يحاذيه وان طار . ولا يسبق ان مر ، ولا يلحق ان فر . ولا يصعبه الحر ولا يتعبه الكر ، ولا يكلفه البرد ، ولا يبلغه الطرد ، من الجرد العتاق الشهب ان اقبل كالسيل . وان ادبر كالبرق اذا اومض في الليل ، ثم يبدأ بوصف الرحلة ومنازلها وطريقها : «وسر يحفظك الحافظ من كيد ذوي الغدر . لثام القوم كم خاتوا وكم ما بينهم ضاع دم هدر . وابياك ومكر السيه الخلق . فلا تصحب سوى السيف وكن فرداً وحيداً حذراً حتى يراك الناس كالطيف وعود نفسك الغربة واقطع مهمة اليد . . . وجرد صارم العزم من الحزم . على غارب مهزي لقد فصله الصانع في احسن تفصيل . . . فحرثه من الجسر»<sup>(٣٣)</sup> ، لكي يخترق الارض كما النسر . وان جئت الى (النيل) وجاوزت (المحاوليل) . فلانوا الى خان . ولا تفرق بمن خان . سوى خان ابن نجار . شريف تاجر اشرف تجار . سقى الله على تربته مزنة غفران . من الرحمة مالم يسقها من قبل انسان واعلا قصره في جنة الخلد بفضل منه مادام واحسان . قبت فيه ولا تبرح حتى مطلع الشمس . روح بالك لاتذكر ماصابك بالامس . وقم واسرع بمسارك ولا تمسح على مهل . ليطوي لك بالمسرى جميع الوعر والسهل . وان جئت الى (البيرو) تحبها فما فيها اهل تدبير . نعم في (خان زاد) استطعم الزاد . هنيئاً واصطليح واغبق به طرفك مازاد ، ضحى ثم اشرب القهوة من كف سخي ذكره شاع . قنوع كلما تعطيه يتر بشكر لك ما فيه عطاء ابدى ضاع فودعه ودع عن نفسك البخل . ولا تصغ لذي عدل . فذاك الناقص الرذل (وخان الكهبة) المشهور ان وافيته لا تتخذ فيه . نزولا ان قرب البلد الطيب تخفيه . ومل عته يساراً تنظر البسر بعينيك عيانا . وتري يرحل عن ساحتك العسر بياناً ، وسبهديك سنا النور الالهي كمشكاة وفيها ضوء مصباح . بدا وسط زجاج فتظن الكوكب الدردي قد اشرق باصباح ، نعم ذاك شعاع القمرين النيرين . السيلدين السندين الكاظمين . . . فبم يا رسول الخير تلك الحضرة السامية الفائقة الصنع . وهنت لك البشري اذا ما نظرت عيناك فيها غاية المقصد والمطلب والنفع . . . وانتني نحو ربيع وعمل عامر عال رفيع . . . ذلك

القصر الذي كل خطيب فطن يقصر عن وصف معانيه . . . تأمل . تلك الدار شادها المعروف مأوى لجميع العالمينا . . . دار مولانا طليق الوجه في البذل . . . ابي يوسف عمود السجاييا صاحب الفضل على الفضل<sup>(٣١)</sup> . . . وعرج يا اخا السير الى الزوراء دار الاولياء الخلفاء المحبوبة الاقليم بغداد . بلاد هي تحت الملك والعليا ما شام ومصر حصرة الشاهات<sup>(٣٢)</sup> لم يحص مزايها حسنها المشي بتعداد . وقف وقفة مبهوت على دجلة وانظر فيه خضراء قد حل بها النعمان<sup>(٣٣)</sup> ذو القدر . وسلم باحتشام ذا عظيم الشأن من عظمه الرحمن في العلم له الصدر . رئيس الفقهاء العلماء الصلحاء الفاضل الكامل والعالم والعامل جهراً اوضح الدين . . . ولا تغفل اذا قابلت قبر الشيخ معروف . من التسليم يا هذا عليه فغسى كل بلاء عنك مصروف . . . فان جئت الى سوق الكمالات ، باهليه المكفى هو في (السوق الجديد) الشاهق المرشد من دون دلالات<sup>(٣٤)</sup> حقيق ذاك ان يوصف في سوق عكاظ . لما حاز من كل فنى امضى من السيف ادب بارع للشعر نقاد . من كل صفي مرتضى القول ذي فهم ذكي اصمعي النطق في الانشاد والانشاء وقاد . . .<sup>(٣٥)</sup> .

#### ب- رحلات مطلع القرن العشرين

هذه بعض رحلات العراقيين المسجلة (شعراً) في القرن التاسع عشر الى خارج العراق ، وهناك رحلات كثيرة غيرها فيه الى خارج العراق ، وفي داخله ، لانستطيع ان نذكرها كلها ، وهي مخفوظة في كتب التاريخ والادب التي عنيت بادب هذه المرحلة<sup>(٣٦)</sup> .

اما رحلات العراقيين (الشعرية) في مطلع القرن العشرين ، فهي بطبيعة الحال اكثر من رحلاتهم في القرن التاسع عشر . فقد صار السفرايسر ، ووسائل النقل اكثر ، ومخاطرة اقل ، ووسائل المواصلات اسرع وافضل . ومن يتبعها يجد الكثير منها ، مما سجلته كتب الادب والتاريخ ، لذلك فنحن مضطرون هنا الى الاجتزاء ، واعطاء امثلة منها ، وذكر بعضها للموازنة . على اننا نود ان نبسط مقدماً بعض الفروق الفنية

الاساسية بين ما سجل من رحلات القرن التاسع عشر ورحلات مطلع القرن العشرين ، ثم نذكر الامثلة ، فمن اهم تلك الفروق او السمات الفنية بينها ، ان رحلات (القرن التاسع عشر) قد اتسمت بالطول المفرط (شعراً ونثراً) ثم بتضخيم الاحداث ، والتأكيد على الغريب وتبيان الاهوال ، واستعمال المحسنات واعتماد الاسلوب المباشر في السرد ، والنقل المادي الواقعي لوقائع الرحلة والوصف والدقة في النقل ، بينما جاءت رحلات مطلع القرن العشرين في قصائد قصيرة او صفحات قليلة . ويبدو ان سبب ذلك يرجع الى شدة المعاناة ، وطول مدة السفر ، وصعوبة الطرق ، وكثرة الفراغ لدى شعراء القرن التاسع عشر لكن رحلة مهمة قام بها شاعر عراقي في مطلع القرن العشرين ، وبالتحديد سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م رحل من النجف الى البصرة وسجلها شعراً اتبع فيها نهج شعراء القرن التاسع عشر تماماً من حيث الاطالة (حيث وقعت في مائة وسبعة واربعين) بيتاً ، والاسهاب في التفاصيل ، وكثرة المبالغة والاهتمام بالجزئيات ، والتدقيق في الاحداث ، ووصد الاماكن ووصف المواقع والمدن والناس واشكاهم وعاداتهم ، وبيان وسائل السفر وحتى في المقدمة التقليدية بافتتاح قصيدة الرحلة بحمد الله وشكره والصلاة على نبيه الامين (ﷺ) وصحبه وآله الطاهرين ، وكذا في استخدام (الرجز) اسلوباً في الوصف تماماً كما فعل شعراء القرن التاسع عشر ، تلك هي رحلة الشاعر النجفي (عمن الجواهرى ١٢٩٥ - ١٣٥٥هـ) والتي مطلعها :

#### الحمد لله الذي اولى النعم

واخرج الاشياء من كنز المحمد  
لذلك يمكن عددا ضمن دائرة رحلاته لانها انصفت بصفاتها  
وان كان زمنها قد تأخر قليلاً عنه ، وهي طويلة يمكن مراجعتها في مصادرها<sup>(٣٧)</sup> .

ومن شعراء مطلع القرن العشرين الذين نظموا في الرحلة (الشعرية) الشاعر (محمد رضا الشبيبي) حين وصف لنا رحلة قام بها عام ١٩١٤م عندما وكان في بعثة عسكرية على حدود العراق



الشرقية<sup>(٣)</sup> متجها الى حلوان فيفيض بوصف الاجراء التي اجتازتها البعثة ، والمصاعب التي تعرضت لها والطرق التي سلكتها من شعاب وكتبان ، ثم من ريع غربية شديدة باردة كانت تضربهم ، كما وصف الجبال التي اجتازوها ، وقال انها مكسوة بالثلج لشدة ارتفاعها ، وكان قسم منها ذا ثب ، وثالث عريان من الثلج والنبات ، حتى بدت تلك الرواسي في ارتفاعها وتشكيلتها كأنها مدافن ضمت اجداث القرون الغابرة ، وهو خيال طريف وتصور موفق لحياة تلك الجبال وهي تلف الازمنة والقرون ، وهي ما تزال شاخصة في مكانها لا تتحرك رغم حركة العصور ، مستوحياً ذلك من مدافن مدينته في النجف ورهبتها وقدمها حين يقول :

ولما اجزناها الى الشرق اشرفت  
لا عيننا بعد المراقبين حلوان  
نجأت عن السهل السوري واصبحت  
تجشمها المرسى شعاب وكتبان  
وقببت لنا غربية فتأرجحت  
من البيد اذ هبت جيوب واردان  
وهل مسغي بالقرب طول ثقلي  
(وبسرة) خلفي والجبال و (جصان)  
شواقت بالثلج الكثيف تكملت  
كما كللت هام الجبابر تيجان  
فمنهن عالٍ مشمخر ودونه  
ومنهن كاس بالنبات وعريان  
كان رواسيها مدافن شيدت  
وقد دُفنت فيها قرون وازمان

ويسير الشاعر في رحلته الصعبة هذه مع الشعاب والمسالك الوعرة متبعاً أسلوب التوكيد والتفضيل كأنه يريد ان يقنع السامع بصنق العناية وشدة الاهوال التي تعرض لها مع اعضاء البعثة حتى بلغ الاعياء معهم مبلغاً شديداً ، فهزلت الركائب وتداعى الركبان من ظهورها واضطر القسم الآخر الى الترجل عنها ،

فيصورها هذا التصوير الدقيق بقوله :  
ركائبنا حسرى ، كوابٍ ونهض  
ونحن طلاع الارض رجل وركبان

اما بقية الرحلة فممتع لانك لا تحس معه مللاً ، بل تشدك المشاهد وتأخذك<sup>(٤)</sup> التفاصيل التي احسن الشاعر وضعها في وصف مسيرته في هذه الرحلة الشاقة الممتعة ، لانها تمثل معاناة حقيقية وشعور صادق بتعب تقرض له ، كما لعب الخيال دوره في صياغة الرحلة ، فحسن الصورة واكسبها تشويقاً وطرافة ، كما ان تشبيهاته جاءت اكثرها معنوية ذهنية ، على ان الجانب الحسي كان فيها واضحاً ايضاً ، وان ذكرياتها كانت ما تزال عالقة في ذهنه ونفسه فسلجها حين عودته الى بلاده ، قبل ان يلف احداثها النيان .

x x x

ويجمل الشاعر عماد حسين كشاف الفضاء (١٨٧٦ - ١٩٥٤م) رحلته الى مصر حين قصد اليها ، عقب اداء فريضة الحج عام ١٩١١م<sup>(٥)</sup> فيصف اولاً سفره (بالقطار) الذي اقله من الحجاز الى بلاد الشام في الرحلة الاولى من رحلته ويسميه (ابن البخان) ، ثم بعدها يصف المرحلة الثانية منها وهي (سفرته الى مصر) بالباخرة ، فيصور احوال البحر ، وما تعرض له من اتعاب ومشاق ابان الرحلة الطويلة ، حين يقول :

اجشمها اخطار كل مهولة

تماوت فيها الموت وانذعر الذعر  
كل ذلك بسبب شوقه الى مصر ورغبته في رؤيتها وشدة هواه اليها ، وتحمله المشاق من اجلها ، ويقطع البحر ، وتغر الايام وهو في لجنه حتى يكتب الله له الوصول الى مصر ، فيدي فرحة عارمة حين وصوله اليها :

هواي الى مصر ، الا هذه مصر

اعود الرجاء ذا؟ وعود الموى نضر  
ثم يعود بعد هذا البيت بذاكرته فيصف ما عاناه من احوال وعناء من اجل حلمه في مصر :

نحط على البر والبحر دونها  
فيا عاق عزمي البر عنها ولا البحر  
فخففت أجاج البحر ، والبحر كالح  
وجبت فجاج البر ، والبحر مغبر  
الى ان انالتي ابنة النيل بـاعه

وسدت لترحيب اصابعه الخمر  
لكن مصر ، او الاقامة فيها - كما يبدو - لم ترق بعد ذلك  
للرجل ، وانه لم يلق فيها ما كان متأملاً منها ، من حسن  
الترحيب ، وصدق الحفاوة ، لذلك راح يتشكى من بقية ايامه  
فيها ، ومن اقامته في ربوعها ، ولم ينشر صدره فيها ، فعاد  
يصف خيبة امه فيها ، وانخداعه ببهارجها وما سمعه عنها :

وقد غرني في الليل حسن ابتسامها  
وبارب لبث للفرصة يفتّر  
واعجبني في وطنها لبن الشرى  
ورب رماذ كامن تحته الجمر  
فها انا ملقى في حنايا ربوعها  
كأنني فيها قد تناساني الدهر  
نزىل ولا وجه يروق ولا رؤى  
وضيف ولا ماء يروق ولا خمر  
....

رواسعة لم ينفسح لي صدرها  
ولم ينشرح لي قط يوماً بها صدر<sup>(١١)</sup>

ويصف مهدي بن هادي القزويني الحلي  
(١٣٠٩ - ١٣٦٦ هـ) رحلة له بسفينة شراعية انحدرت به مع  
الفرات من قضاء الهندية حتى الكوفة ومنها الى النجف بعربة  
تجرها الخيول على سكة الحديد (الترامواي) بارجوزة طويلة بدأها  
بحمد الله والصلاة على نبيه الكريم (ﷺ) ، ثم يصف انزال  
الامتعة الى السفينة ، ثم سرياتها في النهر ذاكراً بعض المواقع  
والمدن والعشائر التي مرّ بها ، ذكرها مباشراً خالياً من الخيال ،  
بعدها وصف تذكره لاهله في الهندية وشوقه لهم ، حتى يصل الى  
الكوفة فيصف بعدها رحلته البرية بعربة الحديد الى النجف<sup>(١٢)</sup> .

اما الشاعر كاظم الدجيلي (المولود سنة ١٨٨٤م) فيسلك  
الطريق ذاته الذي سلكه قبله زميله الحلي في رحلة نهرية اخرى ،  
ولكن صعوداً في الفرات ضد التيار من (الكوفة الى الهندية) ،  
وهي لاشك رحلة اشق . فالوقوف ضد التيار غير الاستسلام له  
او المبرمعه ، ناهيك عن مقاومته وشقه ، لذلك كانت رحلة  
الدجيلي اكثر متعة من رحلة الحلي ، واحل نكهة ، وكان وصفه  
لها اكثر سبكاً واعظم تشويقاً ، فضلاً عن قدرة الدجيلي الفنية التي  
تفوق قدرة زميله الحلي ، لانه كان يمتلك خيالاً ارحب ، واداة  
ادق ، وثقافة اوسع ، فهو قد ركب زورقاً من الزوارق البخارية  
التي سماها (بنات الماء) جرت فوق سطحه وشقت عبابه فترك  
على صفحة النهر الهادئ امواجاً عالية تضرب جرفيه بشدة ،  
والزورق يصعد في الفرات والماء يتحدر تحته ، ثم يصف الطريق  
الذي مرّ به ، وشواطئه النهر وما تبث عليها من اشجار باسقة  
ونخيل عالية ، وهامات الصفصاف المتمايلة التي تقف على  
الجانبين بشموخ وكبرياء . وقد تهب الريح فتنبث بفصوصها  
فيكون لها انكسار واعتدال ، اما الزورق فيمضي صامداً صاعداً  
الى اعل الفرات من غير ان ينحني للريح ، او يوقفه عتو التيار ،  
(وهكذا يمضي بنا الدجيلي في هذه الرحلة المثيرة وما جاءت عليه  
من حسن السبك وجمال الصور ورشاقة اللغة . غير ان عنصر  
الخيال كان فيها قليلاً ، فضلاً عن انه لم يذكر ايها من المدن التي  
شاهدها او المواقع التي مرّ بها غير ما وصفه من حسن الطبيعة  
وجمال النهر وقوة الزورق وارتفاع الموج<sup>(١٣)</sup> .

x x x

هذه احدى رحلات الدجيلي داخل العراق ، على ان له  
رحلات (ثريّة) اخرى غيرها الى خارجه «فقد رحل ...  
رحلات عدة الى ايران وكردستان واطراف العراق وعربستان  
وجباب القرى ومنازل الاهواب ... وكتب عنهم كتاباً» (عام  
١٩١١م) ، ما لم يتبها لغيره من الرحالين والرواة ... وألّف في  
نلك الرحلة كتاباً ممتعاً ، لكن الكتاب ضاع ... ورحل في ١٩  
آذار سنة ١٩١٣ الى الفرات وكربلاء وشفائنا وقصر الاخضر  
والنجف وعربستان والشامية والديوانية وكتب فيها كتاباً ... كما

وصف رحلته ... وما شاهده ... في تلك البلاد والقبائل واحوال اهملها الاجتماعية وعوائدهم ... بكتاب آخر باسم - رحلة الغرات - ...<sup>(١٧)</sup>

اما آخر الرحلات (الشعرية) التي نذكرها في هذا البحث مما سجله الرحالة العراقيون الكثيرون في مطلع القرن العشرين ، هي رحلة الشاعر خنيزري المندائي (١٨٨٥ - ١٩٥٧م) الذي وصف هو ايضاً رحلة نهريه قام بها في شبابه من بغداد الى الصويرة بمركب بخاري محطلياً ظهر دجلة اذ وصار به المركب من بغداد صباحاً فوصلها عند الغروب<sup>(١٨)</sup> وتضارعت قصيدة المندائي هذه في وصف رحلته قصيدة زميله الدجيلي ان لم تزد عليها حسن تصوير ورقة خيال وجمال تشبيه ، فهو يصف بداية الرحلة انها قبيل الصبح هتفعا كان (الليل ينادي الصباح قبل الشروق) ، ثم يبدأ (البحار) في النهر اذ يبدأ المسير حين تشرق الشمس فيبدو شعاعها من خلال الاشجار كأنها السيوف اللامعة او (بيضٌ تُسَلُّ في يوم ضيق) حتى اذا ما واصل المركب البخاري سيره ، ويتوسط النهار ، تشتد اشعة الشمس حتى ترتد عنها العيون (حُوراً عند شدة التحديق) ، وهكذا يصف نهار الرحلة من صباح الاقلاع حتى غروب الوصول ، كما لم يفته ان يذكر معالم الطريق ، ومشاهد الشواطئ ، ومناظر البساتين ، واصطفاف الاشجار وتغريد الطيور ، كما يعود الى وصف منازل الشمس في شروقها وتدرجها

منذ الصباح حتى المساء ، فهي في الفجر ما تزال في خلد الاق ، وحين تيزغ فهي كفتاة حية خجل ، ثم من ارتفاعها رويداً رويداً حتى يشتد عودها وتقوى شوكتها فتصير متحذية . حتى لا يجسر احد على مواجهتها ، ثم ميلها للغروب يتمهل وذلة وانكسار وهي تمشي حينذاك على استحياء كأنها عذراء تخشى عيون الرقباء ، هذه وغيرها من الصور التي ابداع الشاعر في رسمها . لنستمع الى هذا المقطع من هذه الرحلة الممتعة :

فوق غحارة تشق عصاب الم  
او شقا بزفرة وشهيق  
ذات كفين يقدفان مياه النهر  
قذف الصخور بالمنجنيق  
لم يكلا طول النهار رفيفاً  
والدجى يقطعانه بخفوق  
رحلت بي من الرصافة والليل  
يناجي الصباح قبل الشروق  
فتبدي للعين قرن من الشم  
سر بدا في تلالؤ ويريق  
واكف الشمال تنسج في الماء  
دروعاً من النسيج الرقيق  
x x x

.....<sup>(١٩)</sup>

#### الهوامش والمصادر

- ١- تصد بمطلع القرن العشرين : الرجز الاول منه
- ٢- يُنظر من تلك الرحلات وأزمانها : ابيب الرحلات - احمد ابو سعد . ص ١٧- ٢٢٦ . دار الفرق الجديد - بيروت ١٩٦١ .
- ٣- يُنظر من نشاط العرب والمسلمين في مجال الرحلات حتى القرن الثامن الهجري : ادب الرحلات عند العرب في الفخر - علي حسن مكي الله - مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٧٨ ، كما حضرت كتب الفخر والاعمال بنسبهم وتحدثت من وحلهم حتى القرن العشر الهجري .
- ٤- انظر اخبار الكثير منهم في كتاب : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث - لوتريك - ترجمة جعفر حياط طبعة ٣ مطبعة البرهان - بغداد ١٩٦٢ ، وكذلك في كتب كثيرة مطبوعة تمهدنا في لهارس المكتبات تحت عنوان (الرحلات) .
- ٥- لقد طبع هذا السفر الكبير في مطبعة بولاق بمصر سنة ١٣٠١هـ .
- ٦- انظر عدداً من مؤلفاته في كتاب (المسك والاذخر) لمحمود شكري الالوسي
- ٧- ٢٠ الطبعة الاولى . مطبعة الاداب - بغداد ١٩٥٨ . وانظر ترجمة العلامة ابي التتاه الالوسي في المصدر نفسه ص ٥ ، وفي مجلة العراق الادبية في القرن التاسع عشر - الدكتور محمد مهدي البصير ص ٢١٩ - ٢٥١ مطبعة المعارف - بغداد ١٩٤٦ .
- ٨- انظر : المسك الاذخر ١٣ - ١٤
- ٩- بدأت الرحلة من شهر جمادي الاخرى سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م وانتهت في الخامس من ربيع الاول سنة ١٢٦٩هـ .
- ١٠- انظر : المسك الاذخر ١٣ - ١٥
- ١١- معهم صليبه الشاعر البغدادي عبد الغني جيل ( ١٧٨٠ - ١٨٦٣م ) الذي لُوحظ الرحلة تقريباً جيلاً في قصيدة طويلة ، والتي حل ما جاء لها من قصص واخبار وطرائف واسلوب بدعي ، هام به ابتداء مصر . قال في اولها :
- ١٢- من رحلة حارث بن الياسر
- ١٣- لم نكن في سواها اليوم نفكر

وجاء فيها :

جئت عن الوصف لا شيء يشابهها  
أل وكل مصائبها لنا ضرر  
انظر : مجموعة عبد الغفار الاخرس . ص ١٢٧ نشرها مجلس المزوي . بغداد  
١٩٤٩

١٠ - هزالب الاغتراب - شهاب الدين ابو التاء الالكوسي - ص ٢٥ مطبعة  
الشابندر - بغداد ١٣٢٧هـ .

١١ - المصدر السابق ص ٢٥

١٢ - المصدر نفسه ص ١١٣ وما بعدها .

١٣ - الحقائق الناصحة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ - فريق المزهري ال فرعون  
ج ٥٧/١ مطبعة النجاح - بغداد ١٩٥٢ .

١٤ - رحلة في يادية السماوة - محمد رضا الشبيبي - مطبعة المجمع العلمي  
العراقي ١٩٦٥

١٥ - رحلة في يادية السماوة . ص : هـ .

١٦ - المصدر السابق ص ١٦

١٧ - انظر ترجمته في مقدمة ديوانه : ديوان عبد الجليل البصري الطباطبائي - المطبعة  
السلفية بمصر ١٣٨٦هـ .

١٨ - ديوان عبد الجليل البصري . ص ٣٧ .

١٩ - المصدر السابق ٣٧ - ٤٦

٢٠ - انظر ترجمة الشاعر في : شعراء بغداد - علي الحائقي ٤١٩/٢ مطبعة اسعد -  
بغداد ١٩٦٢ ،

وشعراء كاظميون - الشيخ محمد حسن آل ياسين ١٢٧/١ مطبعة المعارف - بغداد  
١٩٨٠ ، وقد لقبه الشيخ ال ياسين بـ ( الكاظمي ) ، بينما لقبه الشيخ الحائقي

بـ ( البغدادي ) .

٢١ - تنظر الرحلة الكاملة في : شعراء النوري - لملي الحائقي ٤٢٠/٢ - ٤٣٠  
- المطبعة الجديدة - النجف ١٩٥٤ ، و : شعراء كاظميون ١٦٦/١ - ١٧٨

٢٢ - شاعر العرب . عبد المحسن الكاظمي - للدكتور محسن فيصل ص ٦٠  
- وزارة الاعلام - بغداد ١٩٧٦

٢٣ - هي قصائده ( نعم اهل مصر اتمو غير امة ، و : دعوني اجوب هلي  
القباسم ، ورحلة مصر ) انظر : ديوان الكاظمي - شاعر العرب - المصروحة

الاولى ٤٦ - ٧٦ نشرها محكمة الجادجي . المطبعة الاولى . مطبعة ابن زبون .  
٢٤ - ديوان الكاظمي - شاعر العرب م ٤٨/١ - ٤٩ . وقد جاء الشطر الاخير في

الديوان : ( هله مصرنا امهروا ) ، ولكنه جاء في كتاب الدكتور محسن فيصل  
( شاعر العرب - عبد المحسن الكاظمي ص ٧٣ ) :

( هله مصرنا فاهروا ) ، فترت الثانية لاما اجل وابلغ ومخالفة من الزحاف  
اللي تحمله عبارة الديوان .

٢٥ - ديوان الكاظمي - شاعر العرب ٥٤/١ - ٦٢

٢٦ - المصدر السابق ٦٣ - ٧٦

٢٧ - مجلة البتير ( البغدادي ) ، لصاحبها السيد محمد الهاشمي ج ١ السطور الاولى  
١٦ نيسان ١٩٢٢ ص ١٨ .

٢٨ - شعر البند : نوع من الشعر العربي يعتمد التضميلة بدل نظم الشطرين ،  
ويكتب على شكل الثر . ينظر عنه : ( قضايا الشعر المعاصر ) تازك الملائكة ص

١٩٥ الطبعة الخامسة - بيروت ١٩٧٨ ، والبند في الالباب العربي - لعبد الكريم

الدجيلي .

٢٩ - انظر لسانها في : البند في الادب العربي ص ٦٧ - ٨١ مطبعة المعارف  
- بغداد ١٩٥٩ . والبالبات - لعمد علي البغدادي ج ٤٩/٢ - ٥٣ مطبعة الزهراء -

النجف ١٣٧٣هـ .

٣٠ - للقصود بالجسر هنا : جسر الحلة القديم وهو بداية الرحلة .

٣١ - البير : منطقة بين الحلة وبغداد في منتصف الطريق تقريباً ، كانت تسمى  
( خان النصف ) او ( بير النصف ) .

٣٢ - ابو يوسف : هو القاضي ( ابو يوسف ) المصروف ، وجامعه موجود في  
الكاظمية ، وهو في الاصل داره التي كانت مجتمع اهل الفقه والفضل .

٣٣ - الشاهات - المقصود به شاهات القرس ، جمع شاه وهو الملك .

٣٤ - النعمان : هو الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي .

٣٥ - السوق الجديد : الحلة المرولة في بغداد في جانب الكرخ ، وكان يسكن  
لها جماعة لشاعر واصدقاءه ممن يجمع بهم من الادياب امثال عبد الغفار الاخرس

وعبد الباقي العمري ، وغيرهم .

٣٦ - المصدر : مجلة البتير ( البغدادي ) ج ٦ السنة الاولى ١٠ تموز ١٩٢٢  
ص ١٨٢ - ١٨٨ - وانظر القصيدة في : البند في الادب العربي ٧١ - ٧٢

٣٧ - معاً مثلاً رحلة محمد شرح الاسلام الى ايران سنة ١٨٨٨م . انظر : شعراء  
النوري لملي الحائقي ٣٥٥/١ - ٣٥٨ ، ورحلة الشاعر عبد الباقي العمري في مر

الفرات - انظر : الترياق الماروني ص ١٠٠ ، النجف ١٩٦٤ ، ورحلة الشيخ  
محمد حسن كبة من النجف فالكوفة برأ ، لم عن طريق النهر الى الهندية ومعاً الى

كربلاء برأ ، انظر : مجلة العراق الادبية ٢٨٨ - ٢٨٩ ، كما وصف الشاعر محسن  
الحضري رحلة مهدي الفروزي الحلبي الى الديار المقدسة سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٦م

انظر ديوان محسن الحضري ص ٥٩ - المطبعة العلمية - النجف ١٩٤٧ ، وغيرها .  
٣٨ - انظر القصيدة كاملة في : شعراء النوري ٢٤٣/٧ - ٢٤٩ ، وانظر ترجمة

الشاعر في المصدر نفسه ص ٢٤٠

٣٩ - ديوان الشبيبي - محمد رضا الشبيبي ص ١٢ ، القاهرة ١٩٤٠ .

٤٠ - المصدر السابق ١٢ - ١٣ ، وحلوان مدينة عراقية تقع شرق العراق بالقرب  
من بلدة وجسان

٤١ - ذكر الشيخ علي الحائقي في شعراء النوري ١٢٠/٨ : ان كاشف النظام سافر  
عام ١٩١١م الى الحج ، ومن هناك توجه الى الشام ، ثم الى بيروت ومنها الى مصر

ومكث في ربوع الشام ومصر في سفرته هذه ثلاث سنوات . انظر ترجمة الشيخ  
كاشف النظام في المصدر نفسه ٩٩/٨ - ١٣٤

٤٢ - انظر القصيدة كاملة في : الادب المصري في العراق العربي - وفائيل بطي  
٧٧/٢ للطبعة السلفية بمصر ، القاهرة ١٩٢٣م . وفي شعراء النوري

١٦٤ - ١٦٥ .

٤٣ - انظر الارجوزة كاملة في : شعراء الحلة - لملي الحائقي ٣٨١/٥ - ٣٨٣  
المطبعة الجديدة - نجف ١٩٥٢ ، وانظر ترجمة الشاعر في المصدر نفسه ٣٨٠/٥ .

٤٤ - انظر القصيدة كاملة في : الادب المصري ٢١٧/١ - ٢١٨ ، وانظر ترجمة  
الشاعر في المصدر نفسه ١٨٧/١ - ١٩٤

٤٥ - المصدر السابق ١٨٩/١ - ١٩٢

٤٦ - خيري المندلاوي - الدكتور يوسف عز الدين ص ٢٧٧ الطبعة الثانية - مطبعة  
النصب - بغداد ١٩٧٣ .

٤٧ - انظر القصيدة كاملة في المصدر السابق ٢٧٧ - ٢٧٨ .

# ريف الموصل في مشاهدات ياقوت الحموي

## دراسة تحليلية في معجم البلدان .

### دراسة

يوسف جرجيس الطوني

معهد المعلمين المركزي/الموصل

قد تعرف عليه ياقوت ، اثناء سفراته التجارية الى بلاد الشام في نهاية القرن السادس الهجري . ولم تطل اقامة ياقوت في الموصل . فتوجه الى سنجار ومنها قصد حلب حيث كانت مُستقره الاخير ، وذلك في احد خاناتها في ربض خارج المدينة . حيث ذهب في تجارة لبعض الوقت الى مصر ، بمعونة من الوزير القفطي<sup>(١)</sup> ، فحصل خلالها على بعض ارباح اعانته سني حياته الباقية التي قضاها في تصنيف معجمه ، حتى ادركته الوفاة في العشرين من رمضان سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م

اتسم الجهد الذي بذله ياقوت في معجمه ، بالضخامة حيث بلغ عدد صفحاته الاصلية في الطبعة الاوربية التي اخرجها وستفلد (٣٨٩٤) صفحة ، والتي توزعت على اربعة مجلدات ضخمة ، فضلاً عن مجلدين كاملين خصصهما وستفلد للتعليقات ، كما ضم المعجم ما يقرب من خمسة آلاف بيت شعري<sup>(٢)</sup> .

وقد اعادت بعض دور النشر العربية ، طبع الكتاب في القاهرة وبيروت ، معتمدة على الطبعة الاوربية ، بعد تجريدها من الحواشي والتعليقات ، مع اجراء بعض التصحيحات اللغوية الطفيفة ، والتي ثبتهما وستفلد حيث كانت مألوفة في عصر

يُعَدُّ معجم البلدان الذي صنفه ياقوت الحموي<sup>(٣)</sup> ، من اهم المصادر البلدانية واكثرها شهرة حتى حقبة الغزو المغولي في اقل تقدير ، وذلك لما ضمه من مادة جغرافية وتاريخية وادبية ضخمة ومتنوعة . حيث كانت التجارة والترحال واكتساب المعرفة ، قد فتحت امامه افاقاً واسعة ، مما اعطاه دفعاً قوياً لتوسيع مداركه ، في ميادين المعرفة المختلفة بعماء وفي الميدان الجغرافي بخاصة . فكان ان سافر الى اصقاع كثيرة برأ وبحراً ، مثل مناطق الخليج العربي والشام ومصر واذربيجان ، وخراسان وخوارزم ، علاوة على مشاهدته الواسعة لمناطق كثيرة من العراق .

وكانت فكرة تصنيف معجم البلدان ، قد تبلورت في غيلة ياقوت سنة ٦١٥هـ في مدينة مرو ، اي قبل سنة من بدء الاجتياح المغولي لمناطق الشرق الاسلامي ، فدفع هذا الغزو ياقوت الى الخروج من بلاد خوارزم ، منهزماً بنفسه ، تاركاً متجراً وبعض مسودات معجمه طعماً لتهب المغول . وقد قاسى ياقوت في اوبنته ، كثيراً من الشدائد والاهوال ، والتي ذكر جانباً منها ، في رسالة<sup>(٤)</sup> وجهها بعد وصوله الى مدينة الموصل سنة ٦١٧هـ ، الى وزير حلب جمال الدين ابن القفطي ، الذي كان

ياقوت ، ويمكن ملاحظة ذلك على سبيل المثال عند المقارنة بين طبعة دار صادر البيروتية وطبعة وستفيلد الاوربية .

ان احساس ياقوت بالحاجة الى مرجع عام ، يجمع شتات المادة الجغرافية المعروفة حتى عصره ضمن نطاق موسوعي ، كان احساساً صادقاً ، حيث حدث ان هلك جانب مهم من تلك المادة ، مما اعطى الحق لكراتشوفسكي عند حديثه عن المعجم بقوله<sup>(١)</sup> :

« وهو اوسع واهم ، بل واكاد اقول افضل مصنف من نوعه ، لمؤلف عربي للمصور الوسطى » .

واذا اقتصرنا في الحديث عن ريف الموصل ، فاننا نجد اهتماماً واضحاً بهذا الريف . بطريقة غير مباشرة من قبل ياقوت ، وهذا الاهتمام متأب من مروره بكثير من مناطق الموصل . ومشاهدته لكثير من قراها ومواضعها ، لذا جاءت مادته عن ذلك على درجة عالية من الوضوح والحياة . كما ان مروره بمناطق الموصل ، هيا له فرصة التعرف وعقد الصداقة مع عدد من اعلام الموصل وريفها ، مثل ابنه الاثير ، وعمر بن فضلون العدوي القفري الذي وصفه بالصدق ، حيث افاد من هؤلاء في كثير من المواضع البلدية المتعلقة بريف الموصل . كما ان علاقته الوثيقة بابن الاثير المؤرخ ، دفعته الى ان يعهد اليه حينما التقى به آخر مرة بحلب قبل وفاته ، بايصال كتبه التي اوقفها على مسجد الزيدي الذي يندب دينار ببغداد . وسنحاول من خلال الفقرات الالية تحليل المواد البلدية الواردة في معجم ياقوت ، وتوضيح جانب من مشاهداته في ريف الموصل ، مع الاشارة الى بعض عناصر القوة في مادته البلدية ، علاوة على الحفريات التي وقع بها .

#### اولاً : بلدية الموصل في المعجم :

ان جملة ما افرد ياقوت لبلدية الموصل وريفها ، يربو على (٢٠٠)<sup>(٢)</sup> مادة بلدية متنوعة ، بين مدينة وبلدة وناحية وقرية ودير وجبل ونهر وعين ماء ، وغير ذلك ، وهو ايراد كبير ، اذا علمنا ان غيره من البلدياتيين او المؤرخين ، لم يحو مؤلفاتهم هذا العدد الكبير من هذه المواد ، في عصر كانت اشارة الموصل الزنكية

قد بلغت ، درجة كبيرة من السعة والاستقرار ، حيث كانت تمتد من مناطق شمال تكريت حتى جنوب ديار بكر وماردين واسعد ، ومن نهر الزاب الكبير شرقاً حتى خابور الفرات غرباً . ومن خلال تفحصنا ومراجعتنا للمعجم تمكنا من الوقوف على هذه المواد البلدية ، التي وردت فيه ، وقد ارتأينا توزيعها على النحو الآتي .

١ - المدن والبلدان : اورد ياقوت في معجمه سبع مواد تمثل مدناً وهي : خرزاد اردشير ، رأس العين ، سنجار ، السن ، الكحيل ، الموصل ، نصيبين .. وذكر ياقوت عشرين بلداً بصفة «بلدة» هي : آلال ، برزهمران ، بلد<sup>(٣)</sup> ، بوازيج ، جزيرة ابن عمر ، حر ، الحسنية ، دارا ، الهكارية . كما ذكر إحدى عشرة مادة اخرى بصفة «بلد» هي : باشري<sup>(٤)</sup> ، برقميد ، بومارية ، الثمانين ، حديثة الموصل ، سكير العباس<sup>(٥)</sup> ، طور عبيد<sup>(٦)</sup> ، فيشخابور ، محلبة ، معلثايا .

٢ - القرى : ذكر ياقوت ثلاثاً وعشرين بلدية بصفة «قرية» كبيرة وهي باجبار ، باخديدا ، باصفرا ، باعشيقا ، باعينا ، باوشنايا ، برطل ، تل اسقف ، جُدال ، جُهينة ، حصي ، خلثا ، دوغان ، الدولمية ، السلامية ، السميعة ، العمرانية ، الفضلية ، كرمليس ، اللين ، المراوزة ، مرق ، نيربا ، كما ذكر ياقوت ثمانين واربعين مادة اخرى بصفة «قرية» هي : إيبان ، أذمة ، باجدا ، باجريق ، بارما ، بارنجان ، باشنايا ، باعدرا ، باعربايا ، بافخاري ، بامردي ، بلاباد ، بيسان ، ترجل ، تل خوسا ، تل زبدى ، تومانا ، جوجر ، حرش ، خالدية ، خروستا ، خيرين<sup>(٧)</sup> ، دير سابا ، دير صلوبا ، زابات<sup>(٨)</sup> ، الزاوية ، شرملة ، العاصمية ، العراة ، العقر<sup>(٩)</sup> ، غرسة ، قبراشا ، القبيصة ، قردى<sup>(١٠)</sup> ، قنسة ، الكار ، كراشا ، كرمية ، كفر زمار<sup>(١١)</sup> ، لهيم ، ليلش ، مديج ، المؤنسة ، النفيحة ، نينوى ، واسط<sup>(١٢)</sup> .

٣ - التواحي والقلاع : -ورد في معجم ياقوت اثنتي عشرة ناحية مرتبطة بريف الموصل هي : آنج ، باسورين ، بافكي ،

باقري ، بسومة ، جبثا ، جومل ، الحنانة<sup>(١١)</sup> ، عزا ، غيضة (الكس) نخلا ، اما القلاع التي تم حصرها في المعجم ضمن ريف الموصل فقد بلغت عشرين قلعة هي : اثيل : آتب ، اردمشت ، آروخ ، القى ، باخوخا ، باز الحمراء ، برخو ، تل اعفر<sup>(١٢)</sup> ، الجديدة ، جردقيل ، الجلالية ، جل صوري ، خوشب ، علوس<sup>(١٣)</sup> ، العمادية ، فنك ، قيمر ، نيرة ، هرور .

٤ - الاديرة : - ذكر باقوت اربعة وعشرين ديراً ضمن مناطق الموصل هي : دير ابون ، دير ابي يوسف ، الدير الاعلى دير آكن ، دير باشاوا ، دير باعربا ، دير باصوت<sup>(١٤)</sup> ، دير باطا ، دير بانخايل<sup>(١٥)</sup> ، دير الجودي ، دير الحنافس ، دير الزعفران ، دير سعيد ، دير الشياطين ، دير الكلب<sup>(١٦)</sup> ، دير كوم ، دير مقي ، دير ملكيساوة ، دير منصور ، دير النمل ، دير يونس ، عمر الزعفران .

٥ - المراضع والجبال والادوية والانهار والعيون : - ذكر باقوت اثني عشرة سادة بلدانية بصيغة «موضع» وهي : باجيري ، بلالين ، تل التمر ، تل التوبة<sup>(١٧)</sup> ، حرة ، سلوطح ، سهاب ، المعجاج ، عربايا ، كشاف ، ياسورين . كما تحفل هذه البلدانيات ست مواد مستقلة بصيغة جبل وهي : التين ، الجار<sup>(١٨)</sup> ، الجودي ، داسن ، السلق ، طورزيتا ، كما ذكر خمسة وديان هي : الثرثار ، ثوير ، الخوسر ، وادي الزمار ، وادي الشياطين . واورد ايضا اربع مواد بلدانية بصيغة «نهر» هي : بريشو ، الخازر ، الخابور<sup>(١٩)</sup> ، الزاب ، كما اورد ثلاث مواد اخرى بصيغة «عين ماء» هي : حمام علي ، الزاهرة ، القيارة . علاوة على مواد اخرى تتعلق ببعض تسميات مدينة الموصل ومخلائها ، مثل الحديباء<sup>(٢٠)</sup> والراوند<sup>(٢١)</sup> ، ودرج دواج<sup>(٢٢)</sup> ومنطقة مرج الموصل<sup>(٢٣)</sup> .

٦ - مواد بلدانية اخرى : -

ذكر باقوت بلدانيات اخرى عرضاً . فعند حديثه عن ناحية بافكي<sup>(٢٤)</sup> اشار الى عدد من قرى هذه الناحية مثل تل عيسى وبيت رثم ، والقادسية والزراعة والسعدية . كما اشار في

مادتي الخازر والزاب عن قرى اخرى مثل اربون وباشزى<sup>(٢٥)</sup> . و اشار الى قلعة بشير عند حديثه عند الزوزان<sup>(٢٦)</sup> . ونورد هنا نموذجاً لاشاراته العرضية في مادة باعشيقا فعند انتهاء حديثه عنها قال<sup>(٢٧)</sup> : «والى جنبها قرية اخرى كبيرة ذات اسواق وبساتين متصلة» ولم يُسمِ باقوت هذه القرية ، وقد اراد بها قرية «باحزاني» المتصلة اليوم ببلدة باعشيقا .

ثانيا : مشاهدات باقوت في ريف الموصل :

يتضح من خلال دراسة حياة باقوت الحموي ، ومتابعة بلدانه التي اوردتها في معجمه عن ريف الموصل ، عمق الصلة التي ربطته بكثير من تلك البلدانيات ، وذلك من خلال زيارته للموصل ومروره بها ، مرات عديدة جيتة وايابا من الشام الى اواسط اسيا ، كما انه كان على اتصال مباشر بريف الموصل ، من خلال مشاهداته لكثير من قرى وبلدان الموصل ، علاوة على كثير من مواضعها وجبالها وانهارها واديتها لذا جاءت مادته عن الموصل وريفها ، جامعة بين مشاهداته وملاحظاته وسماعاته ، ومشاهدات وملاحظات وسماعات مؤرخين وبلدانيين سبقوه في ميدان التأليف ، حيث ادخل جوانب بلدانية ومعلوماتية متنوعة في معجمه ، وهذا التنوع والشمول نجده واضحا في الجوانب الزمانية والموضوعية ، خصوصاً عندما كان يتهيا لباقوت رصيداً من المعلومات عن البلدان الرئيسة والمشهورة . وخاصة التنوع والشمول نجدها واضحة عند حديث باقوت عن مدينة الموصل حيث قال<sup>(٢٨)</sup> : «المدينة المشهورة العظيمة ، احدى قواعد بلاد الاسلام ، قليلة النظر كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رقعة ، فهي محط رحال الركبان ، ومنها يقصد الى افريجان ، وكثيراً ما سمعت ان بلاد الدنيا ثلاثة : نيسابور لانها باب الشرق ، ودمشق لانها باب الغرب ، والموصل لان القاصد الى الجهتين قل ما لا يمر بها ، ويتابع باقوت سماعته بما كان يجده في مصنفات العلماء والادباء كما في قوله<sup>(٢٩)</sup> : «وكثيراً ما وجدت العلماء يذكرون في كتبهم ان الغريب اذا اقام في بلد الموصل سنة تبين في بذه فضل وقوة . . . . وما نعلم لذلك سبباً الا صحة هواء الموصل وغذوبة مائها . . . . وليس للموصل عيب ، الا قلة

بساتينها وعدم جريان الماء في رساتيقها ، وشدة حرّها في الصيف وعظم بردها في الشتاء ، فاما ابنتيهن فهي حسنة جيدة ، وثيقة بية المنظر ، لانها تبنى بالنورة والرخام ، ودورهم كلها ازاج وسراديب مبنية ، ولا يكادون يستعملون الخشب في سقفهم البتة ، وقل ما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان الا ووجد فيها .

وتبرز الذقة والحوية في مشاهدات ياقوت عندما يعقد مقارنات بين ما كتبه بعض البلدانين في الحقب السابقة وبين ما كان يلاحظه من خلال زيارته الميدانية لكثير من قرى الموصل .  
فعل سبيل المثال بعد ان ينقل ياقوت مشاهدات احمد بن الطيب السرخسي<sup>(٣)</sup> عند بلدة اذمة ، يُدَوِّن ما يلاحظه اثناء زيارته ، حيث قال<sup>(٤)</sup> : واذمة من ديار ريبة : قرية قديمة اخذها الحسن ابن عمر بن الخطاب التغلبي من صاحبها وبني قصرأ وحصنها . قال احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف في كتاب له ، ذكر فيه رحلة المعتضد الى الرملة لحرب خمارويه ابن احمد بن طولون ، وكان السرخسي في خدمته ، ذكر فيه جميع ما شاهده في طريقه . في مضيق عوده ؛ فقال : ورحل يعني المعتضد من برقيعد الى اذمة وبين المنزلين خمسة فراسخ ، وفي اذمة نهر يشقها ويتخذ الى اخرها . والى صحرائها ياخذ من عين على راس فرسخين منها وعليه في وسط المدينة قنطرة معقودة بالصخر والجص ، وعليه رعى ماء وعليها سوران واحد دون الاخر وفيها رحبات وسوق قدر مائتي حانوت ولها باب حديد ، ومن خارج السور خندق يحيط بالمدينة وبينها وبين السميعة قرية الهشم بن المعتمر فرسخ عرضاً ، وبينها وبين سنجار في العرض عشرة فراسخ انتهى قول السرخسي . واذمة اليوم من اعمال الموصل من كورة تعرف بين النهرين بين كورة البقعاء نصيبين ، ولم تزل هذه الكورة من اعمال نصيبين ، واذمة اليوم قرية ليس فيها مما وصف شيء .  
وضمن السياق الذي سار عليه ياقوت في وصفه لاذمة ، نجده ينقل تفاصيل كثيرة ووافية عند حديثه عن بلدة برقيعد ، من مشاهدات رحلته سبقوه ، ثم يعقب ذلك بما شاهده اثناء مروره بالقرية ، علاوة على ابراده سماعات اخرى ، كان قد تلقاها من بعض مجاورى القرية ، حيث قال<sup>(٥)</sup> : وبليلة في

طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين مقابل باشري ، قال احمد بن الطيب السرخسي : برقيعد بلدة كبيرة من اعمال الموصل من كورة البقعاء وبها ابار كثيرة عذبة وهي واسعة وعليها سور ولها ثلاثة ابواب باب بلد وباب الجزيرة وباب نصيبين وعلى باب الجزيرة بناء لايوب بن احمد وفيها مائتا حانوت . قلت انا كانت هذه صفتها في قرابة سنة ٣٠٠ بعد الهجرة وكان حينئذ عمر القوافل من الموصل الى نصيبين عليها ، فاما الان فهي خراب صغيرة حقيرة واهلها يضرب بهم المثل في اللصوصية ، يقال لص برقيدي وكانت القوافل اذا نزلت بهم لقيت منهم الاسرين ، حدثني بعض مجاوريا من اهل القرى ان قفلاً نزل تحت جدرانها احترازاً وربط رجل من اهل القفل حماراً له تحت ذلك الجدار خوفاً عليه من السراق وجعل الامتعة دونه واشتغلوا بالمس وحراسة ما تباعد عن الجدار لانهم امنوا ذلك الوجه ، فصعد البرقيديون على الجدار والقوا على الحمار الكلايب وانبشوها في برقعته واستاقوه اليهم وذهبوا به ولم يدريه صاحبه الى وقت الرحيل ، فلما كثرت منهم هذه الافاعيل تحببهم القوافل وجعلوا طريقهم الى باشري وانتقلت الاسواق الى باشري وبين برقيعد والموصل اربعة ايام وبينها وبين نصيبين عشرة فراسخ ، ومن برقيعد هذه كان بنو احد التغلبيين سيف الدولة واهله ولكي تكمل الصورة التي اوردها عن برقيعد ، نجده يستعين بعدد من النصوص الشعرية التي قبلت في بعض رؤسائها ، مع ترجمة لبعض اعلامها المبرزين .

وبما يلاحظ في بعض مواد ياقوت البلدانية المتعلقة بريف الموصل ، اشاراته الصريحة والواضحة عن مشاهدتها ؛ حيث قال عن قرية باجبارة<sup>(٦)</sup> : « قرية في شرق مدينة الموصل على نحو ميل ، وهي كبيرة عامرة ، فيها سوق وكان نهر الخوسر قديماً يمر بها تحت قناطرها وهي باقية الى هذه الغاية وجامعها مبني على هذه القناطر رأيتها غير مرة » وقال عن قرية دوغان<sup>(٧)</sup> « قرية كبيرة بين راس العين ونصيبين ، كانت سوقا لاهل الجزيرة يتمتع بها اهلها في كل شهر مرة ، وقد رأيتها انا غير مرة ولم اربها سوق » . كما تظهر دقة الوصف في كثير من المواضع التي ذكرها ياقوت ، وذلك من خلال المعالجة المباشرة لها ، وهذا ما نجده



واضحاً عند حديثه عن وادي الثرثار بقوله<sup>(١)</sup> : «وادي عظيم بالجزيرة ، يمد اذا كثرت الامطار ، فاما في الصيف فليس فيه الا منافع حامية وعيون قليلة ملحة ، وهو في البرية بين سنجار وتكريت ، كان في القديم منازل بكرين وائل ، واختص باكثره بنو تغلب منهم ، وكان للعرب بنو حية وقائع مشهورة ، ولهم في ذكره اشعار كثيرة ، رأيت انا غير مرة ، وتنصب اليه فضلات من مياه نهر الرمّاس ، وهو نهر نصيبين ويمر بالحضر مدينة الساطرون ، ثم يصب في دجلة اسفل تكريت ، ويقال ان السفن كانت تجري فيه ، وكانت عليه قرى كثيرة وعمارة فاما الان فهو كما وصفته .

وليست غايتنا هنا حصر مشاهدات ياقوت في ريف الموصل ، بل ابراز مجموعة من الشواهد ، التي تظهر بوضوح حضوره الفعلي في كثير من بلدان الموصل ومناطقها . فضلاً عن ذلك فان حيوية المادة التي اوردها وحداثتها ، قد جاءت ايضا من خلال تقصي اخبارها ، عن طريق السماع من رجال عصره البارزين ، مع نقله ما كان مألوفاً على السنة الناس . ففي حديثه عن العمرانية قال<sup>(٢)</sup> «قرية كبيرة وقلعة . . . . . والقلعة آلت الى الحراب» وقوله عن دير عبدون<sup>(٣)</sup> «قرب جزيرة ابن عمر وبينهما دجلة ، وقد خرب الان ، وكان من احسن متزهاتها» . وقوله عن دير كوم<sup>(٤)</sup> «قريب من العمادية من بلاد الهكارية ، من اعمال الموصل بالقرب من قرية يقال لها كوم ينسب اليها الدير وهو عامر الى الان» وقوله عن قلعة جرد قيل<sup>(٥)</sup> : «قلعة من نواحي الزوزان . . . . . افاديتها الامام ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن الاتير الجزري» . وقوله عن العفر الحميدي<sup>(٦)</sup> : « . . . . . وينسب اليها جماعة منهم صديقنا الشهاب محمد بن فضلون» . ويمكن متابعة صلة ياقوت ببلدان الموصل ، من خلال ملاحظته تسميات كثير من المواد البلدانية ، وخصوصاً تلك التي تعود الى اصول عراقية قديمة من اشورية وارانمية ، عن طريق تقصي معانيها من بعض سكان تلك المناطق التي مر بها . فعل سبيل المثال قال عن العُمر<sup>(٧)</sup> : «فهو الدير للنصارى» وعن الطور بقوله<sup>(٨)</sup> «وبلسان النبط كل جبل يقال له

طوره» وعن بريشو بقوله<sup>(٩)</sup> «اسم لنهر الخازر الذي بين الموصل واربل» . وقوله<sup>(١٠)</sup> : «واهل نخلا يسمون الخازر بريشوا» ولم ينس ياقوت ما كان يطرأ على تسميات بعض القرى من تغيير فكان يورد ذلك كما في قوله عن قرية كراثا بقوله<sup>(١١)</sup> : «قرية من قرى الموصل بينها وبين جزيرة ابن عمر ، تعرف اليوم بتل موسى ، وكان موسى تركمانياً ولي الموصل من قبل السلجوقية وقتل هناك ودفن على تلها فعرفت بذلك ، وذلك في ايام كربوغا على الموصل» .

هكذا فاننا نجد ياقوت يجمع في منهجه البلداني في غالب الاحيان ، بين حداثة وحيوية المعلومات ، وبين نصوص تاريخية وادبية وجغرافية سابقة ، بعضها يرجع الى عصور متقدمة في سبقتها التاريخي لحق ما قبل الاسلام والعصور الاسلامية الاولى ، فعل سبيل المثال فانه من جملة الخصائص التي رافقت بلدانية ياقوت في مواضيع كثيرة من معجمه ، استخدامه للشواهد الشعرية وتوظيفها خدمة لاغراض البلدانية ، حيث ان استعانة بهذه الشواهد والتي لم يكن يجيئها اعتباطاً ، كما انه لم تضرها ثقافته الواسعة وفوقه الادبي الرفيع ، جاءت شيئاً ملازماً ومكملاً لمنهجه ، من حيث خدمة مواد المعجم فبعد ان ينقل مشاهداته عن احدى عطلات القوافل على طريق الموصل - نصيبين ، يورد اشارة عنها في ادب ما قبل الاسلام حيث يقول<sup>(١٢)</sup> : «قرية كبيرة عامرة على تل عال ، وعندها خان حسن عامر ، واهلها نصارى ، بينها وبين الموصل مرحلتان ، وهي على طريق القوافل رأيتها غير مرة» ، ولما ذكر في الشعر القديم ، قال رجل من بني حُي من النمر بن قاسط يقال له دنار يهجو رجلاً من بني زبيد يقال له خالد :

ايا جبلي سنجار ا هلا دقتما

بركينكا انف الزبيدي اصمعا

لعمرك ما جاءت زبيد لهجرة

ولكنها جاءت ارامل جوعا

وتبكي على ارض الحجاز ، وقد رأت

جرائب خساً من جُدال فاربعاه

ومن اجل ان يكمل ياقوت هذه الصورة الشعرية نجده يستعين بهذه الابيات في مواد بلدانية اخرى ، مثل سنجار كما انه يضيف اليها مقاطع اخرى كانت هي السبب في ذكر الياومات السابقة ، حيث قال في مادة سنجار<sup>(١٠٠)</sup> : «قال ابو عبيدة : قدم خالد الزبيدي في ناس معه من زييد الى سنجار ومعه ابنا عم له يقال لاحدهما صاه وللاخر عويد ، فشرىوا من شراب سنجار ، فحنوا الى بلادهم فقال خالد :

ايا جبلي سنجار ما كنتما لنا  
مقيضاً ولا مشقى ولا متريماً  
ويا جبلي سنجار هلا بكيئنا  
لداعي الهوى مناشئين ادماً  
فلو جلا عوج شكونا اليها  
جرت عبرات منها او تصدعا  
بكي يوم تل المحلبة صاه  
والهى عويداً بثة فتقنما

ثالثاً : الدقة والانفراد وبعض المفوات :

يمكن للباحث الوقوف على كثير من النصوص الصريحة المتعلقة باعمال الموصل وكورها وتبعية كثير من تلك البلدان لامارة الموصل الزنكية ، وذلك من خلال متابعة ياقوت في معجمه كما في قوله عن اردمشت<sup>(١٠١)</sup> : «وهو الان لصاحب الموصل» وقوله عن قلاع<sup>(١٠٢)</sup> «آروخ والقى ويأخوخا : «لصاحب الموصل» وقوله عن قلعة الجديدة<sup>(١٠٣)</sup> : «اسم قلعة في كورة بين النهرين التي بين نصيبين والموصل واكثر ما تكون لصاحب الموصل غالباً» .

كما يقدم ياقوت مادة طية في الجانب الاجتماعي ، وذلك من خلال اشاراته الكثيرة ، الى قبور الاولياء والصالحين ، والادبسة التي يسجل عنها زيارة الناس لها وخروجهم للمتنزهات ، كما اورد نصوصاً عن الحوادث والقصص الغريبة ، لاضفاء المتعة والسرور والاستغراب على نفس القارىء . ومن ذلك قوله عن بلد (اسكي موصل)<sup>(١٠٤)</sup> : «وبها مشهد عمر بن

الحسين بن علي بن ابي طالب» . كما اورد نصوصاً كثيرة عن الاديرة التي يقصدها الناس للشفاء والراحة ومن ذلك قوله عن الدير الاعلى<sup>(١٠٥)</sup> : «انه يبرىء من الجرب والحكة والبثور» واشارته عن بئر في دير باطا<sup>(١٠٦)</sup> لفائدتها في معالجة البهق ، وبجيه الناس الى دير الحب<sup>(١٠٧)</sup> لاجل الصرع ، واشارته الى ضيافة المجتازين بدير باعربا<sup>(١٠٨)</sup> .

وعلاوة على ذلك فقد افصح في ذكر بعض الجوانب الدينية المتعلقة ببعض القرى ، كما في حديثه عن قرية باخذيدا بقوله<sup>(١٠٩)</sup> : «قرية كبيرة كالمدينة من اعمال نينوى ، في شرق مدينة الموصل ، والغالب على اهلها النصرانية» وقوله عن باعشيقا<sup>(١١٠)</sup> : «من قرى الموصل ، وهي مدينة من نواحي نينوى في شرق دجلة ، لها نهر جار يسقي بساتينها وتدار به عدة ارحاء ، وبها دار امارة . . . ولها سوق كبير فيه حمامات قيسارية ، يباع فيها البز وبها جامع كبير حسن له منارة ، وبها قبر الشيخ ابي محمد الرافضي الزاهد وبينها وبين الموصل ثلاثة فراسخ او اربعة واكثر اهلها نصارى» وقوله عن برطلى<sup>(١١١)</sup> : «والغالب على اهلها النصرانية» . كما يقدم اشارات اخرى عن البيع والجوامع والكنائس كما في قوله عن تل التوبه<sup>(١١٢)</sup> : «وهو تل فيه مشهد يزار ويخرج فيه اهل الموصل كل ليلة جمعة» وقوله عن بلدة السن<sup>(١١٣)</sup> : «مدينة على دجلة فوق تكريت ، لها سور وجامع كبير وفي اهلها علماء ، وفيها كنائس وبيع للنصارى ، وعند السن مصب الزاب الاسفل» . ويقدم ياقوت نصوصاً اخرى عن الطوائف التي كانت تقطن في بعض مناطق الموصل كما في قوله عن جبل داسن<sup>(١١٤)</sup> «فيه خلق كبير من طوائف الاكراد يقال لهم الداسنية» وقوله عن الزوزان<sup>(١١٥)</sup> : «اهلها ارمن وفيها طوائف من الاكراد» .

وفي الجانب الاقتصادي نجد اشارات كثيرة الى العيون والابار والبساتين كما في<sup>(١١٦)</sup> : «سنجار وابو مارياتل اعفر وراس العين وباعشيقا وترجل وخبنا وباعناشا ودارا والمراورة ونيربا وواسط وخرستاباد وغرسة والفضيلية والسلامية ، وشار الى قرية باصفرا بقوله<sup>(١١٧)</sup> : «قرية كبيرة في شرق الموصل في لحف الجبل

كثيرة البساتين والكروم ويحيى عنها في وسط الشتاء كما اشار الى برطلة بقوله<sup>(١٣)</sup> «قرية كالمدينة في شرق دجلة الموصل من اعمال نينوى كثيرة الحيرات والاسواق والبيع والشراء يبلغ دخلها كل سنة عشرين الف دينار حراء . . . . ولهم بقول وخس جيد بغسب به المثل وشربهم من الابارة ، علاوة على شهرة السلامة<sup>(١٤)</sup> بالكروم والنخل الكثير ، وشهرة سنجار<sup>(١٥)</sup> بالنخل والترنج والتارنج ، ومناطق شرملة<sup>(١٦)</sup> بحب الرمان الشوشي وقلمة هرور<sup>(١٧)</sup> بالعسل .

وقد اورد ياقوت نصوصاً كثيرة عن اسواق الموصل وقسارياتها فعل سبيل المثال كان لباعشيقا<sup>(١٨)</sup> سوق كبير فيه قيسارية يباع فيها البز . اما غيفة<sup>(١٩)</sup> فكان يحصل منها ما يزيد على خمسة آلاف دينار من خشب وقصب ومستغل ارض وارحاء . وكانت السلامة<sup>(٢٠)</sup> من اكبر قرى الموصل واحسنها وكان فيها عدة حمامات وقيسارية للبز . كذلك اشتهرت قرى باجبارة<sup>(٢١)</sup> والفضلية<sup>(٢٢)</sup> والس<sup>(٢٣)</sup> باسواقها ايضاً .

وقدم ياقوت اشارات مهمة الى محطات القوافل الرئيسية التي كانت تتوفر فيها خانات المسافرين واحواض المياه ، اضافة الى تزويدها بكثير من حاجيات المسافرين ، لذا كانت قوافل التجارة الرئيسية تجتاز مناطق ريف الموصل . ومن محطات القوافل الرئيسية قرية بلاياذ<sup>(٢٤)</sup> في شرق الموصل التي كانت : «تنزلها القفول وبها خان للسبيل وهي بين الموصل والزاب» كما كانت قرية مرق<sup>(٢٥)</sup> «قرية كبيرة على طريق نصيين من الموصل تنزلها القوافل بينها وبين الموصل يومان» . وكذلك الحال بالنسبة لقرية المراءة<sup>(٢٦)</sup> الواقعة بين واس العين ونصيبين والتي كانت تنزلها القفول .

هكذا نلاحظ ان مادة ياقوت المتعلقة بريف الموصل ، قد جاءت على درجة كبيرة من الدقة والوضوح والانفراد ، في كثير مما اوردته ، كما في اذمة وباجبارة وبازيدى والحازر والسلامية وغيرها . فضلاً عن ذلك فان ياقوت يكاد يكون من القلائل بين اهل التصنيف في انفراده باشارات مهمة واساسية الى كثير من نواحي الموصل وقراها مثل : باخديدا وباصفرا وبافكي وبلاباد

وبرطل ويسان<sup>(٢٧)</sup> وبريشو وتل اسقف<sup>(٢٨)</sup> وجبشا<sup>(٢٩)</sup> وشملة ونخلا والتفيعبة<sup>(٣٠)</sup> وباسورين<sup>(٣١)</sup> : فضلاً عن حيوية المادة التي يقدمها في بلدانها اخرى مثل : بارما<sup>(٣٢)</sup> وباشمنايا<sup>(٣٣)</sup> وباعشيقا وبرقيعد وجهينة<sup>(٣٤)</sup> وحديشة<sup>(٣٥)</sup> الموصل وغلبيتا<sup>(٣٦)</sup> ودير متى<sup>(٣٧)</sup> والسلامة والفضلية والمحلية<sup>(٣٨)</sup> وغيرها .

ومن جهة اخرى فان ضخامة مادة المعجم ، قد جعلت بعض مواده البلدانية يتسم بالاختصاص وينقصه الوضوح ، فضلاً عن ان دقته في مادته المجمعة لم تنمعه من الوقوع باخطاء في تحديد مواقع بعض البلدانيات : فعل سبيل المثال : قال عن كفر عزرا<sup>(٣٩)</sup> : «ناحية من اعمال الموصل» وقوله عن حزة<sup>(٤٠)</sup> : «بليدة قرب اربل من ارض الموصل» وهما موضع واحد كان تابعاً لاربيل من الناحية الادارية وذلك في ايام ياقوت الحموي . كما توهم ياقوت حينما جعل رافد الحازر<sup>(٤١)</sup> يصب في دجلة لان الحازر يصب في الزاب الاعلى قبل مصب الاخير بنهر دجلة ببضعة اميال . كما ان تحديده لموضع قلعة اردمشة<sup>(٤٢)</sup> بعبد عن الدقة ، حين جعلها من قلاع جزيرة ابن عمر على جبل المجودي ، اي داخل حدود تركيا حالياً ، والصحيح ان هذه القلعة تقع ضمن حدود العراق الاقليمية على سفوح الجبل الابيض في ناحية السليمانية التابعة لمحافظة دهوك . وقال ياقوت عن قرية لك<sup>(٤٣)</sup> : «قرية قرب الموصل من اعمال نينوى في الجانب الغربي» حيث يظهر الارتباك واضحاً في هذا النص اذ المعروف ان اعمال نينوى تقع في الجانب الشرقي من الموصل . وبما يؤيد ذلك قول ياسين العمري<sup>(٤٤)</sup> «اللك عامرة واهلها مسلمون وهي وقف نبي الله يونس عليه السلام» كما ان هذه القرية موجودة اليوم ضمن قرى قضاء الحمدانية<sup>(٤٥)</sup> ، وبقايا اثار اللك القديمة التي ذكرها ياقوت تقع عند القرية الحالية .

ومن بين هفوات ياقوت او هفوات النساخ والمحققين اشارة تتعلق بقلعة علوس<sup>(٤٦)</sup> تجمعها من قلاع ناحية الارزن . وهو خطأ واضح لان علوس من قلاع نواحي الزوزان ، التابعة للموصل . كما نجد عدم توفر الدقة عند تحديد موقع دير الخنافس<sup>(٤٧)</sup> على الرغم من ان ياقوت قد نقل هذا النص من

ديارات الخالدي ، حيث جاء في المعجم وقال الخالدي : هذا الدير بغربي دجلة على قمة جبل شامخ والجدير بالذكر ان هذا الدير يقع شرق دجلة على قمة جبل عين الصفرة ، على يسار الطريق المؤدي الى اربيل من جهة الموصل ، واثار هذا الدير شاخصة على قمة الجبل .

ان ما اوردها من هفوات تخللت بعض بلدانيات المعجم المتعلقة بريف الموصل . امر طبيعي بالنسبة الى جهد عظيم مثل معجم البلدان ، كما ان هذه الاخطاء وغيرها في مواضع واقاليم اخرى تطرق الى ذكرها المعجم ، لا تقلل من الاهمية الكبيرة التي يتمتع بها معجم ياقوت ، لان جانباً كبيراً من تلك الاخطاء ، لا يمكن عزوها الى ياقوت نفسه ، بل الى بعض النساخ الذين كانت تعوزهم الثقافة والخبرة والدربة ، علاوة على المحققين والناسخين الذين يتحملون مسؤولية كبيرة ، في ضبط النص والتعليق عليه واثبات الصواب في اصل النص ، وتكوين ما هو غلط او ضعيف في الهامش ، اللهم الا اذا كانت النسخة بخط المؤلف . وينطبق هذا القول على معجم البلدان لان الكتاب قد حقق منذ زمن بعيد ، حيث طبعه المستشرق الالماني وستفولد بين عامي ١٨٦٧ - ١٨٧٣ م ، اي في وقت لم تكن ادوات التحقيق وضبط النص قد اكتملت بعد<sup>(١)</sup> . كما ان بعض دور النشر التجارية قد تلقت طبعة وستفولد ، فجردتها من جميع الهوامش والتعليقات والفهارس . وعلى اية حال فان الاخطاء التي وردت

في معجم ياقوت ، تبقى محدودة جداً ، اذا ما قورنت بالاطخطاء الكثيرة ، التي تخللت كتاب «معجم ما استعجم»<sup>(٢)</sup> لابي عبد الله البكري الاندلسي ، الذي لحقه الكثير من التصحيح علاوة على ان الاخير يفتقد الى عنصر الموازنة التي نجدها في معجم ياقوت . وبذا يمكن القول ان فن المعاجم قد وصل الى درجة كبيرة من النضج والارتقاء على يد ياقوت الحموي الذي حفظ لنا من خلال معجمه مادة هامة في محيط المعرفة الجغرافية والتاريخية والادبية ، كما ان اهمية معجم ياقوت لا تقف عند حدود ما اضاف من مادة الى كتب البلدان وما دونه من مشاهدات في اسفاره ورحلاته ، وما امتازت به مادته من تنوع وشمول ؛ بل ان بعضاً من تلك الاهمية يكمن في حفظه لكثير من الشذرات المتعلقة ، بكتب الرحالة والبلدانيين عن لم تصل البنا كتبهم . واخيراً لابد من القول ، انه بعد دراستنا للمواد البلدانية ذات العلاقة بالموصل وبلدانيها في هذا المعجم ، يمكن متابعة وتشخيص البلدانيات ، التي لم يرد ذكرها فيه ، وتلك مسألة على غاية من الاهمية ، وهي كثيرة جداً ، لذا سنحاول في دراسة لاحقة ، القيام باستدراك عليها . كما اننا بدراسة مواد المعجم الموصلية ومستدركها ، يمكن الوصول الى مجموعة من الحقائق التي توضح ، مقدار التغير الذي طرأ على بلدان الموصل وتسمياتها ، ونشاط تلك البلدانيات في حقب العباسيين المتأخرة ، ومقارنة ذلك بحقب السيطرة الاجنبية اللاحقة ، وهذا ما ستناوله في دراسة اخرى ان شاء الله .

## الهوامش والمصادر

- ١ - ينظر نص الرسالة في : وفيات الأعيان ، ١٣٠/٦ - ١٣٩ . وكذلك اشارة عنها في : اتياء الرواة ، ٧٨/٤ .
- ٢ - اتياء الرواة ، ٧٨/٤ .
- ٣ - تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ٣٣٥/١ .
- ٤ - تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ٣٣٥/١ .
- ٥ - تم حصر المواد البلدانية المذكورة اعلاه والمتعلقة بالموصل من قبل الباحث

٧ - ذكرها ياقوت في موضع آخر ينظر : معجم البلدان (بلط) ، ٤٨٤/١ .  
ويطلق عليها في الوقت الحاضر (اسكي موصل) اي الموصل القديمة وينظر عنها في اللغة النعمانية : عبد الله السويدي سيرته ورحلته د . صداد عبد السلام رؤوف (مشهد - ١٩٨٨) ص ١٠٠ . الموصل في القرن الثامن عشر حسب مذكرات

١ - ولد ياقوت في حدود سنة ١١٧٩/٥٧٥ م وعاش شرطاً كبيراً من حياته الاولى ببغداد ، وبسبب اشتغاله بالتجارة فقد انتقل في ارجاء واسعة من الشرق الاسلامي وقيل وفاته بمصر سنرات ، استقر في حلب صارفاً اكثر وقته لانتاج معجمه البلدان ، مع العمل في التجارة بين الشام ومصر . ينظر : ترجمته القصص : تاريخ اربيل لابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) تحقيق د . سامي الصغار (بيروت - ١٩٨٠) ، ٣١٩/١ . اتياء الرواة على اتياء النحلة لجمال الدين ابن الفسطي (ت ٦٤٦هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (دار الكتب المصرية ١٩٥٠ - ١٩٥٥) ، ٧٥/٤ .

وفيات الاعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) تحقيق د . احسان عباس (بيروت دار صادر ، ١٩٧٧) ١٢٧/٧ تاريخ الادب الجغرافي العربي لكراتسوفسكي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، (القاهرة - ١٩٦٣) ، ٣٣٥/١ .

دوبنيكو لاتزا ترجمه عن الايطالية الفس ووفاتيل بيدايو (بسطريك حاليًا) ،  
(الموصل) ١٩٥٣ ، ص ٢٣ .

٨ - معجم البلدان ٣٢٧/١ وترد في بعض المصادر بصيغة (بوشرة) ينظر :  
مفرج الكروبي ، لابن واصل ، الجزء الثالث ، بتحقيق د. جمال الدين الشيال  
(القاهرة - دار الفلم) ص ١٥٦ كما توهم بعض الكتاب المحدثين بحسبها بشري  
ينظر الايوبيون في شمال الشام والجزيرة د. محمود ياسين التكريتي ، (دار  
الرشيد - ١٩٨١) ، ص ١٤٨ .

٩ - معجم البلدان ٣٣١/٣ .

١٠ - معجم البلدان ، ٤٨/٤ ، حيث قال عنها ياقوت (بليلة من اعمال  
نصيبين في بطن الجبل الشرف عليها المصل بجبل الجودي) ومنطقة جبال طور  
عبدن كانت تضم حوالي (١٥٠٠) قرية وهي محصورة بين مدن جزيرة ابن عمر  
ونصيبين وسمرت وماردين وديار بكر وانحص بالسكن فيها الاقوام الارامية منذ  
عصور ما قبل الميلاد .

١١ - ذكرها ياقوت في موضع آخر بصيغة (قصور خيرين) ينظر : معجم  
البلدان ، ٣٦٦/٤ .

١٢ - قال عنها ياقوت : «قرى على زاب الموصل يقال لها الزابات» ينظر :  
معجم البلدان ، ١٢٢/٣ .

١٣ - موضحان يحملان هذا الاسم الاول قرية بين تكريت والموصل وهي اول  
اعمال الموصل من جهة الجنوب ، والثاني قلعة حصينة في جبال الموصل تعرف بحفر  
الحميدي . ينظر معجم البلدان ، ١٣٦/٤ .

١٤ - ذكرها ياقوت في موضع آخر بصيغة (باقردي) وهذا هنا كورة في شرق  
دجلة من نواحي جزيرة ابن عمر ، ينظر : (بازيلدي) ، ٣٢١/١ .

(باقردي) ، ٣٢٦/١ وينظر ايضا (فردى) ٣٢٢/٤ .

١٥ - هي ناحية الزمار التي كانت تبعد عن الموصل مسافة ٨٠ كم في جهاتها  
الشمالية الغربية . وبسبب وقوع البلدة ضمن حوض بحيرة سد صدام . لقد  
شدت بلدة زمار الحديثة خارج نطاق حوض البحيرة . ينظر عن اختيار هذه البلدة  
في الحقبة العباسية : الكامل في التاريخ لابن الاثير (بيروت دار صادر ١٩٦٦) ١١/١١ ، ١٧/٥ وليات الاحيان ، ٢٠٧/٥ ، مفرج الكروبي ، ١٥٧/٣ .

١٦ - ذكر ياقوت لهما يخص ولف الموصل قربتين بهذا الاسم احدهما تقع في  
شرق دجلة تبعد عن الموصل مسافة ميلين والاخرى قرية بنواحي الفرج في غرب  
الموصل ينظر معجم البلدان ، ٣٥٣/٥ . ومن الاولى ايضا الميون والحداق ،

المؤلف مجهول ، بتحقيق حسر السبيدي ، (دمشق - ١٩٧٣) ، ٣٦٧/٢/٤ .  
والكامل في التاريخ ، ٣٠٩/٧ . وعن الثانية ينظر ايضا : المشترك وصفًا والمفترق

صفًا ، لياقوت الحموي ، تحقيق وستفيلد ، (فونتنن - ١٨٤٦) ، ص ٤٣٣ .

١٧ - قال عنها ياقوت وهي ناحية من غربي الموصل ، معجم البلدان ٣١٠/٢

١٨ - ذكرها في موضع آخر بصيغة (كليمفر) ينظر معجم البلدان ، ٥٤/٢ .

وهي مركز قضاء تلغفر حاليًا .

١٩ - ذكرها ياقوت بقوله : «ومن فلاح البيخبة الكرامه من ناحية الارزن»  
معجم البلدان ١٤٧/٤ مستندًا في ذلك على ابن الاعرابي ، وهي ليست من نواحي

الارزن وانما من نواحي الزوزان ينظر الكامل في التاريخ ، ١٥/١١ .

٢٠ - ورد في معجم البلدان مصحفًا بصيغة (باغوث) والمصحح كما اورده

اصلاء ينظر ٥٠٠/٢ ، وتعني كلمة باغوث في الارامية السطلب والسلدع  
والانتلس . وكان يقع شمال بلدة زمار بـ ٢٠ كم ينظر عنه : الدبورة لايثو حدناق  
البحري نقله الى العربية بولس شينغو (الموصل - ١٩٣٩) ، ص ٣١ .

٢١ - ذكره ياقوت في موضعين آخرين بصيغة (دير ما نخايل) و (دير

مخايل) ينظر : ٥٣١/٢ ، ٥٣٨/٢ .

٢٢ - ذكره المقنعي الشامي بقوله : «يحمل اليه من حفة كلب فيلم عند  
رعيته لحسن يومًا فيبرأ باذن الله ينظر احسن التقاسيم ، (لندن - ١٩٠٩) ص  
١١٩ .

٢٣ - ذكره ياقوت في موضع آخر تحت اسم (توبة) ينظر معجم البلدان ،  
٥٥/٢ .

٢٤ - قال ياقوت في معجمه : «ولجار ايضا : جبل من اعمال شرقي  
الموصل» ٩٤/٢ . وهي سلسلة جبال كارة المحصورة بين سلسلة جبال عفرة  
وسلسلة جبال متينة .

٢٥ - ذكر ياقوت ضمن هذه المادة ، احد روافد نهر دجلة الذي يمر من مدينة  
زاجو باسم (غابور الحسنية) ينظر : ٣٣٤/٢ .

٢٦ - قال ياقوت الحدياد : «اسم لمدينة الموصل سميت بذلك لا حداثا في  
دجلتها واهوجاج في جريها» معجم البلدان ، ٢٢٧/٢ .

٢٧ - ذكر ياقوت راوند بقوله : «قال بعضهم : وراوند مدينة بالموصل قديمة  
معجم البلدان ، ١٩/٣ .

٢٨ - محلة كبيرة في وسط مدينة الموصل ينظر معجم البلدان ، ٤٤٧/٢ ،  
وفي هذه المحلة كان رباط مجد الدين ابن الاثير ينظر وليات الاحيان ، ١٤٣/٤ .

٢٩ - قال ياقوت «ويعرف بمرج ابي عبيدة : عن جانبها الشرقي موضع بين  
الجبال في منخفض من الارض شبه بالخور فيه مروج وفري ولاية حسنة واسعة  
وعل جباله فلال» معجم البلدان ، ١٠١/٥ .

٣٠ - ينظر معجم البلدان ، ٣٢٦/١ .

٣١ - ينظر معجم البلدان ، ٣٣٧/٢ ، ١٢٣/٣ .

٣٢ - ينظر معجم البلدان ، ١٥٨/٣ . وتقع مناطق الزوزان في الوقت  
الحاضر في العراق وتركيا شمال بلدة الصمانية وفي منطقة حكاكي تركيا .

٣٣ - ينظر معجم البلدان ، ٣٢٤/١ .

٣٤ - ينظر معجم البلدان ، ٢٢٣/٥ .

٣٥ - ذكر ابن قتيبة الدهوري : «قال الاصمعي ... ومن اقام بالموصل عامًا  
ثم تنقل قوته وجد فيها فضلًا» . ينظر حيون الاخبار ، (القاهرة دار الكتب  
المصرية - ١٩٦٣) ، ٢١٩/١ . وينظر النص المذكور في المتن (مادة الموصل) في

معجم البلدان ٢٢٣/٥ .

٣٦ - كان السرخسي من المقرين للخليفة العباسي المعتضد اشتهر بمصنفاته  
الكثيرة وتوفي سنة ٢٨٩ هـ ينظر التضاصيل عنه : الفهرست لابن النديم ، تحقيق

رضا محمد ، (طهران - ١٩٧١) ، ص ٣٢٠ . معجم الادباء لياقوت الحموي ،

(بيروت - دار احياء التراث العربي) ، ٩٨/٣ .

٣٧ - معجم البلدان ١٣١/١ . ولا يعرف موضعها اليوم وكانت تقع شمال  
بلدة الزمار بالقرب من الحدود العراقية السورية ينظر عنها : فتح البلدان

للبلاذري تحقيق صلاح الدين المنجد (مطبعة لجنة البيان العربي) ٢١٣/١ ،

الجدد ، لمصر من على الطبرهاتي (روما - ١٨٩٦) ص ١٠٣ احسن التقاسيم ، ص

١٣٩ ، صورة الارض ، ص ١٩٩ .

٣٨ - ينظر : معجم البلدان ٣٨٧/١ ، ذكرها ابن حوقل النصيبي بقوله :

«مدينة كثيرة الزرع من الحفلة والشعير ، يسكنها بنو حبيب قوم من تغلب وفيها  
منقوش لبي السبل ، وفي اهلها بعض شر لاهم في سنخ بني حدان ، وشرب اهلها

من الابار وليس بها بستان ولا كرم صورة الارض ، ص ١٩٩ . وينظر عنها

ايضا : تاريخ الموصل للزليدي ، ص ٣٥٠ ، الكامل في التاريخ ، ٦٠٩/٨ ،

حوادث سنة ١٥٩٩ هـ ، الرض المظفر للمعبري ، تحقيق احسان عباس (بيروت دار القلم ١٩٧٥) ص ١٦ . وقد ذهب صاحب خطط الموصل الى انه قد شيد حل اقتاضها قرية ابو وجدة الحالية وهو رأي يبعد عن الصواب لان قرية ابو وجدة لا تبعد عن الموصل اكثر من ٥٠ كم اي ليس اكثر من (١٢) فرسخ بمقياس تلك العصر ، بينما ذكر قدماء ابن جعفر ، ان برقميد كانت تبعد (٢٠) فرسخاً عن الموصل ينظر : الحراج وصفة الكتلية القديمة بن جعفر ، بتحقيق محمد حسين الزبيدي (بغداد ١٩٨١) ص ١١٢ . او كما قال بالوقت بينها وبين الموصل اربعة ايام اي ان المسافة لا تقل عن ١٠٠ كم ، لذا فان برقميد كانت تقع في نقطة ابعد من بلدة الزمار وغرباً من الحدود العراقية السورية . اما قرية ابو وجدة القرية من قسبة عين زالة ، فهي قرية بلوشايا التي ذكرها بالوقت بقوله : «قرية كبيرة من قرى الموصل قرب بلد من احوال البقعة ينظر معجم البلدان ٣٣٣/١

٣٩- ينظر عنها تاريخ الموصل للزادي ، حوادث سنة ٢٠٨ هـ ، ص ٣٦٥ ، واليسر في تاريخ الدولة الاثنية لابن الاثير ، تحقيق عبد القادر احد طبعات ، (القاهرة ١٩٦٣) ، ص ١٨٨ . ومن بعض تراجمها ينظر : تاريخ اربل ، ١٩٨/١ ، تكملة اكمال الاكمال ، بحسان الدين الصابوني ، تحقيق مصطفى جواد ، (بغداد ١٩٥٧) ، ص ١٥٢ . وكان اهلها خليط من النساطرة والارثوذكس والمسلمين وقد حاربوا الارمن في عهد بنو الدين لؤلؤ ، لتصله عليهم في طلب الاموال ، مما اضطرهم لليل الى صاحب اربل ، مظفر الدين كوكري ، لذا حرص عليهم بنو الدين بجامعات العموية (الزبيدي) ، لهاجوا القرية وغربوها وذلك في سنة ١٢٢٠ م ينظر : نسخة كتاب النفس والقيامة والملايكة ، تأليف موسى بن كيفا ، بنط القس محبوب الباشيبي في آخر شهر ايار من السنة المذكورة ، بالاعتداد على كتاب دلائل الطب ، تأليف اخطاطوس مطوب الثالث بطريق انطاكية وصائر المشرق ، (زحلة - ١٩٦١) ، ص ٣٨٧/١ . وينظر ايضا اماره بنو الدين لؤلؤ ، لسوادي عبد حميد ، (بغداد ١٩٧١) ، ص ٤٨ ، وقد ذهب بعض الباحثين بعيداً في تحديد موقعها ، فقال سليمان الصالح انها كانت تقع قرب قرية بارجة الحالية ، ينظر : تحقيقات بلدانية : لكوركيس عواد ، ستل من مجلة سومر ، ١٧ م ، لسنة ١٩٦١ . بينما يرى الصولي ان قرية الجيلة قد شيدت على اقتاضها ينظر : خطط الموصل ، ٨٩/٢ . اما سعيد الديوهجي فقد خلط بين قريتي بانيبارة وبالحضاري ، ينظر : مئة الامياد ، ص ١٦٣ . اقول علاوة على ذلك تحديد بالوقت لما فقد ذكرها عمرو بن مق الطبرهاني بقوله : وهي على جانب نهر دجلة ما بين سور نينوى والموصل ، ينظر : المجلد ، ص ٦٦ .

٤٠- ينظر معجم البلدان ، ٤٨٤/٢ . وتقع اليوم في سوريا ، وينظر عنها ايضاً : شعر الاخطل ، صنعة السكري ، رواية محمد بن حبيب ، تحقيق فخر الدين ليبار ، (حلب - ١٩٧٠) ، ١٧٤/٢ ، الكامل في التاريخ ، ٣٩٤/٤ .

٤١- ينظر معجم البلدان ، ٧٥/٢ . وعن وقائع الزئثار التي اشار اليها بالوقت ينظر : الكامل في التاريخ ، ٣١١/٤ ، حوادث سنة ٧٥٠ هـ ، وكذلك صفحات مخرقة وكثيرة من ديوان الاخطل ، تحقيق الاب انتوان صالحاني ، (بيروت - دار المشرق) .

٤٢- ينظر معجم البلدان ، ١٥٣/٤ ، وينظر عنها ايضاً : تاريخ الموصل للزادي ، ص ٣٢ ، ٨٣ . وتقع بقايا اثار قلعة الممرانية غرب بلدة عفره في قرية كتك الحالية .

٤٣- معجم البلدان ، ٥٢٧/٢ ، وكذلك المشرق وضماً ، ص ١٩٠ .

٤٤- معجم البلدان ، ٥٣٠/٢ . يعني (الدير الاسود) ويقع بالقرب من قرية ميري ، على مسافة ٥ كم شرق العمادية ، على سفوح جبال متينة ، كما يسمى ايضاً دير مار قراخ . والقرية التي اشار اليها بالوقت في المتن ، تسمى اليوم كومان

(المواضع السوداء) وقد افرد بالوقت بذكر هذا الدير ، والقرية ، فيها ينص المصادر العربية خلال الحقب العباسية .

٤٥- معجم البلدان ، ١٢٤/٢ ، وكذلك مادة (زوزان) ، ١٥٨/٣ .

٤٦- معجم البلدان ، ١٣٦/٤ ، وهي مركز قضاء عفره حالياً . وسببت كذلك نسبة الى الاكراد الحميدية ، وينظر عنها ايضاً : الاحلاق المخطوطة ، لابن شداد ، تحقيق ، يحيى عيابة ، (دمشق - ١٩٧٨) ، ٢٢٨/٣ ، تاريخ الدول السرياني ، لابن الصيري ، نشره الاب اسحق لوملة ، في مجلة المشرق (١٩٥١-١٩٥٦) ، ١٩٥٤ ، ص ٤٣٢ .

٤٧- معجم البلدان ، ١٥٤/٤ .

٤٨- معجم البلدان ، ٤٧/٤ .

٤٩- معجم البلدان ، ٤٠٦/١ ، وتعني تسميته الامامية (الراشد الراسي) .

وقد اوردت بعض المصادر قرية باسم (باريتا) او (باريتش) قرية من نهر الحازر ، ينظر : تاريخ الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، (القاهرة - دار للمعروف) ، ٨٦/٩ ، الكامل في التاريخ ، ٢٦١/٤ . وعلى الاخطل فان هذه القرية هي قسبة برقرش الحالية التابعة لقضاء عفره كما ذكر ابن فضل الله العمري ديراً قريباً من هذه القرية باسم (بارتا) وهو المعروف في المصادر السريانية باسم (بريتا) ينظر مسالك الابصار ، تحقيق احمد زكي باشا ، (القاهرة - ١٩٢٤) ، ٣٠٧/١ .

٥٠- معجم البلدان ، ٣٣٧/٢ . اما تتخلل التي ذكرها بالوقت في المتن فكانت ناحية من نواحي مرج الموصل ، شمال سلسلة جبال عفره ، وتعني تسميتها في الارامية السهل او الوادي ويطلق عليها اليوم اسم (علة) . ينظر معجم البلدان ، ٢٦٦/٥ ، كتاب الرسائل لتومسا المرحي ، تحقيق الاب البير ابوتسا ، (الموصل - ١٩٦٦) ، ص ١١ ، ٣٧ ، ٩٢ ، وكذلك

Key, Assyria chronicle (Beyrouth) — Imprimerie chitollique v.1 pp. 304 — 310

٥١- معجم البلدان ، ٤٤٢/٤ ، تسميتها مأخوذة من البصل البصري الاخضر والكراث) وتحفظ القرية اليوم باسمها الذي ذكره بالوقت (تل موسى) وهي تقع على طريق الموصل - عين زالة ، ذكرها ابن الاثير بقوله : وخرج موسى لاستقبال ستمان فلما كان موسى عند قرية كراشا ، وبها عليه علة من خلعان القرويين نسبة الى قوام الدين كروها . فقتلوه ، وماه اقدم ينشأه فضله لهاد اصحابه منزوين ودفن على تل هناك وعرف الان بقل موسى) الكامل في التاريخ ، ٣٣٣/٧ . ويبدو ان القرية خرجت بعد الغزو المغولي . وبقيت كذلك حتى النصف الاول من القرن الثامن عشر الميلادي وقال عنها عبد الله السويدي في رحلته وهو تل حلال مدور ، وحوله عين ماء حذب صاف حار يخرج من تحت الجبل ، وحوله قرية قديمة هي الان خراب ، ينظر عبد الله السويدي ص ١٠٠ .

٥٢- معجم البلدان ، مادة (جندل) ، ١١٢/٢ ، وكانت تقع شمال غرب الموصل على مسافة تصل الى (٦٠ كم) وترجا ابن جبير في رحلته بعد خروجه من الموصل في طريقه الى نصيبين والشام فقال : وبيتنا بقرية كبيرة تعرف بجندل لما حصن منقبة ينظر رحلة ابن جبير ، (بيروت دار صادر - ١٩٦٦) ، ٢١٣ . والى هذه القرية يستتب احمد جثافة التصاري المرووف بابنوها ب الجبلاني المتوفي في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي . ينظر : المجلد ، لمعروبت من الطبرهاني ، ص ٥٢ ، فهرس المؤلفين لميد بشرح الصوري ، تحقيق د. يوسف حبي ، (مطبعة المجلس العلمي العراقي - ١٩٨٦) ، ص ٧٤ ، ادب اللثة الارامية ، الجيرابوتا ، (بيروت - ١٩٧١) ، ص ٢٦٦ . وتقع بقاياها الاثرية ضمن مناطق ناحية العمادية .

٥٣- معجم البلدان ، ٢٦٦/٣ . وابو عبيدة المذكور في النص هو معمر بن

التي البصري ، الذي كان احد نعماء الخليفة هارون الرشيد ، واشتهر بكثرة مصنفاته وتوفي سنة ٢٠٨هـ ، وقيل في غيرها . ينظر ترجمته في : معجم الادباء ، ١٥٤/١٩ . كما ذكر ياقوت ابيات خالد الزبيدي في موضعين آخرين هما : (جدال) و(الحليفة) .

٥٤ - معجم البلدان ، ١٤٩/١ ، وذكرها ياقوت في موضع آخر باسم (كواشي) ينظر معجم البلدان ، ٤٨٦/٤ .

٥٥ - ينظر معجم البلدان : ١٦٢/١ ، ٢٤٦/١ ، ٣١٦/١ .  
٥٦ - معجم البلدان ، ١١٥/٢ ، وينظر عنها ايضاً : الكامل في التاريخ ، ٥١٢/١١ .

٥٧ - معجم البلدان ، ٤٨١/١ ، وينظر ايضاً : الاشارات لمصرفة الزيارات ، للهروري ، تحقيق جاتيت سورميل ، (دمشق : ١٩٥٣) ، ص ٦٨ ، مبل الاولياء ، لمحمد امين المصري ، تحقيق سعيد البوهجي ، (الموصل - ١٩٦٧) ، ٩٤/٢ .

٥٨ - معجم البلدان ٤٩٨/٢ ومن بقايا هذا الدبر كنيسة الطهرة القريبة من قلعة باشطاليا بالموصل وكان هذا الدبر من المراكز المهمة المزمعة في الحطب العباسية للشائرة ينظر عنه : الديارات للشاشي ، تحقيق كوركيس عواد ، (بغداد - ١٩٦٦) ، ص ١٧٦ ، المجلد ، لماري بن سليمان ، (روما - ١٨٩٩) ، ص ١٠٣ ، مسالك الابصار ٢٩٣/١ .

٥٩ - معجم البلدان ، ٥٠٠/٢ ، وينظر ايضاً : الديارات ، ص ٣٠٥ .  
٦٠ - معجم البلدان ، ٥٠٣/٢ ، ويطلق عليه اليوم اسم (دير مار جنام) ، ويقع على مسافة ٣٥ كم جنوب شرق الموصل ، ويعد احد اشهر الدير في العراق اليوم ، حيث تعود معظم آثاره المعمارية الى الحطبة الزنكية التي جدد فيها بناءه على يد النكارة الذين نزحوا الى شرق الموصل في مائة القرن الحادي عشر الميلادي .  
٦١ - معجم البلدان ، ٤٩٩/٢ ، وينظر عنه ايضاً : مسالك الابصار ، ٣٠٠/١ .

٦٢ - معجم البلدان ، ٣١٦/١ ، تعني تسميتها (بيت عطية الله) كما يحتمل هذه التسمية معنى اخرى مثل بيت الحداة او بيت الشيايب او قد تكون مأخوذة من (بيت ديدا) اي (بيت او بين اليهود) ، لوقوعها في منخفض من الارض وساحتها بالطين الازرق ، وقد اطلق عليها اسم (قرا قوش) اي الطائر الاسود في حطبة المصاين ، وهي اليوم مركز قضاء الحمدانية ، يصل تقوسها اليوم الى (١٧.٠٠٠) نسمة ينظر بعض الاشارات التاريخية عنها في تاريخ الدول السرياني ١٩٥٦ ، ١٤١ ، ٣٨٨ ، وتفاصيل كثيرة في : Assyrie chretienne, v.I, p. 430 .

٦٣ - معجم البلدان ، ٣٢٤/١ ، تسميتها ارامية وتعني بيت المظلومين او لثاين ، ترد في بعض المصادر العربية باسم (بالحلق) ، وهي بلدة قديمة تبعد عن الموصل مسافة ٢٥ كم ، وهي اليوم مركز ناحية ، ينظر عنها : احسن التقاسيم ص ١٤٧ ، الكامل في التاريخ ، ٥٥٣/٧ .

٦٤ - معجم البلدان ، ٣٨٥/١ ، تسميتها ارامية وتعني بيت الطفل او بيت الظل او مصنع الاطفال والاوزان ، ترد في بعض المصادر باسم (باتي) وهي اليوم مركز ناحية ، تبعد عن الموصل مسافة (٢٠ كم) ينظر عنها : تاريخ الموصل ، للزبيدي ، ص ٢٨٧ ، الكامل في التاريخ ٢٢٩/٤ ، تاريخ الدول السرياني (١٩٥٦) ص ١٤٠ ، Assyrie chretienne, v.I, p. 418 ٣٨٦ .

٦٥ - معجم البلدان ، ٤١/٢ .  
٦٦ - معجم البلدان ، ٢٨٦/٣ ، وينظر عنها ايضاً : تاريخ الموصل للزبيدي ، ص ٢١٩ ، للشرك وضماً ، ص ٢٥٨ ، الكامل في التاريخ ، ٣٥٤/٥ ، ١٤٤/٩ ، ١٨٩/٧ ، ٥١/١٠ ، المجلد ، لماري بن سليمان ، ص

٧٨ ، ١٣٠ ، المجلد ، لمعروفين عن ، ٧٣ ، ٩٤ .

٧٧ - معجم البلدان ، ٤٤٧/٢ ، وتسميتها ارامية وتعني المدو او المنض المشب والمرعى .  
٧٨ - معجم البلدان ، ١٥٨/٣ ، وتسميتها كرمية وتعني المناطق ذات

٧٩ - معجم البلدان ٢٦٢/٣ ، ٥١١/١ ، ٣٩٩/٢ ، ١٣/٣ ، ٣٢٤/١ ، ٢٢٢/٢ ، ٢٨١/٢ ، ٣٢٥/١ ، ٤١٨/٢ ، ٩٦/٥ ، ٣٥٣/٥ ، ٣٣٠/٥ ، ٢٣٤/٢ ، ٢٦٧/٤ ، ١٩٣/٤ ، ٣٥٨/٢ .

٧٠ - معجم البلدان : ٣٢٤/١ ، وتقع في لطف جبل صين الصفرة على مسافة ٢٥ كم عن الموصل ينظر عنها ايضاً : تاريخ الدول السرياني ، (١٩٥٤) ، ص ٤٣٩ ، (١٩٥٦) ، ص ٣٩٢ .

٧١ - معجم البلدان ، ٣٨٥/١ .

٧٢ - معجم البلدان ، ٣٢٤/٣ ، تقع قرية السلامية على مسافة ٣٠ كم شرق الموصل ، وهي من قرى قضاء الحمدانية اشتهرت في حطبة المباسين المتأخرة ينظر : الكامل في التاريخ ، ٢٢١/٨ ، ١٢/٢ ، ٣٤٥/١٢ ، مئة الادياء ، ليسين العمري ، تحقيق سعيد البوهجي ، (الموصل - ١٩٥٥) ، ص ١٥١ ، خطط الموصل ، ٩٠/٢ ، تحقيقات بلدانية ، ص ٤٣ .

٧٣ - معجم البلدان ، ٢٦٢/٣ ، ينظر تفاصيل والية عن تاريخها في كتاب الاعلاق الخفيرة ، ١٥٤/٣ ، ٢١٢ .

٧٤ - معجم البلدان ، ٣٣٨/٣ ، هي قرية شرمن او شرمل الحالية وتقع بين حفرة والشوش ، ضمن ناحية العشار السبعة ينظر عنها في : Assyrie chretienne, v. I, pp. 280 — 283 .

٧٥ - معجم البلدان ٤٠٣/٥١ ، وينظر ايضاً ، الكامل في التاريخ ، ٢٦٩/٨ ، ١٤/١١ ، ٤٤٤/١٢ ، وقرية هرود تقع في نواحي بروراي بالا في قضاء المصانية ، ويبلغ نفوس القرية في احصاء ١٩٥٧ ، (٨٢٥) نسمة ينظر : المجموعة الاحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧ (سكان القرى) اصدار وزارة الداخلية - مديرية النفوس العامة - (بغداد - ١٩٦١) ، ص ٤٦ .

٧٦ - معجم البلدان ، ٣٢٤/١ .

٧٧ - معجم البلدان ، ٢٢١/٤ ، كانت تقع ضمن مناطق مرج الموصل ينظر الدبورة ص ٥٦ وينظر ايضاً احسن التقاسيم ، ص ١٩٧ ، وذكر الصوري انه ربما هذه الناحية ما تسميها اليوم ناحية السورجية ضمن قضاء حفرة ينظر : خطط الموصل ، ١١١/٢ .

٧٨ - معجم البلدان ، ٢٣٤/٣ .

٧٩ - معجم البلدان ، ٣١٢/١ .

٨٠ - معجم البلدان ، ٢٦٧/٤ ، هي قرية الفاضلية اليوم وتقع على مسافة (٢٥ كم) عن الموصل على طريق الشيخان . جاء في كتاب ترجمة الاولياء ، ص ١١٢ . عن الشيخ فضل : دله مشهد قديم في قرية من قرى الموصل تسمى بلسه ويرى الصوري ان قرية الفضلية هي قرية الزراعة او رأس الناهور ينظر خطط الموصل ١٠٣/٢ .

وذكر ياقوت عين الزراعة في مائة خرساباذ بقوله وقرية في شرق دجلة من اعمال نينوى ... شربا من فضل مياه رأس الناهور المسى بالزراعة معجم البلدان ، ٣٥٨/٢ ، وشار إليها الزويبي عند ذكره له عين رأس الناهور حيث قال : وبشرقي الموصل عين في قرية تسمى زراعة لها عين فواراة خزيمة الماء ينظر عجائب المخلوقات (بيروت - ١٩٨١) ص ٢٣٠ .

٨٢ - معجم البلدان ، ٤٧٦/١ ، ترد في بعض المصادر السريانية باسم

بأعولتا : أي موضع الأصنام من الأصل الآشوري (أسكر بعل) ثم حُرقت إلى بلايذ ، أي موضع بعل لأن (بازا أو أباد) الفارسية مأخوذة من (بيت) الآرامية وهي قرية بلاوات الحالية التي تقوم على نل الثري يعود إلى أيام الآشوريين وهي تقع شرق باعديدا (مركز قضاء الحمدانية) ينظر عنها أيضا : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة (بلايذ) ، طبعة الشتاوي ، ٥٦/١ .

٨٣- معجم البلدان ، ١٠٩/٥ ، وتسمى اليوم تل موك وتقع على طريق الموصل - ربيعة .

٨٤- معجم البلدان ، ٩٢/٤ .

٨٥- معجم البلدان ، ٥٢٨/١ ، وهي ضمن قضاء تلكيف حالياً .

٨٦- معجم البلدان ، ٣٩/٢ ، وتعي تسميتها التل المرتفع وهي تقع ضمن قضاء تلكيف .

٨٧- معجم البلدان ، ١٠١/٢ ، وتعني تسميتها (الجين من الآلبان) .

٨٨- معجم البلدان ، ٢٩٧/٥ .

٨٩- معجم البلدان ، ٤٢٥/٥ .

٩٠- معجم البلدان ، ٣٢٠/١ ، وينظر عنها أيضاً دائرة المعارف الإسلامية

ملحة (بارما) .

٩١- معجم البلدان ، ٣٣٣/١ .

٩٢- معجم البلدان ، ١٩٤/٢ .

٩٣- معجم البلدان ، ٢٣٠/٢ .

٩٤- معجم البلدان ، ٣٨١/٢ ، تسميتها أرامية وتعني اللبن أو الحليب أو الحفل الخصب .

٩٥- معجم البلدان ، ٥٣٢/٢ .

٩٦- معجم البلدان ، ٦٣/٥ .

٩٧- معجم البلدان ، ١١٦/٤ .

٩٨- معجم البلدان ، ٢٥٦/٢ ، كانت حزة في المصو والمباسة الأولى من

أصل الموصل ، حيث ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ١٠٥٠هـ ذلك بقوله : من أعمال الموصل الكامل في التاريخ ، ١١٩/٥ ، ثم أشار إليها في حوادث سنة ٢٥٤ بقوله : من أربل اليوم ، الكامل في التاريخ ، ١٨٨/٧ .

٩٩- معجم البلدان ، ٣٣٧/٢ .

١٠٠- معجم البلدان ، ١٤٦/١ ، وتسمى أيضاً (كواشي) ، ذكرها ابن

الأثير بقوله : « من أحسن فلاح الموصل وأعلاماً واستمعها الكامل في التاريخ ،

٣٩١/١٢ وعن موقعها الأثيري ينظر : المواقع الأثرية (تل كواشة) ص ٢٧٠ أضيابة

١٣٤٧ .

١٠١- معجم البلدان ، ٢٢/٥ .

١٠٢- منية الأدباء ، ص ١٦٣ .

١٠٣- ينظر : موضع (تل عتي) في قرية اللك ضمن المواقع الأثرية لقضاء

الحدادية في الأحوار الآشورية . المواقع الأثرية ص ٢٣٧ أضيابة ١٥٦ .

١٠٤- معجم البلدان ، ١٤٧/٤ ، وفي مادة زوزان ينظر عن ابن الأثير ،

ويذكر حلوس من بين فلاح الزوزان ، ينظر معجم البلدان ، ١٥٨/٣ .

١٠٥- سمي بدير الخنافس لظهور طلسم غريب له وهو أن في كل سنة

ثلاثة أيام تنسود حيطلة وسقوله من الخنافس الصغار اللواتي كانتل فلذا انتفخت

تلك الأيام لا يوجد في تلك الأرض من تلك الخنافس واحدة البتة ، فلذا علم

الرهبان بمجي تلك الأيام أخرجوا جميع ماظم فيه من فرش وأثاث وغير ذلك هرباً

من الخنافس فلذا انتفخت الأيام عاندا قلت أنا (بالوت) وهذا شيء رأيت من لا

أحصى يذكره ولم أر له منكر في تلك الديار والله أعلم .

معجم البلدان ، ٥٠٨/٢ .

١٠٦- تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ٣٣٦/١ .

١٠٧- ينظر مصادر البكري ومبجبة الجغرافي ، لعبد الله يوسف النقيب ،

(القاهرة - مطبعة المنشي ، ١٩٧٤) ، ص ١٦٣ .

\* \* \*

**في زمن تياسي هررنا الفاو مدينة الفداء وبوابة النهر  
العظيم... في زمن تياسي اعدنا بناءها.**



# «العراق في رحلة ابن جبير خاصة» ورحلات العرب الاخرى

دراسة  
د. علي محسن عيسى مال الله

كلية الشريعة - جامعة بغداد

ابن جبير

٥٤٠ - ٦١٤ هـ

حياته ونشأته :-

هو محمد بن احمد بن جبير بن محمد جبير بن سعيد بن عبد السلام بن جبير الكناشي الداخل الى الاندلس في محرم سنة ثلاث وعشرين ومائة وكان نزوله بكورة شذونة. (١) وهو من ولد ضمرة ابن كنانة بن بكر بن عبد مناة بن خزيمه بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، بلنسي؟ نزل ابوه شاطبة (٢) ثم استوطن هو جيان، (٣) ثم غرناطة، ثم فاس، فالاسكندرية، واقام اثناء ذلك بسبته (٤)، ومالقة (٥) وغيرهما حسبما اقتضته الاحوال وقد كان ابوه احمد من كتاب شاطبة، ورؤسائها. وله منزلة اجتماعية مرموقة. واراد هذا الاب ان يصوغ ابنه على مثاله فرعاه رعاية تامة. فكان له اول استاذ اخذ منه العلم ثم دفع به الى المعلمين المحترفين (٦) نذكر منهم على سبيل المثال ابا الحسن بن محمد بن ابي العيش الذي اخذ عنه القراءات (٧)، واخذ العربية عن ابي الحجاج بن يثما بن يسعون، واخذ العلم بسبته عن ابي عبد

الله بن عيسى التميمي السبتي. واجاز له ابو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدبائع. وعندما بلغ - ابن جبير - السن التي يستطيع فيها ان ينفرد بحياته، ويضطلع باعبائها، احترف الكتابة، فعمل لبعض الامراء من الموحدين الذين كانوا يسيطرون على الاندلس، والمغرب في ذلك الوقت، وكان اشهر من اتصل به - ابن جبير - هو ابو سعيد عثمان بن عبد المؤمن الذي كان والياً على ولايتي سبته/وطنجة سنة ٥٤٩ هـ. ولم تقتصر حياة ابن جبير على الكتابة وحدها بل مارس التدريس في فاس فكان منقطعاً الى اسماع الحديث، والتصوف وتروية ما عنده (٨).

ولما قام برحلاته المعروفة التقى بأ كبار العلماء كابن الجوزي في بغداد، وصدر الدين محمد بن عبد اللطيف الخجندي رئيس الشافعية باصصهان، وكثير من العلماء، بمكة/دمشق، وقد شهدوا له جميعاً بالفضيلة، والعلم (٩) اما التلاميذ الذين تأثروا به فهم كثيرون، منهم على سبيل المثال لا الحصر احمد بن عبد المؤمن الشريشي، شارح مقامات الحريري في المغرب (١٠)، والحافظان ابو محمد المنذري/وابو الحسين يحيى؛ علي القرشي بالقاهرة، وفخر القضاة بن الجياب/وابنه جمال القضاة في الاسكندرية. وبعد

جولاته الطويلة في الاقطار الاسلامية التي عصاه في الاسكندرية، فأقام بها يحدث، ويؤخذ عنه الى ان لحق بربه سنة ٦١٤ هـ (١٢١٤ م).

اخلاقه :-

كان ابن جبير على جانب عظيم من المزايا العالية، والخلق الرفيع، فوصفه احدهم، فذكر بانه «كان اديباً، بارعاً، وكاتباً بليغاً، وشاعراً مجيداً، سنياً فاضلاً، نزيه الهممة سري النفس، كريم الاخلاق، اتقن الطريقة في الخط<sup>(١٢٧)</sup>. وينتسب ابن الخطيب فيذكر بانه كان كريم الاخلاق ذا نظم فائق، ونثر بديع، وكلامه مرسل سهل، وتفراغه جليلة، وعلمه ضخمة، وذكره شهر وله حكم مستجاد<sup>(١٢٨)</sup>».

اما صاحب النسخ فيقول :- «كان ابن جبير من اهل المروءات، عاشقاً في قضاء الحوائج، والسعي في حقوق الاخوان، والمبادرة لابتاس الغرباء. وفي ذلك يقول ابن جبير عن نفسه :-

يمسبُ الناسُ باني متعبٌ في الشفاعات وتكليف الدرى  
والسدي يتعبهم في ذاك لي راحة في غيرها لن افكرا  
وبودي لو أقضي العمر في خدمة الطلاب حتى في الكرى<sup>(١٢٩)</sup>  
الحق انه شعور انساني، رجل ينسى ذاته ليدوب في خدمة الناس، وقضاء حوائجهم، حتى يبلغ الحماس عند ابن جبير في امداه المعروف، والعمل الصالح، وبوده ان يخدم الناس حتى في اوقات النوم. انها نفحة انسانية خالصة، تجاوزت الحدود لتضرب للناس امثالاً رائعة، وعبراً قيمة. لذلك نرى بعض الادياب المحدثين يصفه بذلك الرجل «الحازم الوقور» وكيف لا يكون حازماً، وقوراً، وقد نادى باداب الاسلام، تشيع بحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحبه الكرام، والعترة الطاهرة.

نعم لقد كان ابن جبير مؤمناً ناسكاً، متمسكاً بدينه، وعقيدته حتى قيل عنه ان الدعاء «عند قبره مستجاب» وقد «عني بالاداب فبلغ فيها الغاية، وتقدم في صياغة الفريض، وصناعة الكتابة، ونال بها دنياً عريضة، ثم رفضها وزهد فيها<sup>(١٣٠)</sup>» وخلاصة القول في ابن جبير وخلفه انه كان رجلاً، دمث الخلق، رفيع المنزلة، نذر نفسه في حب الخير، ومنع الآخرين

المعطاء الثر، حتى اصبح من الرجال الصالحين الذين يشار اليهم بالبيان، وصار من الأبرار، الاخيار الذين سجلت مآثرهم بمداد من ذهب.

ورحلاته :-

لقد رحل ابن جنبا.

الاولى :- بدأها من غرناطة سنة ٥٧٨ هـ. حيث ادى فريضة الحج سنة تسع وسبعين وخمسمائة، والتقى في الديار المقدسة بنخبة من العلماء، ثم واصل سيره، وبدأ ينتقل من قطر الى اخر حتى وصل الى اصبهان، فالتقى بالعالم الفاضل - محمد عبد اللطيف الخجندي - رئيس لشافعية<sup>(١٣١)</sup> الذي مر ذكره انفاً. وقد اعجب ابن جبير بخلفه، وبعلمه حتى خاطبه قائلاً :-

يا من حواه الدين في عصره صدراً يحمل العلم منه الفؤاد  
ماذا يرى سيدنا المرتضى في زائر يخطب منه الوداد  
لا ينبغي منه سوى أحرف بعثها اشرف ذخر يُفاد  
في رقعة كالصبي أهدي لها يد المعالي مسك ليل المداد  
اجازة يورئنيها العلا جائزة تبقى وتغني البلاد  
بستصحب الشكر خديماً لها والشكر للامجاد اسنى عتاد<sup>(١٣٢)</sup>  
فاجابه الصدر الخجندي :-

لك الله من خاطب خلقي ومن قابس يمتذي سقط زندي  
اجزت له ما أجازوه لي وما حدثوه وما صح عندي  
وكتب هذه السطور التي تراهن عبد اللطيف الخجندي<sup>(١٣٣)</sup>  
لقد طاف ابن جبير طويلاً في هذه الرحلة، وتعرف على كثير من العلماء، والزهاد، الذين مر ذكرهم عند الكلام عن حياته. ثم رجع الى وطنه غرناطة سنة ٥٨١ هـ. «<sup>(١٣٤)</sup>

اما الرحلة الثانية: فقد قام بها عندما شاع الخبر المبهج بفتح بيت المقدس، اليها من غرناطة سنة ٥٨٥ هـ ثم أب اليها سنة ٥٨٧ هـ، وسكن غرناطة، ثم مالقة ثم سبتة، ثم فاس، متقطعاً الى اسماع الحديث، والتصوف وتروية ما عنده، وفضله بديع، وورعه بتحقيق، واعماله الصالحة تذكر.

اما الرحلة الثالثة :- فقد بدأها من سبتة بعد موت زوجته عاتكة ام المجد بنت الوزير اب جعفر الوشحي، وكان كلفاً بها. فمظم وجده عليها، فوصل الى مكة، وجاور بها طويلاً ثم بيت المقدس، ثم تحول بمصر، والاسكندرية، فأقام بها طويلاً الى ان

لحق بربه<sup>(١)</sup> كما ذكرنا سابقاً.

قلت لقد قام ابن جبير بثلاث رحلات قصد فيها جميعاً الحج . وقد وهب الادب العربي مجموعة من اجل ما عرف بها ادب الرحلات، ولم يدون ابن جبير اخبار هذه الرحلات في رحلته المعروفة - بل اقتصرها على الرحلة الاولى وحدها.

خط الرحلة الأولى :-

يحاول الباحث ان يختصر خط رحلته، فلا يذكر الا المدن، وبعض الامكنة التي زارها.

لقد تحرك ركه من غرناطة في اول ساعة من يوم الخميس لثمان خلون من شوال سنة ٥٧٨ هـ، وبدأ يتجول في المدن الاندلسية حتى وصل الى سبتة . وتعدّ سبتة المنطلق الحقيقي لرحلته.

ومن سبتة استقل ابن جبير مركباً اخذ يجوب به عباب البحر ماراً بمدن كثيرة، حتى وصل الى سردانية، وفي سردانية، اصابه اعصار هائل، وبعد تحسن الجو ظهر لهم ساحل صقلية فارسوا فيه . ثم ابهر الراكب الى جزيرة اقريطش، ومنها الى مصر فالاسكندرية . وتعدّ الاسكندرية اول مدينة في رحلته طبق عليها منهجه .

اما المدن، والاماكن السابقة التي مر عليها، فلم يتعرض لها الرجل الا بالتسمية فقط . وقد تكلم عن الاسكندرية، وعن اسواقها، وبنائها، ثم اخذ يتجول في ربوع مصر، فزار القاهرة، وقد طال حديثه عنها . ثم زار قوص، ومنها سلك احد دروب الصحراء الى ان بلغ عيذاب على البحر . وقد اقلع من عيذاب سالكاً طريق البحر حتى وصل الى جُدة، ومنها الى مكة المكرمة، وقد وصفها وصفاً رائعاً، وبعد ان انتهى مناسك الحج في مكة، غادرها الى المدينة المنورة، وقد اسهب في وصف المسجد النبوي الشريف . ثم عاود السير مع الراكب الى العراق، واول مدينة دخلها من مدن العراق هي مدينة الكوفة، ومن مدن المهمة التي زارها في العراق، الحلة، وبغداد وتكريت، والموصل، وقد افاض في وصف بغداد، فوصف مجالس الوعظ التي شهداها، واعجب بها وذكر معلومات ذات قيمة عن الخلافة العباسية والخلفاء . وبعد ذلك وجه ركه نحو الشمال، فمر بمنبج، وحلب، وقنسرين، والحمة، وحماة، وحمص، ودمشق . فقد وصف دمشق، ونعتها بجنة المشرق، وعروس المدن، فقد اولع بها فانافس في الحديث عنها اكثر من اية مدينة اخرى سوى مكة

المكرمة، ثم خرج منها متوجهاً الى عكة، وصور، حيث امتطى مركباً جنوبياً الى الاندلس - وقد لاقى من المتاعب، والصعاب، والاهوال، الشيء الكثير، ماراً بعدة جزر حتى ال به المطاف الى جزيرة صقلية، وقد اطال الحديث عن المسلمين، وعلاقاتهم بالمسيحيين في هذه الجزيرة . ومنها توجه الى الاندلس، واحيراً ادرك قرطاجنة، فهبط بها، ومنها الى غرناطة،<sup>(٢)</sup> وفي ذلك يقول ابن جبير عند وصوله الى المنزل كان ذلك «يوم الخميس الثاني والعشرين لمحرم، والخامس والعشرين لابريل الى المنزل بغرناطة.

فالتقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالاباب المسافر وقال ابن جبير :-

«فكانت مدة مقامنا من لدن خروجنا من غرناطة الى وقت ايابنا هذا عاملين كاملين وثلاثة اشهر ونصفاً، والحمد لله رب العالمين»<sup>(٣)</sup>.

ولايسع الباحث الا ان يتصفح رحلته ليقف على مشاهدته في العراق، والمدن التي وصفها.

- العراق في رحلة ابن جبير -

ولعل اول مدينة مهمة دخلها في العراق هي مدينة الكوفة فوصفها قائلاً :-

«هي مدينة كبيرة، عتيقة البناء، قد استولى الخراب على اكثرها، فالغابر منها اكثر من العاصر . . . وبناء هذه المدينة بالاجر خاصة، ولا سور لها، والجامع العتيق اخرها . . . وهو جامع كبير في الجانب القبلي منه خمسة ابلة وفي سائر الجوانب بلاطان، وهذه البلاطات على اعمدة من السواري الموضوعة من صُم الحجارة المنحوتة، قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسي عليها على الصفة التي ذكرناها في مسجد<sup>(٤)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهي في نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها، فلا ارى في الارض مسجداً اطول اعمدة منه ولا على سقفاً، وبهذا الجامع المكرم اثار كريمة فمنها بيت بازاء المحراب عن يمين المستقبل القبلة يقال : ان كان مصلى ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وعليه ستر اسود صونا له . . . وما يلي اليمين من القبلة عراب ملحق عليه باعواد الساج

مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير وهو محراب امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه . . . وفي الزاوية من اخر هذا البلاط، المتصل باخر البلاط الغربي، شبيه مسجد صغير محلق عليه ايضا باعداد الساج هو موضع مغار التنور الذي كان آية لنوح عليه السلام (١٣٧)

وفي ظهره خارج المسجد بيته الي كان فيه، وفي ظهره بيت آخر يقال: إنه كان متعب ادريس صل الله عليه وسلم. ويتصل بها فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد يقال: إنه منشأ السفينة. ومع اخر هذا الفضاء دار علي بن ابي طالب رضي الله عنه، والبيت الذي غسل فيه، ويتصل به بيت يقال: إنه كان بيت ابنة نوح صل الله عليه وسلم.

وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت صغير يصعد اليه فيه قبر مسلم بن عقيل بن ابي طالب رضي الله عنه، وفي جوف الجامع على بعد منه يسير سقاية كبيرة من الماء الفرات، فيها ثلاثة احواض كبار.

وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ منها المشهد الشهير الشأن المنسوب لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه، حيث بركت ناقته وهو محمول عليها مسح ميثاً . . . ويقال ان قبره فيه - وفي هذا المشهد بناء حقل . . . والفرات من الكوفة على مقدار نصف فرسخ . مما يلي الجانب الشرقي -

والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة يتصل سوادها ويمتد امتداد البصر. (١٣٨)

ومن الرحالين الذين سبفوا ابن جبير ووصفوا هذه المدينة - اليعقوبي (١٣٩) الذي اشار الى تأسيسها، وتخطيطها، وذكر القبائل العربية التي سكنتها وسمى هذه القبائل بأسمائها، وافخاذها، كما انه ذكر المنازل بينها وبين المدينة المنورة من جهة، ومكة المكرمة من جهة اخرى (١٤٠)

اما ابن خرداذبة فقد ذكر الكوفة في كتابه المسالك والممالك في عدة مواضع. وبين المسافات بينها، وبين المدن العراقية من ناحية، والمدن العربية من ناحية اخرى (١٤١) وقد اشار الاصطخري (١٤٢) الى مدينة الكوفة بشيء من الابعاز (١٤٣) اما المقدسي فقد وصفها قائلاً: -

«الكوفة قصبة جليلة . . . حسنة البناء، جليلة الاسواق، كثيرة الخيرات . . . ثم يشير الى جامعها الشهير وكيفية بنائه» (١٤٤).

وحذا ابن حوقل (١٤٥) احذو المقدسي فوصفها كذلك قائلاً: -  
«ومدينة الكوفة قريبة الاوصاف من البصرة وهوأها اصح، وماؤها اعذب، وهي على الفرات، وبنائها كبناء البصرة» ثم يشير الى بعض المشاهد الكريمة في هذه المدينة (١٤٦) وبعد سنوات زار ابن بطوطة (١٤٧) الكوفة فذكرها قائلاً: -

«وهي احدى امهات البلاد العراقية المتميزة فيها، بفضل المزية، مثوى الصحابة، والتابعين، ومثزل العلماء والصالحين، وحضرة علي بن ابي طالب امير المؤمنين وبنائها بالاجر، واسواقها حسان، وجامعها الاعظم جامع كبير شريف بلاطه سبعة قائمة على سوارى حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً، ووضع بعضها على بعض، وافرغت بالرصاص وهي مفرطة الطول».

وبهذا الجامع اثار كريمة (١٤٨) . . . الى اخر ما ذهب اليه والجدير بالذكر ان الرحالة الذين سبفوا ابن جبير او الذين جاءوا من بعده كابن بطوطة يجمعون على المعلومات التي ذكرها ابن جبير في رحلته عن هذه المدينة - حيث انه ذكر اثاراً عظيمة الشأن، واخيراً في غاية الاهمية عن هذه المدينة العريقة، التي بناها سعد بن ابي وقاص باشارة من امير المؤمنين عمر رضي الله عنه في سنة ١٧ هـ زد الى ذلك فالكوفة وريثة الحيرة، وحاضرة الدولة الاسلامية في خلافة الامام علي عليه السلام. وكانت في القرن الاول والثاني من الهجرة ثانية اثنين من حواضر المدن الاسلامية اعني - هي والبصرة - المدينتين اللتين كانتا تشعان علماً وثقافة الى الحواضر الاسلامية كافة. حتى جاء دور بغداد في منتصف القرن الثاني الهجري.

والكوفة الآن مدينة عامرة في بنائها، واسواقها وتنظيمها، وهي معتدلة الجو، عذبة النسيم، كثيراً ما يتخذها النجفيون متجماً لهم. وزيادة على ما ذكر ان حكومة الثورة قد اسست فيها جامعة تسمى جامعة الكوفة، لتعبد الى هذه المدينة العريقة مكانتها العلمية السالفة - ومن المدن التي شاهدها ابن جبير مدينة الحلة فوصفها قائلاً: -

«هي مدينة كبيرة، عتيقة الوضع، مستطيلة، لم يبق من سورها الا حلق من جدار ترابي مسدير بها، وهي على شط الفرات، يتصل بها من جانبها الشرقي، ويمتد بطولها - ولهذه المدينة اسواق حافلة، جامعة للمرافق المدنية، والصناعات الضرورية، وهي قرية العمارة، كثيرة الخلق، متصلة حدائق النخيل داخلياً، وخارجاً، فديارها بين حدائق النخيل. والقيتا

بها جسراً عظيماً معقوداً على مراكز كبار، متصلة من الشط إلى الشط، تحف بها من جانبها سلاسل من حديد كالأذرع المفتولة عظمياً وضخامة، ترتبط إلى خشب مثبتة في كلا الشطين، تدل على عظم الاستطالة والقدرة.

امر الخليفة بعقدة على الفرات اهتماماً بالحاج، واعتناء بسبيلة وكانوا قبل ذلك يعبرون في المراكب. فوجدوا هذا الحسر قد عقدته الخليفة في مفاهيم، ولم يكن عند شخصهم إلى مكة شرفها الله، وعبرنا الجسر... ونزلنا بشط الفرات على مقدار فرسخ من البلد. وهذا النهر كاسمه فرات هو من أعذب المياه واختفها وهو نهر كبير زخار تصعد فيه السفن وتنحدر.

والطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها، في بساط من الأرض، وعمائر متصل بها القرى ميمناً وشمالاً. ويشق هذه البساتن أغصان من ماء الفرات تنسرب بها، وتسقيها فمحراثها لأحد لاتساعه، وانفساحه، فللعين من هذه الطريق مسرح انشراح، وللنفس مراح اتساع وانفساح، والأمن فيها متصل (٤٩)؛

وما لا شك فيه أن الحلة الفيحاء تقع في إقليم بابل الذي أشار إليه المسعودي (٤٩) قبل ابن جبير. فذكر أن هذا الإقليم جليل وقدره عظيم، وكانت عناية الملوك به معروفة حيث أنهم كانوا يشتررون بالعراق، وأكثرهم يصيفون بالجلال، ويتنقلون في الفصول إلى الصرود من الأرض والجرود. وكان أهل المروءات في الإسلام كابن دلف (٤٩) القاسم بن عيني العجلي وغيره يشتررون في الحرور وهو في العراق، ويصيفون في الصرود وهي الجبال.

ولما خص به هذا الإقليم من كثرة مرافقه، واعتدال أرضه، وغضارة عشبه، ومادة الوافدين إليه، وهما دجلة والفرات، وعموم الأمن فيه، وبعد الخوف عنه، وتوسطه الإقليم السبعة. كانت الأوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لأن أرضه من إقليم بابل الذي تشعبت الآراء عن أهله بحكمة الأمور، كما يقع ذلك عن القلب، وبذلك اعتدلت ألوان أهله، وأجسامهم، فسلموا من شرقة الروم والصقالبة وسواد الحبشة، وغلظ البربر، ومن جفاف الهمم واجتمعت فيه محاسن جميع الأقطار، وكما اعتدلوا في الجبلية، كذلك لطفوا في الفطنة، والتمسك بمحاسن الأمور، وأشرف هذا الإقليم مدينة السلام (٤٩)؛

وبعد المسعودي أي في نهاية القرن الرابع تقريباً اشير في

صورة الأرض إلى مدينة الحلة، حيث سميت حلة ابن مزيد. وهي مدينة محدثة استحدثها منصور بن مزيد الأسدي (٤٩) في غربي الفرات، وهي مدينة منغصة بالناس، كثيرة الأسواق، دائمة الشري، والبيع، وبها مسجد جامع حسن كبير، وجبايتها ربما زادت على ألف دينار. (٤٩)

فلا عجب إذا ما وصفت الحلة أو بابل بهذه الأوصاف، ونمت بهذه النعمت، فقد عرفت هذه الأرض المباركة أول حضارة، وثقافة في العالم، واثارها الآن تدل عليها. وقد آبت حكومتنا الوطنية إلا أن تعرف العالم ما لهذه الأرض من حضارة، وثقافة، أسهمت اسهاماً فعالاً في المعرفة الإنسانية، ولافتار العالم كافة، فقامت بمهرجاناتها الذي اسمته «مهرجان بابل الدولي» في العام الماضي فتوافد العالم إلى العراق ليطالع بنفسه على عجبوبة من عجائب الدنيا المثلثة في هذه الآثار الشاحصة في مدينة بابل. ولا ننسى أن الحلة كانت منذ سنة ١٣٤٩ وحتى سنة ١٨٩٧م (٤٩) وما بعدها كانت تناظر مدينة النجف الأشرف في نهضتها الثقافية والعلمية، فظهر فيها الشعراء، والأدباء، والعلماء الذين يشار إليهم بالبيان.

أما الحلة الآن وفي - عهد الثورة - فهي مدينة حديثة متطورة في بنائاتها، وعمارتها، ومستشفياتها، ومدارسها، ومعاملها الصناعية المختلفة، وفي نظامها، وتنسيق شوارعها كما أن الحلة - قديماً وحديثاً - وقد لبست ثوباً قشياً من أشجار النخيل، وأشجار الفواكه الأخرى. فهي قطعة خضراء مبرعة. زد إلى ذلك جواً معتماً، ونسباً معتدلاً، وهي بعد هذا وذالك متوسطة في قلب العراق الحبيب، قريبة من بغداد، والحوضر العراقية الأخرى، ككربلاء، والنجف الأشرف، والديوانية، والناصرية، وهذا يعزز مكانتها الاقتصادية والاجتماعية، والعمرانية، لذلك فهي في ثراء ظاهر، وغنى واضح، وأحوالها الاجتماعية في الوقت الحاضر تفصح عن ذلك بكل جلاء،

ونظراً لما لهذه المدينة من أهمية عظيمة لقد قررت حكومتنا الوطنية في السنة القادمة فتح كليتي أفندسة، والقانون تكونان تابعتين إلى جامعة الكوفة - ولعل هاتين الكليتين ستكونان نواة لجامعة شاملة مانعة تقيم كليات أخرى ولتختلف الفروع.

وبعد أن وصف ابن جبير في طريقة من الحلة إلى بغداد عدة قرى وأرياف وصل بغداد ففتحتها قائلاً:-

## مدينة السلام بغداد

وهذه المدينة العتيقة، وإن لم تنزل حضرة الخلافة العباسية، ومثابة الدعوة الامامية القرشية الهاشمية؟

هي جانيان: شرقي وغربي ودجلة بينهما... وعمارة الجانب الشرقي محدثة... وهو يحتوي على سبع عشرة محلة كل محلة منها مدينة مستقلة، وفي كل واحدة منها الحمامان والثلاثة... وفيها ثمانية جوامع - يصل فيها الجمعة - فأكبرها جامع «القرية» وهي التي نزلنا فيها بربض منها يعرف «بالربعة» على شط دجلة بمقربة من الجسر فحملته دجلة بمدها السيل، فعاد الناس يعبرون بالزوارق والزوارق فيها لا تحصى كثيرة فالناس ليلاً ونهاراً من ثمادي العبور فيها في نزعة متصلة رجالاً ونساء - والعادة ان يكون لها جسران: احدهما مما يقرب من دور الخليفة، والاخر فوقه لكثرة الناس. والعبور في الزوارق لا ينقطع فيها. ثم «الكرخ» وهي مدينة ميسورة، ثم محلة «باب البصرة»، وهي ايضاً مدينة وبها جامع المصور رحمه الله، وهو جامع كبير عظيم البيان حفيظ - ثم «الشارع» وهي ايضاً مدينة فهذه الاربعة اكبر المحلات. وبين الشارع، ومحلة باب البصرة «سوق المارستان» وهي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد، وهو على دجلة، وتتفقد الاطباء كل يوم اثنين وخميس ويطلبون احوال المرضى به، ويرتبون لهم اخذ ما يحتاجون اليه. وبين ايديهم قومة يتناولون طبخ الادوية والاعذية. وهو قصر كبير فيه المقاصير، والبيوت، وجميع مرافق المساكن الملوكية، والماء يدخل اليه من دجلة. واسماء سائر المحلات يطول ذكرها «كالوسيطه» وهي بين دجلة ونهر يتفرع من الفرات، وينصب في دجلة، يحيط فيه جميع المرافق التي في الجهات التي يسبقها الفرات ويشق على باب البصرة الذي ذكرنا محله نهر اخر منه، وينصب ايضاً في دجلة.

ومن اسماء المحلات «العتابية» وبها تصنع الثياب العتابية وهي حرير وقطن مختلفات الالوان، ومنها «الحربية» وهي اعلاها وليس وراءها الا القرى الخارجية عن بغداد الى اسماء يطول ذكرها وباحدى هذه المحلات قبر - معروف الكرخي - وهو رجل من الصالحين مشهور الذكر في الاولياء... وفي الجانب الغربي ايضاً - قبر موسى بن جعفر - رضي الله عنهما، الى مشاهد كثيرة

من لم تحضرنا تسميته من الاولياء والصالحين، والسلف الكريم، رضي الله عنهم اجمعين. وباعلى الشرقية خارج البلد محلة كبيرة بازاء محلة الرصافة، وبالرصافة كان باب الطاق المشهور على الشط. وفي تلك المحلة مشهد حفيظ البيان له قبة بيضاء سامية في الهواء فيه قبر الامام - ابي حنيفة - رضي الله عنه، وبه تعرف المحلة، والقرب من تلك المحلة، قبر الامام - احمد بن حنبل - رضي الله عنه، وفي تلك الجهة ايضاً... قبر - الحسين بن منصور الحلاج. وببغداد من قبور الصالحين كثير، رضي الله عنهم. والغربية هي البساتين والحدائق، ومنها تجلب الفواكه الى الشرقية؟

واما الشرقية فهي اليوم دار الخلافة، وكفاهها بذلك شرقاً واحتلالاً! ودور الخليفة مع اخرها، وهي تقع في نحو الربيع او ازيد، لان جميع العباسيين في تلك الديار معتقلين اعتقالات جيلة، لا يخرجون، ولا يظهرون، ولهم المرتبات القائمة بهم، وللخليفة من تلك الديار جزء كبير، قد اتخذ فيها المناظر المشرفة، والقصور الرائقة، والبساتين الانيقة. وليس لهم اليوم وزير، انما له خديم يعرف بنائب الوزراء، يحضر الديوان المحتوي على اموال الخلافة، وبين يديه الكتب، فينفذ الامور، وله قيم على جميع الديار العباسية وامين على كافة الحرم الباقية من عهد جده وابيه، وعلى جميع من تضمه الحرمه الخلافة، يعرف بالصاحب مجد الدين استاذ الدار، هذا لقبه، ويدعى له اثر الدعاء للخليفة، وهو قلما يظهر للامة، اشتغلاً بما هو بسيله من امور تلك الديار، وحراستها، والتكفل بمفاتها، وتفقدتها ليلاً، ونهاراً...

وقد يظهر الخليفة في بعض الاحيان بدجلة راكباً في زورق، وقد يصيد في بعض الاوقات في البرية، وظهوره على حالة اختصار، تعمية لامره على العامة، فلا يزداد مع تلك التعمية الا اشتهاها. وهو مع ذلك يحب الظهور للامة، ويؤثر التحبب لهم، وهو ميمون النقية عندهم قد استسعدوا بايامه رخاء، وعدلاً، وطيب عيش، فالكبير والصغير منهم داع له. ابصرنا هذا الخليفة المذكور - وهو ابو العباس احمد الناصر لدين الله بن المستضي بنور الله ابي محمد الحسن بن المستجد بالله ابي المظفر يوسف، ويتصل ابي المظفر يوسف، ويتصل الى ابي الفضل جعفر المقتدر بالله الى السلف فوقه من اجداده الخلفاء، رضوان الله عليهم - بالجانب الغربي امام منظرته به،

وقد انحدرت عنها صاعداً في الزورق الى قصره باعل الجانب الشرقي على الشط وهو في فناء في سنة. اشقر اللحية صغيرها، كما اجتمع بها وجهه، حسن الشكل، جميل المنظر، ابيض اللون، معتدل القامة، رائق الرواء، سنه نحو الخمس وعشرين سنة، لابساً ثوباً ابيض شبه القباء برسوم ذهب فيه، وعلى راسه قلنسوة مذهبة، مطوقة بوبر اسود من الابرار الغالية القيمة، المتخذة للباس مما هو كالفنك واشرف، معتمداً بذلك زي الاتراك، تمعية لشأنه، لكن الشمس لا تخفى وان سُتِرت. وذلك عشية يوم السبت السادس لصفر سنة ثمانين، وابصرناه ايضاً عشية يوم الاحد بعده متطلعاً من منظرته المذكورة بالشط الغربي، وكنا نسكن بمقربة منها.

والشرقية حفيلة بالاسواق، عظيمة الترتيب، تشتمل من الخلق على بشر لا يحصيه الا الله تعالى، الذي احصى كل شيء عدداً. وبها من الجوامع ثلاثة، كلٌ يجمع فيها جامع الخليفة متصل بداره، وهو جامع كبير، وفيه سقايات عظيمة، ومرافق كثيرة كاملة، مرافق الرضوء، والظهور، وجامع السلطان وهو خارج البلد. . . . وجامع الرصافة، وهو على الجانب الشرقي المذكور، والرصافة ثروة الخلفاء العباسيين ورحمهم الله. فجميع جوامع البلد ببغداد المجمع فيها احد عشر.

واما حماماتها فلا تحصى عدداً، ذكرنا احد اشياخ البلد انها بين الشرقية والغربية نحو الالفى حمام، واكثرها مطلية بالقار مسطحة به، فيخيل للناظر انه رخام اسود صقيل. وحمامات هذه الجهات اكثرها على هذه الصفة لكثرة القار عندهم، لان شأنه عجيب، يجلب من عين بين البصرة والكوفة، وقد انبط<sup>(٢٦٦)</sup> الله ماء هذه العين ليتولد منه القار، فهو يصير في جوانبها كالصلصال<sup>(٢٦٧)</sup> فيجرف ويحلب وقد انعقد، فسبحان خالق ما يشاء، لاله سواء. واما المساجد بالشرقية والغربية، فلا ياخذها التقدير فضلاً عن الاحصاء. والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة وهي يقصر القصر البديع عنها. واعظمها واشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك<sup>(٢٦٨)</sup> وجددت سنة اربع وخمس مئة، ولهذه المدارس اوقاف عظيمة، وعقارات محبة، تصير الى الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم، ولهذه البلاد في امر هذه المدارس والمراسنات شرف عظيم، وفخر غلغل، فرحم الله واصفها الاول، ورحم من تبع ذلك السنن الصالح. وللشرقية اربعة

ابواب: فاولها وهو في اعل الشط، باب السلطان، ثم باب الظفرية ثم يليه باب الحلية، ثم البصلية. هذه الابواب التي هي في السور المحيط بها، من اعل الشط الى اسفله، هو ينعطف عليها كصفه دائرة مستطيلة. ودخله في الاسواق ابواب كثيرة. وبالجملة فشان هذه البلدة اعظم من ان يوصف<sup>(٢٦٩)</sup>.

وقد وصف ابن جبير كذلك مجالس الوعظ في بغداد فقال:-  
«أول من شاهدنا - مجلس - الشيخ الامام رضي الدين القزويني<sup>(٢٧٠)</sup> رئيس الشافعية، وفقه المدرسة النظامية. . . حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة. فصعد المنبر، واخذ القراء اسامه في القراءة على كراسي موضوعة، فتوقوا وتشقروا. ثم اندفع الشيخ الامام المذكور، فخطب خطبة سكون، ووقار، وتصرف في افانين من العلوم، من تفسير كتاب الله عز وجل، وايراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتكلم معانيه. ثم رشقته شاييب المسائل من كل جانب، فاجاب وما قصر، وتقدم وما تاخر. . . فكان مجلسه مجلس علم، ووعظ، وقورا، هينا، ليتنا، ظهرت فيه البركة، والسكينة ولم تقتصر عن ارسال عبرتها فيه النفس المسكينة، ولا سيما آخر مجلسه، فانه سرت حياء وعظه الى النفوس، حتى اطاراتها خشوعاً، وفخرتها دموعاً. . . فيمثل مقام هذا الشيخ المبارك ترحم المعصاة، وتتعمد الجناة، وتستندم، والنجاة، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه، انه المنعم الكريم، لارب سواء، ولا معبود الا اياه<sup>(٢٧١)</sup>»

لقد اعطى ابن جبير صورة ناطقة حية عن الحياة الثقافية والدينية في بغداد صاغها بأسلوبه الذي يمتاز بنفحة ادبية ممتازة. ووصف مجلس ابن الجوزي<sup>(٢٧٢)</sup> على نهر دجلة كذلك فقال: «ثم شاهدنا مجلس الشيخ الفقيه، الامام الاوحد جمال الدين ابي الفضائل بن علي الجوزي بازاء داره على الشط، بالجانب الشرقي، وفي اخره، على اتصال من قصور الخليفة، وبمقربة من باب البصلية اخر ابواب الجانب الشرقي، وهو مجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو، ولا زيد وفي جوف القرا كل الصيد<sup>(٢٧٣)</sup> آية الزمان، وقرة عين الايمان، رئيس الحنبلية، والمختص في العلوم بالرتب العلمية، امام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والشهود له بالسبق الكريم، في البلاغة والبراعة مالك ازمة الكلام في النظم، والنثر، والفائض في بحر فكره على نفائس الدر، فاما نظمه فرضي الطباغ، مهباري الانطباع<sup>(٢٧٤)</sup> واما نثره فيصدع بسحر

البيان، ويعطل المثل بقس، وسبحان ومن أهرأياته، وأكبر معجزاته بصعد المنبر، ويبتدىء القراءة بالقرآن، وعددهم ينفي على العشرين قارئاً. فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة، يتلونها على نسق، بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا، تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون آيات من سور مختلفات، الى أن يتكاملوا قراءة، وقد اتوا بآيات مشتهيات لا يكاد المنفذ الحاضر يحصلها عدداً، أو يسميها نسقاً. فإذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن في إيراد خطبته عجللاً مبتدراً، وأفرغ في اصداق الاسماع من الفاظه درراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقرأ، وإن بها على نسق القراءة لها لا مقدماً، ولا مؤخراً. ثم أكمل الخطبة على قافية أخرى منها، فلو أن أربع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء آية على الترتيب، لعجز عن ذلك. فكيف بمن يتنظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة القراء، بها عجللاً.

«أفسح هذا ام اتهم لا يصرون» (١٧٠) «ان هذا هو الفضل المبين»، «فحدث ولا حرج عن البحر، وهيئات، ليس الخبر عنه كالجرا! ثم انه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائ من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الانفس احتراقاً، الى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته الشجيح، وأعل التائبون بالصياح... وفهم من يغشى عليه فيرفع في الأذرع اليه. فشهدنا هولاً يملأ النفوس انابة وتدانة، ويذكرنا هول يوم القيامة، فلم نركب شبح (١٧١) البحر، ونعتسف مفايزات القفر، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل، لكانت الصفقة الرابعة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أن من بقاء من يشهد الحمادات بفضل، ويضيق الوجود عن مثله. وفي أثناء مجلسه ذلك يتندرون المسائل، وتطير اليه الرقاع، فيجاوب أسرع من طرفه عين. وربما كان أكثر مجلسه الراق من نتائج تلك المسائل - والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، لا اله سواه» (١٧٢).

ان مثل هذه المجالس العامة بالوعظ، والارشاد، تعطي دلالة واضحة، لما للخلفاء العباسيين من ايداء بيضاء في تعظيم شعائر الدين، ونشر الفضيلة، وإقامة صروح العدل التي يبنى عليها اساس الملك، فيستقر الامان في النفوس، فيتكامل المجتمع، ويتضامن في ظل من الرخاء، والطمأنينة. وسبق ابن جبير اليعقوبي في وصفه لبغداد قائلاً:-

«وانما ابتدأت بالعراق لانها وسط الدنيا، وسرة الارض وذكرت بغداد لانها وسط العراق، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض، ومغاربها، سعة، وكبراً، وعمارة، وكثرة مياه، وصحة وهواء، ولأنه سكنها من اصناف الناس، واهل الامصار، والكور، انتقل اليها من جميع البلدان القاصية، والدانية، وأثرها جميع اهل الأفاق على اوطانهم، فليس من اهل الا ولهم فيها حلة ومتجر، ومتصرف فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا» (١٧٣).

وقد سبقت الإشارة الى قول المسمودي في وصف اقليم بابل عندما يقول عن بغداد «واشرف هذا الاقليم مدينة الاسلام» (١٧٤) وقد أكد معلومات اليعقوبي عن بغداد الاصطخري (١٧٥) في وصفه لهذه المدينة كذلك. اما المقدسي فوصف بغداد قائلاً:-

«وبغداد في مصر الاسلام، وبها مدينة السلام. ولهم الخصائص، والطرافة، والقراخ واللطافة، هواء رقيق، وعلم دقيق، كل جيد بها، وكل حسن فيها، وكل حاذق منها، وكل ظرف لها، وكل قلب البها،... وكل ذب عنها، هي اشهر من ان توصف، واحسن من ان تمتع، وأعل من ان تمدح» (١٧٦) وحذا حذو المقدسي في وصف بغداد ابن حوقل في كتابه صورة الارض (١٧٧) وقد أيد أوصاف الرحالين الذين سبقوه عن هذه المدينة وبعد سنين خلت أتى ابن بطوطة. ووصف بغداد (١٧٨) واحوالها وأكد المعلومات التي ذكرها ابن جبير في رحلته، وذكر بعض الشعراء الذي تغنوا ببغداد حيث قالوا: (١٧٩)

طيبُ الهواءِ ببغداد يشوقني قريباً اليها وان عاقت مقاديرُ  
وكيف أرحل عنها اليوم اذ جمعت طيب الهواءين: ممدوح ومقصودُ  
وقالوا ايضاً:-

سلامٌ على بغداد في كل موطنٍ وخشٍ لها مني السلام المضاعف  
فان الله ما فارقها فن قل لها وانني يشطي جانيها لعارف  
وكانت كخيل كنت أهوى دنوه واخلاقه تنأى به وتحالف (١٨٠)  
ومها قيل عن بغداد، ببغداد في عصورها الذهبية كانت بغداد تشرّب اليها الانظار. وبعدئذ لحق بغداد عبر العصور التاريخية حيف لا سيما في القرن السابع اي سنة ٦٥٦ هـ بعد سقوط الدولة العباسية وهجوم التتر عليها. غير ان بغداد ظلت



كالشمس وان حجبها الغمام طوراً من الزمن. غير انها سرعان ما تشرق، وتخرج من هذا الحجاب، لترسل اشعتها الذهبية الى العالم كافة.

اما بغداد اليوم وفي - عصر حكومتنا الوطنية - وكما نراها فهي ترفل بثياها القشبية، حيث ارسيت اقدامها قوية وراحت منطلقة في مضمار الثقافة، والحضارة، لتلتحق بالركب العالمي، وتسهم في تطور الحياة البشرية. حتى اصبحت الان من المدن الحديثة المتطورة التي يشار اليها بالبنان.

وستظل بغداد عنوان العراق، ورمز العروبة، وحاضرة الاسلام والى الابد.

لقد غادر ابن جبير بغداد مواصلاً رحلته حتى وصل الى سامراء فوصفها قائلاً:-

«ونزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر لصفر على شط دجلة بمقربة من حصن يعرف «بالمعشوق»<sup>(٨٦)</sup> يقال انه كان متفرجاً لزبيدة ابنة عم الرشيد وزوجه رحمه الله. وعلى قبالة هذا الموضع في الشط الشرقي مدينة «سُرْ من رأى». وهي اليوم عبرة من رأى: أين معتصمها، وواثقها، ومتوكلها؟! مدينة كبيرة قد استولى الخراب عليها، الا بعض الجهات منها هي اليوم معمورة. وقد اطنب السعودي رحمه الله في وصفها، ووصف طبيب هوائها ورائق حسننها، وهي كما وصف، وان لم يبق الا الاثر من محاسنها، والله وارث الارض ومن عليها.

ومن المفارقات ان ابن جبير لم يصف ملوحتها بل قل انه لم يذكرها في رحلته اطلاقاً. وهي - الى الان - ما دامت شاخة في سامراء تطاول السماء سمواً، وارتفاعاً وهي تمكي للجبال الصاعدة قصة هؤلاء الاجداد الذين ارسوا قواعد حضارة عربية في هذه المدينة عرفها العالم كله. وقد اطنب اليعقوبي<sup>(٨٧)</sup> في وصفها، حتى يكاد هذا الوصف يكون اهم مصدر يعول عليه لتفصيلات هذه المدينة التي تعد المدينة الثانية بعد بغداد عند خلفاء بني العباس، لانهم اتخذوها عاصمة لسلطان خلافتهم. اما الاصطخري فوصف سامراء قائلاً:-

وهي مدينة اسلامية ابتدأها المعتصم واستتم بناءها المتوكل... وهواؤها، وثمارها اصح من بغداد. (٨٨)

وقال المقدسي في وصف سامراء:-

«سامراء كانت مصرراً عظيمياً، ومستقراً للخلفاء في القديم... ولها جامع كبير كان يختار على جامع دمشق، قد

لبست حيطانه بالطين، وجعلت فيه اساطين الرخام، وفرش به، وله منارة طويلة، وامور متقنة. وكانت بلداً جليلاً». (٨٩) الى اخر ما ذهب اليه.

وناطره في هذا الوصف ابن حوقل. (٩٠)

اما سامراء اليوم فهي مدينة عامرة في تطور مستمر، وقد اسست حكومتنا الوطنية فيها معملًا ضخماً للإدوية يكاد يمول المدن العراقية كافة.

اما جوها فمتع، ونسجها فعليل حتى كاد البغداديون يتخلونها مصيفاً او قل متكا للراحة والاستجمام، يقضون في فندقها السباحي اوقات عطلمهم. زد الى ذلك ان سامراء فيها مرقداً للامامين العسكريين. لذلك ياتي اليها الزوار من كل حدب وصوب. هذه القدسية جعلتها من المدن المهمة في العراق، فضلاً عن ماضيها المشرف الذي اشرفت اليه بشي من الاقتضاب.

لقد غادر ابن جبير سامراء مستمراً في رحلته حتى وصل مدينة تكريت فوصفها قائلاً:-

«وهي مدينة كبيرة، واسعة الارضاء، فيحة الساحة حفيلة الاسواق، كثيرة المساجد، غاصة بالخلق اهلها احسن اختلافاً وقسطاً في الموازين... ودجلة منها في جوها. ولها قلعة حصينة على الشط، هي قصبتها المنيرة ويظف بالبلد سور، قد اثر الوهن فيه. وهي من المدن العتيقة المذكورة»<sup>(٩١)</sup>

ومن دراساتي المتواضعة لادب الرحلات بدا لي ان مدينة تكريت مدينة عريقة في القدم. فقد ذكرها ابن خرداذبة في ثلاثة مواضع في كتابه المسالك والممالك. (٩٢)

كما ان المقدسي اشار اليها فذكر ان مدينة تكريت مدينة كبيرة، تشتهر بزراعة السمسم، وصناعة الصوف. (٩٣) اما ابن حوقل فقد ذكر ان مدينة تكريت تقع على نهر دجلة وانه على الدجلة بها عقد جسر آجر يعبر عليه ايام الحياطة، (٩٤) وادركت اثرًا من ذلك يشهد له في سني نيف وعشرين وثلاثمائة. (٩٥)

وبعد سنين زارها ابن بطوطة، (٩٦) واكد المعلومات التي ذكرها ابن جبير عن هذه المدينة. اما مدينة تكريت الان وقد اسمتها حكومة الثورة ب«محافضة صلاح الدين» فقد بدأ التطور على هذه المدينة القديمة ملحوضاً في شوارعها، وفي ابنتها، وفي تنظيمها، وقد قررت حكومتنا الوطنية فتح كلية التربية للبنات فيها، املين ان شاء الله ان تكون هذه الكلية نواة لجامعة عامرة

تضم كل الفروع.

ومدينة «محافظة صلاح الدين» تعد مدينة مهمة لأنها ترتبط بسمراء، وبغداد من ناحية، وبالموصل، وتركيا من ناحية أخرى. فموقعها الجغرافي ساعدها على انتعاش الحركة التجارية الدائبة فيها. زد إلى ما اتسمت به هذه المدينة العريقة من سمات اشترت اليها في هذا المقتضب.

وهكذا واصل ابن جبير رحلته حتى وصل إلى مدينة الموصل فوصفها قائلاً:-

«هذه المدينة عريقة ضخمة، حصينة فخمة، قد طالت صحبتها للزمن، فاخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن، قد كادت ابراجها تلتقي انتظاماً، لقرب مسافة بعضها من بعض، وباطن الداخل منها بيوت، بعضها على بعض، مستديرة بجداره المطيف بالبلد كله، كأنه قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته، وسعة وضعه، وللمقاتلة في هذه البيوت حرز ووقاية. وهي من المرافق الحربية. وفي أعلى البلد قلعة عظيمة، قد رُص بناؤها رصاً، يتشظها سور عتيق البنية، مشيد البروج، وتتصل بها دور السلطان. وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع، يمتد من أعلى البلد إلى أسفله. ودجلة شرقي البلد، وهي متصلة بالسور، وابعاجه في مائها.

وللبدة برض كبير، فيه المساجد، والحماسات، والأسواق، وحدث فيه بعض أمراء البلدة - وكان يعرف بمجاهد الدين - جامعاً على شط دجلة، ما أرى وضع جامع أحفل منه، بناء بقصر الوصف عنه، وعن تزينه، وترتيبه، وكل ذلك نقش في الحجر. وأما مقصوده فتذكر بمقاصير الجنة، ويظف به شبايك حديد، تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لأمقعد اشرف منها، ولا أحسن، ووصفه بطول، وإنما وقع الالتماع بالبعض، جرياً إلى الاختصار، وأمامه مارستان حافل، من بناء مجاهد الدين المذكور.

وبنى أيضاً داخل البلد، وفي سوقه، قيسوية للتجار كأنها الحان العظيم، تتغلق عليها أبواب حديد، وتظف بها دكاكين وبيوت، بعضها على بعض، قد جلي ذلك كله في أعظم صورة في البناء المزخرف، الذي لا مثيل له. فما أرى في البلاد قيسوية تعدلها. وللمدينة جامعان:

أحدهما جديد، والآخر من عهد بني أمية، وفي صحن هذا الجامع فيه، داخلها سارية رخام قائمة، قد خلخل جديهما

بخمسة خلاخل مفتولة فتل السوار من جرم رخامها، وفي أعلامها خُصّة رخام مشتمة، يخرج عليها أنبوب من الماء، خروج انزعاج وشدة، فيرتفع في الهواء أزيد من القامة كأنه قضيب من البلور معتدل، ثم ينعكس إلى أسفل القبة. ويجمع في هذين الجامعين القديم، والحديث، ويجمع أيضاً في جامع الرض. وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست أو أزيد على دجلة، فتلوح كأنها القصور المشرقة. ولها مارستان حاشا الذي ذكرناه في الرض.

وخص الله هذه البلدة بترية مقدسة فيها «مشهد جرجيس صل الله عليه وسلم»، وقد بنى فيه مسجد وقبره في زاوية من أحد بيوت المسجد، عن يمين الداخل إليه، وهذا المسجد هو بين الجامع الجنديد وباب الجسر، يحده المار إلى الجامع من باب الجسر عن يساره. فتبركنا بزيارة هذا القبر المقدس، والوقوف عنده. فنعنا الله بذلك.

وما خص الله به هذه البلدة، أن في الشرق منها، إذا عبرت دجلة على نحو الميلى، «تل التوبة» وهو التل الذي وقف به يونس عليه السلام بقومه، ودعا ودعوا حتى كشف الله عنهم العذاب. ويقبره منه على قدر الميلى أيضاً العين المباركة النسوبة إليه، ويقال: أنه أمر قومه بالتطهر فيها واطمار التوبة ثم صدعوا على التل داعين وفي هذا بناء عظيم، هو رباط يشتمل على بيوت كثيرة، ومقاصر ومطاهر، ومسقايات، يضم الجميع باب واحد، في وسط ذلك البناء بيت يسدل عليه ستر، وينتلق دونه باب كريم مرصع كله، يقال: أنه كان الموضع الذي وقف فيه يونس صل الله عليه وسلم. وعراب هذا البيت يقال: أنه كان بيته الذي كان يتعبد فيه. ويظف بهذا البيت شمع كأنه جذوع النخل عضواً. فيخرج الناس إلى هذا الرباط كل ليلة جمعة، ويتعبدون فيه وحول هذا الرباط قرى كثيرة ويتصل بها خراب عظيم، يقال: أنه كان مدينة «بنوى» وهي مدينة يونس عليه السلام.

وأثر السور المحيط بهذه المدينة ظاهر، وفُرج الأبواب فيه بيعة، وأكرام أبرجه مشرفة. بنتا بهذا الرباط المبارك ليلة الجمعة السادس والعشرين لصفر، ثم صبحنا العين المباركة، وشربنا من مائها، وتطهرنا فيها، وصلينا في المسجد المتصل بها، والله ينفع بالنية في ذلك بمنه، وكرمه. وأهل هذه البلدة على طريقة حسنة، يستعملون أعمال البر، فلا تلقى منهم إلا ذا وجه طلق، وكلمة

الخشب، والحديد، وربما دخل فيها شيء من الساج<sup>(١٨)</sup>. وبعد سنوات خلت زار ابن بطوطة مدينة الموصل وحدث

عنها حديثاً ممتعاً حتى قال:-

وهي مدينة عتيقة، كثيرة الخصب، وقلعته المعروفة بالحديد عظيمة الشأن شهيرة الامتناع<sup>(١٩)</sup> وكثر المعلومات التي ذكرها ابن جبير، واثى على اهل الموصل قاتلاً:-

«واهل الموصل لهم مكارم اخلاق، ولين كلام، وفضيلة ومحبة في الغريب واقبال عليه...»<sup>(٢٠)</sup> لوبعد ان استقرت اوصاف الرحالين لمدينة الموصل وجدتها مجمعة على المعالم الاصلية لهذه المدينة العريقة، وتربتها الطيبة، وارضها المباركة ففيها مرآة الانبياء والصالحين التي اضفت على هذه المدينة غلالة من البر والتقوى.

اما اهلها فيمتازون بفتح اذهانهم، وتوقد عقولهم، فهم قد صنعوا مطاحن ووضعوها في وسط دجلة، وسخروها لخدمة الناس، في حين ان الآلة قد عزت في تلك الحقب القديمة.

اما الموصل الآن فهي نضرة كنضرة ارضها الخضراء، وباسمة كابتنام ازهارها. وهي المحافظة الاولى في قطرنا الحبيب. فراحات تختال زهواً في بناياتها، وعماراتها، ومستشفياتها، وتنظيم شوارعها، فهي تعد من المدن الحديثة المتطورة، وذلك لما فيها من دور العلم، ومعاهد التدريس، فجامعتها العتيقة المشتملة على جميع الفروع العلمية قد اخذت مكانتها بين الجامعات العراقية.

الحق ان الموصل، وما تتمتع به من جو منعش، وما انشأ فيها في عهد الثورة من المصانع، تعد متجماً للعراقين صيفاً وشتاءً.

هذه اهم المدن التي زارها ابن جبير في العراق، التي اسلفت ذكرها في هذا البحث المتواضع.

لينة، ولهم كرامة للغرباء، واقبال عليهم، وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم. فكان مقاما في هذه البلدة اربعة ايام<sup>(٢١)</sup>. ومن الرحالين الذين سبقوا ابن جبير ابن خرداذبة فقد ذكر الموصل في كتابه المسالك والماليك في عدة مواضع<sup>(٢٢)</sup> فيها المسافات بينها، وبين المدن الاخرى التي تربط بها هذه المدينة الاثرية. ومن طريق ما قال عنها:-

«ومن اقام بالموصل حلاً وجد في قوته فضلاً بيناً ولعل في هذا القول اصالة، وربما ينم عن حقيقة ثابتة، لان موقع الموصل، وصفاء جوها، واعتدال مناخها، وطيب نسيمها العليل هذه امور تطرب لها النفس، وتنش الجسم صحة وعافية. اما الاصطخري فقال عنها:-

«واما مدينة الموصل فهي مدينة على غربي دجلة، صحيحة التربة، والهواء، ليس لهم سوى ماء دجلة للشفة<sup>(٢٣)</sup>». وهي مدينة عامة ابنتها بالجص والحجارة، كبيرة غناء<sup>(٢٤)</sup>. اما المقدسي فقد تحدث عن مدينة الموصل،<sup>(٢٥)</sup> وذكر تلك المواضع الاثرية في مدينة نينوى التي اشار اليها ابن جبير بعدئذ. وقال المقدسي عنها: «واما ديار ربيعة فقصبته الموصل. ومن مدنها الحديثة، وسنجار<sup>(٢٦)</sup>».

اما ابن حوقل فقد اطلب في وصف الموصل حتى قال:- «فمن ذلك رستاق<sup>(٢٧)</sup> نينوى وكانت به مدينة في سالف الزمان تجاه الموصل من الجانب الشرقي من دجلة اثارها بيته، واحوالها ظاهرة، وسورها مشاهد، وكانت البلدة التي بعث الله تعالى الى اهلها يونس بن متى عليه السلام<sup>(٢٨)</sup>». وقال في موضع آخر:-

«وكان بالموصل في وسط دجلة مطاحن تعرف وبالعروب يقل نظيرها في كثير من الارض، لأنها قائمة في وسط ماء شديد الجرية موثقة بسلاسل الحديد، في كل عربة منها اربعة احجار، ويطحن كل حجرين في اليوم، والليلة خسين وقرأ<sup>(٢٩)</sup> وهذه العروب من

## الهوامش والمصادر

(٣) شاطبة: مدينة في شرقي الاندلس. وشرقي قرطبة/معجم البلدان باب الشب والالف ومايلها.

(٤) جيان: مدينة واسعة بالاندلس/معجم البلدان. باب الجيم والياء ومايلها.

(٥) سبت: مدينة لطيفة من مدن المغرب، وسوقها على البحر، وفيها البساتين،

(١) شونة: مدينة من مدن الاندلس مائلة الى الغلبة/معجم البلدان بيروت دار صادر ١٩٧٥. باب السين والذال ومايلها.

(٢) بلنسية: مدينة مشهورة بالاندلس. تقع شرقي قرطبة/معجم البلدان باب الباء واللام ومايلها.

ومازها عذب. انظر /صورة الأرض لابن حوقل، بيروت، د. ت ٧٩.

- (٦) مائة: مدينة في الاندلس عامرة تقع على ساحل البحر /معجم البلدان باب الميم والألف وما يليها
- (٧) الذيل والتكملة السفر الخامس. القسم الثاني لابي عبد الله محمد الانصاري الاوسي المراكشي ثم د. احسان عباس، بيروت، ١٩٦٥، ص ٥٩٦.
- (٨) مجلة التراث الانسانية المجلد الاول السنة الثالثة ابن جبير بحث للدكتور حسين نصار، القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٣٧
- (٩) نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب، للمفري ثم د. احسان عباس، دار الصادر ١٩٦٨ ٢/٢٨٢
- (١٠) الذيل والتكملة، السفر الخامس ٥٩٦/٢
- (١١) مجلة التراث الانسانية المجلد الاول السنة الثالثة ص ٢٣٧.
- (١٢) الاطاحة في اخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب مع محمد عبد الله عنان، القاهرة ط ٢، ١٩٧٣ ٢/٢٣٢
- (١٣) المصدر نفسه ٢/٢٣٣
- (١٤) مجلة التراث الانسانية المجلد الاول السنة الثالثة ص ٢٣٨
- (١٥) الذيل والتكملة السفر الخامس، الجزء الثاني ص ٩٠٧، وانظر الاطاحة في اخبار غرناطة ٢/٢٣٢ - ٢٣٣
- (١٦) الذيل والتكملة السفر الخامس القسم الثاني ص ٦١٧
- (١٧) الاطاحة في اخبار غرناطة ٢/٢٣١، ٢٣٤
- (١٨) نفع الطيب ٢/٤٨٨
- (١٩) تاريخ الفكر الاندلسي لياتينا ترجمة د. حسين مؤنس، القاهرة ط ١، النهضة المصرية ١٩٥٥، ص ٣١٧.
- (٢٠) المجلة السلفية. السنة الاولى، الجزء الخامس ص ١٠٨ مصر. مطبعة النهضة ١٩١٧م.
- (٢١) التكملة لكتاب الصلة لابن الابار، تحقيق عزة المطاوع، القاهرة ١٩٥٦م، ٥٩٨/٢.
- (٢٢) الذيل والتكملة ص ٥٩٦
- (٢٣) النفع ٢/٣٨٢
- (٢٤) انظر النفع ٢/٣٨٢
- (٢٥) الذيل والتكملة ص ٦٢١
- (٢٦) انظر الاطاحة في اخبار غرناطة ٢/٢٣٢
- (٢٧) مجلة التراث الانسانية المجلد الاول ص ٢٤١ - ٢٤٥
- (٢٨) رحلة ابن جبير ثم د. حسين نصار، القاهرة، ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥م، ص ٣٣٨ - ٣٣٩.
- (٢٩) انظر صفة مسجد رسول الله (ﷺ) في رحلة ابن جبير ص ١٧٥ - ١٨١.
- (٣٠) اشار الى الايتين الكريمين: حتى اذا جاء امرنا وفار التنور، قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين، واهلك الام من سبق عليه القول ومن آمن، وما آمن منه الا قليل. انظر سورة هود ١١/٤ -، وقوله تعالى: -فاوحينا اليه ان اصنع الفلك يايعتيا، ووحينا، فاذا جاء امرنا، وفار التنور فاصلك فيها من كل زوجين اثنين، واهلك الام من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبي في الذين ظلموا ايمهم مفرقون، انظر سورة المؤمن ٢٣/٢٧ - (٣١) انظر رحلة ابن جبير ص ١٩٧ - ١٩٩.

- (٣٢) اليمقوب: هو احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليمقوبي، توفي سنة ٢٨٤ هـ.
- (٣٣) انظر كتاب بلدان لاحد بن واضح اليمقوبي ط ٣، النجف، ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧م، ص ٦٩ - ٧٢.
- (٣٤) ابن خرداذبة: هو ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، ابريل ١٨٨٩ م.
- (٣٥) انظر المسالك والممالك ص ٩٩، ١٢٥، ١٢٩، ١٥٥، ١٨٥، ١٩٠
- (٣٦) الاصطخري: ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بالاصطخري توفي سنة ٣٥٠ هـ.
- (٣٧) انظر المسالك والممالك ص ٥٨ للاصطخري مع محمد جابر عبد المال الحسيني (٢٨) المقدسي: هو محمد بن احمد بن ابي بكر البتاء المتوفى سنة ٣٨٠ هـ.
- (٣٩) انظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١١٦ - للمقدسي المعروف بالبيشاري، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٩م.
- (٤٠) ابن حوقل: هو محمد بن حوقل البغدادي الموصل المتوفى في حدود ٣٨٠ هـ.
- (٤١) انظر صورة الأرض ٢١٥
- (٤٢) ابن بطوطة: هو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللوزي. المعروف بابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هـ
- (٤٣) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢١٩. بيروت دار صادر، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م.
- (٤٤) انظر رحلة ابن جبير ص ١٩٧ - ١٩٩
- (٤٥) المسعودي: هو علي بن الحسن بن علي بن عبد الله من فربة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، فلفك لقب بالمسعودي توفي سنة ٣٤٦ هـ.
- (٤٦) ابو دلف: القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل بن بني عجل. امير الكرخ، وسيد قومه، واحد الامراء الاجواء الشجعان الشعراء، توفي سنة ٢٢٦ هـ. انظر ترجمة في الاغانى لابي الفرج الاصفهاني، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، ٢٢٨/٨. وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، بيروت بدون تاريخ ١١٦/٤١٦.
- (٤٧) مروج الذهب للمسعودي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧م، ٣٧٥ - ٣٧٤/١.
- (٤٨) منصور بن مزيد الاسدي: هو منصور بن ديس بن علي بن مزيد الاسدي. أمير الحلة. وبداية العراق. انظر ترجمته في/الكامل ٥١/١٠ لابن الاثير، وتاريخ ابن خلدون ٢٨٠/٤ بيروت.
- (٤٩) برصورة الأرض ص ٢١٩.
- (٥٠) اشارة الى وفاة -صفي الدين الحلي الشاعر المعروف. انظر ترجمته في الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لشهاب الدين ابي الفضل المشهور بابن حجر المصلائي، جدير آباد الركن، ط ٢، ١٩٧٢، ٣٦٩/٢، ونواف الوفيات لمحمد ابي شاكور الكنتي تحقيق د. احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٤، ٣٣٥/٢.
- (٥١) اشارة وفاة سيد جعفر الحلي وهو شاعر معروف بـ (ديوانه جميع البلايل، مطبوع. انظر ترجمته في البابليات لمحمد علي اليمقوبي ١٨٠/١، معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف البان سركيس، مصر، ١٣٤٦ هـ/١٩٢٨م/٦٩٩.
- (٥٢) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٠٣.
- (٥٣) رأس القرية: ما دامت هذه الحلة تعرف بهذا الاسم حتى الان وهي في

(٧١) سورة النحل ٢٧/١٦

(٧٢) فُجِحَ : كمل شئ معظمه ، ووسطه ، واعلأه ، والجمع اتياح وتياوح -

انظر/اللسان مادة دُجِحَ ٤٢/٣

(٧٣) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٠٨

(٧٤) كتاب البلدان ص ٢١-٣

(٧٥) انظر مروج الذهب ٣٧٤/١

(٧٦) انظر وصف بغداد في المسالك والممالك ص ٥٨ - ٦٠ للاصطخري

(٧٧) انظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١١٩

(٧٨) انظر وصف بغداد في صورة الارض ص ٢١٥ - ٢١٨

(٧٩) انظر وصف بغداد في رحلة ابن بطوطة ص ٢٢١

(٨٠) الذي قال هذه الايات : هو القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصير الغلي له نظم ، ومعرفة بالادب انظر ترجمته في / قوات الوفيات ٢/ ٤١٩ ، وشذرات الذهب ٢٢٣/٣

(٨١) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢٢٢

(٨٢) دحمن المشوقه ما دامت اثاره ماثلة قرب مدينة سامراء

(٨٣) انظر وصف سامراء في كتاب البلدان ص ٢١ - ٣٣

(٨٤) انظر المسالك والممالك ص ٦٠ للاصطخري

(٨٥) انظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٢٢

(٨٦) انظر صورة الارض ص ٢١٨

(٨٧) انظر رحلة ابن جبير ص ٢١٩

(٨٨) انظر المسالك والممالك ص ٩٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ لابن خردادبة

(٨٩) انظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٢٣

(٩٠) الهياطة : اقوام اسبوية من اواسط وصغوليا ، وقيل هم اقوام تركية مغولية ، وصلوا الى هذه الديار

(٩١) انظر صورة الارض ص ٢١٩

(٩٢) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢٣٤

(٩٣) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٢١ - ٢٢٣

(٩٤) انظر المسالك والممالك ص ١٧ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢

(٩٥) ٢٤٥ ، ٢٥١ لابن خردادبة . المصدر نفسه ص ١٧٠

(٩٦) الشفة : معنى الشرب

(٩٧) انظر المسالك والممالك ص ٥٣ للاصطخري

(٩٨) انظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٣٦

(٩٩) المصدر نفسه ص ١٣٧

(١٠٠) رستاق : جمعه رساتين كل موضع فيه مزارع ، وقري . انظر / معجم البلدان . الباب الثالث . تفسير الالفاظ

(١٠١) انظر صورة الارض ص ١٩٦

(١٠٢) الورق : جمعه اوراق وهو الحبل الثقيل . انظر/اللسان مادة وقره ١٥٢/٧

(١٠٣) انظر صورة الارض ص ١٩٨

(١٠٤) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢٣٥

(١٠٥) المصدر نفسه ص ٢٣٦

شارع الرشيد بالقرب من دجلة

(٥٤) المربة : هذه المحلة ما دامت تعرف بهذا الاسم حتى الآن وهي من المحلات الشهورة في شارع الرشيد والقرب من دجلة كذلك

(٥٥) المارستان : المصححة او المستشفى . انظر/المعجم الوسيط ٢/ ٨٧٠ مادة امرى

(٥٦) بعد فيلسوفا تارة . وفي زمرة المتعبدین تارة له ديوان شعر مطبوع انظر ترجمته في/الفهرست ص ٢٦٩ ، والديابة والنهاية لابن كثير ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٥١ هـ . ١٣٢/١١

(٥٧) انظر رحلة ابن جبير ص ٢١٣

(٥٨) خديم : اي الخادم

(٥٩) الصاحب مجد الدين : هو ابو الفتح بن الصاحب تولى منصبه سنة ٥٧٥ هـ . ٥٨٣ هـ . لم اجد له غير هذا التعريف وهو تعريف المحقق نفسه . انظر / رحلة ابن جبير ص ٢١٣ هامش (٢)

(٦٠) خليفة عباس ولد سنة ٥٥٣ هـ وتوفي سنة ٦٢٢ هـ دامت خلافته ٤٩ سنة . انظر ترجمته في/الكامل في التاريخ ١١/ ١٧٣ ، ويختصر تاريخ الدول ٤٢١ ، والسلوك ٢١٧/١ للمعريزي

الفنك : حيوان فروته اطيب انواع الفراء واشرفها

(٦١) انبط : البئر اذا استخرج الحصار ماءها ، والاستنباط : الاستخراج . انظر/اللسان لابن منظور ، القاهرة ، طبعة معصرة من طبعة بولاق مادة ونبط ٩/ ٢٨٧ (٦٢) الصلصال : الطين المرح مخلط بالرمل فصار يتصلصل اذا جف فاذا طيح بالثار فهو الفخار . انظر /اللسان مادة وصلل ١٣/ ٤٠٦

(٦٣) نظام الملك : هو الحسن بن علي بن اسحاق ، وزير حازم مالي المهمة ، توفي سنة ٤٨٥ هـ . انظر ترجمة في / وفيات الاعيان لابن خلكان ، تم د . احسان عباس ، بيروت . دار الثقافة ١٩٦٨ ، ١٢٣/١ ، والكامل في التاريخ ١٠/ ٧٠

(٦٤) انظر رحلة ابن جبير ص ٢١٣ - ٢١٦

(٦٥) رضي الدين الزويني : هو ابو الحسين احمد بن اسماعيل الطائفي كان اماماً في مذهب الشافعية ، والخلاف ، والاصول ، والتفسير ، والوعظ ، والزهد ، ولد في ٥١٢ ، او ٥١١ سنة ٥٩٠ هـ . انظر ترجمة في طبقات الشافعية ٤/ ٣٥ ، وشذرات الملب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي للسبكي ، مع محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الخلو ، القاهرة ، ط ١٣٤ هـ / ١٩٦٥م القاهرة ، مكتبة القدسي ، هـ / ٤ / ٣٠٠

(٦٦) انظر الرحلة ص ٢٠٦

(٦٧) ابن الجوزي : هو ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، الفرنسي البغدادي . كان علامة عصره ، وامام وقته في الحديث والوعظ ، وصنف في فنون كثيرة ولد سنة ٥٠٨ او ٥١٠ ، وتوفي سنة ٥٩٧ هـ . انظر ترجمته في وفيات الاعيان ٢٧٩ / ١

(٦٨) الفراء : الحمار الوحشي . وهذا مثل بر يريه ان ابن الجوزي لا مثيل له

(٦٩) رضي الطبايع : شبيه في طبعة بالشريف رضي الشاعر المشهور ، ومهاري شبيه بهار الدين الشاعر ايضا . (٧) سورة الطور ٥٢/ ١٥

# ابن جبير في رحلته قراءة في الجوانب الجغرافية للرحلة

## دراسة

### د. فلاح شاكر اسود

جامعة بغداد / كلية الاداب

عناوين مختلفة، مثل كتاب اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والناسك، وعنوان تذكير بالاخبار عن اتفاقات الاسفار، والعنوان الثالث رحلة ابن جبير.<sup>(١)</sup>

ثم قام برحلته الثانية عند سماعه بتحرير صلاح الدين الايوبي لبيت المقدس في عام (٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م). حيث قام برحلة لمدة عامين ٥٨٥ - ٥٨٧ م (١١٨٩ - ١١٩١ م). ثم قام برحلته الثالثة وهو شيخ كبير بعد وفاة زوجته في عام ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م) واستغرقت عشرة اعوام، متقللاً بين مكة وبيت المقدس والقاهرة، مشغلاً بالتدريس والادب حتى توفي في الاسكندرية في عام ٦١٤ هـ (١٢١٧ م). ولم يترك لنا في هاتين الرحلتين من اثار علمية مكتوبة مثل ما ترك في رحلته الاولى.<sup>(٢)</sup> وقد اشار بعض الباحثين الى ان القيمة التاريخية للرحلة اكثر من قيمتها الجغرافية. فقد قدمت معلومات مهمة عن الحقبة التاريخية خلال المدة التي امضاها ابن جبير متجولاً بين بلدان المشرق خلال حكم الايوبيين والغزو الصليبي. ورسم صورة واضحة عن صلاح الدين الايوبي وانجازاته في مصر والشام والحجاز واصلاحياته الدينية والعمرانية وتوطيد دعائم العدل والاستقرار. كما اشار الى العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في بلاد الشام والسامح بينهما ووضع المسلمين في جزيرة صقلية اثناء حكم النورمان. اما قيمتها الجغرافية فهي اقل اهمية فلم يعن بالجانب الطبيعي كالسطح والمناخ والموارد المائية الا اشارات محدودة عن الجبال والصحاري والانهار، كما اهل المظاهر

يكنى بابي الحسن وهو محمد بن احمد بن جبير الكتاني الاندلسي، الذي ولد في العاشر من شهر ربيع الاول من عام خمسائة واربعين للهجرة (٥٤٠ هـ) المصادف الف ومائة وخمسة واربعين للميلاد (١١٤٥ م) في مدينة بلنسية احدى مدن الساحل الاندلسي، وينحدر من سلالة اسرة عريقة استقرت بالاندلس في عام مائة وثلاث وعشرين للهجرة (١٢٣ هـ) المصادف سبعمائة واربعين للميلادي (٧٤٠ م). وتوفي بالاسكندرية في رحلته الثالثة.<sup>(٣)</sup>

ان ولعه وتمكنه بالادب والشعر لم يكسبانه شهرته التي نالها بصورة مباشرة، الا انها اعانته كثيراً على تدوين رحلة الحج التي قام بها احتساباً لله، بأسلوب ادبي رفيع وعلمي دقيق جعلته في مصاف الخالدين والمشهورين، علماً من اعلام الرحلة في الادب الجغرافي العربي.

وقد دخلت أسرته الاندلس مع القائد بلج بن بشر بن عياض القشيري. والتحق ابن جبير وهو في سن مبكرة باعمال الدواوين والكتابة كآبيه، وعمل مدة طويلة كاتباً لحاكم غرناطة من الموحدين.<sup>(٤)</sup>

وغادر غرناطة وما يزال في ريعان الشباب لاداء فريضة الحج برفقة احد الاطباء احمد بن حسان، واستغرقت هذه الرحلة من شباط عام (٥٧٨ هـ) ولغاية نيسان (٥٨١ هـ) (١١٨٣ - ١١٨٥ م) وهي اكثر من عامين دون فيها يومياته، وقد حملت هذه الرحلة

الاقتصادية كالصناعة والزراعة واكتفى بوصف عام . وقد ركز على الجوانب الثقافية والدينية.<sup>(١)</sup>

ان معاملة رحلة بين جبير على اساس انها مؤلف تاريخي او جغرافي لا تخلو من اجحاف بحقها لان التقويم لابد ان يتم وفق الهدف المرسوم لهذه الرحلة فهي رحلة للحج وكثير ما كان هذا العامل قد استهوئ كثير من الناس من المغرب والمشرق لادائها لما ورد فيها من الايات الكريمة في التأكيد على فضائل مكة والمدينة وما تحويه من الحرم المكي والمديني . وقد فضل الله مكة المكرمة على سائر البلاد، وذكرها في مواضع عدة ما يقارب من تسع عشر آية من القرآن الكريم . \* كما ورد بحقها عدد لا يحصى من الاحاديث النبوية الشريفة .<sup>(٢)</sup> \*

ان هذا التأكيد الواضح على هذا الغرض من فروض الدين جعلت الرغبة تراود نفس كل مسلم لكي يزور هذه الاماكن المقدسة، مهما بعدت المسافات او عظمت المخاطر . وكان ابن جبير احد هؤلاء الذين وفدوا لزيارة هذه الاماكن المقدسة واداء فريضة الحج وسنة العمرة والمجاورة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهذا يدعونا الى التأكيد الى ان ابن جبير اراد من وراء تسجيل مذكراته . ان يرسم طريق الحج بحراً وبراً ليكون كتابه دليل سفر لمن اراد ان يسلك هذا الطريق من القاصدين لبیت الله الحرام . ولهذا كان يؤكد من خلال رحلته على ما يتعرض الحاج من المشاق . وان يرسم بدقة صورة صادقة لهذا الطريق ومدنه وقراه وما تحويه من الآثار والمشاهد المباركة والاماكن التي تزار . كما حذر الحاج الذين يرغبون في اداء فريضة الحج من سلوك طريق الاسكندرية - عيذاب جدة ونصحهم رفقة قافلة الامير العراقي . وهو الطريق الذي يرجع فيه ابن جبير، بعد ان قرر عدم العودة على طريق القدوم السابق ولما لاقاه من المعاملة القاسية عند نزوله الى الاسكندرية وطلوع امته السلطان الى المركب لتقييد جميع ما جلب فيه واخذ الزكاة من الاموال التي لا تستحق الزكاة شرعاً، وتفتيش حاجياتهم بشكل لا يتناسب مع مكانتهم حيث ادخلت الايدي الى اوساطهم بحثاً عما عسى ان يكون قد اخفوه ثم استحلّفوا بعد ذلك . وقد ذهب كثير من حاجيات الناس لاختلاط الايدي وتكاثر الزحام .

كما دون مواقف اطلق عليها خزيًا ومهانة . وهذا ما تعرض له وفود الرحمن مرة اخرى في اخيم بحثاً عن الاموال والحاجيات بحجة الزكاة وصعود رجال الى المركب بايديهم المسال الطوال فوات الانصبة لاستكشاف مافي حاجيات الركاب .

وهذا ما جعل ابن جبير ينصح الحاج سلوك طريق الشام - العراق ثم رفقة قافلة الحاج البغدادي . وهذا يوضح بان الرحلة هي دليل لمن اراد السفر قاصداً بيت الله الحرام وزيارة المسجد النبوي الشريف .

ولما كان هدف الرحلة هو الحج . فقد الزم ابن جبير ان يسلك طريقاً واضحاً، هو الطريق الذي يسلكه الحاج من الاندلس (اسبانيا) حيث عبر البحر المتوسط الى الاسكندرية ثم نهر النيل ثم البحر الاحمر ثم البادية باتجاه العراق والشام والبحر المتوسط مرة اخرى . حيث الرجوع الى مقر سكناه في الاندلس . وان هذه الرحلات كانت تسير بشكل قوافل مما لا يتيح لابن جبير ان يتعد كثيراً عن هذا الطريق او التخلف عنها . لذا فانه اقتصر على تدوين مشاهدته خلال هذا الطريق او قريباً منه .

ورغم ذلك فان ماورد في هذه الرحلة من المعلومات الجغرافية كان ذا قيمة كبيرة باعتبار ان ماورد عن طريق جانب من جوانب الدراسة الميدانية وهي المشاهدة الشخصية ، والتدوين اليومي لهذه المشاهدة، وخصوصاً ان ابن جبير كان متسكناً من حيث الثقافة والقدرة الفائقة في التدوين والكتابة والتعبير دون ان يطيل او يسهب في العرض، كما ان هذه الرحلة لدقتها خلت تماماً من الاساطير والخرافات، وان القارئ لا يشك في اي شيء ورد فيها . كما لا يشمر ان كاتبها كان متحيزاً لاي جانب من الجوانب .

### الطريق الذي سلكه ابن جبير في رحلة

بدأ من غرناطة حتى ساحل الاندلس (اسبانيا) حيث اقلع يوم ٢٩ شوال (٢٤ شباط) . مر على مجموعة من الجزر في البحر المتوسط (ميورقة، منورقة \* . سردانية صقلية . قرطيش (كريت) ثم جزائر الحمام (بين السلوم وطبرق) . ثم نزل الاسكندرية وقد استغرقت الرحلة ثلاثين يوماً . وصف فيها عواصف البحر المتوسط التي تهب بشكل متقطع، وما تعرضت له المراكب من الاحوال والمخاطر .

وسلك طريق نهر النيل، ومر على مجموعة من المدن والقرى التي تقع على جانبي النهر مثل دمنهور، قليب، المنية، القاهرة، منفوط، اسبوط، اخميم، وشنة، دندره، قنا، قوص . وقد استغرقت الرحلة (١٨) يوماً .

ثم تجمع الحاج والجار مع حاجياتهم في منطقة واسعة تسمى المبرز تحيط بها اشجار النخيل، فاستبدلوا واسطة النقل

المائية بواسطة النفل البرية وهي الجمال فوزنوا حاجياتهم ونهبوا  
لقطع الصحراء بين قوص وعيذاب وهي صحراء قاحلة .

ثم قطع بحر جدة وهو البحر الاحمر بين عيذاب وجدة  
واستغرق العبور ثمانية ايام بسبب اهوال الرياح والشعاب رغم  
قدرة الرؤساء والنوابة وخبرتهم الدقيقة لمعرفة المسالك  
والطرق .

وبعدها سافر براً من جدة الى مكة حيث اقام فيها ثمانية  
اشهر وثلاث شهر حيث دخلها يوم ١٣ ربيع الاخر سنة ٥٧٩ هـ ،  
ورحل عنها ٢٢ ذي الحجة سنة ٥٧٩ هـ اي حوالي ٢٤٥ يوماً .  
وعاد مع قافلة الامير العراقي من مكة بطريق صحراء  
البادية الى بغداد ، بعد ان ضاق ذرعاً من الاستغلال والتعسف مما  
اعطاه مبرراً لتصديق بعض فقهاء اهل الاندلس الذين اسقطوا  
الفريضة عنهم لهذه الاسباب .

وقد مرت القافلة من الزاهر الى وادي بطن ثم عسفان ثم  
خليص ثم شعب علي حتى المدينة المنورة ومنها الى الكوفة والحلة  
وبغداد بعد ان مروت القافلة ضمن طريق واضح متبعة موارد  
المياه الجوفية .

ومن بغداد سلك الطريق الموازي لنهر دجلة الى سامراء  
وتكريت والقيارة والموصل ونصيبين ثم مدينة رأس العين وحران  
ومنج وحب وفسرين وحماه وحمص ودمشق وبانياس وعكة  
وصور ثم عاد الى عكة حيث اخذ مركباً عبر البحر المتوسط الى بر  
الاندلس ثم الى غرناطة موطنه الذي خرج منه .

#### المعلومات الجغرافية التي وردت في الرحلة .

##### المظاهر الطبيعية :

١ - اشار الى عواصف البحر المتوسط ومخاطرها على  
الملاحة في المنطقة وتعرض المراكب الى الفرق عند هبوبها ،  
وسهولة الملاحة عند هدوئها واستقرارها وكذلك الى الرياح  
والشعب المرجانية التي تعترض سير الملاحة في البحر الاحمر بين  
عيذاب وجدة ورغم قصر المسافة فان الرحلة استغرقت ثمانية  
ايام ، ولولا حداقة الملاحين ودرايتهم ومعرفتهم بالمسالك الضيقة  
والمتعرجة لتعذر السير في البحر الاحمر .

وقد عبر عن اعاصير البحر المتوسط بانها رياح شديدة انت  
بامطار غزيرة وامواج امثال الجبال السائرة حتى لم يثبت شراع  
فلجأ الى استعمال الشرع الصغار ، ولما هدأت الاعاصير سكن

البحر وطاب السحاب والهواء وظهرت الشمس وان التخلص  
من بحر سردانية من اصعب ما في الطريق والخروج منه يتعذر في  
اكثر الاحيان .

٢ - وصف مجموعة من الجبال مر عليها في طريقه مثل جبل  
صفلية التي فيها بركان اثنا ، وقال بعد مغادرته صفلية انه شاهد  
الجبل الذي فيه البركان وهو جبل عظيم مصعد في جو السماء وقد  
كسا الثلج .

ثم جبل المغلة شرق النيل على نصف المسافة بين مدينتي  
مصر وقوص وفي مكة اشار الى جبال ثور وجبل الطبول وجبل ابي  
قبيس ، وبعد المدينة مر على جبل المحزوق وهو جبل في بداء من  
الارض وفي سفحه الاعلى ثقب نافذ تخترقه الريح ، وبذلك اشار  
الى ظاهرة التعرية في المناطق الصحراوية وعند مروره على دمشق  
وصف جبل قاسيون . ثم جبل لبنان الذي قال عنه انه جبل عالي  
الارتفاع يتصل من البحر الى البحر ويكون حدوداً بين المسلمين  
والافرنج .

٣ - اشار الى ظاهرة نحت نهر النيل في الجانب الغربي امام  
قرية نشأة السودان بعد مدينة اخميم . وقد عالج سكان هذه القرية  
هذه الظاهرة بنشاء وصيف عال من الحجارة كأنه السور يضرب  
فيه النيل ولا يعلوه عند فيضه وبذلك استطاعوا الحد من ظاهرة  
النحت وتآكل الساحل وبنائه ، كما استطاعوا تعلية هذا الحاجز  
الصخري بشكل لا يتجاوزه النيل عند ارتفاع المياه وقت الفيضان  
مما جعل القرية وسكانها يعيشون في أمن واستقرار من مخاطر نهر  
النيل .

٤ - اشار الى مفاصل اللؤلؤ في البحر الاحمر ، حيث قال :  
في بحر عيذاب مفاصل على اللؤلؤ في جزائر على مقربة منها ،  
ووقت الغوص شهر حزيران (يونية) والذي يليه ، ويستخرج منه  
جوهر نفيس .

٥ - اشار الى مواضع الوديان والابار والعيون والبرك  
والصهاريج المملوءة بمياه المطر على طريق البادية بين نجد  
والعراق ، وذلك لاهمية هذه الموارد لانها تحدد المسالك والطرق  
التي تسلكها قوافل الحجاج والتجار والمسافرين . وأشار الى نوعية  
المياه في المواضع التي مر بها من حيث عذوبتها وصلاحيتها  
للشرب .

وقد ذكر مشروع زبيدة ابنة جعفر بن ابي جعفر المنصور  
زوجة هارون الرشيد وابنة عمه ، عندما اوصلت المياه الى مكة  
وعلى طريق الموصلة اليها ، وقد اطلق عليها المصانع ، وهي



منتشرة في الطريق بشكل مرافق ومنافع عمت المنطقة ولولا اثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذه الطريق.

٦- اشار الى الانهار المهمة التي صادفها وهي نهر النيل ونهر الفرات ونهر دجلة، حيث قطع النيل بين الاسكندرية وقوص. ثم قطع نهر الفرات بين الكوفة والحلة، ثم سار مع نهر دجلة بالطريق البري بين بغداد والموصل حتى الشام.

كما ذكر الانهار الصغيرة التي مر بها نهر دجيل المتفرع من نهر دجلة، ويسقي القرى والبساتين والاراضي الزراعية الواقعة عليه وكذلك نهر الحابور ونهر العاصي الذي يقع شرق مدينة حماه في بلاد الشام.

اما البحيرات فقد اشار الى بحيرة طبرية التي تقع قرب جبل الطور، وتمتاز مياهها بحدوثها.

### المظاهر البشرية.

#### اولاً - الزراعة

لفت انتباه ابن جبير اتساع الزراعة في دلتا نهر النيل وواديه بشكل كبير، وقد استنتج ذلك من انتشار القرى على جانبي النهر، فالمنطقة المحصورة بين الاسكندرية ودمهور واقاهرة متصلة وسهلة كلها محروثة يعمها النيل بفيضه والقرى فيه مبنية وشمالاً لا تحصى من كثرتها. والعمارة متصلة والقرى منتظمة في الطريق كله. ولما مر على مدينة قوص صاعداً في النيل على الصعيد ذكر بان القرى متصلة في شطي النيل. وقد اقتصر على ذكر القرى الكبيرة منها فقط، لانه لو ذكر كل القرى والمواقع على شطي نهر النيل لضاق الكتاب لكثرة القرى الصغيرة.

كما اشار الى البساتين التي تحيط بكثير من المدن الواقعة على نهر النيل والى اشتهار مدينة متفلوط بانتاج القمح، حتى ان قمحها يجلب الى مصر لطيبته ورزاقته حبه. واشتهار مدينة دندره في صعيد مصر باشجار النخيل ونموها التي تميزت بطبيعتها.

وفي طريق عودته باتجاه العراق اشار الى خصب وادي بطن مر وكثرة نخيله مما ادى الى انتشار القرى الكثيرة ومنه تجلب الفواكه الى مكة المكرمة. ثم في منطقة خليص ووادي السمك حيث تنتشر اشجار النخيل.

ولم يشر ابن جبير بعد ذلك الى وجود زراعة في الطريق الصحراوي سوى توفر موارد المياه من الياار والبرك والمصانع في الطريق لتزويد الحجاج والمسافرين والتجار وحيواناتهم بالماء الذي يبينهم على مواصلة السير. ولما اشرف على سهل العراق الرسوبي بدأ ابن جبير يذكر اهمية هذه المنطقة، ففي قرية القادسية

اشار الى بساتين النخيل التي تسقى من مشاريع نهر الفرات. ثم مدينة الحلة التي قال عنها انها متصلة باشجار النخيل. اما الطريق بين الحلة وبغداد فهو احسن طريق واجله في بساتين من الارض، وعمائر تنصل بها القرى مبنية وشمالاً، وتشققها مشاريع عديدة من نهر الفرات عبر عنها (باغصان من ماء الفرات). تسرب بها وتسقيها، وأوضح بان ارضها الزراعية واسعة وممتدة حيث قال فمحراثها لاحت لاتساعه واتساعها ثم وصف القرى التي مر بها مثل قرية القنطرة، حيث قال عنها كثيرة الخصب كبيرة المساحة، متدفقة جداول الماء، ووفرة الظلال بشجيرات الفواكه من احسن القرى واجملها، وشاهد فيها حصاد الشعير وقرية الفرائس كثيرة العمارة يشققها الماء وحوفاً بسيط اخضر جميل المنظر. وقرى هذه الطريق بين الحلة وبغداد على هذه الصفة من الحسن والاتساع. ثم قرية بزريدان (المدائن) وهي من احسن قرى الارض واجملها منظراً واوسعها مساحة واختلطاطا واكثرها بساتين ورباحين وحدائق نخل، يسقي دجلة شرقها، والفرات غربها وهي كالعروس بينها، والبساتين والقرى والمزارع متصلة بين هذين النهرين.

ثم قرية صرصر وهي على ثلاثة فراسخ من بغداد يسقيها نهر كبير متفرع من الفرات وهي من القرى التي تملأ النفوس بهجة وحسن.

ثم اشار الى الزراعة على طول نهر دجلة من بغداد باتجاه الموصل حيث تنتشر القرى الخصبة.

كما ذكر الزراعة في بلاد الشام فمدينة نصيبين تمتد امامها وخلفها في بسيط اخضر من البصر. اجرتى الله فيه مذاب من الماء تسقيه، تحف بها عن بين وشمال بساتين ملتفة الاشجار يانع الثمار، ينساب بين يديها نهر انعطف عليها كالسوار، والحدائق تنتظم بحافته ونقي، بظلالها الوارفة عليه.

وحول مدينة دنيسر بساتين الرباحين والخضر لتسقى بالسواقي وفي حديثه عن مدينة رأس العين - اشار الى ان الله فجر في ارضها عيوناً واجراها ماء معيناً. فتقسمت مذائب، وانسابت جداول تنسب في مروج خضر، فكانها سباتك اللجين معدودة في بساط الزبرجد تحف بها اشجار وبساتين قد انتظمت حافتيها الى اخر انتهائها من عمارة بطانحها.

ومدينة منبج يحف بغربها وشرقها بساتين ملتفة الاشجار مختلفة الثمار. وعن مدينة بزاغة ترف بساتينها خضرة ونضارة. وذكر عن مدينة قسرين بان قراها عامرة منتظمة لانها على عرث عظيم من البصر عرضاً وطولاً. ثم بلاد المرة مغطاة كلها بشجر

الزيتون والتين والفسق وأنواع الفواكه . ويتصل الثفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب بلاد الله واكثرها ازراقاً . كما ذكر عن مزارع العنب والبساتين والاراضي الزراعية خارج مدينة حماه . وتحيط مدينة دمشق لحلل مستديسه من البساتين ، كما امتدت الى شرقها غوطتها الخضراء امتداد البصر ، وللمدينة بانياس محراث واسع .

#### نظام الري

١ - الاهتمام بكمية المياه في الانهار من خلال المقاييس القائمة عليها فمقياس نهر النيل يستفاد منه في قياس زيادة نهر النيل عند فيضه كل سنة ، وهو عمود رخام ابيض مشتمل في موضع يسخر فيه الماء عند انسيابه اليه ، وهو مفصل على اثنتين وعشرين ذراعاً مقسمة على اربعة وعشرين قسماً تعرف بالاصابع .

فاذا استوفى الماء تسع عشرة ذراعاً متغمرة فيه ، فهي الغاية عندهم في طيب العام .

واذا استوفى سبع عشرة ذراعاً فهي المتوسط ، ويكون احسن من الزيادة المذكورة .

واذا استوفى ست عشرة ذراعاً فصاعداً يستحق السلطان خراجه في بلاد مصر ، وعليها يعطى البشارة الذي يراعى الزيادة في كل يوم ، والزيادة في اقسام الذراع المذكورة ، ويعلم بها مياومة حتى تستوفى الغاية التي يقضي بها .

واذا قصر عن ست عشرة ذراعاً فلا يجيء للسلطان في ذلك العام ولا خراج وهذا يوضح مدى الدقة في الاهتمام بكمية مياه الري وتوزيعها وعلاقتها بسمه الارض المزروعة وكمية الانتاج من الحبوب والمحاصيل الاخرى ، وارتباطها بحياة الناس ومستوى معيشتهم .

#### ٢ - القناطر التي توزع المياه في السواقي

ومن هذه القناطر هي المقامة على نهر النيل ، بنيت غرب مصر على مقدار سبعة اميال ، بعد رصف ابتدء به من جهة النيل بازاء مصر كأنه جبل ممدود على الارض تسير فيه مقدار ستة اميال حتى يتصل بالقنطرة المذكورة وهي على نحو الاربعين قوساً من اكبر ما يكون من قسي القناطر . والقنطرة متصلة بالصحراء التي يقضي منها الى الاسكندرية .

وقد اشار ابن جبير الى ان هذه القناطر رغم استخدامها في الري والزراعة فان لها هدف عسكري حيث تحمي البلد من عدو قادم من جهة نهر الاسكندرية . حيث تغمر الارض عند فيضان نهر النيل لمنع سلوك العساكر واجتيازها باتجاه البلد .

ثم اشار الى القناطر بين الحلة وبغداد والتي تعترض الطريق كله . فلا تكاد تمشي ميلاً الا وتجد قنطرة على نهر متفرع من نهر الفرات فهي اكثر الطرق سواقي وقناطر وتوزع هذه القناطر المياه على السواقي التي تروي الاراضي الزراعية الممتدة وكذلك مدينة دنيصر في بلاد الشام حيث تروى بالسواقي .

#### ٣ - الري بواسطة العيون :

ذكر ابن جبير بان مدينة رأس العين اشتق اسمها من كثرة العيون ، حيث تتوزع مياه هذه العيون في جداول وسواقي تسقي اراضيها الواسعة الخضراء ، واعظم هذه العيون ، عينان احدهما فوق الاخرى ، فالعليا تنبع من منطقة صخرية ، ثم يتجمع ماؤها في صهريج عظيم ، حيث ينساب منه نهر كبير ينتهي الى العين الاخرى ويلتقي بمائها . اما الثانية فعنابه تحت الارض من الحجر الصلد ثم تندفع بقوة الى الاعل حتى يسيل ماؤها على سطح الارض . ثم تنقسم مياه العينين الى نهرين يلتقيان بعد ذلك .

#### ثانياً : التجارة

##### ١ - الكمارك والمكوس

لقد اشار ابن جبير الى المعاملات الكمركية التي كانت سائدة عند دخول الموائن . فعند نزوله في ميناء الاسكندرية ، طلع الى المركب موظفو الكمارك لتسجيل جميع البضائع التي جلبها المسافرون . وسأل كل شخص عما لديه من السلع والاموال ، واستدعى كل مسافر مع حاجياته على انفراد ، ثم فتش جميع المسافرين . ورغم اعتراض ابن جبير على المعاملة القاسية التي اتسمت بالاهانة والخزي من قبل امراء السلطان . فان ذلك يوضح بان المعاملات الكمركية كانت سائدة في تثبيت اسماء من دخل البلاد ، وما وجد معه من الاموال والبضائع .

وكذلك عند الخروج من البلاد ، ما تعرض له المسافرون من الحجاج والتجار في اخيم من التفشيش ومعرقه ما لدى كل منهم من البضائع والاموال .

وفي ميناء عيذاب يؤخذ على كل حمل طعام يحمله الحجاج او التجار ضريبة معلومة خفيفة المؤونة بالاضافة الى الوظائف المكوسية .

##### ٢ - المراكز التجارية والاسواق

ذكر ابن جبير وجود اماكن مثلت مراكز تجارية مثل مدينة

قوص، وهي حفيلة الاسواق مشعة المرافق، كثيرة السكان، لكثرة المصادر والوارد من الحجاج والتجار البعثيين والهندود ونجار الحبشة، فهي مختر للجميع وعط للرحال وبجتمتع الرفاق، وملتنى الحجاج المغاربة والمصريين والاسكندرانيين ومن يتصل  
٣٣.

ثم منطقة البرز الواقعة بين قوص وعيذاب، حيث يتجمع فيها جميع المسافرين مع احمالهم. وهي منطقة منبسطة واسعة تحيطها اشجار النخيل، وفيها يتم وزن البضائع وشدها على الجمال التي تنقلها الى عيذاب عبر الصحراء، كما يستقي منها المسافرون وتنطلق منها القوافل.

وشاهد في طريق عودته من الحجاز الى العراق موضع حصن قيد وهي منطقة معمورة بسكان الاعراب، حيث يتم فيها التجارة والمبايعه من قبل السكان وهي على نصف الطريق بين المدينة وبغداد.

كما اشار الى موضع الثعلبية فيه اوسع الصهاريج واعلاها غزيرة المياه، حيث يتجمع فيه جمع كثير من الاعراب رجالاً ونساء عقدوا فيه سوقاً عظيمة للجمال والكباش والسمن واللبن وعلف الابل.

وذكر عن مدينة عكة بانها ملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق.

### ٣ - السلع التجارية.

هناك انواع كثيرة من البضائع التي ذكرها ابن جبير، شاهدها بنفسه مثل محصول القمح في مدينة منفوط الذي غمز بجودته وكبر حبه، حيث يقوم التجار بنقله بالمرالكب الى القاهرة.

كما شاهد في الصحراء الممتدة بين مدينة قوص وميناء عيذاب على البحر الاحمر، القوافل العيذاوية القادمة من البحر باتجاه الداخل والقوافل القوصية القادمة من الداخل باتجاه البحر وهي صادرة وارده، في طريق صحراوي يسوده الامن. وحاول احصاء عدد هذه القوافل، ولكنه لم يستطع لكثرتها وخاصة القوافل العيذاوية التي تحمل البضائع المستوردة عن طريق ميناء عيذاب وهي تحمل سلع الهند الواصلة الى اليمن، ثم تنقل بطريق البحر الى ميناء عيذاب ثم تنقل بواسطة الجمال بطريق البر. حيث تتوزع الى مناطق احتياجها. واكثر ما شاهد من احوال هذه الجمال هي القفل حتى قال لكثرتها انه رخيص الثمن، يوازي التراب قجمة. ومن عجب ما شاهده بهذه الصحراء انه

وجد احوال القفل والقرقة وسائر السلع مطروحة لا حارس لها، لاعياء الابل الحاملة لها، او غيرها من الاسباب، وتبقى في موضعها الى ان ينقلها صاحبها مصونة من الافات على كثرة المارة عليها من مختلف الناس.

وذكر عن البضائع المستوردة الى مكة المكرمة، حيث وجد ان البضائع التي تجلب اليها من الهند والحبشة والعراق واليمن وخراسان والمغرب، ما لا تحصى ولا تعد. ومن كثرتها انها تبقى الموسم كله. وما يباع فيها في يوم واحد ما لو فرق على البلاد كلها لأقام لها الاسواق النافعة. ومن البضائع والسلع التي اشار اليها الذخائر النفيسة كالجواهر والياقوت وسائر الاحجار. ومن انواع الطيب كالمسك والكافور والعنبر والعود والعقاقير الهندية وغيرها من البضائع الخرسانية والغريبة، اضافة الى الارزاق والفواكه وسائر الطيبات كالتين والعنب والرمان والسفرجل والخوخ والانسرج والبطيخ والقناء والخيار وجميع البقول كالباذنجان واليقطين والسلجم والجزر والكرونب، ومن الرياحين العبقه والمشمومات المعطرة. ويجلب لها من اليمن الزبيب الاسود والاحمر شديد الجوده واللوز الكثير وبها قصب السكر ومن الفواكه البطيخ والسفرجل وهي اغليها بجلوبة من خارج المدينة والفواكه تجلب اليها من الطائف والقرى المحيطة بها.

كما اشار الى تصدير القار من العراق الى ميناء عكة على البحر المتوسط حيث يصدر من هناك الى البلاد البحرية.

### ٣ - طرق ووسائل النقل.

اشار ابن جبير الى طريق الحج الذي قطعه حيث ركب من غرناطة بطريق البر حتى الساحل، حيث استقل مركباً كبيراً من المراكب التي كانت تقطع البحر المتوسط بين موانيه وجزره المنتشرة فيه، ويبدو ان البحر المتوسط كان من البحار المطروقة للمسافرين والبضائع. وان مسالكة كانت واضحة وموانيه تزود هذه المراكب بالماء والحطب والزاد. ولم يشر ابن جبير الى مخاطر قطع الطرق او نهب الركاب. وان الصعوبة الوحيدة التي اشار لها هي هبوب الرياح التي تعرض هذه المراكب الى الغرق واشرعنها الى التكرس. ولكنه اوضح بان المراكب التي تخترقه على نوعين المراكب الصغيرة والمراكب الكبيرة. وان الاخيرة اكثر اماناً من الاولى. فقد اضطر بطريق العودة الرجوع من مدينة صور لانه لم يرغب ان يستقل المركب الصغير الراسي فيها الى مدينة عكا، مرة ثانية حيث اكرى مركباً كبيراً للانقلاص الى مسينة في جزيرة صقلية.

كما قطع نهر النيل من الاسكندرية الى قوص بالمراكب النهرية الصغيرة المعدة لهذا الغرض. ويبدو ان نهر النيل كان مستخدماً للنقل بين الدلتا والصعيد وان المدن الواقعة على شاطئيه كانت مستعدة لاستقبال المسافرين حيث تتوفر فيها الفنادق التي ينزل بها الغرباء.

ثم اشار الى استخدام الجمال وسيلة للنقل في الصحراء وخاصة بين قوص وعيذاب سواء لنقل البضائع الصادرة او الواردة، او نقل المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم. ولا تستخدم غيرها لصبرها على الظما في هذه الصحراء الفاحشة ويكون النقل على نوعين:

١ - المسافرون غير المتمكنين حيث يركبون الابل على احمالها فيكابدون من مشقة سموم الحر غماً ومشقة.

٢ - المسافرون المتمكنون من ذوي الترفيه واليسار فانهم يستخدمون الشفاديف وهي اشياء المحامل واحسن انواعها اليمانية لانها كالاشاكيذ السفرية مجلدة متسعة. يوصل منها الاثنان بالحبال الوثيقة. وتوضع على البعير ولها اذرع قد حفت براكبائها، يكون عليها مظلة، فيكون الراكب فيها مع عدليه في مكمن من لفح الهاجرة، ويقعد مستريحاً في وطنه ومتكاً ويتناول مع عدليه ما يحتاج اليه من زاد وسواه. ويطلع متى شاء المطالعة في مصحف او كتاب. ومن شاء بمن يستجيز اللعب بالشطرنج. ان يلاعب عدليه تفكها واحكاماً للتفكير. وبالجمله فانها مريحة من تعب السفر.

ثم استخدم واسطة اخرى لعبور البحر الاحمر بين عيذاب وجدة، اطلق عليها الجلاب. لا يستعمل فيها مسمار البتة. انما هي مخيطة بامراس من القنار وهو قشر الجوز النارجيل يدرسونه الى ان يتخيظ ويفتلون منه امراساً يخيطون بها المراكب ويتخللونها بدسر من عيدان النخيل. فاذا فرغوا من انشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن او بدهن الخروع او بدهن القرش وهو احسنها. وذلك ليلين عودها ويرطب لكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر، وعدد هذه الجلاب والقنبار مجلوب من الهند واليمن.

#### ثالثاً: المعادن والصناعة

لم ترد عن هذين الموردين سوى اشارات بسيطة شاهدها خلال طريقه المحدود والمرسوم للذهاب الى مكة المكرمة والمدينة المنورة واداء شعائر الحج والعمرة فمن المعادن اشار الى مغاصات اللؤلؤ في البحر الاحمر. وان وقت الغوص عليه شهري حزيران

وتغوز من كل عام حيث يستخرج الناس الجوهر النفيس. كما اشار وهو يمر بمدينة القيارة الى معدن القار. حيث قال ان فيها عيوناً كباراً وصغاراً تنبع بالقار. ويقذف بعضها بحباب منه كأثا الغليان، ويصنع منه احواض يتجمع فيها فتراه شبه صلصال منبسطة على الارض اسود امس صقيلاً رطباً، عطر الرائحة، شديد التعلق، فيلصق بالاصابع لاؤل مباشرة منه باللمس.

وبقربة من هذه العيون على شط دجله عين اخرى من القار كبيرة ابصر على البعد منها دخاناً، وان النار تشتعل فيه، اذا ارادوا نقله فتشق النار رطوبة المانية وتعقده، فيقطعونه ويحملونه جميع البلاد الى الشام والى عكة على ساحل البحر المتوسط، ثم ينقل الى جميع البلاد البحرية.

اما الصناعة فقد اشار الى صناعة كبس التمور في مكة المكرمة، حيث عجب من جودة التمور فيها، وعده بمتملة التين الاخضر في نهاية الطيب واللذاعة لا يسأم التفكه به، ويخرج الناس اليه كخروجهم الى الضيعة او كخروج اهل المغرب لقراهم ايام نضج التين والعنب. وعند نضجه يسط على الارض قدر ما يجف قليلاً. ثم يركم بعضه فوق بعض في السلال والظروف. ثم تحفظ لحين استهلاكها.

ثم اشار الى صناعة الثياب العتاية المصنوعة من القطن والحريز ذات الالوان مختلفة، والتي اشتهرت في الوطن العربي الاسلامي، وتنتج في احدى محلات مدينة بغداد.

#### المستوطنات البشرية:

اشار ابن جبير الى كثافة الاستيطان البشري في دلتا نهر النيل وواديه وذلك من كثرة القرى الواقعة بين الاسكندرية والقاهرة وعلى طول وادي نهر النيل حتى الصعيد حيث القرى متصلة وكثيرة مما اضطر ابن جبير الى ذكر القرى الكبيرة فقط وذلك لان ذكر جميع القرى سوف يزيد كتابه ضخامة. كما ذكر بان العمارة متصلة كذلك والقرى منتظمة. وهذا ما يوضح بان دلتا وادي نهر النيل يستأثر بالعدد الكبير من سكان مصر حيث مورد الرزق من الزراعة.

كما اشار الى كثافة الاستيطان البشري عندما اشرف على سهول العراق اعتباراً من الحلة حتى بغداد ثم شمالاً حتى الموصل وفي جميع المراكز الحضرية في بلاد الشام ومدنها الكبيرة. بينما اشار الى اضمحلال هذا الاستيطان في المناطق

الصحراوية عندما مر بين قوص وعيذاب في الصحراء بين النيل والبحر الاحمر وكذلك عندما غادر المدينة باتجاه بغداد حتى مدينة الكوفة حيث اقتصر المرور على مواضع المياه والمصانع والبحاريج فيتزوّد منها الحجاج والتجار دون وجود سكن فيها .  
اما المدن فقد قسمها ابن جبير حسب اهميتها الى الاقسام التالية :-

#### ١ - المدن

وهي الخواضر التي تقع في المرتبة الاولى حيث تتميز بما يلي :-

أ - اتساع مبانيها وعلوها

ب - نشاط اسواقها

ج - احتواؤها على كافة المرافق كالمدارس والمستشفيات والحمامات وغيرها .

د - كثرة سكانها .

ومن هذه المدن الاسكندرية والقاهرة وقوص وعيذاب وجدة ومكة والمدينة والحلة وبغداد والموصل ورأس العين وحران وحلب وحماة وحمص ودمشق وبيانياس وعكة وصور .

#### ٢ - البلدة

وهي اصغر من المدن واكبر من القرى فيها الاسواق وسائد ما يحتاج اليه من المرافق ولكن اسواقها ومبانيها ونشاطها الاقتصادي اقل من المدن . مثل منفوط التي قال عنها بلدة في نهاية من الطيب ليس في الصعيد مثلها . وقال عن بلدة بزاعة في مصر انها تصغر عن المدن وتكبر عن القرى .

#### ٣ - القرى

وهي على نوعين القرى الكبيرة والقرى الصغيرة وقد اشار الى النوع الاول فقط وقد تميزت هذه القرى باتساع مساحتها وخصوبة اراضيها الزراعية وانتشار بساتينها واراضيها الزراعية وخيرات محاصيلها التي تزود بها المدن بما يحتاجون اليه .

القبائل التي اشار اليها ابن جبير

لقد اشار ابن جبير الى قبائل البجاة وقبائل السرو .

فالبيجة هم اهل عيذاب ولهم سلطان من انفسهم يسكن معهم في الجبال المتصلة بها ، ويصل في بعض الاحيان الى مدينة عيذاب ليجتمع بالوالي من الغزو وهم جنس من الاثراك اظهراً للطاعة اليه .

وهؤلاء البيجة هم الذين يقومون بنقل التجار والحجاج وبضائعهم في الصحراء بين قوص وعيذاب .

وفي طريق عودة الحجاج من جدة الى عيذاب فان الرياح تبعد المراكب الى الجنوب من الميناء بعيداً عن مرسى عيذاب حيث يتزلون في الصحراء فينقلهم البيجة وهم نوع من السودان يسكنون الجبال على الجمال في طريق لا ماء فيه . ويقطع قسم من الحجاج الطريق على قدميه فيهلك قسم منهم عطشاً .

وذكر قبائل السرو وهم من قبائل اليمن الذين يسكنون جبال السراة الحصينة فاشتق اسمهم من اسم بلادهم . وهم قبائل شتى كجبيلة وسواها . وهم يجلبون من الاطعمة ويصلون بالالاف من العدد رجلاً وجمالاً فيجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز والخنطة وسائر الحبوب من اللوباء وما دونها ولولا هذه الميرة لكان اهل مكة في شظف من العيش . وهم يبيعون بالحرفة والعبادة والشمل فيعد اهل مكة الاقنعة والملحف المتينة وما اشبه مما يلبسه الاعراب ويباعونهم ويشارونهم . ولم يذكر ابن جبير غير هؤلاء في رحلته .

#### الخلاصة

بلا حظ مما سبق ان ابن جبير قد خرج من بلاده حاجباً . وقد التزم بطريق محدد ومرسوم . ومع ذلك فانه قد دون مذكرات يومية عما صادفه وشاهده . ونقل البنا وصفاً دقيقاً لكثير من المدن من حيث عماراتها ونشاط سكانها . فعندما تحدث عن مدينة الاسكندرية قال ومن عجائب هذا البلد تصرف الناس فيه بالليل كتصرفهم بالنهار في جميع احوالهم وهذا القول المختصر يوضح لنا بان نشاط السكان في هذه المدينة مستمر طيلة اربع وعشرين ساعة .

كما لم تقتصر مذكرات ابن جبير على المظاهر الجغرافية وانما تناول كثيراً من الاحداث التاريخية وخصوصاً انه مر في فترة حرجة هي فترة الغزو الصليبي وحكم السلطان صلاح الدين الابوي الذي اشار الى كثير من اصلاحاته الدينية والادارية والثقافية . وتطرق الى المساجد والمدارس والمستشفيات ولم يتطرق هذا البحث الا الى الجوانب الجغرافية التي اشارت اليها الرحلة .

كما تميزت هذه الرحلة بالدقة في الوصف والتعبير دون اسهاب او تطويل وبأسلوب ادبي عال يخلو من الاساطير والخرافات . مما يوضح ان ابن جبير كان على ثقافة عالية وانه دقيق الملاحظة .

ولم يتضح من رحلة ابن جبير انه اقتبس من غيره او راجع المكتبات للقراءة والاطلاع . وانما دون هذه الرحلة عما شاهده بنفسه . وقد اقتبس منه كثير من الرحالة والمؤلفين . لان ما جاء به جديد ولم يتطرق اليه احد غيره . ومن الذين نقلوا عنه العبدري وخالد بن عيسى البلوي وابن بطوطة وابن الخطيب والمقرئزي الفاسي والمغربي .

وان الصعوبات التي صادفت ابن جبير في دخوله الى مصر عن طريق الاسكندرية وخروجه عن عيذاب الى جدة ، كانت من

الامور التي اضفت الى الرحلة معلومات لانها اجبرته على ان يعود عن طريق اخر غير الطريق الذي اعتاد فيه الحجاج المغاربة والمصريين العودة به . فقد سلك طريق المدينة - بغداد - الموصل - دمشق - عكا وبذلك وصف لنا طريقاً جديداً ومراً على بلاد جديدة هي العراق والشام . اضافة الى اشاراته القيمة عن البحر المتوسط والجزر التي تقع فيه وموانيه التي وقف بها مما جعل الرحلة بحق سفر علمي قيم تضم معلومات تاريخية وجغرافية على حد سواء .

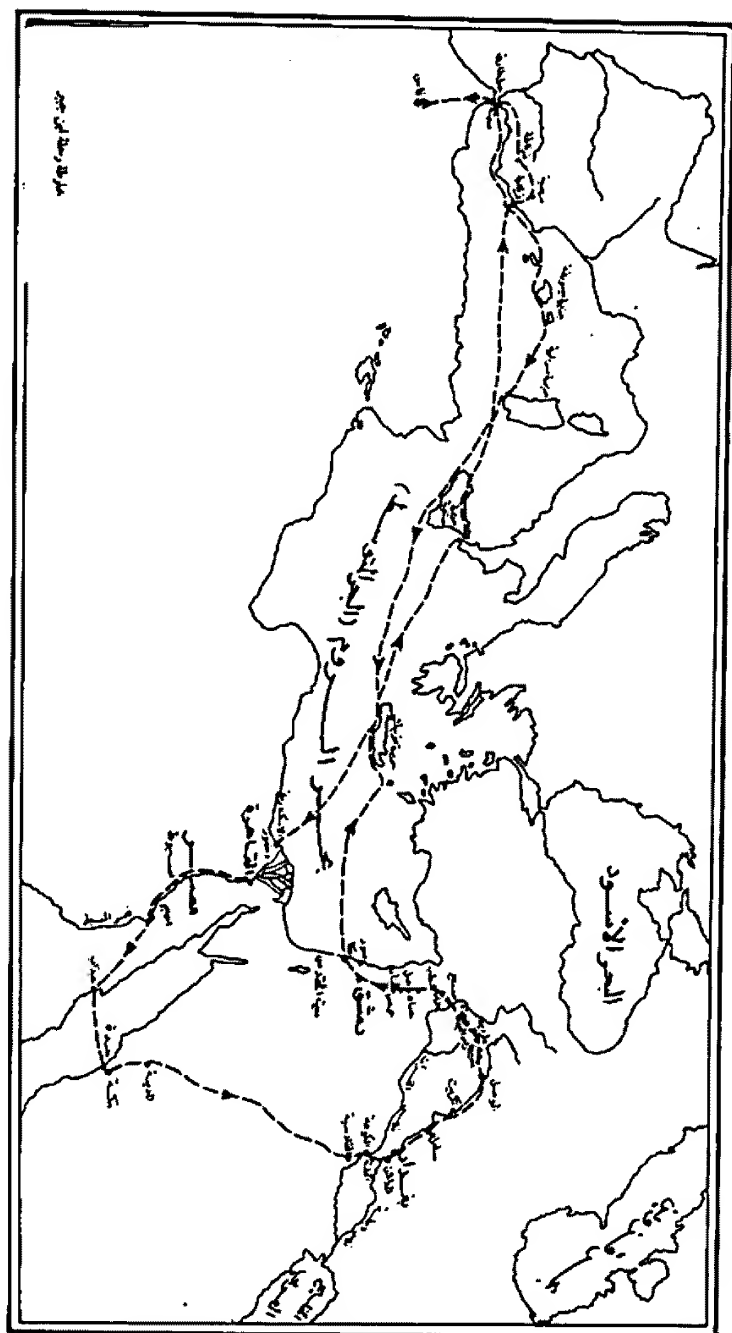
#### المصادر والمراجع

- ٥ - كراتشكوفسكى (اغناطيوس يوليانيوفتش) تاريخ الادب الجغرافي العربي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القسم الاول ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ .
- ٦ - لجنة من ادباء الاقطار العربية ، الرحلات ، فنون الادب العربي ، الفن القصصي (٤) دار المعارف ١٩٥٦ .
- ٧ - محمد مصطفى زيادة ، رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٩ .

- ١ - (ابن جبير) ابي الحسين محمد بن احمد ، ابن جبير ط ٢ مطبعة بريل ليدن ١٩٠٧ .
- ٢ - الحسن البصري ، فضائل مكة والسكن فيها ، تحقيق الدكتور سامي مكى العاني مكتبة الفلاح ، الكويت ١٩٨٦ .
- ٣ - خير الدين الزركلي ، الاعلام . ج ٦ ط ٢ لا يوجد مكان للطبع او سنة الطبع .
- ٤ - شاكرك خصلك ، في الجغرافية العربية ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٩٧٥ .

• • •

**بناء الفاو مدينة الغذاء وبوابة النصر العظيم تعبر عن  
ارادة السلام.**



# رحلة ابن بطوطة

## دراسة عبد الجبار السامرائي

ص . ب ٤٦٩ بغداد

### الرحلة

تفتحت مواهب ابن بطوطة حين شبَّ عن الطوق، وغدا شاباً وشيداً في الثانية والعشرين، عندما عزم على مغادرة بلاده لأداء فريضة الحج . كما يروي هو نفسه :

(قال الشيخ ابو عبد الله : كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعماية معتمداً حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منفرداً عن رفيق آنس بصحبته وركب اكون في جلته لباعث من النفس شديد العزائم وشوق الى تلك المعاهد الشريفة كان في الحيازيم فحزمت أمري على هجر الإناث من الأحباب والذكور، وفارقت وطني مقارفة الطيور للوكور، وكان والذي بقيد الحياة، فتحملت لبعدها وصباً، ولقيت كما لقيا نصباً، وسني يومئذ اثنتان وعشرون سنة).

وقد جاء هذا العزم على الحج الى بيت الله الحرام حدثاً هاماً في حياة ابن بطوطة، دفعه الى أن ينفذ عنه ثياب الدعة والاستقرار، ويرتدي ثوب الارتفاع والتجوال، تخلصاً اسمه في ميدان الرحلات التي قام بها قبله رجال من المسلمين منذ القرن الثالث الهجري، حين ارتادوا بلاد الدولة العربية المترامية الأطراف، من حدود الهند شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً،

في الوقت الذي اختتم فيه (ماركوبولو) البندقي تمهوله في أعماق الأراضي والمجتمعات الآسيوية، ودون رحلاته ومشاهداته، ولد بطنجة... ابن بطوطة، وكان الله أراد أن يجعله خلفاً لماركوبولو كيما يستكمل دوره، وقد جاب ابن بطوطة أكثر ما عرف لزمانه من بلاد العالم. وترك لنا كتابة الموسوم (تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ليكون أصدق وثيقة وتحفة خالدة تزين جيد الأدب العربي.

### من هو ابن بطوطة؟

هو اعظم الرحالة العرب قاطبة، واكثرهم طوافاً في الأفاق، وأوفرهم نشاطاً واستيعاباً للأخبار، وأشدهم عنابة بالحدث عن الحالة الاجتماعية في البلاد التي تجول فيها. ويشهد بأن ابن بطوطة كان من الغامرين الذين لا يقر لهم قرار، ومن الذين يدفعهم حب الاستطلاع والرغبة في الاستمتاع بالحياة إلى أن يركبوا الصعب.

ولد ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي المعروف بـ ابن بطوطة في مدينة (طنجة) سنة ١٣٠٤/٧٠٣ من أسرة كريمة، أتبع لكثير من ابنائنا الوصول إلى منصب القضاء والنبوغ في العلوم الشرعية<sup>(١)</sup>.



ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز شمالاً إلى صحارى افريقيا جنوباً. وتجدر الإشارة الى أن رحلات اولئك الرحالة الأول تختلف عن رحلة ابن بطوطة؛ كونها متخذة صفة رسمية، قام بها مبعوثون وسفراء من قبل السلطات المركزية الاسلامية ببغداد، لوصف الطرف والممالك التي تربط العاصمة بالبلاد التابعة لها، ولدراسة الأحوال التي تساعد اولي الأمر على إدارة هذه الدولة الكبرى، وتطبيق أحكام الشريعة فيها. وما يسترعي الانتباه حقاً هو ان ابن بطوطة كان آخر الرحالة الكبار الذين انتظمت رحلاتهم محيط العالم الاسلامي بأسره. وبالتالي، فقد بات الرجوع إليه أمراً حتمياً على أي باحث يود الخوض في تاريخ الأورودو الذهبي، وآسيا الوسطى، رغم أن رواياته عن الصين والمهند تحاكي في أسطوريتها وأسفار السندباد و«عجائب الهند». ومهما اختلفت حوله الآراء، فإن من المستحيل انكار أنه كان آخر جغرافي عالمي من الناحية العلمية، أي أنه لم يكن نقالة يتكئ على كتب الآخرين، بل كان رحلة انتظم محيط أسفاره عدداً كبيراً من الاقطار، وقد جاوز تحواله مقدار مائة وخمس وسبعين ألف ميل، فهو بهذا يعد منافساً خطيراً لمعاصره الأكبر منه سناً (ماركوبولو) البندقي. ولعل المقارنة بين الاثنين قد بولغ فيها أحياناً، ولو أنها لا تخلو من الطرفة في بعض جوانبها، فالصياغة الأدبية لكلا الرحلتين مثلاً، لا ترجع الى صاحب الرحلة نفسه بل الى شخص آخر، كما أن كلا المصنفين يكمل أحدهما الآخر بالنسبة لمعلوماتنا عن آسيا، فالرحالة البندقي عرف الشرق الأقصى خيراً مما عرفه المغربي، وفي مقابل هذا يضحى أمراً طبعياً أن يكون لابن بطوطة إحساس ذاتي بطروف حضارة العالم الاسلامي الذي يصفه أكثر مما كان لدى البندقي. وما يقرب بين الاثنين انها لا يتعميان في المحيط الجغرافي الى الجغرافيين العلماء، ولو أنه يجب الاعتراف بأن وصف المواطن المغربي لخط سير رحلته ادعى إلى الثقة بما عليه الحال مع معاصره البندقي، غير أن هذا يجب الا ينسبنا شطحائه، فما لاشك فيه أن وصفه لـ «أرض الظلمات» الواقعة خلف أراضي البلفار، إنما يرجع فيه الى فكرة غير موثوق بها أو إلى مصدر أدبي أساء فهم روايته، كما أن وصفه لبلاد طوالسي الواقعة في مكان سامن كوشين - Cochin - China يتضمن أساطير سمعها عن بلاد أخرى حتى اختلط الوصف لديه اختلاطاً كلياً. إلا أنه كلما

تعرّضت الأجزاء المختلفة من وصف رحلته لدراسة دقيقة مفصلة، زادت الثقة في صدق روايته يوماً عن آخر.

لقد بدأ ابن بطوطة رحلته من طنجة ماراً في طريقه على (بجاية) وتونس وطرابلس حيث تزوج، ومن ثم وصل الى الاسكندرية، وفيها التقى عدداً من العلماء أمثال برهان الدين وأبي عبد الله المرشدي، ولكنه لم يلبث أن انتقل الى دمياط، حيث أعجب بنظامها، ومنها ركب النيل متجهاً إلى القاهرة عاصمة البلاد، مشيراً الى ازدهارها أيام المماليك على الصعيدين الاجتماعي والعمراني. ومن القاهرة تابع سيره للإلتحاق بقافلة الحجاج من دمشق، بعدما تعذر عليه ذلك عبر البحر الأحمر بسبب حروب دارت رحاها بين المماليك وقبائل البجة. ومن خلال مطالعته لما جاء على لسان ابن بطوطة نتبين قوة السلطة المركزية في كل من مصر والشام في حفظ سلامة المسافرين، وتأمين الوسائل التي تساعد على تنقلهم بسهولة؛ وهذا ما شجع ابن بطوطة على زيارة معظم مدن فلسطين، وخاصة بيت المقدس، حيث أبدى إعجابه بروح الإخاء والمودة التي كانت تسود العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في المنطقة الشامية برمتها. وكذلك يشيد بالمسجد الأموي في دمشق كظاهرة فريدة من مظاهر ازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية هناك؛ في حين اننا نرى روعة المسجد وأهميته لم تختلف عن المساجد الأخرى في العواصم الاسلامية. وقد أشار الى أمور عديدة أخرى، كتوزيع مال الأوقاف للفقراء الراغبين في تأدية فريضة الحج، وللبنات اللواتي لاقدرة لأهلن على تجهيزهن حين الزواج ومن دمشق توجه ابن بطوطة مع الراكب الحجازي في الأول من شوال متجهاً إلى مكة. والجدير بالذكر أن وصفه لرحلته هذه هو صورة واضحة تصلح لأن تكون دليلاً يتضمن معلومات جغرافية وتاريخية لمن يرغب في زيارة تلك الأماكن المباركة؛ ولم يقتصر تعريفه على الأماكن الواقعة في مكة والمدينة، بل تعداها الى تلك التي تقع في العراق ومعظم انحاء الجزيرة العربية.

أما أبرز ما يلفت الانتباه، الإشادة، بالحياة الاجتماعية في مكة وسط إسهابه في الحديث عن أماكنها المقدسة، والشعائر الدينية التي تقام فيها، فذكر ما تحلّ به أهل مكة من مكارم الاخلاق، وما طبعوا عليه من حيد العادات؛ فكانوا يبالغون في إكرام الغرباء والمنقطعين. ولم يبق ابن بطوطة طويلاً في مكة بعد

أن انتهت من مناسك الحج، إلا أنه لم يفكر كذلك في العودة إلى وطنه، إذ تحركت في نفسه غريزة التجوال وارتداد البلاد، وبدأ مرحلة جديدة من الرحلات، كانت الدرجة الأولى في سلم طويل ارتقاه حتى وقف على قمة أحوال العالم المعروف على عهده، حيث شاهد عجائبه وآشاره، قائماً بأن يقضي من عمره نحواً من عشرين سنة في أسفار متصلة ورحلات متعاقبة. وهكذا حقق ابن بطوطة فُرَاسة العالم الذي التقاه في مصر برهان الدين، الذي خاطبه - كما جاء على لسان ابن بطوطة - : «أراك تحب السياحة والجولان في البلاد، فأجابه بالإنجاب. وهنا قال له :

لأبد لك إن شاء الله من زيارة الهند، ومقابلة أخي فريد الدين بها، وكذلك النزول بأرض الصين، والالتقاء بأخي برهان الدين هناك، فإذا بلغت هذه البلاد، فأقري أخوتي بها السلام».

ومن مكة التي زارها لتأدية فريضة الحج ثانية، توجه ابن بطوطة إلى زيارة أقوام جدد من المسلمين على ساحل أفريقيا الوسطى، وعزم على الذهاب إلى هذه البلاد ماراً ببلاد اليمن، ثم لم يلبث أن عاد إلى مكة ثالثة، فمرّ في طريقه إليها على اليمامة ثم اجتاز البحر الأحمر إلى عيذاب ومنها إلى القاهرة.

وهكذا اجتاز ابن بطوطة - في دورته الثانية - الشام ليصل إلى آسيا الصغرى... ومنها وصل إلى (سينوب) على البحر الأسود، ومنها يمّ شطر بلاد المغول، حيث رست سفينة في مرسى يدعى الكرش الواقع ضمن دائرة نفوذ القبيلة الذهبية التي تعود إلى أصول مغولية. ومن ثغر الكرش انتقل إلى ثغر (كافا) وهي فيدوسيا حالياً حيث كان أكثر سكانه من أهل جنوه. ولكنه لم يلبث أن رحل منها إلى مدينة القرم حيث أكرم وفادته حاكمها تلكتسور؛ وهنا اسهب ابن بطوطة الحديث عن وسائل المواصلات وما يتصل بها، إذ وصف العربات التي تساعد المسافرين على التنقل بسهولة فهي متعددة متنوعة قوامها الخيول وغيرها من الحيوانات؛ مما يدل على التقدم الصناعي في تلك المناطق، ثم وصل ميناء (كفا) الذي يعتبره ابن بطوطة من الموانئ العالية الخمسة الكبرى إلى جانب (ميناء الاسكندرية في مصر وكلم وقالقوت بالهند والزيتون بالصين).

وقد كان له وقع بارز في نفسه، سمع ولأول مرة في حياته اصوات نواقيس الكنائس وفي طريقه، جال ابن بطوطة في جميع

انحاء شبه جزيرة القرم وروسيا الجنوبية، ومن هناك بلغ أرض البلغار القلقا، ثم خرج من استراخان (حاجي طرخان) مع قافلة الأميرة البيزنطية، إحدى زوجات الخان أوزبك، فبلغ القسطنطينية، ومن هناك، رجع مرة ثانية إلى مملكة الأوردو الذهبي، فوصل إلى مقر الخان بمدينة سراي، ثم عبر نهر الفلقا، فوصل إلى جنوه، وغادرها إلى بخارى فافغانستان، ودخل الهند في غرة محرم من عام ٧٣٤هـ / ١٢ أيلول ١٣٣٣م. وبدخول ابن بطوطة بلاد الهند، عادت به الذاكرة إلى تلك الفترة الأولى التي أخذ الإسلام يشق فيها طريقه إلى هذه الرقعة الحافلة بالولان المدنيات القديمة. فكانت الجهات التي بدأ بزيارتها أولى البقاع التي وصل إليها المسلمون، حين أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق جيشاً بقيادة ابن عمه محمد بن القاسم سنة ٨٩هـ لفتح السند. وفور وصول ابن بطوطة إلى دلهي التي كانت محجة انتظاره، استقبله حاجب الغرباء فيها، وسدعى الشريف «المانداري» واصطحبه إلى دار الضيافة: حيث أعطي مالا وفيراً ومؤناً بقدر ما يحتاج إليه، وقد انتهز ابن بطوطة فرصة غياب السلطان وعمل على زيارة المدينة الهندية الكبيرة المساحة والعمران؛ تنقسم إلى أربعة أقسام يحيط بها سور واحد. «والسور المحيط بمدينة دلهي لا يوجد له نظير، عرض حائطه إحدى عشرة ذراعاً، وفيه بيوت يسكنها حفاظ الابواب، وفيها مخازن للطعام ويسمونها «الآبنات»، ومخازن للمعدن... ويشي في داخل السور الفرسان والرجال من أول المدينة إلى آخرها. وفي طبقات مفتحة إلى جهة المدينة يدخل منها الضوء، وأسفل هذا السور مبني بالحجارة، وأعلاه بالأجر، وإبراجه كثيرة متقاربة». وقد لفت انتباهه استعداد المدينة لاستقبال سلطاتها، بموكب يتقدمه مشاة من عبيده وخلفهم فيلة يرمى من فوقها بالدنانير والدرهم فيلتقطها الناس، وآخرون يوزعون آنية ملوئة بشراب ماء الورد. وانتظر ابن بطوطة فترة وجيزة تعرف خلالها على عادات وتقاليدها استقبال سلطان دلهي، محمد بن طغلق المعروف بمحمد شاه بروارة: ثم لم يلبث أن تقدم لزيارته، فكانت مناسبة لينقل لنا صورة رائعة ودقيقة لقصر هذا السلطان الكبير من جهة، وصورة واضحة لعادات وتقاليدها شعوب تلك البلاد أثناء زيارتهم لسلطانهم من جهة أخرى. وقد حظي ابن بطوطة بمكانة مرموقة لدى السلطان، حيث عينه قاضياً في عاصمته «دلهي»، وعضواً في «سفارة» جهزها سلطان الهند إلى الصين. لكن ابن بطوطة لم

الصينية على منح المسلمين هناك امتيازات كثيرة لما لهم من أثر كبير في اقتصاديات البلاد، من ذلك مثلاً حقهم في اتخاذ قاضٍ مسلم من بينهم، يؤمهم في الصلاة، ويحكم في المشاكل التي يتعرضون لها، وحقهم في الحصول على جوازات تتيح لهم التجارة مع أهل الصين داخل البلاد. وتابع التجار المسلمون نشاطهم حتى وصلوا إلى كوريا، وفي هذه الأخيرة كان لهم نشاط واسع حيث تدخلوا في الشؤون السياسية لهذه البلاد. وبما ساعد على هذا التدخل السياسي: العلاقات الحسنة بين حكام الصين وخلفاء الدولة الإسلامية، ومن ثم الاستمانة بخلفاء المسلمين في التغلب على مشاكلهم الداخلية، فعلى سبيل المثال: استنجد حاكم الصين سوتسج عام ٧٥٦م بالخليفة المنصور العباسي للدفاع عن عرشه ضد بعض الثوار، فأمد الخليفة بفرقة من الجنود المسلمين، أثرت البقاء في الصين بعد انتهاء مهمتها. وظلت أحوال الصين تزداد قوة باتصالها بالمسلمين حتى القرن الثالث عشر الميلادي، قبيل زيارة ابن بطوطة لها بزم قصير، إذ دخل المغول بلاد الصين، وتحولوا إلى الدين الإسلامي، وفتحوا بذلك الطريق أمام المسلمين من سائر الأجناس للدخول إليها، فاستقر عدد من المسلمين في مدنها الهامة بشكل نهائي، وغدا لهم كيانهم الخاص. وجاءت زيارة ابن بطوطة إلى الصين وتحواله في مدنها سجلاً حافلاً عن حياة المسلمين، ونشاطهم في هذه المرحلة المبكرة من اتصالهم بالشرق الأقصى. وفي طريق عودته استقل سفينة من سومطرة إلى ظفار جنوبي الجزيرة العربية فبلغها في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م.

وهكذا، ومرة أخرى، نرى ابن بطوطة ضارباً في فسافي العراق والشام ومصر، ليؤدي فريضة الحج للمرة الرابعة، ثم يكمل طريقه إلى فلسطين، فشهد الطاعون، ذلك الوباء المخيف الذي اجتاحها عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. وبعد ذلك بقليل، وفي نيسان عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م أحتت عليه رغبة جامحة في الرجوع إلى وطنه، ولعل تواتر الأخبار بازدهار مراكش في عهد السلطان أبي عنان من بني مرين، قد مكّن هذه الرغبة في نفسه، فأخذ طريق العودة ماراً بمصر وتونس، حيث واثته فكرة زيارة جزيرة سردينية وسردانية وفي أثناء هذه الرحلة، تعرّض مرتين لهجوم لصوص البحر «القراصنة». وعلى الرغم من هذا، فقد حالفه التوفيق، فتقدم في طريقه إلى فاس ماراً على تنيس وتلمسان، وتازان، التي علم فيها بخبر وفاة أمه. حتى بلغ بلاط السلطان

يوق في الوصول إلى الصين براً عن طريق قندهار، فاضطر إلى الأبحار من قاليقوت إلى جزر الملديف (جزائر ذبية المهل)، وهناك أمضى زهاء عامين شغل خلالها مرة أخرى منصب القضاء. إلا أنه نتيجة لبعض أحكامه القضائية بحق بعض النافذين في تلك الجزيرة أخطر إلى مفادتها متجهاً نحو جزيرة سيلان التي ارتبط بها - كما يقول ابن بطوطة - أقدم القصص عن آدم أب البشر. (وأثر القدم الكريمة [قدم آدم] في صخرة سوداء مرتفعة، بموضع فسيح، وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة حتى عاد موضعها منخفضاً، وطولها أحد عشر شبراً، وأتى إليها أهل الصين قديماً، فقطعوا من الصخرة موضع الأبهام بقصدونها من أقصى البلاد. وفي الصخرة، حيث القدم تسع حفر منحوتة، يعمل الزوار فيها الذهب والبراقيت والجواهر، فإذا وصل الفقراء إليها تسابقوا في أخذها).

واسترعى انتباه ابن بطوطة كثرة احجار الياقوت التي تستخرج من أرض الجزيرة، حيث يتحل بها جميع نساها على شكل قلائد ويعملته في أيديهم كذلك وارجلهم عوضاً عن الأساور والحلاخيل.

ومن سيلان، انتقل ابن بطوطة إلى البنغال [البنجاله] والهند الشمالية واندونيسيا، ومن هناك اتجه إلى كانتون بالصين حيث كان يردد وهو في طريقه إلى هذه البلاد ما روي عن الرسول الكريم (اطلبوا العلم ولو في الصين). وإذا كانت السفينة تقترب من الشواطئ الصينية، مارود ابن بطوطة أي شعور بالخوف أو الرهبة، فقد تذكر ترحيب أهل الصين بالمسلمين، ولا سيما التجار منهم الذين كانوا أول من وصلوهم بالدين الإسلامي ودولته. وقد وفد أولئك التجار المسلمون على الصين في عهد دولة تارنج التي حكمت الصين من ٦١٨ إلى ٩٠٧م، وتناقل أهل الصين عن أولئك التجار أنهم يعبدون الله، وليس لهم في معابدهم تماثيل ولا صنم ولا صورة، وأنهم لا يأكلون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر، وأنهم يحمون الذبائح التي لا يذبحونها بأنفسهم. وقد حصل أولئك القوم من السلطان على إذن بالاقامة في ميناء كانتون، وبنا دوراً جميلة تختلف عن مباني أهل الصين. وصرعان ما أصبح أعضاء الجالية الإسلامية أغنى الناس في الصين، وكثر الوافدون عليهم من بني دينهم، واستقر آخرون منهم في ميناء خانفو جنوب مدينة شنغهاي الحالية. وحرصت السلطات

أبي عنان في تشرين الثاني عام ١٣٤٩م/٧٥٠هـ وهناك انتهى به المطاف، وقوبل بما هو أهل له من التقدير والاحترام. يبدو أن تحجرواله لم يقف عند هذا الحد، فقد بقي قطران إسلامياً لم يكن زارهما بعد، أحدهما دولة غرناطة التي وصلها بعد زيارة قبر والدته في طنجة، لكنه لم يمكث في هذه البلاد طويلاً، لأن المسلمين كانوا يعانون أخطر مرحلة في حياتهم، وهو انسحابهم أمام المناوئين من أهل الأندلس، الأمر الذي دفعه للعودة تاركاً وراءه هذا القطر الهام من دار الاسلام.

عزم ابن بطوطة بعد عودته من الأندلس على القيام بزيارة بلاد المسلمين في السودان الغربي، حيث ترك مدينة فاس بعد أن استأذن السلطان أبي عنان في شتاء عام ١٣٥١م لزيارة السودان، وقد نظم سفرة الى سجلماسة الواقعة جنوب شرقي الأطلسي، والتي لم يبق منها سوى الأطلال، كانت حينذاك معبراً حدودياً مهماً يربط الحدود الجزائرية المغربية بمملكة مالي، التي لم يكن مرّ على اعتناقها الاسلام عهد طويل. وبعد خمسة وعشرين يوماً من السفر وصل الى منجم الملح الكبير، الموجود في قرية «تعازا»، إذ يأتي السود من جميع أنحاء السودان لشراء هذا الملح بأسعار مرتفعة نسبياً. فقد كانت السبيكة في «إيوالاين» مثلاً، المنفذ الجنوبي لموريتانيا حالياً تساوي من ثمانية الى عشرة مثاقيل [أي أونصة ذهب، أقل بقليل من خمس غرامات]، وترتفع لتساوي من عشرين إلى ثلاثين مثقالاً، وأحياناً تصل إلى أربعين مثقالاً في عاصمة مالي. ويستعمل السود الملح بمثابة النقود كما هو شأننا اليوم مع الذهب والفضة. وقد فقدت (إيوالاين) تقريباً كل أهمية تجارية اليوم بعد أن كانت عام ١٣٥٢م ساحة تجارية ناشطة، ومرقاً مدخل إمبراطورية مالي؛ وفيها أدهش ابن بطوطة ببعض العادات والمفاهيم الاجتماعية، كاختلاط النساء بالرجال، الى درجة أن أحدهم يدخل داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك، رغم تحكّم أهاليها بالاسلام ومواظبتهم على تأدية الصلوات. ويعزو ابن بطوطة ذلك الى أن هذه المنطقة لم تفهم الاسلام فهماً صحيحاً؛ لقلة الدعاة والمعلمين وهذه الظاهرة مالبت أن تبدلت مع مواصلة مسيره نحو الشرق حيث يؤكد ابن بطوطة على التزام أهالي «زاغة» بأهداب الدين. والواقع أن هذه المنطقة التي تقع على قلاع النيجر الشمالي الغربي مقر مملكة «تكرور» كانت أول معقل للإسلام بالسودان في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وكان لها اتصال بمصر،

ولاسيا انها كانت تبعث بأبنائها الى الأزهر للتحقق في شؤون الدين.

وفي مالي أقامت الجاليات الأجنبية لابن بطوطة احتفالاً كبيراً، وإن دلت هذه الظاهرة على شيء فهي تدل على التقدير الحضاري الذي وصلت إليه مملكة مالي، نتيجة تفاعل الحضارات المصرية والمغربية والسودانية وانصهارها في بوتقة اسلامية، لتشكل حضارة متطورة لأهالي مالي تبرز بشكل جلي في وصف ابن بطوطة المفصل للمناسبات الدينية والوطنية التي يشارك فيها الحكام والمحكومون على حد سواء. وفي طريق العودة، بعد أن زار ابن بطوطة معادن النحاس بـ (تكدا)، بدأ في ١٢ أيلول عام ١٣٥٣م/٧٥٤هـ رحلة شاقة، استغرقت بضعة أشهر في صحبة قافلة من تجار الرقيق، اخترق خلالها هضبة «هكار» Ahagger بعد أن مرّ في طريقه على واحة (أغندس Agdes) ثم عبر جبال أطلس شتاءً في ظروف قاسية من الشظف الشديد إلى أن بلغ فاس في نهاية عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م. وفي هذه المدينة المغربية أمضى البقية الباقية من حياته، وهي نيف وعشرون عاماً لم يقم خلالها بأي تحوال حتى وافته المنية في عام ٧٩٩هـ/١٣٧٧م<sup>(١)</sup>.

#### العراق في رحلة ابن بطوطة

زار ابن بطوطة العراق زيارتين اثنتين، وسلك فيها طريقين مختلفين أولهما، حين قدومه من مكة المكرمة سنة ٧٢٦هـ، وأما الثاني، فحين عودته من الصين، فجاوة، فالخليج العربي، فالبحر، وبغداد سنة ٧٤٨هـ، وقد وفق رحلنا في رحلته الثانية لزيارة قدر طيّب من المدن لم يزرها في زيارته الأولى كالأنبار وهي وحديته وعانة وأثنى على حالها المعاشية ومستوجاتها الزراعية حيث يقول:

«من أحسن البلاد وأخصبها... كأن الماشي فيها في سوق من الأسواق». لكن الزيارة الأولى هي التي تضمنت معلومات ذات جدوى وخطرة. وتعد رحلة ابن بطوطة الى العراق أول رحلة يقوم بها رحالة بعد دخول المغول وعينهم في بغداد، لكن السنوات السبعين التي فصلت بين سقوط بغداد ودخوله

(٦٥٦ - ٧٢٦هـ) كانت كفيلة بإعادة الرخاء الى البلاد، لاسيما بعد أن دخل السلطان محمد خدابنده في الاسلام، وأخوه قازغان، وكان حاكم بغداد أبو سعيد بها درخان بن محمد خدابنده، فعُمل على ايديهما الخير والرخاء (وإذا كان المغول قد غلبوا المسلمين فإن الاسلام غلب المغول) كما يقول ابن بطوطة. وما تجدر الإشارة إليه فضائل حاكم العراق آنذاك (أبو سعيد)، إذ محدثنا عن الركب الذي ارتحل به ومافيه من نواضع كثيرة لأبناء السبيل، وجمال لرفع المال للصدقة وأدوية وأشرطة وسكر، لمن يصيبه المرض، والطعام الذي يطبخ في قدور عظيمة (الدسوت) لإطعام أبناء السبيل، وجمال تحمل من لاقدرة له على المشي، كل ذلك من صدقات السلطان أبي سعيد ومكارمه...

ان الطريق الذي سلكه ابن بطوطة في جولته داخل العراق هو طريق نظيرة، مع أمير ركب العراق، وكان يدعى محمد الحويج، فقصد النجف في ٢٠ ذي الحجة سنة ٧٢٦هـ، لكنه سرعان ما فارق الركب الذي قدم فيه، فاتجه جنوباً فشرقا ثم شمالاً. والرحلة تنبيه عن أنه أمضى عاماً منذ خروجه من مكة المكرمة الى عودته اليها ثانية. إذ وُفِّد النجف الى واسط فالبصرة ومنها الى اصبهان وشيراز، ثم عاد الى الكوفة والحلة فكبربلاء فيبغداد ليخرج الى تبريز، ثم يعود ثانية، ويتوجه الى الموصل وماردين، ويعود ثالثة الى بغداد، ليجد الحاج في أعباء الرحيل، فيصحب ركبهم بأمره أميرها معروف خواجة. وقد زار ضمناً عدداً من المدن واطلع على احوالهم ومنها: القادسية وبغداد وسامرا، وتكريت والموصل وغيرها. غير أن بغداد (دار السلام)، قد حظيت بأكبر نصيب من الحب لدى ابن بطوطة، ومنذ أن دخل العراق أحب قصد بغداد، والرحلة تستهل بنص قول ابن جبير الذي يضمّن ابن جُزّي في الرحلة، وفيه إشارة الى التوازل والتكيات التي خلّت ببغداد... وأبعاد هذه التوازل وأثرها بقلة الزوايا التي يطعم بها الطعام. ثم ينتقل الى الحديث عن جسري بغداد، وهما على نحو جسر الحلة ويذكر اتصال الناس في العبورعليها، فهم في ذلك في نزعة متصلة، ويذكر المساجد الجامعة ببغداد، ويتكرر العدد الذي ذكره ابن جبير نفسه، فهي أحد عشر، ثمانية بالجانب الغربي وثلاثة في الشرق، وأما مساجدها ومدارسها، فيشير الى كثرتها الا انها خرجت. ويبدو أن التوسع العمراني كان يشمل المساجد لالجوامع التي

حرصوا على قلتها، رغبة في اجتماع اكبر عدد من الناس في الجمعة وهو مايتحقق بقلة هذه الجوامع. ويتوقف عند الجانب الشرقي من بغداد ليذكر مدرستها، النظامية العجبية التي يضرب المثل بحسنها وهي بأول سوق الثلاثاء، وأما المدرسة المستنصرية المنسوبة الى المستنصر بالله، فهي بأخر السوق، ويعرض لنا صورة عن المدرسة وتوزع فقهاؤها في مجالسهم وفق المذاهب التي يدرسونها.

ويتحدث ابن بطوطة عن حمامات بغداد البديعة الصنع، إذ هي مطلية بالقار مسطحة به، يجتلي للرائي انه رخام أسود الى نصف الحائط، والنصف الأعلى مطلي بالجص الأبيض الناصع... فهي تلفت النظر لما اجتمع فيها من الضدين المتقابلين في الحسن. وفي كل خلوة حوض من رخام فيه انبويان يجريان بالماء الحار والبارد، والدخايل للحمام يُعطى ثلاث قُوط... (ولم أر هذا الاثنان كلّه في مدينة سوى بغداد، وبعض البلاد تقاربها في ذلك).

واذا ما توقفنا عند أوصاف ابن بطوطة لمدينة العراق وجدناه فيها على جانب من الدقة، وهو لا يتناقض مع المعلومات التاريخية المتوفرة عندها، اما هذه المدن فهي:

#### ١ - النجف:

وهي اول مدينة تستقبل ابن بطوطة من مدن العراق، (مدينة حسنة في ارض فسيحة صلبة، من احسن مدن العراق، واكثرها ناساً، واتفقنا بناءً). وفي ذلك إشارة الى تركيز القاطنين فيها. ويصف اسواقها بالحسن والنظافة، وتنوع تلك الاسواق على نظام ونسق بحيث افرد لكل حرفة او صناعة سوق خاص. ولا يغفل الوقوف عند المشاهد والآثار الاسلامية، فيقدم لنا صورة واضحة لمشهد الامام علي (رض).

#### ٢ - واسط:

وفي طريقه من النجف الى البصرة، يمر بواسط فيحدثنا عنها: (حسنة الاقطار، كثيرة البساتين والأشجار). ويبدو انها كانت مركزاً حيويًا لتعليم القرآن الكريم ونحوه، وفيها نحو ثلثمائة خلوة ينزلها الغرباء لتعليم القرآن الكريم.

#### ٣ - البصرة:

(مفسحة الأرجاء، موقفة الأفناء، ذات البساتين الكثيرة والفواكه الاثيرة... وليس في الدنيا أكثر نخلاً منها). وحين

يُعرِّج الأبلّة يقول:

(وبينها وبين البصرة عشرة اميال في بساتين متصلة، ونخيل مظلة عن اليمين واليسار والبياعة في ظلال الاشجار يبيعون الحبز والسك، والتمر واللبن والفواكه). وقد عرفت البصرة بكبار النحاة واللغويين، وبها انتهت رئاسة النحو، لكن الرحالة ابن بطوطة انكر على خطيب الجمعة كثرة لحنه! وشكا ذلك الى القاضي فاعتذر عنه بعدم وجود علماء في النحو! وذلك مايدعو الى التفكير والتدبر، فسيحان مغير الاشياء ومقلب الامور!

٤ - تكريت:

وفي طريقه الى الموصل يكون مرور ابن بطوطة بتكريت، فيصفها بالسعة والكبر، وكثرة الجوامع وجودة الاسواق، وانها عتيقة ذات سور.

٥ - الموصل:

مدينة عتيقة، وتتميز بكثرة الخصب، وقلعتها معروفة بالحلباء عظيمة الشأن، شهيرة الامتناع... والبلد محاط بسورين اثنين محكمين، ويحدثنا عن ربضها الكبير الذي يحتوي الجوامع والحمامات والفنادق والاسواق، ويذكر مشهد الموصل النبي جرجيس والنبي يونس. ومن مظاهر المدينة التي سجلها مارواه عن جامع الموصل، وان به شبائك حديد تدور ومساطب في النهاية من الحسن والانتان.

٦ - سنجار:

واذا ما انتقل ابن بطوطة الى مدينة سنجار ذكر خيراتها، اذ هي كثيرة الاشجار والفاكهة والحبون والانهار.

وابن بطوطة معني في رحلته بوصف طبائع الناس واختلافهم، وهو يسوق ابرز صفات الاقوام المميزة لمدن العراق التي زارها، فمن أهل النجف يقول: «وحاكمهم نقيب الاشراف، وأهلها تجار يسافرون في الاقطار، وهم أهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم» وتلك الاوصاف جاءت عن معاناة وتجربة لآعن سماع وتضمن ذلك لأن ابن بطوطة سحبه في الاسفار فحمد صحتهم، وحين ينزل واسط، ويختلط باهلها يتبين له انهم اعلام يهدي الخير مشاهدهم، وتهدى الاعتبار مشاهدتهم، وهم خير اهل العراق على الاطلاق! ولعل حكمه هذا بسبب ان اكثرهم يحفظون القرآن الكريم، ويمجدون تجويده، وهو ولا ريب اساس العلوم والاخلاق.

واما أهل البصرة، فلهم مكارم الاخلاق، واداء لحقوق الغريب، وكذلك الشأن بالنسبة لاهل تكريت فهم معصومون بحسن الاخلاق، وهذه الصورة تستمر مقرونة باهل العراق من جنوه الى شماله، فهو يصف اهل الموصل بقوله: (لم مكارم اخلاق ولين كلام وفضيلة وعجة في الغريب واقبال عليه). كذلك يصف اهل سنجار وجزيرة ابن عمر بالفضل والكرم، واكثر احكامه نابعة عن مخالطة لأبناء تلك المدن ومعاشرته ايامهم عن كتب<sup>(١)</sup>.

وعند زيارته لقبر الولي أبي العباس السيد احمد الرفاعي في قرية (ام عبيدة)، على مسيرة يوم واحد من (واسط) يذكر ابن بطوطة ان عرب بني اسد كانوا يقطعون تلك الجهة، وهنا يذكر الذكر الذي اقيم بعد صلاة العشاء: (ولا انقضت صلاة العصر ضربت السطبول والصدوف، واخذ الفقراء في الرقص - اي الرقص المولوي = الصوفي) - ثم صلوا المغرب، وقدموا السماط، وهو خبز الارز والسك واللبن والتمر، فاكل الناس ثم صلوا العشاء الآخر واخذوا في الذكر، والشيخ احمد قوجك حفيد ولي الله اب العباس الرفاعي قاعد على سجادة جده. ثم اخذوا في السماع، وقد اعدوا امهالاً من الحطب فأججوها ناراً ودخلوا في وسطها يرقصون، ومنهم من يترغ فيها، ومنهم من يأكلها بغمه حتى اطفئوها جميعاً، وهذا دأبهم، وهذه الطائفة الاحدية [ = تسمى اليوم الرفاعية ] مخصصون بهذا، وفيهم من يأخذ الحية العظيمة فيعض باسنانه على رأسها حتى يقطعه<sup>(٢)</sup>.

ويستكمل رحالنا (ابن بطوطة) الصورة المتعلقة بطبائع العراقيين، فيحدثنا عن عاداتهم واعرافهم، في غير موضع من رحلته، وكثير من هذه الاشارات يؤصل ما هو موجود منها في ايامنا هذه، وهي جوانب تفيد المعنى بدراسة الطوائع الشمية للمجتمعات والامم.

لقد حدثنا ابن بطوطة عن (ليلة المحيا) خلال مروره بالنجف وهي الليلة التي توافق السابع والعشرين من رجب، حيث يحياها الناس بذكر الله والعبادة. ومارواه عنها سمعه من الثقافات، وذكر لنا ماشاع عند اهل الكوفة من عادات واعتقاد الناس في الاولياء والصالحين وتقديم النذور لهم، وقدم لنا وصفاً عن الاحتفالات الدينية لبعض الطرق الصوفية والاعمال الحارقة للعادة التي قاموا لها... وسجل لنا بعض الخرافات والاعتقادات

الساذجة خلال حضوره مشاهد بعض الصالحين في البصرة. ومن جملة هذه الأوصاف تتضح صورة مشرقة وصفحة ناصعة لأبناء مدن العراق التي زارها ابن بطوطة، إذ تشتمل على خير الخصال وأفضل السجاياء، وشهادته تؤكد نفاسة معدنهم ورفعة مقامهم وإن ازدهار الحضارة في وادي الرافدين ترك آثاره وبصماته المتميزة في أبنائه القاطنين فيه.

ويستدعي الإشارة إليه تعقيبات ابن بطوطة وتعليقاته حول أصل عدد من الأعلام التي وردت خلال حديثه، فعن السلطان التتري - حاكم العراق - الذي أسلم (محمد خدا بنده) يذكر الاختلاف في ضبط اسمه و (خدا) بالفارسية اسم الله عز وجل و (بنده) غلام أو عبد أو صافي معناه. وقيل (خربنده) و (خر) بالفارسية (الحمار) ومعناه يكون ولد الحمار. ويستطرد في ذكر هذه الآراء في أصل اسمه وأصل اسم أخيه (فازغان) وهو القدر، لأنه ولد لما دخلت الجارية ومعها قدر. وعن (سُر من رأي) يذكر أنها تسمى (سامراء) وكذلك (سام راه) أي الطريق السامي<sup>(١)</sup>.

#### فكرة الكتاب

في مدينة فاس، الواقعة على ملتقى الطرق المؤدية إلى الرباط وطنجة ومراكش، والتي كانت عاصمة بلاد المغرب لفترة طويلة من الزمن، التقى الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله... المعروف بـ (ابن بطوطة) عصا التسيار عام ١٣٥٤م/٧٥٤هـ عائداً من بلاد الله الواسعة إلى دار السلطان أبي عنان أحد أفراد السلالة المرينية، حيث أخذ يقص من أخبار معمورة قصصاً أثارت أحياناً دهشة السامعين من معاصريه، فانقسموا بين مصدق لها وبين مكذب؛ لافرق في ذلك بين متعلم وجاهل<sup>(٢)</sup> وأعجب هذا السلطان بما كان ابن بطوطة يقصه من أحاديث أسفاره، فأمر كاتبه محمد بن جزى الكلبي أن يدون ما يملحه عليه هذا الرحالة. وتولى ابن جزى كاتب السلطان رواية الرحلة وترتيبها وإضافة بعض الأشعار إليها وتحقيق بعض أجزائها، مستعيناً بكتب الرحلات المعروفة في ذلك العصر، ولاسيما رحلة ابن جبير. ثم سماها (تحفة النظار في غرائب

الأمصار وعجائب الأسفار)، وفرغ منها سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م وختمها بعبارة اجزّل فيهاثناء على ابن بطوطة، ولم ينس مولاه السلطان، فافتخر بأن ذاك الرحالة اختار الاستقرار في دياره دون غيرها.

قال ابن جزى: «انتهى مالحصته من تقييد الشيخ أبي عبد الله محمد ابن بطوطة أكرمه الله - ولا يخفى على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رجال العصر. ومن قال رجال هذه الملة لم يعد. ولم يجعل بلاد الدنيا رحلة. واتخذ حضرة فاس قراراً ومستوطناً بعد طول جولاته، إلا لما تحقق أن مولانا إيد الله أعظم ملوكها شأنًا، وأعمهم فضائل، وأكثرهم إحسانًا، وأشدهم بالواردين عليه عناية، وأنهم بما يتيمي إلى طلب العلم حماية. فيجب على مثلي أن يحمد الله تعالى؛ لأن وفقه في أول حاله وترحاله لاستيطان هذه الحضرة، التي اختارها هذا الشيخ بعد رحلة خمسة وعشرين عاماً»<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أنه كان للسلطان أبي عنان - كما ذكرنا - الفضل في ظهور كتاب وصف رحلة ابن بطوطة، فهو الذي عثر له على «محرر أبي»، أن صُح هذا القول. وتشير فرائض الأقوال إلى أن رحالته مرغماً من ولعه بالقصص، فإنه لم يحس انجذاباً شديداً نحو الكتابة. أما كيف خرجت فكرة الكتاب إلى الوجود، فيتضح ذلك جلياً من ألفاظ المحرر، فهو في كلامه عن ازدهار فاس في عهد أبي عنان يقول:

(وكان ممن وفد على بابها السامي وتعدى أو شال البلاد إلى بحرهما الطامي الشيخ الفقيه السائح الثقة الصدوق جَوَّاب الأرض وغترق الأقاليم بالطول والعرض أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة المعروف بالبلاد الشرقية بشمس الدين، وهو الذي طاف الأرض معتبراً وطوي الأمصار مختبراً وباحت فرق الأمم وسير بين العرب والعجم ثم التقى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا... وتغذت الإشارة الكريمة بأن يملأ مشاهدته في رحلته من الأمصار وما علق بحفظه من نوادر الأخبار، ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار وعلمائها الأخيار وأوليائها الأبرار، فأمل من ذلك ما فيه نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر من كل غريبة أفاد باحتلاها وعجيبية أطرف بانتحاتها وصدر الأمر العالي لعبد مقامهم الكريم المنقطع إلى بابهم المشرف بخدمة جنابهم محمد بن محمد بن جزى الكلبي... أن يضم أطراف مآملاته

الشيخ أبو عبد الله من ذلك في تصنيف يكون على فوائده مشتملاً، ولئيل مقاصده مكملاً متوخياً تنقيح الكلام وتهذيبه، معتمداً إيضاحه وتقريبه ليفتح الاستمتاع بتلك الطرق فامتثل ماأمر به مبادراً وشرع في منتهله ليكون بمعونة الله عن توفية لغرض منه صادراً، ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد الله بالفاظ موفية للمقاصد الى قصدها موضحة المناسحي التي اعتمدها، وربما أوردت لفظة على وضعه ولم أنجل بأصله ولافرعه وأوردت جميع ماأورده من الحكايات والأخبار، ولم أنعرض لبحث عن حقيقة ذلك، ولااختبار على أنه سلك في أسناد صحاحها لوم المسالك، وخرج عن عهده سائرهما بما يشعر من الألفاظ بذلك وقيدت التشكيل من أساء الموضع والرجال بالشكل والنقط ليكون أنفع في التصحيح وال ضبط وشرحت ماأمكنني شرحه من الأساء الأعمجية لأنها تلتبس بعجميتها على الناس ومخطيئة في فك معانيها معهود القياس».

وبعد هذا العرض يتضح لنا أن وصف رحلة ابن بطوطة، ليس من تصنيفه، بل يمثل صياغة أدبية لروايته عملها الكاتب ابن جزري، وقد يبدو ذلك في بعض مجاء فيها: «... وكان أرحمالي في أيام أمير المؤمنين، وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الذي رويت أخبار جوده موصولة الأسناد بالأسناد، وشهرت آثار كرمه شهرة واضحة الأشهاد، وتحلت الأيام بحل فضله، ورتع الأنام في ظل رفقته وعدله...» ولايزال موجوداً بال مكتبة الأهلية بباريس قسم من الكتاب بخط يد الكاتب نفسه. ويمكن الحكم على الطابع العام للكتاب من ألفاظ ابن جزري التي استشهدنا ببعضها آنفاً. ومن تحليل شخصيته كأديب، فهو على ما يبدو من أدياء عصر التدهور، وقد بقي لنا من آثاره ترجمة لسيرة حياته، ومصنف في نسب النبي (ص). وعلينا أن نأخذ دائماً في اعتبارنا جميع الظروف التي تم فيها تدوين الرحلة بحيث أننا إذا ما قسونا في حكمنا على ابن بطوطة فيجب ألا ننسى أن كثيراً من اللوم الموجه إليه يمكن أن يكون ناشئاً عن ابن جزري<sup>(٩٠)</sup>.

من هنا، فاستعراضنا للرحلة ربما يمس قبل كل شيء الإطار العام للكتاب الذي هو من وضع ابن جزري، فهو يفتقر في كثير من الأحيان الى التناسب والتناسق؛ ويمكن من خلال المقاطع التي أطلنا على معظمها، أن نحكم على الأسلوب المتكلف

الذي لجأ إليه ابن جزري، وميله الواضح الى السجع والاطناب، وهي على أية حال من سمات عصر التدهور، ومن حسن الحظ أن أسلوب الكتاب لايسير في جميع صفحاته على وتيرة واحدة، إذ كثير ماتتخلل العرض لغة ابن بطوطة القصصية البسيطة التي تميل أحياناً نحو لغة المحادثة، محتفظة في ذات الوقت برزانتها وغناها بالتفاصيل فوق ماتتميز به من الحبيوة الدفاقة والعاطفة الجياشة. وإلى جانبها يبدو أسلوب ابن جزري ثقيلاً، يغلب عليه الخشوع والتكلف. كما تتعكس فيه على الدوام محاولة واضحة الى جمع قصص ابن بطوطة المتفرقة في وحدة متماسكة، وتزويقها بصورة تجعلها أقرب الى النصوص الأدبية، وهو يقتطف من اشعار مختلف الشعراء، أحياناً دون مناسبة تستوجب ذلك، وبلا أدنى صلة تربطها بموضوع كلامه وغرضه من هذا أن يكسب كلام ابن بطوطة حيوية أكثر، ولعلك تفق الى جانبنا من خلال الاطلاع على أبيات الشعر التي ذكرها في سياق وصف ابن بطوطة لبلدة صفاقس ولدينة قابس، إضافة الى الشعر الذي ذكره ابن جزري، حيث تحدث ابن بطوطة عن بلدة تنيس حيث قال: (وكانت تنيس بلداً عظيماً شهيراً، وهي الآن خراب). وذلك الشعر جاء على لسان أبو الفتح بن وكيع:

قم ناصفي والخليج مضطرب  
والرياح تشفي ذوائب الفص  
والجو في حلة ممسكة  
قد طرزتها البروق بالذهب

في تضمين الأوصاف المأخوذة من المؤلفين السابقين في سياق عرضه دون أن يهتم بالإشارة الى اسمائهم. ومن الاجحاف اتهام ابن بطوطة بادعاء المعرفة والعلم بالكتب، فهو رجل يحب القصص، لكنه بفضل حكايتها بالفاظ هو، ومن المشكوك فيه ان يكون هو المسؤول عن تضمين قطع كبيرة من كلام ابن جبير في وصف الشام وبلاد العرب دون أن يشير الى المؤلف، إلا أنه من الطبيعي أن يكون ابن جزري الفرناطي الأصل على معرفة جيدة بالأسلوب المصقول لمواطنه الاندلسي ابن جبير، خاصة وأن الأخير كان بوجه عام محباً الى قلوب أهل بلده، فلا غرو أن أراد ابن جزري تحلية مؤلفه بإضافة تلك القطع إليه.



الحق، لقد كان لدور ابن جزى في تحرير الكتاب هذا آثار بعيدة، فقد جهد في أن يضفي على المصنف طابعاً فنياً متماسكاً لعله لم يعرف في الأصل إطلاقاً. ومن الواضح أن ابن بطوطة نفسه لم يكن ليستحي من الاعتراف بأنه قد نسي اسم موضع ما أو اسم شخص، مثل ذلك القاضي الذي نزل عليه بالشام، أو تلك المدينة التي مرّ عليها في طريقه إلى تمبوكتو؛ وأغلب الظن أنه لم يدون مذكرات منظّمة، وإذا كان قد دون شيئاً فلا ريب في أنه قد أضاعه خلال تجواله، أضف إلى هذا أنه لم يهدف إخراج صورة متكاملة للجوانب لوصف أسفاره، بل اكتفى بأن يقص على سامعية حوادث معينة وقطعاً متفرقة منها. لذا، فحين دعت الحاجة إلى الربط بينها في رواية متتابعة، فإن المحرر بذل جهداً ليس بالقليل ليخرج من القصة عما استطاع المؤلف أن يتذكره، سواء كان ذلك عن طريق توجيه الأسئلة أو ربما استحثه بوسائل أخرى. ولم يكن ابن جزى على معرفة بالبلاد التي تحدث عنها ابن بطوطة. لذا فليس غريباً أن يقع في أخطاء عديدة عندما حاول أن يجمع بين هذه القصص المتفرقة في وحدة متماسكة، ويصدق هذا بصورة خاصة على إفريقيا الشمالية عندما أخذ ابن بطوطة لأول مرة طريقه إلى مصر، فدلالات الأحوال تشير إلى أن ابن بطوطة كان قد نسي وصف طريقه تماماً، وذلك لبعد الزمن الذي ينفى على ربع قرن؛ ومن الملاحظ أن وصف هذا الطريق مختصر للغاية لدى مقارنته ببقية وصف الرحلة. أما الخلط الشديد المتعلق بوصف آسيا الصغرى، فيمكن رده إلى أن ابن جزى الذي حاول أن يستخلص صورة متكاملة للجوانب إزاء العدد الكبير من أسماء الأماكن التي يذكرها ابن بطوطة، وكان هذا الأخير قد قطع على نفسه عهداً بالأخذ طريقاً واحدة أكثر من مرة واحدة، ومن ثم، فإن تحديد طريق سيره بدقة يستلزم معرفة جيدة بالأقطار التي سلكها. وعلى نحو ما أراد المحرر، فإن ابن بطوطة قد أسبغ على روايته في بعض الأحيان دقة خيالية لا تمت للحقيقة بصله، وذلك فيما يتعلق بتحديدده للمسافات والأماكن مما كان قد أسدل عليه الزمن ستار النسيان بالنسبة له؛ كما أنه من الصعب مثلاً التصديق بأن عدداً من رحلاته الكبيرة قد بدأ على وجه التحديد في غرة المحرم من كل عام.

ويعتقد أن ابن جزى لم يسج جوهر القصص نفسها، لذا فلا يزال ينتظر إجابة شافية حتى الآن، سؤال حائر، هو إلى أي حد يمكن الاعتماد على صدق رواية ابن بطوطة حتى ولو وضعنا في اعتبارنا مدى فعالية العنصر الذاتي في هذا المجال. ولقد بدأ هذا التساؤل يأخذ بخناق ابن بطوطة منذ لحظة رجوعه إلى أرض الوطن، تماماً كما حدث مع ماركو بولو، بل إنه يمكن استشفاف لون من الحذر حتى عند ابن جزى نفسه، وذلك في قوله (ووردت جميع ماوردته من الحكايات والأخبار ولم اتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار...).

وأخيراً، وفي القرن العشرين، نلاحظ بداية عهد من الاعتراف بقيمة من جديد أخذ يكتسب الانصار يوماً بعد يوم. وتمثل وجهة النظر الأخيرة في أن ابن بطوطة يمسك بدقة وإخلاص العصر والوسط اللذين عاش فيهما، وذلك على ضوء الظروف الحضارية السائدة آنذاك. ومن البديهي القول أن ابن بطوطة رجل مسلم خالص من أهل القرن الرابع عشر، ولكنه أكثر قرباً إلى المعتقدات الشعبية منه إلى العقيدة الرسمية؛ أعني المعتقدات السائدة في المغرب؛ وقد احتلت المكانة الأولى بالنسبة له المسائل المتعلقة بالمعبدة والأولياء والدراويش، فاعتقد في صحة الكرامات التي حكيت له أو التي حدثت له هو نفسه، ولعله من اليسر تفسيرها على ضوء الانخداع النفسي والسلوك الجماهيري الذي شهده بنفسه في الهند أوردها ببساطة إلى المبالغة التي ينساق إليها بسهولة جميع الرحالة في كل العصور. فإن اسقطنا من حسابنا هذه العوامل فإن روايته بوجه عام جديرة بالثقة أو أنه على الأقل قد روى ما اعتقده الحق<sup>(٩)</sup>.

#### أخطاء ابن بطوطة

أما الأخطاء التي وقع فيها ابن بطوطة فليست بالقليلة، ويجب ألا يغيب عنا أنه لم يكن على معرفة بلغات البلاد العديدة التي زارها، وهو فيها عدا العربية كان ملماً ببعض الفارسية وربما التركية، كذلك إلا أن معرفته بلغات وقعت في الواقع عند حدّ الفاظ معدودة كان يجب أن يعرضها من حين لآخر، ولكن التوفيق جانبته في معظم الأحوال. وفي اتصالاته بالسكان المحليين، لم يكن من النادر أن يلجأ إلى الاستعانة بترجم ما، ولا يخفى بالطبع النتائج التي تترتب على هذا، إذ كثير ما تسرب الخطأ إلى أسماء البلاد الأجنبية التي يذكرها أثناء سيره، كما أنه

ليس من المستبعد أن يحتل لديه ترتيبها؛ أضف إلى هذا أن التابع الزمني للرحلة غير منتظم، وأن التواريخ تبدو وكأن المحرر قد وضعها بخط عشوائي؛ هذه المجموعة من الأخطاء نفسها وجدت طريقها إلى الاستطرادات التاريخية. لكل هذا، فإنه يجب ألا يغرب عن الذهن أن ابن بطوطة لم يكن عالماً نقالة، بل اعتمد اعتماداً مطلقاً على ذاكرته، وهو كان يتمتع حقاً بذاكرة ممتازة شأنه في هذا الشأن جميع ممثلي الثقافة العربية لذلك العهد.

وبعد، فيجب الاعتراف بأن مقدار الأخطاء الزمانية (أي في التواريخ) والمكانية (أي في المواضع الجغرافية) ضئيل لديه عند مقارنة ذلك بالمعدد الكبير من الوقائع التي يوردها. وقد وجهت حملات النقد بصورة خاصة إلى أقسام معينة من رحلته؛ كوصفه للقسططينية وحكاياته عن الصين، أما عن الأولى، فقد كان اضطراب التواريخ سبباً في حدوث بعض الخلط لديه، ولكن على الرغم من هذا، تم الاعتراف في الآونة الأخيرة بأن وصفه للمدينة نفسها يتسم بطابع الصحة، ولا يمكن أن يتج إلا عن معرفة مباشرة بها، فضلاً عن أنه يكشف في هذا الصدد، كما هو الحال دائماً، عن قوة ملاحظة خارقة. ولا تزال زيارته للصين مسألة مستعصية على الحل، حيث تجمع أكثر الآراء إلى أن ابن بطوطة لم يزر الصين - كما يقول الدكتور محمد ترحيني - وقد وصل (فيران Fernand) - وهو خبير في الأدب الإسلامي - عن الشرق الأقصى إلى نتيجة مؤداها أن ابن بطوطة لم يزر الهند الصينية، كما لم يزر الصين، بل لقن روايته عنها تلفيقاً دون توفيق يذكر من مصادر مختلفة. ولما كان ابن بطوطة لا يكشف بوجه عام عن معرفة جيدة بالأدب الجغرافي، وإذا ما سلمنا جداً بالفرضية القائلة بأن ابن بطوطة اعتمد في وصفه على القصص التي سمعها من الآخرين، فثمة تفاصيل معينة تجعل من العسير علينا التسليم التام بهذه الفرضية، فمثلاً، من الصعب القول أن ابن بطوطة من غير أن يزر الصين قد وجد أن هناك ما يضطره إلى القول بأنه قد التقى فيها برجل من أهل سبتة، ثم يذكر اسمه، كما يذكر أيضاً أنه قابل أخاً لذلك الشخص نفسه بالسودان الغربي. مما لا ريب فيه أن الكلام يدور هاهنا عن شخصيات حقيقية كانت معروفة للكثيرين بمراكش عند رجوع ابن بطوطة إليها، فلم يكن بوسعه إذن أن يفكر في تعريض سمعته للثلب من أجل دافع تافه كهذا. ومن عهد ليس بالبعيد، توصل الباحث الياباني (يواماموتو Yamamoto) إلى رأي حول رحلة ابن بطوطة في

الشرق الأقصى فهو يقول: (إنه لمن العسير القول بأن جميع حكايات ابن بطوطة عن الصين هي من نسج الخيال وحده. حقاً أن وصفه المفصل لتلك البلاد يشمل عدداً من النقاط الغامضة، ولكنه لا يخلو أحياناً من فقرات معينة تعتمد على ملاحظة مباشرة عن الصين، فضلاً عن أنه من المستحيل القول بأن رواياته التي وجدت توكيداً في المصادر الصينية وفي أسفار ماركو بولو قد كانت من تلفيق مخيلة).

ولا اعتبارات ذات طابع عام أخضع (ياماموتو) رواية ابن بطوطة عن بلاد طوالسي الغامضة لتحليل دقيق، ولنذكر عرضاً، أن رواية ابن بطوطة عنها قد جرت عليه سخرية بعض الباحثين، فالعلامة (يول Yule) مثلاً قال عنها في زمنه: (يجب البحث عن تلك البلاد في صفحات الأطالس التي تحتوي الخارطات البحرية مما رسمته يد الطيب الذكر القبطان غليفي)؛ وعلى الرغم من هذا، فإن عدداً من الباحثين ممن لم يهتم التشكك إلى الدرجة التي بلغها (يول) قد حاولوا العثور على هذه الجزر، فبحثوا عنها في جزيرة بورنيو، وفيها بين اليابان وشاميا الواقعة في كوشين صين، وأخيراً وضعوها في تونكين؛ وقد ساق ياماموتو حججاً قوية للتدليل على أن طوالسي إنما هي شاميا بعينها التي كانت تقع بلا شك على الطريق بين الهند والصين. ولعل ابن بطوطة كان ضحية القصص الخرافية التي رواها له المترجمون المحليون عن تلك البلاد، وذلك لجهله باللغات المحلية<sup>(١)</sup>.

ولعل بعض الاضطراب في أخبار ابن بطوطة يرجع إلى أنه لم يدون رحلته بنفسه، وإن ابن جزري عدل في بعض أخبارها وغير فيها بالحدف أو الإضافة، بعد أن راجع طائفة من كتب الاسفار الأخرى، حتى جاءت بعض الأخبار بعيدة عن الدقة، ولا سيما أحاديث ابن بطوطة عن الصين، فاتهمه بعض النقاد بأنه لم يصل إلى تلك البلاد كما قال في رحلته. ولكننا لا نميل إلى تأييد هذا الاتهام كل التأييد؛ لأن معظم تلك الأحاديث يدعمها ما نعرفه عن رحلة ماركو بولو، الذي زار الصين أيضاً، ومكث فيها حوالي سبعة عشر عاماً، ثم أمل أخبار رحلته على كاتب آخر، وتوفي قبل أن يقوم ابن بطوطة برحلته الأولى بسنة واحدة. وقد أشار الدكتور حسين فوزي في كتابه (حديث السندباد القديم) (ص ١١٨ - ١١٩) إلى قصة نزول ابن بطوطة ببلاد طوالسي في المحيط الهندي ولاحظ أن وصفه لتلك البلاد - ولا سيما نساها - ذو صلة بأسطورة جزيرة النساء واسطورة الرواق. و

وقال إن تلك القصة من الحكايات التي دعت كثيراً إلى التشكك من سفر ابن بطوطة إلى بلاد الصين، وأنه ليس بعيد أن يكون حديثه عن «أودجاء» ملكة تلك البلاد (نوعاً من السطو البريء)، على قصة علفت بذهن ابن بطوطة عن مطالعته التي في شرق الصين ونسبها إلى نفسه).

وفي رأي الدكتور زكي محمد حسن: (إن هذه القصة وغيرها من القصص الغريبة قد تحملنا على أن نشك في صحة سفره إلى تلك البلاد. والحق أن مكتبته عن الصين يبدو قائماً على أسس المشاهدات الشخصية، ويجب ألا ننسى في هذه المناسبة أن مثل هذه الرحلة إلى الصين كانت أمراً ميسوراً لابن بطوطة بوصفه سفير سلطان دلهي. وإذا كان حديثه عنها بعيداً عن الاسهاب والإطالة فلعل السبب في ذلك أنه لم يكن يستطيع أن يتذكر الأسماء الصينية أو أن ابن جزوي محرر الرحلة أمعن في اختصاره لسبب من الأسباب).

ومهما يكن من الأمر، فإننا نشعر حين نقرأ الرحلة أن ثمة أجزاء يغلب عليها طابع المبالغة، ونرجح أن الرحالة خصب الخيال وأنه قد يكون مصداقاً للمثل المشهور في اللغات الأوروبية القائل (إن القادمين من البلاد البعيدة هم أن يختلقوا ما شاءوا، إذ لا رقيب عليهم). ولكن ليس في هذا ما ينقص من شأن ابن بطوطة ورحلته<sup>(١)</sup> فلكل جواد كبرة.

#### ابن بطوطة والاستعراب الأوروبي

إن معرفة الاستعراب الأوروبي بابن بطوطة، جاءت متأخرة ومتأخرة بكثير عن معرفته بالادريسي، بل وحتى بابي الفدا؛ ومن العبث البحث عن اسمه في موسوعة دربلو d'Herbelot المعروفة التي جمعت خلاصة المعارف في ميدان الاستعراب حتى القرن الثامن عشر، أو عند اشنو Schnurrer الذي سجل أسماء جميع المؤلفات التي ظهرت في عالم الاستعراب إلى عام ١٨١٠م. وفي بداية القرن التاسع عشر فقط تم الكشف عن ابن بطوطة لأول مرة، ولم يتم ذلك بواسطة العلماء، ولكن بواسطة اثنين من الرحالة هما سيتزن Seetzen عام ١٨٠٨ ويوكهارت Buekhardt الذين استطاعا بحق أن يقدرا زميلهما المغربي حق قدره، واليهما يرجع الفضل في وصول مخطوطات موجز البيهوني إلى أوروبا لأول مرة بمكتبتي غوطا Gotha وكمبرج

Cambridge ١٨٢٩، وبهذا أصبح المتن في متناول أيدي العلماء. وكان أول من تناوله بالبحث العلامة موزغارتن Kosegarten وتلميذه إبتز Apetz فقدم الأول تحليلاً عاماً للرحلة وثلاث مقتطفات من المتن تصحبها الترجمات والتعلقات بعنوان: «الرحلة الفارسية» و«الرحلة الملدبية» و«الرحلة الأفريقية» عام ١٨١٨م. وتغل خطوة إلى الأمام في دراسة ابن بطوطة تلك الترجمة الكاملة للموجز التي قام بها العلامة الأنكليزي (لي) Lee الأستاذ بجامعة كامبردج عام ١٨٢٩، وعلى النقيض من هذا، فإن الترجمة البرتغالية التي قام بها (مورا) Moura ١٨٤٠ - ١٨٥٥ معتمداً في ذلك على مخطوطة حصل عليها بمدينة فاس في حوالي عام ١٧٩٧ لم تحظ بالناية الكافية. أما أصل الكتاب؛ فإنه لم يتم العثور عليه إلا بعد فتح الفرنسيين للجزائر واستيلائهم على قسنطينة، وأعقب هذا أن وجدت طريقها إلى المكتبة الأهلية بباريس نحو من خمس مخطوطات، لثتان منها كاملتان، وبعض منها بخط ابن جزوي.

وبهذا تمكن العلماء الفرنسيون، بعد محاولات عديدة وترجمة أقسام من الكتاب، من أن يخرجوا أول طبعة كاملة للرحلة مصحوبة بترجمة فرنسية في أربعة أجزاء بقلم المستشرقين «دفريري D'Hermy» و«سانغنتي Sanguinetti» ١٨٥٣ - ١٨٥٨، وقد قوبل ظهور الجزء الأول بحماس شديد من قبل العلامة «رنان Renan» الذي نشر بهذه المناسبة دراسة عن ابن بطوطة تتسم بالكثير من الحيوية. ولا تزال الطبعة الفرنسية في جوهرها إلى أيامنا هذه تمثل الأساس الذي قامت عليه جميع الأبحاث عن رحلة ابن بطوطة، وقد أعيد طبعها أكثر من مرة، ولكنها لم تخضع في مجموعها لفحص منظم، على الرغم من أنه لا يمكن بالطبع أن ترضي في الوقت الحاضر متطلبات البحث العلمي المعاصر. غير أن الدراسات التي تناولت بحث فصول مختلفة من الرحلة أو عالجت مسائل متعلقة بذلك قد زاد عددها بصورة ملحوظة؛ ويمكن إعطاء فكرة عامة عن الرحلة بأجمعها من خلال الترجمات التي عملت لأقسام مختلفة من الكتاب، أعني بذلك ترجمات «مزيك Mzik» ١٩١١ وجب Gibb ١٩٢٩ المزودة بتعليقات موجزة، والتي يمكن أن تعد القول الفصل إلى يومنا هذا في دراسة منافسة (ماركو بولي<sup>(٢)</sup>) وإن الاهتمام الذي قابلته به أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ليقف برهاناً على صدق قول ابن جزوي في خاتمة الكتاب: (ولا يخفى على ذي عقل أن هذا

الشيخ هو رَحَال العصر ومن قال رَحَال هذه الملة لم يبعد<sup>(١)</sup>. ثم ترجمت الرحلة إلى اللغة التركية منذ الستينات الأولى للقرن الماضي، وذلك في صحيفة «تقويم وقائع» التي كان يحررها كمال أفندي. أما الترجمة الكاملة التي قام بها الدمار محمد شريف، فقد ظهرت في ثلاثة أجزاء في نهاية ذلك القرن (١٣١٥ - ١٣١٩ هـ / ١٨٩٧ - ١٩٠١ م). وللعلامة التركي محمد جودت (توفي عام ١٩٣٥) تعليق وافٍ على رواية ابن بطوطة عن تقاليد «الأخي» بأسيا الصغرى ومقارنته لذلك مع تقاليد «الفتيان» عند العرب<sup>(٢)</sup>.

#### الخاتمة

والرحلة بعد كل هذه التفصيلات موسوعة علمية ضخمة، فيها من المعلومات ما يتنفع بها كل باحث، وفيها من الصور والأخبار ما تنفي ثقافة كل معلم تستهويه مفاسرات الرحلات وتستأثر باهتمامه أخبار الشعوب والأقوام والملل، وهي تستظل بانظمة متباينة وتحكمها أعداد من الحكام والسلاطين والأمراء، ووجدت في بعض التقاليد التي ورثتها سبيلاً للرضا وطريقاً للقبول بما وجدوا عليه آباءهم. ومن هنا كانت رحلة ابن بطوطة لها أثرها التاريخي والاجتماعي بما قدمته من وثائق، ولها بعدها الديني، لأنها تناولت الأمور في إطار هذا التصور، ولها أهميتها في عالم الرحلات، لأنها أوشكت أن تكون في عداد الرحلات الفريدة في غرابتها وجراتها وماقدمته من ثمار نافعة<sup>(٣)</sup>. وقد وفق ابن بطوطة كل التوفيق فيما أسلاه عن رحلته، فخلّف لنا صورة صادقة، كلها حياة للعصر الذي عاش فيه، ووصف لنا الأشخاص والجماعات وصفاً دقيقاً يجعلنا نشعر كأنهم بين أيدينا، وزار كل الدول الإسلامية في عصره، وقطع في أسفاره مسافة قدرها بعض الباحثين بخمسة وسبعين ألف ميل، وهي مسافة لا يظن أن رحالة غيره قطعها قبل استخدام البحار في وسائل السفر<sup>(٤)</sup>.

أما وضع ابن بطوطة في تاريخ الأدب الجغرافي فواضح للمعان، فهو لم يكن جغرافياً نقالة أو من أصحاب الموسوعات أو من الأدباء، بل كان شخصاً عادياً للغاية، لا يتمتع بأية مواهب خاصة، ولا تنعكس في رواياته أفكار عميقة أو ملاحظات دقيقة، وكثيراً ما يلتقي لديه بأمثلة لتصديق أكثر الروايات الخيالية. وعلى الرغم من كل هذا فهو شخص شاهد الكثير وعرف كيف يصور ما شاهده بدقة وبساطة، وقد جعلت منه الأقدار جغرافياً، حل الرغم منه إن صح هذا التعبير، وصنعت منه لونا من الرحالة نادراً عند العرب، ذلك هو الرحالة الذي يستهدف الرحلة لذاتها ويضرب في مجاهل الأرض استجابة لمعطاة لانقاوم، ورغبة جارية للتعرف على الأقطار والشعوب.

وابن بطوطة، على نقيض الغالبية العظمى من الجغرافيين العرب، لم يجمع مادته من صفحات الكتب، بل جمعها عن طريق التجربة الشخصية، وعن طريق محادثاته مع شخصيات تعرف عليها، عرضاً في خلال رحلاته. وقد شغل اهتمامه بالمواضع الجغرافية مكانة ثانوية بالنسبة لاهتمامه بالبشر، وهو بالطبع، لم يفكر في أن يجري أي نوع من البحث والتحقيق في مجال الجغرافيا، ولعله نتيجة لهذا، قد أصبح كتابه نسيج وحده كوصف للمجتمع الإسلامي والشرقي عامة في القرن الرابع عشر. فهو خزانة تحفل بمادة غنية لاني مجال الجغرافيا التاريخية أو تاريخ عصره فحسب، بل عن جميع حضارة ذلك العهد، فتراه يعرض لجميع الظواهر الاجتماعية بالسرد حتى تلك يميلها المؤرخون عادة، فتمر أمام انظارنا مراسيم البلاطات الأجنبية وأزياء الشعوب المختلفة وتقاليدها وحرفها وأصناف الأطعمة والأغذية، فهو بهذا ليس كتاباً نظرياً جافاً، بل على العكس من ذلك، يفيض بالإنسانية والحياة، ولا يخل فيه المؤلف بملاحظاته وتعليقاته في أية مناسبة تعرض، وهو لا يمثل وثيقة ممتازة لتجربة فردية فحسب، بل يقدم كذلك نموذجاً صادقا لأفكار وتصورات مواطن إسلامي من أهل القرن الرابع عشر، كما يقول الدكتور محمد ترحيني.

## الهوامش والمصادر

- (١١) د. زكي محمد حسن: نفس المصدر ص ١٣٨ - ١٣٩.  
 (١٢) ماركو بولو (١٢٥٤ - ١٣٢٤) : (رحلة إيطالي، أشهر مكتابه المعروف (عجائب الدنيا) أو (المليون)، وقصد به تدوين مذكرات تاجر، يهديها إلى التجار، إلا أن تسجيله الدقيق لكل ما رأى، ولكل مشهد انتباهه في رحلته يفوق هذا الاهتمام. ويثير انتباه جمهور القراء الأوروبيين على اختلاف مستوياتهم وبلادهم ومعتقداتهم، فللمرشد يقوم أساساً على ذكريات يسترجعها الكاتب وهو في سجنه. بعد خمسة عشر عاماً من غويته من رحلته التي استمرت فترة طويلة قضاهما في رحاب الحضارة الشرقية. وكانت السنوات الأربع والعشرين التي قضاهما "ماركو بولو" في رحلته تمثل لأجل مني عمراً، فهي فترة شغلي، ولذا نجد حماسه لما رأى وتذكريات الدهشة التي شعر بها أمام الخرائب التي شاهدها هي التي ألهمته مكتب (...).  
 راجع التفاصيل في مجلة الهلال - العدد السابع/ ١٩٧٥ ملل د. سوزان استكندر: صفحات من أدب الرحلات.. بين ماركو بولو والبرتو مورافيا).  
 وانظر: مؤلفات جاسمة/ أحمد عبد الله عثمان.  
 القاهرة/ الطبعة الرابعة، ١٩٦٢  
 (١٣) د. محمد ترخيني: نفس المصدر.  
 (١٤) د. محمد ترخيني: نفس المصدر.  
 (١٥) د. نوري حمودي القيسي: من أدب السفر والرحلات في المائتور الألبسي - رحلة ابن بطوطة - مجلة معهد البحوث والدراسات العربية - العدد ١٣ ص ٧٧.  
 (١٦) د. زكي محمد حسن: المصدر السابق ص ١٧١.

- (١) د. زكي محمد حسن: الرحلة المسلمون في العصور الوسطى ص ١٣٦، دار التراث العربي - بيروت، ١٩٨١.  
 مجلة (دراسات عربية) - العددان ٧٠٦ و٧٠٧/ ١٩٨٧، أكد في العدد ٧٠٦ من مجلة (دراسات عربية) ١٩٨٧ بأنه سيخرج (تحفة الانظار، في غرائب الإمبرار، وعجائب الأسفار) أي رحلة ابن بطوطة مجلة جديدة، تسلط الضوء على أهميتها التاريخية والجغرافية والأدبية على حد سواء.  
 (٢) د. محمد ترخيني: ابن بطوطة.  
 (٣) د. منجد محمد مصطفى: مجلة الرسالة الإسلامية - العدد ١٩٤ - ١٩٥.  
 (٤) الرحلة ص ١٢٣ - ١٢٤.  
 (٥) د. منجد مصطفى بهجت: العراق في رحلتي ابن جبلة وابن بطوطة - مجلة (الرسالة الإسلامية) ص ١٨٤ - ١٩٣.  
 (٦) د. محمد ترخيني: نفس المصدر.  
 (٧) د. زكي محمد حسن: نفس المصدر ص ١٣٧.  
 (٨) ابن جزري: ولد بفرنسالة وشغل منصب الكاتب لدى السلطان أبي الحجاج يوسف من بني نصر (٧٣٢ - ٧٥٥هـ - ١٣٣٣ - ١٣٥٤م) ثم لم يلبث أن اختلف معه فرحل عنه ليشغل نفس المنصب في بلاط السلطان أبي عثمان. ولتم ابن جزري عمله في ثلاثة أشهر. لقد انتهى من "تقليد" ألفاظ ابن بطوطة في كانون الأول ١٣٥٥م/ ٧٥٦هـ ووافته المنية في نفس العام.  
 (٩) د. محمد ترخيني: نفس المصدر.  
 (١٠) د. محمد ترخيني: نفس المصدر.

• • •

في الفاو مدينة الغداء وبوابة النصر العظيم تصطمت  
 أحلام فزاة الأرض العربية.



# رحلة ليونهارت راوولف الى العراق وما انطوت عليه من نبات وشجر

## دراسة

عادل محمد علي الشيخ حسين

بغداد - ص . ب ١٧٠٢٦

الشكر فانه لم يصف النباتات الطبية وغير الطبية التي ذكرها الدكتور راوولف وتجنس عناه السفر والصماب من اجلها وهي اهم مافي الرحلة علمياً وتاريخياً. لذلك فانني سأتناول في هذه الدراسة المتواضعة اهم النباتات والاشجار والشجيرات التي جاءت في سياق رحلة هذا الرحالة الاوروي والوقوف على فوائدها في اكثر المجالات الطبية والاقتصادية والغذائية.

اهداف الرحلة :

الهدف المعلن لهذه الرحلة التي قام بها الدكتور راوولف الهولندي الى هذه المنطقة من شرقنا العربي هو التعرف وجمع انواع كثيرة من النباتات والاشجار التي تنبت في اراضي هذه البلدان ومن بينها الفطر العراقي والتحقق من فوائدها الغذائية وبالاخص الطبية.

وقد حققت بشكل جيد النباتات التي جمعها راوولف خلال رحلته في اربعة مجلدات ضخمة حيث اعتبرت من اعظم الاشياء النادرة الغالية. واصبحت ملك جامعة ليدن الهولندية. وحاول راوولف ان يعود لبلده ومعه نماذج كثيرة من نباتات واعشاب بلاد المشرق التي جاءها وركز جلّ اهتمامه على فوائد هذه النباتات الطبية بصورة اساسية للاستفادة منها في صناعة الادوية. وفعلاً تبيّن له بعض المقومات الناجحة لجمع العديد من نماذج نباتات الوطن العربي واعتبرت مصدراً هاماً من مصادر

منذ الحملات الصليبية على الشرق العربي انتبه الاوربيون الى اهمية الشرق عامة والوطن العربي خاصة باعتبار هذه المناطق مفاتيح كنوز كبيرة معدنية وغذائية وبشرية واقتصادية واسواق رائجة لبضائهم. لذا فقد وصل هذه البقاع العديد من الباحثين والمختصين يدرسون ويبحثون وينقبون عما ضمته هذه الاقطار من ثروات هائلة. ومن اقدم تلك الرحلات العلمية الاوربية الى الشرق بل واهمها رحلة العالم والطبيب الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف الى الشرق التي وقعت في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي. ومع ان الغاية الاساسية من هذه الرحلة كانت - كما هو معروف جمع النباتات والاعشاب التي لها علاقة بالطب والعلاج والتي تنو في بلدان الشرق، والشرق الاوسط بالذات فان الجوهر الاصيل لها هو بحث اوربا على استعمار هذه البقاع وامتناص خيراتها بكل الطرق والوسائل وهي بداية السيطرة والاطماع الاوربية للشرق باكملة. طبعت هذه الرحلة باللغة الالمانية سنة ١٥٨١م في ليدن ثم طبعت باللغة الانكليزية سنة ١٦٩٣م في لندن، ولم تترجم الى اللغة العربية بالنص الكامل لحد الآن باستثناء ما قام به الاستاذ الفاضل سليم طه التكريتي بترجمة القسم الذي يخص العراق وسوريا وفلسطين ونشر سنة ١٩٧٨ ضمن منشورات وزارة الثقافة والاعلام ومع ان هذا العمل القيم له اهمية ويشكر عليه المترجم الكريم جزيل

اخرى على الورق).

وأحد هذين النوعين لا يختلف عن نبات القل المعروف عندنا اذ يتألف من نبتة سمكية كثيرة العقد ذات اغصان صغيرة تنفرع منها ولها في رؤوسها عدة عقد ومن تحتها اوراق مدببة. اما النوع الثاني فتكون سيقانه كثيرة مليئة بالعقد وجذور ملونة.

وينمو هذان النوعان من الاعشاب بكميات هائلة حيث يتم حرقها وتحولها الى رمد فوق الجبال. وعند حرقها تسيل مادة زيتية تلتصق بالرماد فتصبح صلبة اشبه بالحجارة بعد ان تفقد حرارتها ويحلب المسلمون هذا الرمد من الجبال على ظهور الابل فيبيعونه لبعض التجار الذين يتاجرون به فيصدرون قسماً منه الى البلاد الاجنبية بينما يصنعون من القسم الآخر مادة الصابون<sup>(١)</sup>. والاشنان او الاشنان :

(الاسم العلمي *Salicoma*) والانكليزي (*Saltwort*) نبات عشبي من فصيلة السرمقيات له ثمانية أنواع مواطنها حوض البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي سيقانها مفصلية دقيقة فروعها متقابلة، عديمة الورق ازهارها سنبلية التجميع. ثمارها خفية الشكل صغيرة يستخرج منها ملح القل بعد الحرق. والنوع الذي قصده راوولف هو اشنان القل (ابوقابس، *Salicoma herbacea*).<sup>(٢)</sup>

وخلال وجوده في منطقة حلب السورية وصف اهم نباتاتها واشجارها الغذائية والصناعية قائلاً: «حلب محاطة بشلال صخرية واوديتها ذات تربة طباشيرية ومع ذلك فلا تموزها الحنطة ولا الشعير وغيرها من الحبوب لأن ارضها خصبة، ويبدأ الحصاد فيها عادة في شهري نيسان وايار. ولا يوجد في هذه الاودية سوى القليل من اشجار البلوط، والاعشاب الجافة، ذلك لأن الجفاف فيها شديد وارضها رملية في حين ترى التلال وعرة ملاء بالادغال ليس فيها سوى القليل من العشب الجاف، ولذلك وجدنا السكان يعلفون مواشيهم الشعير والتبن الذي تدوسه ادوات الزراعة التي تجرها الثيران. وكذلك وجدنا الاودية مليئة باشجار الزيتون وهذا هو الذي جعل الاهلين هنا يتجوزون في كل سنة مئات الالوف من اطنان زيت الزيتون» الذي يستعمل في صناعة الصابون. وإلى جانب ذلك توجد بساتين كثيرة لاشجار اللوز والتين والسفرجل والتوت الابيض والفسق الذي يجمعه المسلمون في فصل الربيع بكميات كبيرة فيملحونه

دراسة النباتات العربية. ومع ان رحلة ليونهارت راوولف كانت علمية بحثة فانها رحلة قيمة تخلفها الصلبي والامانة في اكثر الاحيان في الوصف لكل شيء شاهده وبذلك فانها تشكل اساساً للدراسة الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للاقطار التي حل فيها ووصف مشاهدته عيناه من امور عجيبة ومصادفه من معوقات ومشاكل محزنة احياناً. وهي بحق رحلة جامعة وشاملة ومفيدة. ووثيقة موضوعية عن الوضع العام للقطر العراقي ابان حكم الدولة العثمانية له ولباقي الوطن العربي الكبير. ومن فوائد رحلة المشرق بشكل خاص وصفه لما حل ببغداد من كوارث ووباء الطاعون المميت والجوع المرعب والفيضانات المدمر الذي اغرق هذه المدينة الجميلة بطغيانه. وهي فترة حالكة مظلمة مرت بقطرنا العزيز.

بداية الرحلة :

عندما خرج الرحالة راوولف في الثامن عشر من ايار سنة ١٥٧٣م من مدينة اوغسبرغ الهولندية كانت عطلته الاولى في الشرق العربي مدينة طرابلس في لبنان. ومن بين ماوصفه عن المصنوعات في هذا القطر العربي صناعة الحرير و اشار الى توفر كميات كبيرة من الحرير في مدينة دمشق وذلك لكثرة اشجار التوت او التكي. قال ان هناك «... كثرة فائقة من اشجار التوت الضخمة الشاخة ذات الاوراق الكثيرة التي تنغذى عليها دودة القز. علماً ان ثمار التوت هذه تكون بيضاء اللون وتنقل في سلال وتباع للعامة»<sup>(٣)</sup>.

التوت<sup>(٤)</sup> او الفرصاد :

(الاسم العلمي *Morus*، والانكليزي *Mulberry — tree*) اشجار برية وزراعية من فصيلة التوتيات، تنتشر في المناطق الحارة والمعتدلة.

وانواعها المعروفة اكثر من ثلاثين نوعاً واشهرها التوت الابيض *Morus alba* الذي يربى على اوراقه دود القز وهو الذي وصفه راوولف في رحلته. وعندنا في العراق يسمى التكي وهذا النوع صيني الاصل ونقله العرب الى انحاء العالم الاسلامي خلال الفتوحات العربية الاسلامية.

ووصف اعشاباً يستخرج منها مادة بوتاسية تستخدم في صناعة الصابون سماها شوان (*Shvan*) وهي غير ذلك قال: «ويستخرج هذا البوتاس او القل من اعشاب يطلق عليها العرب اسم شان، وهو على نوعين (وقد الصقت شيئاً منه - مع مواد



ويشربونه ويأكلونه مثلما نفعل نحن بنبات الجنجل، جنجل: اعشاب عارضة من فصيلة القراصيات لها نوعان الجنجل الشائع والجنجل الياباني تصل الى ارتفاع ٨ أمتار. وهي من النباتات الزراعية الصناعية اسمها العلمي (Humulus) والانكليزي - Hop.

وتكثر بساكن البرتقال والليمون والرمان والخوخ وغيرها غير ان ثمار التفاح والكمثرى تعد قليلة بالنسبة الى الثمار الاخرى وتكون صغيرة الحجم وغير ملونة بالشكل المعروف في بلادنا. ويعقب ذلك وجود كثرة من حاصلات الرقي والطبخ والخيار وماشاكلها فضلاً عن وفرة انواع الخضار. ولقد شاهدت ثلاثة انواع من الباذنجان تختلف ألوانه بين الاسود والبني، والفاصولية وغيرها من الخضار التي تباع بكثرة في الاسواق وتطبخ لتبهشة الطعام اليومي كما انهم كثيراً ما يتناولون بعض هذه الخضروات وهي فجة اي دون طبخ.

وهناك نوع من اللوبيا او الكستناء تطبخ او تمص ثم تنزع قشورها وهم يتناولونها عندما يجلسون في المقاهي، كما يقدمونها على مائدة الطعام بعد انتهاء الوجبات عوضاً عن الحلويات او الفواكه من امثال الزبيب والجوز وغيرها.<sup>(١)</sup>

ويستمر راولوف في وصف النباتات التي شاهدها قائلاً: وهناك عدة نباتات تستعمل طعاماً بالطبخ منها العدس. وهذا ذكرني بنبته مماثلة بسميها العرب «ماش» وهي في شكلها واوراقها تشبه نبتة الفاصوليا عندنا. ولقد اشار «سيرايو»<sup>(٢)</sup> الى هذه النبتة باسم «مليس» في الفصل ١١٦ من كتابه كما اشار اليها ابن سينا ايضاً باسم «ميس»<sup>(٣)</sup> في الفصل ٤٨٨ من كتابه. غير ان العالم النباتي الشهير «كارلوس كلوفوس»<sup>(٤)</sup> سماها في كتابه «موجز النباتات الهندية» باسم «مونغو» وقد وجدت الاثراك يجيئون تناول الماش (اسمه العلمي Phaseolus aureus = P. mungo) وبالاكليزية (Mung bean) كثيراً ولاسيا مع الرز<sup>(٥)</sup>. والماش نبات عشبي زراعي حوالي من فصيلة القرنيات الفراسية. تنتشر زراعة هذا النبات في انحاء اقطار الشرق. الساق فرعاء قائمة، اوراقه معنقة مركبة ثلاثية. وريقاتها بيضية النصل. الازهار صفر خضر الموج الثمار قرون اسطوانية خبيقة مستطيلة، بزوره كروية الشكل سمراء اللون او خضراء بالاسود. تحوي البذور على العناصر الغذائية التالية ٢٣,٨٠٪ من المواد الازوتية، ١,٤٦٪

من المواد الدهنية، ١٥,٦٢٪ من المواد النشوية.<sup>(٦)</sup> وبعد ذلك تناول راولوف في وصف رحلته الشرقية هذه نباتاً آخر يجلب من بلاد فارس (ايران الحالية) الى مدينة حلب، قال: «وهم يجلبون من بلاد فارس في اكياس من الجلد كميات كبيرة من (المن) يسمونه (طرنجيل - Trunchebil) ويجمعونه من نبتة يسميها العرب «عاقول» و «الحاجي». والحاجي = عاقول، حاج، زنجبيل العجم، اشترغار، الاسم العلمي (Alhagi man-comel thorn, Hebrew manna) والانكليزي (nifera, Al. maurorum plant) نبات عشبي ليفي معشوشب معمر من فصيلة القرنيات، الساق شائكة فرعاء تصل الى نحو ١٠٠ سم، فروعه نحيلة الشوك، اوراقه بسيطة كاملة مستطيلة، وهو من النباتات التي تفرز لمن ويقال ان من بني اسرائيل كان من فرزه لانه كثير الوجود في صحراء سيناء<sup>(٧)</sup> وهذا هو السبب الذي يجعله يمتزج مع اشواك صغيرة وقش احمر اللون. ولهذا المن شيء من الحبوب احياناً على غرار حبات (الكزبرة) عندنا. ولذلك فهو في كل مظهره يشبه (المن) الموجود في بلادنا والذي نجنيه من شجر «الاراكس» كما ان هذا المن يشبه المن الذي تناوله الاسرائيليون الذي وفره الله فكان على شكل معجزة خارقة للطبيعة. السلاكس = Larkx (Deckumill) ومعنى السلاكس باللاتيني المتساقطة الاوراق او المنفضة. والاراكس شجرة غروبية ارتفاعها بين ٢٥ - ٣٠ متراً، سمراء القلف ورائحة. وبزوره بيضوية الشكل سمراء اللون. وموطن هذه الاشجار جبال الالب ووسط وجنوب اوروبا.<sup>(٨)</sup> وتعرف شجرة الاراكس بالاسم العربي (الارزية) وهذا الاسم من وضع الامير مصطفى الشهابي رحمه الله.

اما المن الذي يسقط على الاشواك فقد اكده كل من (سيرايو) و (ابن سينا) في الفصول التي تناولوا فيها هذه المادة من مؤلفاتهم وكانوا يسمونها (تسرايين) و (طرنجين). كذلك عرفه العالم النباتي الشهير (كارلوس كلوفوس) واكله في كتابه (موجز النباتات الهندية) ولقد عثرت في اطراف حلب على بعض هذه الشجيرات التي يبلغ ارتفاعها حوالي فروع وتنفرع منها عدة سيقان مدورة تنقسم بطورها الى عدة اقسام كالزهره - ويستخدم الاهلون هذه الشجيرات للتنظيف والتعقيم، انهم يأخذون كمية منها يغلوها بالماء. طرنجين - ترنجين - من (manna) مادة من مزيج من السكر والمنسيت والدكسترين تفرزه بعض النباتات

او بواسطة حز اللحاء او بتأثير ونخر بعض الحشرات كقرمزية المن وغيرها والطرنجيين انواع عديدة تختلف باختلاف مصادرها وطرق جمعها. وما خلا ذلك فان لديهم نوعاً آخر من المن شبيه بالنوع السابق. وهذا النوع يرسل الى بلادنا (كالبرية)<sup>(١١)</sup> عن طريق البندقية.<sup>(١٢)</sup>

وقد جاء في الدراسات العلمية الحديثة ان المن انواع كثيرة منها:- المن الذي يعرف باسم (ترنجيين) وهو عسل الندى وهو عبارة عن مادة سكرية تغرزها بعض النباتات افراراً طبعياً او بتأثير حشرة قرمزية المن القشرية (الاسم العلمي- *manna Scale Insect*) ومن اهم<sup>(١٣)</sup> هذه النباتات:

- ١ - الطرفاء النبيلة (تكثر في صحراء سيناء) (الاسم العلمي *Varleyi, mannifera*) (Tamarix nitida) - من الفصيلة الطرفاوية.
- ٢ - الشيح (الاسم العلمي - *Artemisia herba - alba*) - من الفصيلة المركبة (الانبوية الزهر).

٣ - الحجاج (نوع من العاقول او شوك الجمل) (*albagi*) (تكثر في افغانستان ويران) (الاسم العلمي - *Albagi manniferum*) من فصيلة القرنيات. وجاء ذكر هذا النبات في النصوص البابلية والنصوص الآشورية (عثر على نص في كركميش قرب حلب).

٤ - شجر الخسلاف (الاسم العلمي - *Salix Viminalis*) الاسم الانكليزي (*Osier*) (نوع من الصفصاف القصير الورق) وينبت في الاماكن الرطبة. ويقع عليه الشيرخشك وهو نوع من المن.

٥ - شجرة الميليز (*Melissae*) (حب ترنجاني باذر نجوية) او الترنجان (اغريقية) كما عرفه ابن البيطار، يتبع الفصيلة الشفوية والمستعمل منه الاوراق له رائحة ليمونية ويسيل منه ما يسمى (بمن بريانسون).

٦ - الحزاز (نوع من الطحالب) وهي الاشنة او شبة العجوز كما سماها ابن البيطار. وهذه الاشنة تؤكل وتحتوي نشاً كثيراً ويسمى هذا النوع (المن الساسوي او المن الساقط من السماء) ويكثر (في ايران وحول جبال ارارات في تركيا).

٧ - الدردار (الاسم العلمي - *Fraxinus omus*) وهي اهم مصادر المن في الوقت الحاضر. (تكثر في جنوب اوربا وبالأخص في ايطاليا). وقد سمن ابن البيطار هذا النبات (لسان العصفور) وهذه النباتات انواع كثيرة لكن الذي يمسنا هنا النوع الذي يسمى (لسان العصفور الزهرة او الدردار الزهرة) وهي الشجرة

التي تنتج المن وتسمى (ديش) كذلك. ويعتبر المن الجيد الذي يجلب من منطقته (كالابريا - في جزيرة صقلية الايطالية) وهذا النوع نفسه الذي ذكره راوولف انه شاهده في حلب. وهذا يؤكد ان هذه الاشجار قد نقلت الى اوربا عن طريق صقلية وهذا المن ينصف باللون الاصفر الجاف الى البياض وله طعم حلو يتخلله مرارة خفيفة.

ويشير الدكتور جابر الشكري حول تكون المن بقوله: «والمن الذي يؤخذ من بعض انواع اشجار الطرفاء او الاثل او غيرها يسيل من شقوق ثغورها بعض الحشرات التي تمشي على هذه الشجيرات ولا يستبعد ان يكون لهذه الحشرات دخل في تكوين المن. وهذا النوع من المن هو المأخوذ من طور سيناء، وورد ذكره في القرآن الكريم.

ويظن بعض العلماء ان المن الذي نزل على بني اسرائيل هو نوع من الاشنة تثبت على الحجر أو الشجر، غنية بالنشا، حلو الطعم يؤكل، وليس هذا المن الذي نعرفه الآن.

ان المن من نوع الراتنجات أو الصمغ التي تنتضج من النباتات ويحصل عليه من احداث شقوق في لحاء الاشجار التي عمرها بحدود ثمان سنوات، حيث يسيل النضج من هذه الشقوق، ويجمع في اوعية خاصة او يترك على اللحاء حيث يجف ثم يجمع.<sup>(١٤)</sup> واثناء وصفه مدينة حلب ذكر الدكتور راوولف ان هناك الكثير من نباتات التوابل تجلب لهذه المدينة من بلدان اخرى. قال: «وهم يجلبون الى هنا كثيراً من الافاوية من امثال (الدار صيني) والدار صيني قرفة سرنديب، قرفة سيلان، دارسين (العراق) الاسم العلمي (*Cinnamomum Zeylanicum*) والانكليزي (*Common Cinnamon tree, Cinnamon*).

شجرة زراعية من الافاوية، موطنها سيلان وبعض مناطق الصين الناحية للهند. ساقها فرعاء تصل الى عشرة أمتار في الارتفاع ازهارها صغيرة الحجم غيراء اللون. ازهارها عتودي التجميع. الثمار عنية جميع اعضاء الشجرة عطرية تستخرج منها الادعان والطيوب. ويستخرج من لحاء الساق والقروص صف جيد من الافاوية المسماة بالدارسين عندنا في العراق.<sup>(١٥)</sup>

الفلفل والفلفل - لهذا النبات حوالي ٦٠٠ نوع ولكن يبدو ان الذي ذكره راوولف في رحلته هو الفلفل المسن بالخلو او فلفل فرنجي اسمه العلمي (*Pimenta*) والانكليزي (*Allapico*) وهو شجرة برية وزراعية من فصيلة الاميات تكثر في

البلاد الحارة ثمارها بقدر حبة الحمص، قرمزية اللون، عطرة، يستخرج منها عطر يستعمل مسحوقها في الاكل كنبات ممتاز.<sup>(١٢)</sup> الهيل والهيل - يسمى أيضاً هال، هيلبوا، قاقلة، شوشمة، شوشير الاسم العلمي (Amomum) نباتات جذمورية طيبة عطرية برية وزراعية من فصيلة الزنجبيلات من نباتات المناطق الحارة انواعه عديدة، تنتشر في الهند والهند الصينية وجزيرة جاوة والصين وسيلان. المستعمل منها بذورها المسماة (حب الهال او الهيل). وهي بذورها ضمة ومنهبة للقلب والقوة الجنسية طاردة للرياح، مسكنة للمغص ومدرة للطمث وكذلك ادهانها.<sup>(١٣)</sup> واعتقد ان الهيل الذي ذكره راولوف هو النوع المستورد من سيلان. جوز الطيب وجوز الطيب - جوزبوا، بسباسة، الطيب، الاسم العلمي (Myristica Fragrans) والانكليزي (Nutmeg tree) من نباتات البلاد الاستوائية المستعمل من هذا النبات ثمارها شبه الكروية الشكل، لحمية القشور اصفر اللون كالشمش، قطرها ٥ سم قشرة الثمرة تنفلق عند النضج عن جوزة خشبية الغلاف، سمراء اللون. وجوز الطيب. من التوابل العطرية المستحبة دهنها منه شديد الفاعلية وهاضم وطارد للرياح وهذه النباتات اشجار هرمية الشكل تعلو الى حوالي ١٠ أمتار.<sup>(١٤)</sup> وقشر جوز الطيب وغيرها من الجذور الصينية التي يستعملها العرب بوفرة جذور ثمينة يسمونها والراوند<sup>(١٥)</sup> والراوند - الاسم العلمي (Rheum) والانكليزي (Rhubarb). نباتات عشبية جذمورية طيبة معمرة من فصيلة الطباطبات، انواعه كثيرة، كبيرة الحجم. ضمة الاوراق. ازهارها عثكولية. الثمار عنبية.

وتابع وصف الدكتور راولوف للنباتات من خلال رحلته الشرقية هذه فيقول:

«من بين المواد التي يجلبها التجار من الهند بعض القصب الطويل الصلب المتلاء بمادة لزجة ذات لون اصفر. ويكون هذا القصب على نوعين قصير وطويل. فاما الطويل فهو اصلب ويستعمله الشيوخ والعرج بدلاً من العكاكيز اما النوع الآخر فيصنعون منه القسي والسهام حيث نجد الاثراك يلقفونها باغلفة حريرية مختلفة الألوان ويتباهون بها كثيراً.

كذلك توجد في الحيوانات انواع اخرى من القصب القصير المجوف الصقيل ذي الالوان البنية والحمر. وهذه الانواع يستعملها الاثراك والمسلمون وغيرهم من ابناء الاقطار الشرقية

لغرض الكتابة بها، ذلك انهم لا يستعملون ريش الاوز لهذا الغرض. فضلاً عن ذلك يوجد نوع من العصي يجلبها التجار معهم من «مكة»<sup>(١٦)</sup> حين يذهبون لزيارة قبر نبيهم (محمد) «ص». واهل تلك البلاد ولاسيما العرب يحملونها معهم على ظهور الخيل بدلاً من الرماح لانها قوية وطويلة وخفيفة...<sup>(١٧)</sup>

ربما قصد هنا الدكتور راولوف القصب الهندي (Canneguin) الذي يصل طوله في النمو الى اربعة امتار في داخل التجويف مادة سكرية صفراء اللون. وعني بوصفه هذا القصب الصيني (Canne dochine) وهو اصفر اللون متوسط الارتفاع يتشرب في الصين والهند والهند الصينية كان التجار العرب يجلبونه من الهند على متن السفن.

وهناك انواع عديدة يجلبها التجار العرب المسلمون من الهند والصين من القصب الذي كان يستعمل فعلاً لاغراض الكتابة وكسهم ورؤوس للحرب المستعملة في الحروب ومن اشهر هذه الانواع القصب الفارسي (Arundo tisiaci).

ويستغرب الدكتور راولوف من وجود شراب غريب عرفه بالقهوة كان في وقته غير معروف في اوروبا. ولنستمع لوصفه: «من بين الاشربة التي يتعاطونها في هذه البلاد، شراب حسن جداً يسمونه «قهوة» اسود اللون كالجير تماماً، وهو مفيد جداً للمرض ولاسيما امراض المعدة... وهم يصيرونه في اقتراح صينية وهو جداً ساخن فيرفعون القلح الى شفاهم لكنهم لايتناولون منه سوى شفة واحدة بين آونة واخرى.

وتدار عليهم هذه الاقتراح حين يجلسون وهم يصنعون في هذا الماء ثمرة يدعونها<sup>(١٨)</sup> (بنرو - Burru)، هي في حجمها وشكلها ولونها تشبه ثمرة الثوت، ولها قشرتان رقيقتان تحيطان بها. وقد اتبأوني عنها بانهم يجلبونها من الهند.<sup>(١٩)</sup>

القهوة او البن التي ذكرها راولوف هي شجيرات برية وزراعية (الاسم العلمي Coffee) والانكليزي (Coffee tree). موطنها الاصلي الحبشة وقد انتقلت بواسطة العرب الى اليمن والهند وامريكا الجنوبية وهي من نباتات المناطق الحارة الاستوائية. اوراقها دائمة الخضار. وازهارها بيض عطرية. المستعمل منها حبوبها المنبسطة اخذودية من الداخل، لونها اخضر باهت. والقهوة هي نقيع البن المحمص المسحوق المغلي في الماء.<sup>(٢٠)</sup>

## بداية رحلته الى العراق

انما هو السمسم او السمق (الاسم العلمي *Sesamum oleiferum*) والانكليزي (Sesame, Gingelly, Gingli). نبات عشبي حولي زراعي دهني من السمسميات، جذوره وتدية يستفاد من بزوره الزيتية التي يستخرج منها بالعصر. والبزور صغيرة الحجم مفلطحة اهليلجية، لونها يختلف بالوانها ما بين الابيض والتبي والاصفر والاسمر والاسود. يكثر في الهند وبلاد الشرق العربي. (١) وذكر راوولف نباتاً سماه الايسولا (Esula)، وهو عشب يسمى في العراق باسم (الزريقة) بتشديد الراء.

يجمع البدو بزورها السمراء اللون وهي بحجم حبة العنبر حيث يجمعونها ومن ثم ياكلونها وتضم اوراق هذه النباتات مادة حليية.

وذكر راوولف نبات السمقونيا (المحمودة) (الاسم العلمي *Convolvulus Scammonia*, C. Syriacus). والانكليزي (Scammony plant). نبات عشبي طبي ليفي عارض من فصيلة اللبلايات. ازهاره بوقية الشكل، صفراء اللون مشربة البياض. يستخرج من جذوره عصارة راتنجية صمغية لها استعمالات كثيرة في الطب. (٢)

ونوع اشجار الاكاسيا او الاقاقيا التي ذكرها الدكتور راوولف الاكاسيا العربية او سنط عربي او قرظ او شوكية قطعية، الاسم العلمي (Acacia arabica) والانكليزي (Gum - Arabic tree). شجرة برية وزراعية مذولة تكثر في الشرق العربي. (٣) ويستخرج منها الصمغ الاحمر. واغصانها مشوكة مما حدا بكثر الناس ان يعتبروها احد انواع الشوك وازهارها ذات عطر حسن. ووصف راوولف نباتاً يصطاد بواسطه بذوره الاسماك في نهر دجلة عند مكوثه في بغداد قائلاً: «وحين اراد ملاحو قاربنا اصطياد السمك شرعوا يرمون في النهر يحبات ممزوجة بمادة (الكوكولوس - Coccolus) وهو ثمر يسمونه (دم السمك) فيعد ان يطفو السمك على سطح الماء ثاماً يقفز الملاحون من القارب ويمسكون باعداد منه. (٤) والكوكولوس التي ذكرها راوولف في رحلته نبات يسمى سم السمك او قاتل الحوت (سمي كذلك لانه يقتل السمك اذا خلط بالماء) - سيكران الحوت ويسمى بالفارسية (ماهيرزه - ماهيز هرج اي سم السمك) من العائلة (Anamirta Coccolus, Anamirta) واسمه العلمي (Menispermaceae).

paniculata) (Coccolus indicus plant). (٥) وعندنا في العراق يعرف باسم (الزهر) لثمر هذه العشبة

عندما وصل راوولف مدينة الفلوجة الحالية في محافظة الانبار عن طريق نهر الفرات قادماً من حلب قال: «لم ار هنا اية نباتات تستحق الاهتمام سوى الخلدجان الذي يسمى عندنا في هولندا باسم (السذاب) وهو ينمو بكثرة في الوديان الجافة. كما شاهدنا على مقربة من الطريق اول نوع من شجرة نسميها نحن (سم الكلب) وهي باوراقها وعذوقها تشبه (شجرة الخالدين) شيها كبيراً. كما شاهدنا مساحات شاسعة من الاراضي مزروعة بنوع من الفمغ التركي ندعوه «جلجان» بالاضافة الى مساحات اخرى زرعت بالفطن وياشجار (الايسولا) المليئة بالحليب وهذه تغطي مساحات واسعة من الاراضي الحالية التي يمكن زرعها بالقمح.

ولقد وجدنا هنا نبتة (السمقونيا) التي يؤق بها الى حلب والتي يمكن مزجها مع حبات الايسولا. وعلى مقربة من المدينة كانت اشجار (الاكاسيا) تنمو بكثافة وفيرة وهم يسمونها هنا باسم (الشوك) والشاموك وثماره اكبر حجماً واكثر وفرة مما رأيت من امثاله في اي مكان آخر. (٦)

والخلدنجان او الخولنجان (الاسم العلمي - *Alpinia galanga*) والانكليزي (galanga) عشب املس ريزومي معمر طبي، له رائحة عطرية طعمه شديد الحرافة، والجزء المستعمل طيباً هو الريزومات. وهو ليس السذاب كما اشار بذلك راوولف واوراقه تشابه اوراق السذاب وبلاضافة الى استعماله الطبي يعتبر قابلاً حسناً ذا نكهة طيبة.

وكان العرب يشربونه مغلياً في اللبن ضد السعال والبرد وكمقو للياه ونقل العقار الى اوروبا وظل يستعمل كمنبه عطري معوي الى عهد قريب. (٧)

ونبات (سم الكلب او قاتل الكلب) الذي ذكره راوولف يسمى ايضاً (خوشان، خائق الكلب) اسمه العلمي (Apocynum) والانكليزي (Indian hemp, Dogsbane) شجيرات طبية معمرة من فصيلة الدفليات، ساقها وفروعها ليفية متعينة، ازهارها صغيرة جريسية، ثمارها نجيلية مستطيلة، بزورها دقيقة. يستفاد من البزور والاوراق في عدة مستحضرات طبية مسهلة ومقيية. ويستخرج من اللبائف خيوط كالثقب. (٨)

وذكر راوولف عن قمح سماه الجلجلان وهو ليس بقمح

البرية» - شعرا «العراق» - نشمة. (الاسم العلمي *Anabasis* artuculata, *Anabasis prostrata*) اشجار شائكة من انواع العفص من الفصيلة (Salsolaceae) ونبات الودنة (House look) شجرة صغيرة لها سوق سميكة وازهارها وردية اللون.

وجاء ذكر السذاب في وصف راوولف وهو سذاب البر وهو عشب طبي بري (اسمه العلمي *Ruta montana*) والانكليزي (Mountain rue, wild rue). يرتفع الى حوالي ٨٠ سم. ساقه ليفية خيلة للحاء. الازهار، صفراوية. (٣٩)

واندهش راوولف من احد انواع اشجار الصفاف الذي اعتبره نباتاً غريباً. والذي ذكره الدكتور راوولف هو الصفاف مستع او الصفاف الرومي وهو غُرب (واحدته غربة) وهي (الخلاف ايضاً)، صفاف رومي (مصر)، إطلاً (يونانية *Hea*) (الاسم العلمي *Saxa babylonica*) والانكليزي (Weeping Willow, mourning willow) شجرة متوسطة الحجم تصل الى ارتفاع عشرة امتار، فروعها منبسطة، اوراقها سنانية ضيقة، يحب الاراضي الكثيرة الماء، يستفاد من سيقانها في بعض الصناعات الخشبية. (٤٠)

والطريقة الذي ذكرها راوولف من خلال رحلته هو (الأثل العراقي المسمى طرفه او أثل دجلة - *Tamarix nigrescens*). وهي اشجار وشجيرات من فصيلة الاثلثيات او الطرفيات اوراقها حرشية، ازهارها سنبلية التجميع صغيرة بيض أو وردية اللون. ينمو في جميع الاودية من الرملية الصحراوية الى الطينية ومن الجافة الى المائية وهو يصلح للسياجات الحية قرب الشواطئ فهو لا يتأثر بالاملاح البحرية، يستفاد من خشبها في عدة صناعات زراعية وصناعة السفن الصغيرة والمتوسطة. ويوجد نوع يسمى باثل المن (*Tamarix mannifera*). (٤١) اي (الطرفاء) يجني منها مادة سكرية غذائية تسببها حشرة عشائية الاجنحة تؤخر الزهر وجراة الاملوج فتعطل المن المعروف بالطريقة.

وتحدث عن نبات يبدو على ما يظهر انه يشاهده لأول مرة عندما قال: «... كما وجدت بعض الاشجار الاخرى التي يسمونها بالعاقول». (٤٢)

والعاقول (حاج) - اسمه العلمي *Alhagi manniferum*, (الاسم العلمي *Amesurum*) والانكليزي (camel thorn, Hebrew manna plant) ولم يكن العاقول اشجاراً بل شجيرات عشبية ليفية مخشوشة معمرة من فصيلة القرنيات ساقه شائكة فرعاء تصل في الارتفاع الى اكثر

البرية، وهذا الثمر عبارة عن بذور مثل بزور الفلفل اسمر اللون يحتوي على مادة سامة يستعملها صيادو السمك بعد ان تسحق وتحلط بالمعجن او اي مادة اخرى وتلقى في النهر وعندما تناولها الاسماك تتسمم وتطفو على الماء وهو صيد سهل لكن القانون العراقي يحرم العمل به بشكل صارم.

وجاء في الموسوعة في علوم الطبيعة الجزء الاول، ص ٥٧٠: (سنديل «الاسم العلمي *Anaminta paniculata*» والانكليزي «Cockleplant, *Cocculus indicus*» نبات بري وزراعي معمر وحيد الجنس والنوع من فصيلة القنريات. موطنه البلاد الحارة اخصها الاسيوية. ثماره طيبة مخدرة، مسهلة ومقوية شائعة الاستعمال تدعى سم السمك).

وذكر راوولف نبات الزنب وقال ان جنود هذا النبات تستعمل في معالجة اوجاع الظهر. (٤٣) وهذا النبات المسمى ايضاً (زرنباد، زرنبة اسمه العلمي *Zingiber Zerumbet*, *Amomum Zerumbet*) والانكليزي (Wild ginger, Broad — leaved ginger).

هونبات بري طبي جلدومري من فصيلة الزنجبيلات. له عطر نافع للغم ويزيل روائح البصل والثوم منه. وهو كذلك منه معوي يجلل الرياح ويقوي القلب، الساق متعصبة حولي يصل من ١٠٠ - ١٢٠ سم بالارتفاع، ازهاره هامية كبيرة الحجم ذات لون كبريتي حممر. (٤٤)

وله ايضاً فوائد طبية اخرى لمعالجة اوجاع المفاصل والظهر وغيرها. و اشار الدكتور راوولف اثناء سفره في نهر الفرات في احدى السفن الصغيرة متوجهاً الى العراق قادماً من سوريا الى مجموعة من النباتات قائلاً: «وكنت اغتنم الفرصة حين نزولنا الى الباسة فاروح افش عن النباتات القريبة في المكان. ولقد عثرت على انواع خاصة من نبتة «الازهار المحززة» وهي تشبه النوع المعروف منه في بلادنا لكن ليس لها ذات ميزاته، ونوع من شجر (العجرم) من فصيلة ذكرها المؤرخ «كلوفيس» وهو ذو اوراق سمبكية تشبه شجرة (الودنة) فضلاً عن السذاب ونوع غريب من الصفاف يسميه السكان باسمه القديم هو (الغرب)، بالإضافة الى الطرفاء وهي من انواع كبيرة وعالية تشبه اشجار التوت والنخيل مما يمكن مشاهدتها من بعيد بسبب ضخامتها وارتفاعها وهي تشبه الطرفاء في بلادنا لكنها اكثر ضخامة وارتفاعاً، واوراقها طرية ذات رؤوس وردية الالوان». (٤٥)

والمعجم = (باقل - نغام - الجزائر) - بلبل

من ١٠٠ اسم. الفروع نحيلة الشوك، أوراقه بسيطة كاملة مستطيلة. (١٣)

وفي مكان آخر تناول راوولف جانباً آخر من دراسته للنباتات التي بذل من أجلها الغالي والشمين للظفر بمعلومات كافية عنها، قال: «وهناك أنواع أخرى لأعشاب لطيفة وغريبة تنمو بكثرة في الرمال. ولكل واحدة من هذه النباتات ما بين خمسة وثمانية أسواق يدخل إحدها في الآخر ولها مفاصل كثيرة ولذلك تنمو وهي تزحف فوق الأرض أكثر مما تنمو قائمة. وتنبثق من كل واحدة ثلاث أو أربع أوراق مدورة تشبه أوراق شجر السماق والزعر وتظهر فوق كل نبتة من هذه نجمة تشبه الزهرة البيضاء ذات ست أوراق مدببة وهي بهذا تكون شبيهة بنبات (ورنبثوغالوم) المعروفة عندنا، وكل واحدة منها ذات سوق خاصة، ولم أر فيها أية حبوب وكانت جذورها صغيرة ونسيجية وهي مشابهة في شكلها للنبات المتعددة الأوراق التي ذكرها ديسقوريدوس». (١٤)

وجاء ذكر السماق في رحلة راوولف وهو يقصد ذلك النوع المسمى (سماق الدباغين، تختم. الاسم العلمي *Rhus coriaria*) والإنكليزي (*Sumach, Tanners sumach*). وهو النوع المعروف البذول في لبنان وسوريا، شجيرة تصل في الارتفاع من ١٠٠ - ٤٠٠ سم، لها أزهار خضراء اللون، البذور شديدة الصلابة مصقولة، أوراقه دباغية، (ثمارة من التوابل الحامضة العاقصة). (١٥)

وأما الزعر الذي ذكره راوولف فهو نبات (*Origanum*) طبي بري عطري. ويسمى أيضاً صعتر أو صعتر.

وكان وصف راوولف لنبات شبيه بنبات (الاورنبثوغالوم) إنما هو في الحقيقة لنبات يعرف في علم النبات العربي بأشراس صوصلاء أو صاصل أو لبن الطير من فصيلة الزنبقيات.

وهو بالذات (الأشراس الخنثى - *Omithogalum* *Stachyoides, omithogalum arabicum* (Star of *Bethlehem*). كبير الأزهار الخضراء اللون ينت برباً في بعض المناطق من سوريا وفلسطين. ويستخرج من بصله نوع من الشراس الجيد. (١٦)

وعند وصول راوولف إلى مدينة (عنه) عن طريق نهر الفرات وصفها وصفاً موضوعياً قائلاً: «تشتهر هذه المدينة بجملها وذلك لكثرة الأشجار المثمرة فيها من أمثال الزيتون والليمون والبرتقال والرمال والليمون الحامض وكذلك أشجار

النخيل التي لم أر لها شيئاً بما شاهدته من أمثالها في سفرائي. فقد كانت هذه النخيل سميكة وصلبة للغاية وحين ذهبت مع بعض رفقا إلى المدينة وجدنا كميات كبيرة من الفواكه لم تعجبهم إطلاقاً وقد رأينا بينها نوعين من الفواكه التي اعتادوا جلبها إلى بلادنا أحدهما أحر اللون والآخر أصفر أطلق عليها «سيرابو» اسم «هيرون» وذلك في الفصل التاسع والستين من كتابه، ومع أنها أقل حجماً مما هولدنا إلا أنهما من نوع جيد وذو طعم لذيقه. (١٧)

وهذه الفاكهة التي ذكرها راوولف هي بالأحرى ثمار نبات النبق (السدر) الذي يبدأ باللون الأخضر وبعد ذلك يصفر ويحمر. والنبق أشجار كبيرة ولاوراقها وأثمارها فواقد طبية. ويستمر راوولف في وصف نباتات منطقة الأنبار الحالية وهو متجه إلى بغداد، يقول: «ولم أر في الطريق من النباتات الغريبة سوى ما شاهدته في حقول القمح من نبات (الماش) العربي الذي اشرت إليه قبلاً والذي يظن عنه أنه هو نبات (كوركوروم) الذي ذكره (بليتي) و *Korchorum*، نبات متسلق ذو أزهار صفراء اللون. كذلك رأيت نبتة أخرى تشبه السسم إلا أن ساقها أطول وأمتن، وهي تحمل أزهاراً صفراً ذات عروق حمراء وبنية اللون تنتهي بعقد طول الواحد منها بقدر الأصبع وبمقدار سمكه ومدينة عند الرأس، ولها خمسة أصناف تحوي البذور التي تشبه نوعاً من الحياز الذي يسمى (ابوتيلون).

ولقد استفسرت كثيراً عن هذه النبتة فلم أجد لها اسماً آخر غير الاسم الذي يطلق عليها وهو (اللوبياء الهندية)، ولكن طبقاً لمعلوماتي اعتبر هذه النبتة هي (الفصل) التي أشار إليها (ثيوفراستس) في أماكن عديدة من كتابه». (١٨)

وبنات ابوتيلون الذي ذكره راوولف هو أعشاب مخشوشية الساق من فصيلة الخبازيات. أنواعه عديدة تنتشر في جميع أنحاء البساتين الحارة والمعتدلة. وهذه النباتات لها أثمار دولاية النفاخ عند التضج ويستفاد من أوراقه العلاجية للزجة كملين ومن بذورها كمدر للبول ومن سوقها والياب تشورها للفضول والنسج. (١٩)

واللوبياء الهندية الذي قال عنها راوولف هي نفس اللوبيا أو اللوبياء في بلادنا اليوم وتسمى علمياً (*Dolichos unguiculatus*) والإنكليزي (*Black eyed dolichos, Asparagus bean*). وهي نباتات عشبية زراعية من فصيلة القرنيات القرشية. أنواعها عديدة

تزرع لقرونها الخضراء البغلة أو ليزورها الجافة. وهي تنمو في جميع الأتربة القليلة الاندماج الممكن ربما. (١٠٠)

وقد اخطأ راوولف عندما اعتبر اللوبيا هي نفسها نبات النفل. فنبات النفل (الاسم العلمي *Trifolium*) والانكليزي *Clover* هو البرسيم نفسه وهي نباتات عشبية من فصيلة القرنيات الفراشية انواعه المعروفة حوالي (١٥٠ نوعاً) اكثرها بري مرعوي وبعضها زراعي علقي ومنها الحولي والممرس. جذورها تنمو في التربة. اوراقها مركبة ثلاثية الوريقات. ازهارها مختلفة الالوان، البذور كلوية الشكل صغيرة الحجم، سمراء اللون. (١٠١) وأوضح راوولف أهمية بعض النباتات العراقية في بعض الصناعات العسكرية، قال:

وبارود المدافع هذا لا يصنع من ملح البارود<sup>(١٠٢)</sup> مثلما يجري ذلك عندنا في أوروبا وإنما يستخرج من عصير شجرة من نوع الصفصاف يسميه الفرس (قبر) بينما يدعوه العرب بأسم «الغرب» كما اشرنا الى ذلك قبلاً. فهم يقطعون الأغصان الصغيرة من هذه الأشجار واوراقها فيحرقونها ويحولونها الى مسحوق يلقون به في الماء الى ان تفصل ثمرات الملح عنه واذذاك يصنعون منه بارود المدافع، ومع ذلك فهذا البارود ليس قويا كالذي نصنعه نحن في بلادنا. ولقد أكد ذلك المؤرخ «بليبي» في الفصل العاشر من الجزء الحادي والثلاثين من كتابه اذ قال: «ان الناس في الأيام السالفة كانوا يستخلصون «النير»<sup>(١٠٣)</sup> من اشجار البلوط». (١٠٤)

وقد وصف راوولف نبات الخنظل السام قائلاً: كذلك شاهدت على ضفاف النهر العالية كثيراً من نبات (الخنظل) لم استطع ان اتحقق منه عن بعد، الا انه لا يزال حتى الآن معروفاً لدى السكان بأسمه العربي القديم وهو «الخنظل». (١٠٥) والخنظل أو الخندج أو مرارة الصحاري أيضاً - اسمه العلمي *Citrullus Colocynthis*, *Bitter apple* (الانكليزي *Colocynthis*, *Cucumis colocynthis*) نبات حولي من فصيلة القرعيات يمد ويسري في الأرض عند نموه له انواع كثيرة برية وزراعية. ازهارها صفراء وثمارها صغيرة الحجم ومختلفة الاشكال فمنها القرعي والبرتقالي والاجاصي والبطيخي. القشر رقيق جامد، لبها اسفنجي التركيب، ابيض اللون، شديد المرارة والحرقاء وهو من اشد المسهلات القوية المقعول وهو كان ولا يزال من النباتات الطبية العامة. (١٠٦) وأوضح راوولف عند مكوثه في بغداد انه وجد ان اهالي بغداد يستخرجون

الزيت من الجوز ولنستمع مايقوله: «كذلك استقطرت الزيوت من الجوز، وهو نوع جيد ومتوفر بكثرة، ومن الفستق الذي يحتفظ به السكان ويأكلونه مثلما نأكل نحن الانواع الصغيرة من الجوز في بلادنا. ولقد تناولت هذا الفستق فوجدته جافاً غير مستساغ. وهذا النوع يسميه العرب بأسم «بطم». ولقد شاهدت نوعين منه بحجم كبير وآخر صغير، والكبير منه يشبه جوزة الفستق لكنه اقل استدارة واقصر طولاً. اما النوع الصغير فهو ذو قشرة صلبة تشبه حبة الحمص الكبيرة وهذه تماثل في شكلها البنية المعروفة بأسم (قرن الغزال) أو الذرة الهندية. وينمو الكثير من هذه في «بجينا»<sup>(١٠٧)</sup> وفي فارس وبلاد ما بين النهرين وأرمينيا وغيرها. فهي بأوراقها الطويلة تشبه تلك الاشجار حيث يمكن تمييزها بيسر عن شجرة الفستق ذات الاوراق المدورة، وهي من النوع الذي قال عنه كل من الرازي وابن سينا انه ينمو في الهند». (١٠٨)

وقد خلط راوولف بين اشجار الفستق واشجار البطم حيث اعتبرها شجرة واحدة في حين ان الفستق اشجار زراعية معمرة تعيش اكثر من ٣٠٠ سنة. وهي من فصيلة البطميات. انواعها عديدة منبتها منطقة حوض البحر الابيض المتوسط من اشهرها الفستق الحلبي والتونسي والايراني والصقلي والمغربي والقبرصي وهي اشجار جبلية تتحمل درجات البرودة العالية وتسايط الثلوج. واشجار الفستق تصل في الارتفاع الى حوالي عشرة أمتار ثمارها زيتونية الشكل تتكون عند اكتمال نضجها من غلاف خارجي هش النسيج. ومن غلاف داخلي خشبي المادة مؤلف من مصراعين ينشقان عن صلام اصفر اللون مأكول تلفه قشرة رقيقة لونها الى الحمرة. الاسم العلمي للفستق (*Pistacia vera*) والانكليزي (*Pistachio tree*). (١٠٩)

اما البطم<sup>(١١٠)</sup> (ضراوة) فهي شجيرة فرعاء تملو من ٣ - ٥ أمتار الشمر كروية الشكل. يستخرج من لحاء سوقها مادة واثنية فواحة كثيرة الاستعمال، ثمرته تدعى (الحبة الخضراء). قال ابن سينا: «انه يجلو الحرجب والقوباء» وقال الانطاكي: «اوراقها تسود الشعر طلاء. والحب يسخن الصدر والمعدة ويقطع البلغم ويزيد القوة الجنسية ويسمن عن نحرة. ودهنه يجلل اوجاع العصب وحصر البول شرباً ويصلحه العسل. وشربه الى عشرة. الاسم العلمي للبطم (*Pistacia terebinthus* P. *cabulica*) والانكليزي (*Turpentine tree*, *Terebinth tree*).

والبطم من فصيلة البطميات. واشهر انواعه البطم الاخضر، برزق (الاسم العلمي *Pistacia khinjuk*) والانكليزي (East Indian mesche) وهذا النوع يتشتر في الهند ومناطق الشرق الاوسط ومن ضمنها العراق. وهناك نوع آخر المسمى بالبطم الشرقي او بطم مستكي (*Pistacia lentiscus*) وثمرة الاخير اكبر من البطم الاخضر وهذا ما جعل راوولف يذكر هذين النوعين. وذكر راوولف نباتاً آخر شاهده اثناء رحلته قادماً الى بغداد قال: «لقد اشار هـرابيه في الفصل الخامس والعشرين من كتابه الى ثمر آخر دعاه باسم «العنصل» وقد شاهدته انا وهو بقدر جورة الفستق لين القشر، ولم اعثر عليه لدى اصحاب الحوانيت في هذه الانحاء.»<sup>(١١)</sup>

والعنصل الذي جاء في وصف الدكتور راوولف هو<sup>(١٢)</sup> إشقيل الخريف او بصل الفأر او بصل الحية، اسمه العلمي (*Scilla autumnalis* la autumnalis) والانكليزي (*Autumnal squill, Winter hyacinth*). نباتات بصلية معمرة من فصيلة الزنبقيات. والثمرة بصلية غليظة اجاصية الشكل، بيضاء اللون، اوراقها قرصية مستطيلة ضيقة شديدة الخضار لامعة المواج. ازهارها صغيرة لبدية وردية اللون. وهو طيب ويدخل في تركيب عدة مستحضرات وعقاقير وهو يدر البول وينعش الصدر. ويتشتر على سفوح التلال والمرتفعات في المناطق الشرقية من العراق.

واطلق راوولف على شجرة مجهولة اسم شجرة الموز وقال: «وعن شجرة الموز التي تنمو في الجزيرة العربية وتحمل ثمرأ حلواً طيب المذاق يسمونه (واك - Wac) وهو مدور الشكل احمر اللون بحجم البطيخ الهندي.

ترى هل كان هذا هو ثمر (المانغا) الذي اشار اليه كلوفيس في تاريخه عن النباتات الهندية، والذي كان يتقل بسبب جوده الى فارس بحرأ؟ فقد تركت ذلك لألم به فيما بعد.»<sup>(١٣)</sup> والشجرة التي اعتبرها راوولف مرة موز ومرة أخرى مانغا (العنب الهندية) هي في الاحرى الخوخ البري او الاجاص البري وهي شجيرات وجنبات حرجية زراعية من فصيلة الراتنجيات، انواعه كثيرة. مواطنها البلاد الحارة. اوراقها صغيرة بارزة العروق. ثمارها مأكولة. الاسم العلمي (*Spondias*) والانكليزي (*Spondias, mombin, Hog plum tree*) ومن اهم انواعها خوخ البر الاحمر وخوخ البر الحلو والوخ الشائك.<sup>(١٤)</sup> وازضاف معقياً بهذا الوصف (اما الموز الذي قيل عنه انه

معروف في سوريا ايضاً، فهو شجر يحمل ثمرأ صغير الحجم مقوساً ورقيقاً اصفر اللون يشبه البطيخ في شكله وهو حلو المذاق شهى الطعم، لكنه مضر بالصحة ولهذا السبب منع الاسكندر الكبير جنوده من تناوله.»<sup>(١٥)</sup> واثاء توجهه الى كركوك عن طريق نهر دجلة وصف راوولف بعض النباتات التي شاهدها قائلاً: «ورحت في اثناء مكوثي في ذلك المكان ابحث عن النباتات فيه لكنني لم اعثر على شيء منها لانها في ذلك الوقت كانت قد بدأت تبرز من باطن الارض. على انني عثرت على انواع من الخنجان البري ذي جذور كبيرة ومدورة يسميه السكان (السرو) ويطلق عليه اليونانيون واللاتينيون اسم (سيروس).»<sup>(١٦)</sup>

وهنا وقع راوولف في خطأ كبير عندما اعتبر الخنجان البري هو السرو. في حين ان الخنجان (الاسم العلمي *Erica*) والانكليزي (*Heath, Heather*). شجيرات صغيرة برية وزراعية من فصيلة الخنجيات انواعه كثيرة تبلغ حوالي ٤٠٠ نوع - اوراقه هندية الشكل قصيرة.<sup>(١٧)</sup>

اما السر (الاسم العلمي *Cupressus*) والانكليزي (*Cypress tree*) فهي اشجار حرجية كبيرة من فصيلة الصنوبريات لها انواع عديدة اهمها ١٥ نوعاً. اوراقها دائمة الخضرة، اوراقها عروية، فلسية، متقابلة الشار اكرار كروية الشكل. بزورها صغيرة مجنحة.<sup>(١٨)</sup> والجذور التي شاهدها راوولف هي حسب اعتقادي جذور اشجار السرو لانها تتناسب وحجم وضخامة هذه الاشجار الخشبية التزينة.

وعند وصوله الى مدينة الموصل وصف بعض الانواع من الفاكهة، قال: «ولقد شاهدت نوعين من هذه الفواكه من جنس الجوز باحجام كبيرة وصغيرة يسميه السكان بأسم (البنلق) كما شاهدت نوعاً من البطيخ كبير الحجم بقدر قبضتي اليد كثير الانتشار هنا قيل لي عنه انه يؤق به من ارمينيا، وهو صلب اسمر اللون ليس حلو المذاق وهو كالقطين ومع ذلك فهو حسن صالح للأكل ويحتوي على بذور صغيرة حمراء لا يشاهد المر، حين تناوله وهو يحل الجسم لكن ليس بالشكل المعروف عندنا من هذا الثمر.

وقد اعتاد السكان ان يتناولوه بكميات كبيرة عند الصباح مثلاً يفعل ذلك سكان جبل لبنان بالنسبة الى الجينة. ولكن هل كان هذا هو (المن الحجازي) الذي اشار العرب اليه، ام هو النوع الذي اشار اليه (ابن سينا) في الجزء الثاني، المقالة الثانية



من الفصل الخامس والسبعين، فذلك امر لم التحقق منه<sup>(٣٠)</sup>.  
لقد خلط راوولف في وصفه هذا النوع بين فواكه  
المكسرات فهو يعتبر الجوز والبندق نوعاً واحداً كبيراً صغيراً ولكن  
لكل من هذين النباتين سميات خاصة به ويختلف بعضها عن  
بعض في امور علمية كثيرة.

فالجوز اشجار كبيرة من فصيلة الجوزيات، اسمه العلمي  
(Juglans regia) والانكليزي (Walnut tree). انواعه كثيرة، تصل  
الاشجار الى ٢٤ متر ارتفاعاً. ثماره لذيدة اللبالب المستحب  
الطعم، قشورها الخشبية غليظة سمكية. لمساء البشرة، سرعة  
التفكك ولون الثمر جوزية اللون، اول تكوين الثمرة تكون  
بجلد اخضر لين وشيئاً فشيئاً يصلب ويبس فيتغير لونه. ويتشر  
الجوز في شمال فطرنا العراق وبالاخص المناطق المرتفعة<sup>(٣١)</sup>.  
اما البندق فهو اشجار وشجيرات برية وزراعية من فصيلة  
التبوليات السومليات انواعه قليلة. والنوع الذي شاهده راوولف  
في مناطق الموصل ومايحيط بها او قريب منها هو البندق البري،  
الاسم العلمي (Corylus Sylvestris) والانكليزي (Wild filbert). تعلق  
هذه الاشجار الى حوالي ٦ - ١٠ أمتار.

مواطنها تركية ومنطقة البلقان وشمال العراق وشمال غربي  
ايران، ساقها لمساء. ثمارها صغيرة خلية القشرة مستطيلة  
الشكل<sup>(٣٢)</sup>.

## الهوامش والمصادر

- ١- رحلة المشرق الى العراق وسوريا وفلسطين سنة ١٥٧٣م، ترجمة: وتعليق  
الاستاذ سليم طه التكريتي - بغداد ١٩٧٨، ص ٣٣.
- ٢- ادوار غالب، الموسوعة في علوم الطبيعة ٣ اجزاء، بيروت، ١٩٦٥، ج ١،  
ص ٢٢٩.
- ٣- رحلة المشرق، ص ٣٤، ومعلومات شخصية للكاتب.
- ٤- ادوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، ج ١، ص ٧١.
- ٥- اعتقد ان هذا الرقم مبالغ فيه جداً؟ خاصة اذا علمنا ان المؤلف اراد بذلك انتاج  
منطقة حلب وحلتها في ظروف القرن السادس عشر حين كانت طرق استخراج  
زيت الزيتون طرقاً بدائية!
- ٦- رحلة المشرق: ص ٥٣.
- ٧- سيراپو Serapio او سيراپون سيراپيون ايضاً هو احد مطارنه معبد شعوس في  
دلتا النيل بمصر. وتوفي هذا الرجل في حدود سنة (٣٥٠ للميلاد) له كتاب في  
الصلاة.
- ٨- يقصد كتاب القانون الشهير لابن سينا وهو من اهم الكتب العربية الذي ظل  
يلبس في الجامعات الاوربية حتى القرن السادس عشر.

وشاهد راوولف مااسماء بطيخاً أسود اللون وله بذور  
احمر. وهو بالحقيقة الرقي كما يسمي في العراق وسوريا نسبة الى  
مدينة الرقة السورية. وفي بعض الأقطار العربية يسمي بطيخ او  
بطيخ احمر او دلاع كما في المغرب او بطيخ هندي او فريز، اسمه  
العلمي (Citrus vulgaris, Cucumis Citrulus, Cucurbita citrulus)  
والانكليزي (Water-melon).

والرقي نبات عشبي حولي بري وزراعي من فصيلة  
القرعيات يزور لثماره المأكولة. له انواع عديدة منها الصغير  
والكبير وباشكال مختلفة واللوان حمراء كالاخضر الباهت والمقلم  
بالاخضر الباهت والغامق والاخضر المسود.

ولون البذور واشكالها مختلفة ايضاً فعنها الاسود والاصفر  
الباهت الاحمر. ومن المعروف ان احسن انواع الرقي في العراق  
مايزرع في محافظة نينوى بشاره وبزوره الحمر الكبيرة الحجم  
المروعة المأكلة.

والرقي من الثمار المنعشة التي تروي الغليل وتدر البول  
وتفيد المصابين بالامساك والبواسير. وتبلغ نسبة الماء نحو  
٩١٪ في الرقي و٨٪ من المواد السكرية<sup>(٣٣)</sup>.

وهو ليس المن الحجازي او اي نوع من انواع المن الذي  
توهه راوولف وتساءل عنه.

- ٩- كارلوس كلريوس - Cerus Chius، عالم نباتي ومؤرخ لاتيني معروف له  
كتاب موسوعي موسوم بتاريخ النبات في البلاد الاجنبية.
- ١٠- رحلة المشرق: ص ٥٤.
- ١١- ادوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، ج ٢، ص ٤٤٣.
- ١٢- ادوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، ج ٢، ص ١١٨.
- ١٣- النباتات الطبية والعطرية عز الدين رشاد، القاهرة، ١٩٦١، ج ١،  
ص ٧٠.
- ١٤- كابية: منطقة في جزيرة صقلية الايطالية كانت احد مراكز العرب العلمية  
والثقافية عند حكمهم لها وقد نقلوا الكثير من النباتات القليلة لها وزرعوها هناك.
- ١٥- رحلة المشرق: ص ٧٢-٧٣.
- ١٦- د. جابر الشكري: المن من السماء، مجلة التراث العلمي، العددان ٥ - ٦،  
ص ١٥ - بغداد ١٩٨٤، ص ١١٨ - ١١٩.
- ١٧- المصدر السابق، ص ١١٩.
- ١٨- الموسوعة في علوم الطبيعة الجزء، ص ٢٨٦.
- ١٩- المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٢٥٠.

- ٢٠ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ٢، ص ٥٩٧.
- ٢١ - المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٧٩.
- ٢٢ - الرحلة الشرقية، ص ٧٥.
- ٢٣ - ولا ينبغي أن نغفل الرسول (ﷺ) في المدينة المنورة، لامية.
- ٢٤ - الرحلة الشرقية، ص ٧٦.
- ٢٥ - يقصد بها البن.
- ٢٦ - الرحلة الشرقية، ص ٨١.
- ٢٧ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ١٦٥.
- ٢٨ - الرحلة الشرقية، ص ٩٦.
- ٢٩ - حر الدين رشاد: النباتات الطبية والعطرية، الجزء ١، ص ١٩٨.
- ٣٠ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٣٧٧.
- ٣١ - المصدر السابق، ص ٥٦١.
- ٣٢ - المصدر السابق، ص ٥٤٤.
- ٣٣ - المصدر السابق، ص ٥٧٢.
- ٣٤ - الرحلة الشرقية، ص ٩٩.
- ٣٥ - أحمد عيسى: معجم أسماء النباتات، بيروت، ١٩٨١ (ط ٢) ص ١٥.
- ٣٦ - الرحلة الشرقية، ص ١٠٦.
- ٣٧ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٤٨٧.
- ٣٨ - الرحلة الشرقية، ص ١١٨ - ١١٩.
- ٣٩ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٥٢٨.
- ٤٠ - أحمد عيسى: معجم أسماء النبات، ص ١٦٠، الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ٢، ص ٦٥.
- ٤١ - المصدر السابق، الجزء ١، ص ١٩.
- ٤٢ - الرحلة الشرقية، ص ١٣٠.
- ٤٣ - الموسوعة في علوم الطبيعة الجزء ٢، ص ١١٨.
- ٤٤ - الرحلة الشرقية، ص ١٣١.
- ٤٥ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٥٥٩.
- ٤٦ - المصدر السابق، ص ٦٩.
- ٤٧ - الرحلة الشرقية، ص ١٥٠.
- ٤٨ - الرحلة الشرقية، ص ١٥١.
- ٤٩ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ١١.
- ٥٠ - المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٤٢٩.
- ٥١ - المصدر السابق، ص ٥٧٥.
- ٥٢ - ملح البارود - Salt - peter هي نترات البوتاس الذي يدخل بشكل أساسي في الصناعات البارودية.
- ٥٣ - النتر - Nitro Near - وتسمى ملح البارود وهي عبارة عن نترات البوتاس أو آزونات البوتاسيوم.
- ٥٤ - الرحلة الشرقية، ص ١٦٠.
- ٥٥ - المصدر السابق، ص ١٦٦.
- ٥٦ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٣٣٠.
- ٥٧ - إيغيا - سماها إيغيا - Egeria وهو يقصد إيغين في ولاية أوزبكستان التركية على الجانب الغربي من القرات.
- ٥٨ - الرحلة الشرقية، ص ١٨٨.
- ٥٩ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ٢، ص ٢٤٠.
- ٦٠ - المصدر السابق، الجزء ١، ص ١٥١ - ١٥٢.
- ٦١ - الرحلة الشرقية، ص ١٨٩.
- ٦٢ - المصدر السابق، ص ١٨٩.
- ٦٣ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٧٠.
- ٦٤ - الرحلة الشرقية، ص ١٩٠.
- ٦٥ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٣٨.
- ٦٦ - الرحلة الشرقية، ص ١٩١.
- ٦٧ - المصدر السابق، ص ١٩٣.
- ٦٨ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٣٦٨.
- ٦٩ - المصدر السابق، ص ٥٣٦.
- ٧٠ - الرحلة الشرقية، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.
- ٧١ - الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء الأول، ص ٢٧٩.
- ٧٢ - المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٦٨.
- ٧٣ - المصدر السابق، ص ١٥٢.

\* \* \*

**تحرير مدينة الفاو وبوابة النصر العظيم وإعادة بنائها  
ممركتان كبيرتان انتصر فيهما العراقيون.**

# الحيوانات العراقية في كتب الرحالة الاوربيين ايام الحكم العثماني

## دراسة

د. عماد محمد ذياب الحفيظ

بغداد

المقدمة:

افتصرت معظم كتاباتهم على الوصف الجغرافي والعادات والتقاليد الاجتماعية بالإضافة الى ذكر بعض الأمور السياسية وإدارة الحكم. حيث كانت رحلاتهم عادة ذات طابع استكشافي، إلا انها قد لا تخلو من بعض الأساليب التجسسية. كان من أهم الرحالة الأوربيين الذين استعنت بكتاباتهم لتوفرها هم:

١ - ليونهارت راوولف L. Rouwolf. وهو هولندي زار العراق عام ١٥٧٣م  
٢ - أوليفيه Olivier وهو فرنسي زار العراق مرتين خلال السنوات ١٧٩٤ - ١٧٩٦م.

٣ - جيمس ريموند ولستيد J.R. Walsted وهو انكليزي زار العراق عام ١٨٣٠ - ١٨٣١م.

أي ان هذه الرحلات كادت ان تتحدث عن كل ماكان شائعاً ومألوفاً في العراق خلال الأربعة قرون الماضية.

وبالرغم من ذبوع صيت هؤلاء الرحالة ورحلاتهم فأني لأعرف ولم أسمع أو يذكر ان أحداً قد درس ماجاء فيها من حيوانات، بل حتى من ترجم كتب هؤلاء الرحالة لم يحققوا الحيوانات الواردة في تراجمهم أو يسيروا الى شيء عنها في هذا المجال.

كما ان من المؤسف ان الرحالة الأوربيين لم يميروا اهتماماً الى كثير من النواحي الطبيعية في العراق من سهول وجبال

بعد الفتوحات العربية لنشر الدين الاسلامي وتحقيق الاستقرار، بدأ العرب رحلاتهم من أجل طلب العلم والمعرفة والحصول على معلومات جغرافية وتاريخية واجتماعية سجلتها أدبياتهم العديدة. فنشطت الحركة الفكرية وازداد اهتمام العرب بها وخاصة عند ازدهار بغداد وسامراء. فكتبوا عن الأقاليم وصفاتها ومفاخرها وجعلوا من هذه المعلومات اعداداً كبيرة من المجلدات التي اغنت المكتبة العربية، فقد كانت تحتوي هذه المجلدات على معلومات علمية وأدبية متنوعة.

واذا اردنا ان نتحدث عن دور العرب في هذا المجال ومن اسهم منهم في ادب الرحلات، فأننا لن نفي هذه الدراسة حقها. وبعد سقوط الدولة العباسية وسقوط بغداد، توالى عليها عهود وحكومات عانى العراق خلالها الولايات تلو الولايات، فعاشت البلاد فترة مظلمة استمرت لعدة قرون. فأصبحت هذه الفترة، أي من سقوط بغداد وحتى سقوط الدولة العثمانية، فترة نهول عنها الكثير خاصة في مجال العلوم والمعرفة المختلفة.

لذلك آثرنا ان نختار مايتعلق بالحيوانات العراقية خلال القرون الماضية وادرسها شارحاً ومعلقاً من خلال ماكتبه عنها الرحالة الأوربيون خلال هذه الفترة. الا انه من المؤسف ان معظم هؤلاء الرحالة لم يتحدثوا عن الحيوانات في العراق بل

وصحارى وأهوار والتي لاشك انها كانت مملوءة بالانواع المختلفة من الحيوانات، فلم يذكرها الا القليل، بل وأغلب ماكتبوه هي اسماء الحيوانات داجنة او شائعة وكثيرة الانتشار.

علماً ان هؤلاء الرحالة لم يتحدثوا بشكل تفصيلي عن الحيوانات من حيث وصفها وانتشارها واهمية تواجدها في العراق، بل اقتصروا على ذكر اسمائها فقط هذا بعض الاستثناءات البسيطة. مما زاد في الصعوبات التي واجهتها في تحديد نوع الحيوان المقصود وهل كان هنالك اكثر من نوع واحد يتبع نفس الجنس ام لا.

وانهم كانوا سرّة يتكلمون عن بعض الامور الجميلة في العراق واحياناً عن القبيحة منها. ولو انهم تحدّثوا عن الطبيعة وملحوتة من حيوانات ونباتات لكانوا قد قدّموا معلومات جيدة عن فترة مازالت فيها هذه الجوانب غير معروفة.

رتبت مجاميع الحيوانات او انواعها في هذه الدراسة حسب موقعها التصنيفي الحديث، ابتداءً من أبسطها تركيباً، ووصولاً بأكثرها تعقيداً ورتباً في سلم التطور. وتحدّثت عن كل مجموعة بنبذة موجزة عن أهم صفاتها وعاداتها وتواجدها وانواعها. كما ذكرت انواع الحيوانات كلّاً حسب مجموعته وبترتيب ابجدي، وقد ادرجت ماتيسر لي من شروح وتعليقات حول نوع الحيوان ووجوده في العراق. ثم ادرجت معلومات في جدول يبين اسماء الحيوانات التي جاء ذكرها ومصدرها ورقم الصفحة التي ورد فيه ذكر الحيوان لتسهيل مهمة القاريء والباحث الكريم.

أما عن اسماء الحيوانات التي جاء ذكرها في سياق حديثهم عن وجودها في بلدان او مناطق تقع خارج العراق، فقد تجاوزتها ولم اتحدّث عنها. حيث ان الرحالة لم يثيروا في كتبهم عن مشاهدتهم لها او سماعهم عنها في بلدنا وإن كانت موجودة عندنا في الوقت الحاضر.

ولقد اشرت في الهوامش الى مصادر معلوماتي، وعند علم الاشارة فيعني ذلك ان المعلومات لي.

#### شعبة مفصليات الأرجل:

تعتبر اكبر شعب المملكة الحيوانية من حيث عدد انواعها والذي يقارب اليوم المليون نوع. تتميز افراد هذه الشعبة بأن اجسامها مقسمة الى حلقات، جميع انواعها تحمل عدداً من اطراف مفصليّة تستعملها في المشي او الامساك بالطعام وغير

ذلك. يغطي جسمها هيكل صلب لاحتوائه على مادة الكايتين، لذلك فهي تنمو من خلال عدة انسلاخات. تضم هذه الشعبة عدة اصناف كل منها له صفات خاصة بالاضافة الى تشابهها بالصفات العامة للشعبة، وأهم هذه الاصناف هي:

- ١ - صنف القشريات.
- ٢ - صنف الحشرات.
- ٣ - صنف العنكبوتيات.
- ٤ - صنف عديلة الأرجل.
- ٥ - صنف مزدوجة الأرجل.

وتعتبر جميع الانواع التابعة لهذه الاصناف من الحيوانات اللاقضية. الا اننا نجد ان الرحالة الأوروبيين لم يذكروا سوى عدد قليل من انواع الحيوانات والتي تعود للاصناف الثلاثة الاولى، ولم يثيروا الى اي نوع يعود للصنفين الأخيرين.

#### صنف القشريات:

الرأس ملتحم بالصدر ويحمل زوجين من قرون الاستشعار وزوجاً من العيون المركبة، لأفرادها مالا يقل عن اربعة ازواج من الأرجل. معظم انواع هذا الصنف بحرية المعيشة وبعضها تعيش في المياه العذبة. وقد ذكر اوليفيه<sup>(١)</sup> من انواعها السرطان فقط وهو من الحيوانات التي تعيش في المياه العذبة. يتبع السرطان رتبة ذوات الأرجل العشر والذي يتميز بأن الزوج الاول من اطرافه الصدرية متحور الى ملقطين كبيرين يستخدمهما للامساك بالفريسة. اما الاطراف الباقية فتستخدم في المشي، وهو حيوان مفترس يتغذى على الحيوانات المائية الصغيرة وخاصة الأسماك.

#### صنف العنكبوتيات:

حيوانات رأسها ملتحم بالصدر ولا يحمل قرون الاستشعار وعيوناً مركبة بل بسيطة فقط، وهذه المنطقة من الجسم اربعة ازواج من ارجل المشي فقط. البطن يكون متميزاً عن المنطقة الاولى، ومعظم انواع هذا الصنف تعيش على اليابسة وقد ذكر اوليفيه الخدران والمقارب فقط.<sup>(٢)</sup>

#### خدران:

ذكرها اوليفيه مع الحشرات السامة ذات التأثير الشاب للعقرب والرتبلاء، فقال: <sup>(٣)</sup> والجسم مكسو بالفرو بأجمعه، واللون رمادي يميل قليلاً الى الحمرة. أما الأيدي فمكسوة

بأهداب بشكل كامل، ومسلحة بأسنان حادة.

وهي حيوانات من أنواع الرتيلاء، تتبع رتبة الرتيلاء. تتميز بأن لها ملابس حسية طويلة مع عدم وجود أي تخصص بين البطن ومنطقة الرأس الصدرية، أجسامها مغطاة بشعر كثيف حتى تجعل الناظر يجهلها. تعيش معظم أنواعها في الصحارى والمناطق الاستوائية وشبه الاستوائية. (١)

عقرب:

حيوان يتبع رتبة العقارب ذات اجسام عريضة مسطحة لها ملقط ينتهي عند الملمس الحسي يستخدم لاسماك الفريسة. البطن ينتهي بست حلقات تشبه حبات المسحة في مؤخرتها ابرة السم. تعتبر هذه الحيوانات ذات نشاط ليلي تكثر في المناطق الحارة، لها في العراق ثمانية انواع اخطرها النوع Hemiscorpius scaber والذي ينتشر بشكل خاص في منطقتي مندلي وخانقين من محافظة ديالى. (٢)

ويسمى هذا النوع عند اهل المنطقة بالجوارور حيث انه لايرفع مؤخره بطنه الى الاعلى كباقي الانواع بل يسحبها وهي منبسطة.

صنف الحشرات:

الجسم في انواع هذا الصنف مقسم الى ثلاثة اقسام هي الرأس والصدر والبطن. تتميز بوجود زوج واحد من قرون الاستشعار في الرأس وكذلك زوج من العيون المركبة. الصدر له ثلاثة ازواج من ارجل المشي مع زوج اوزوجين من الاجنحة وقد تكون بعض الانواع بدون اجنحة. اما البطن فليس له اطراف او اجنحة. ذكر الرحالة الأوروبيون عدداً من مجاميع هذه الحشرات وهي الجراد، (٣) الجنادب، (٤) دودة القز، (٥) النحل، (٦) النمل، (٧) المن، (٨) وغيرها.

جراد:

جسمها كله أصفر جميل، واجنحتها غمدية منقطة ببقع وأشربة غامقة. وللأجنحة شرايين صفراء وغامقة، كما انها شفافة. ولها لون أصفر خفيف في قاعدتها وعلى الطرف الخارجي الذي يضع دون أن نشعر به ونحن نوجه النظر نحو وسط الجناح. الساقان الخلفيتان صفراوان كبقية الجسم، غير ان نهاية صلبها اسود جميل. (٩)

والجراد حشرات من رتبة مستقيمة الاجنحة وليس لها اجنحة غمدية، تتبع عدة فصائل. بعض انواعها مهاجرة والبعض الآخر أبدة، وجميعها تتغذى على النباتات. اهم الأنواع المهاجرة في العراق هو الجراد الصحراوي Schistocerca gregaria وهو النوع الذي ذكره اوليفيه في رحلته الى العراق. الا انه وقع في خلط فاعتقد ان هذا الجراد يهاجم العراق ليس فقط من عمق الجزيرة العربية بل ومن بلاد فارس أيضاً. في حين ان الجراد الصحراوي يتكاثر في شمال وشمال شرقي افريقيا ثم يعبر الى الجزيرة العربية فالعراق وان اخطر اطواره البالغ. أما الانواع الأبدية والمتشرة في العراق فان منها الجراد المصري Anacridium aegyptium. جندب:

حشرة ذكرها اوليفيه (١٠) على انها حشرات ليلية النشاط، ولعله كان يقصد حشرات صرصر الحقل والذي يتبع رتبة مستقيمة الاجنحة، فصيلة صرصر الحقل. تنتشر في جميع انحاء العراق ويكثر وجوده في الصيف، حيث تخرج الكمالات ليلاً للتغذية والتزاوج في مواسم التكاثر. وان اهم انواعها الموجودة في العراق هو صرصر الحقل الاعتيادي Acheta domestica. دودة القز:

حشرات تعود لرتبة حرشفية الاجنحة وهي فراشة الحرير والتي تعود لفصيلة دودة القز. نوعها المعروف في العراق هو Bombyx Mori والذي يعمل على تربيته لإنتاج الحرير، حيث تتغذى يرقاته على اوراق اشجار التوت. تمر اليرقة بعدة انسلخات لتتحول بعدها الى عذراء. وقد جاء ذكرها عند الرحالة الاوربيين في حديثهم عن الحرير وانتاجه في العراق. (١١)

وقد تم تربية هذه اليرقات لإنتاج الحرير من قبل المديرية العامة لوقاية المزروعات - قسم الحشرات النافعة خلال عقد الخمسينات والستينات والسبعينات لهذا الغرض، وفيما عدا ذلك اقتصر تربيته بشكل محدود في كل من محافظة ديالى ونيوى والتأميم. (١٢)

من:

حشرات تعود لرتبة متشابهة الاجنحة Homoptera، فصيلة المن. لها انواع ذات قابلية على انتاج مواد دبسية تفرزها عند اصابتها للنباتات، وكمة هذه المادة السكرية المتجنبة تتباين من نوع لآخر. فنجد ان بعض الانواع تنتج كميات لا بأس بها

الظهري وهو يمثل الهيكل الداخلي للحيوان. الجبل العصبي الذي تحيط به الفقرات وخاصة في الحيوانات الفقرية يكون ما يعرف بالجبل الشوكي.

بعض انواع حيوانات هذه الشعبة تنفس الأوكسجين بعد استخلاصه من الماء كما في الأسماك مثلاً، وبعض الأنواع الأخرى تنفس الأوكسجين الحر من الهواء مباشرة كما في اللبائن، والبعض الآخر له القدرة على تنفس الأوكسجين في الماء أو الهواء كما في بعض انواع البرمائيات. وإن أهم أصناف هذه الشعبة هي:

- ١ - صنف الأسماك العظمية.
- ٢ - صنف البرمائيات.
- ٣ - صنف الزواحف.
- ٤ - صنف الطيور.
- ٥ - صنف اللبائن.

الا أننا نجد ان الرحالة الأوربيين ذكروا بعض الأنواع التي تعود لهذه الأصناف فقط.

صنف الأسماك العظمية:

انواع هذا الصنف هي أسماك ذات هيكل عظمي، يكون جلدھا مغطى أو غير مغطى بحراشف، ذات زعانف جانبية ووسطية بأحجام وأشكال مختلفة وحسب النوع، وكذلك بالنسبة لشكل وحجم زعنفة الذيل. توجد منها انواع تعيش في المياه المالحة وانواع أخرى تعيش في المياه العذبة، الا ان الرحالة الأوربيين لم يذكروا سوى نوعين من الأسماك العراقية ولعلھا كانت أكثر شيوعاً وهي الجرّي والشبوط. (١٠) واكتفى معظمهم بذكرهم للأسماك دون تحديد أنواعها أو أشكالها وتسمياتها المحلية، بالرغم من ان أعدادها كثيرة وذات اشكال وأحجام مختلفة.

جرّي:

سمك من الفصيلة السلورية، جسمه خالٍ من الحراشف اسمه العلمي *Silurus triostegus* وهو مفترس للأسماك الأصغر منه حجماً وكذلك بالنسبة للحيوانات الصغيرة الأخرى والتي تعيش في بيته، يتميز بجسم رشيق مضغوط الجانبين. يكثر هذا النوع من الأسماك في مختلف الأنهار والجداول والأهوار

تستخدم لعمل الحلوى من قبل اهل العراق وخاصة في المحافظات الشمالية حيث تتوفر الظروف الملائمة لذلك. الا ان هناك رأياً آخر لدى بعض المختصين والذين يعتقدون ان الأشجار التي تصاب بها هذه الحشرات تتحفر فتفرز هذه المواد الدبسية ومازال هذا الأمر عند اهل الاختصاص غير محسوم. ويعرف عند اهل العراق هذا النوع من الحلوى باسم «من السماء» وقد جاء ذكره في القرآن الكريم بتسمية «المن». (١١) ولم يتحدث الرحالة عن انتاج هذه المادة في العراق، واعتمدوا في حديثهم على السماع فقط فقالوا: يكثر في الموصل وبغداد ومن البلاد الجبلية نوع من المن تصنع منه حلويات صغيرة بيضاء، طعمها الظاهري اشبه بعجين لوز شديد الحلاوة، أو كخليط بديع من العسل مع عجين السمسم، هذا ماخلفنا لدى ثلوثنا أيام للمرة الأولى. (١٢)

نحل:

حشرة تعود لرتبة غشائية الأجنحة، لها أنواع تعيش معيشة اجتماعية وخاصة نحل العسل والذي يتبع فصيلة نحل العسل. نوع نحل العسل المعروف في العراق هو *Apis mellifera* والذي عرف في بلدنا منذ قديم الزمان، وقد جاء ذكره في كتب الرحالة عند حديثهم عن انتاج العسل في العراق. (١٣)

يجمع نحل العسل يتكون من عدة طبقات اجتماعية هي الملكة والشغالات (اناث عقيمة) والذكور. وإن وظيفة افراد هذا النوع من النحل لا تقتصر على انتاج العسل والشمع فقط بل وتعمل على تلقيح ازهار المحاصيل الزراعية فتعمل على زيادة الانتاج الزراعي.

نمل:

حشرات تعود لرتبة غشائية الأجنحة، فصيلة النمل والتي معظم أنواعها تعيش حياة اجتماعية. الطبقات الاجتماعية لطائفة هذه الحشرات مشابهة لطبقات نحل العسل، الا ان العاملات تكون غير مجنحة كما في النحل. ويمكن اعتبار النمل من الحشرات الكائنة فهو يكاد يتغذى على مختلف انواع الغذاء المتوفر في بيته. ومن أهم انواع النمل في العراق النمل الاسود الكبير *Camponotus sp.* والنمل السليمانى *Salmonia Monomorium* والنمل الأحمر الكبير *Dorylus Fulvus*. (١٤)

شعبة الحيليات:

انواع الحيوانات التي تتبع هذه الشعبة تتميز بوجود الجبل

والبحيرات العراقية. فلقد لاحظت انتشاره من مدينة الموصل شمالاً وحتى جنوبي محافظة البصرة عند شط العرب جنوباً. واكثر ما شاهدته من أعداد هذه الأسماك كان في قضاء الجبايش، حيث كانت الآلاف منه مرمية على ضفاف الأهوار وعلى الطرقات لكونه غير مستحب في الأكل عند أهل المنطقة والمناطق المجاورة عموماً.  
شيوط:

سمك يتبع الفصيلة الشبوطية، اسمه العلمي *Barbus gypus* ذو جسم اسطواني مغطى بحراشف، يكثر وجوده في الأنهار الرئيسة من العراق وخاصة نهري دجلة والفرات وكذلك في بعض البحيرات كبحيرة الثرثار والحبانية، وفي مناطق الأهوار ذات العمق المناسب وغير الضحلة. ولقد ذكر القزويني سمك الشبوط كأحد أنواع الأسماك العراقية فقال: (٣١)

ونوع من السمك مشهور، طوله ذراع وعرضه أربع أصابع. طيب اللحم جداً يكثر منه بدجلة.

وتشتهر في العراق انواع اخرى تعود لنفس الفصيلة الشبوطية، أهمها البني *B. shorpeyi* والقطان *B. xanthopterus*، إلا أنها لم تذكر من قبل الرحالة الأوروبيين.

#### صنف البرمائيات:

هذا الصنف لم يذكره أي من هؤلاء الرحالة.

#### صنف الزواحف:

حيوانات من شعبة الفقريات ذات جلود متقرنة او مغطاة بحراشف، وبعض الأنواع منها جلودها متقرنة ذات حراشف. تعود لهذا الصنف أنواع لها أربعة اطراف وأنواع أخرى ليست لها اطراف. افراد هذا الصنف واسعة الانتشار في العراق كثيرة التواجد، ومع ذلك نجد ان الرحالة الأوروبيين ذكروا عدداً قليلاً جداً من الأنواع العراقية.

#### عظايا:

قيل: ووجدنا في هذه البلاد عدداً من العظايا، بعضها أطول وأسمك من ذراع رجل. تتخذ لها في الحقول جحوراً شبيهة بجحور الثعالب. لقد كنا حصلنا على اثنين، ولكننا فقدناهما. وكنا أوفر حظاً بالنسبة للنماذج التي وضعناها في خوص النخيل، (٣٢) إذ أنها حفظت بشكل جيد. النوع الاول منها نادراً جداً، لم نشاهد مثله الا على شجيرات في ضواحي بغداد. انه اسمر اصفر، يشوبه شيء من اللون الغامق، حراشفه صغيرة

وغير قاسية فوق الرأس، ومعينية على الجسم، ولحراشف الظهر والذنب خط مرتفع يمتد على شكل زاوية حادة، وينتهي ببروز واضح جداً في العنق. اما حراشف البطن فملساء. (٣٣)

والعظايا حيوانات فقيرة زاحفة تتبع رتبة العظايا والثعابين يتبع لها عدة فصائل ومئات الانواع من هذه الحيوانات والتي تختلف عن بعضها البعض من حيث الحجم والشكل وعساکة الطبيعة، من أهمها سام أبرص التركي *Hemidactylus turkicus* والحرياء *Chamaeleo chamaeleon* والورل والذي يسمى عند العامة بأسم الأرول *Varanus griseus*.

#### حنب:

حيوان صحراوي زاحف من رتبة العظايا والثعابين، فصيلة العظاء. يغطي جسمه حراشف قوية متقرنة. ومن أهم الأنواع العراقية هو النوع *Uromastix microlepis*. والأرول مرغوب للأكل من قبل البدو في العراق.

#### سلحفاة:

قال عنها أوليفيه: يبلغ طول هذا الحيوان (الرفش) ثلاثة اقدام. ويبلغ ظهر السلحفاة او القسم العلوي من الصدفة قدماً وسبع بوصات وعشرة خطوط طولاً، وقدماً وبوصتين عرضاً. وهي ملساء، مغطاة قليلاً، بيضوية، عريضة في المؤخرة اكثر مما في المقدمة، ولونها اخضر عميق غامق. الوسط منفوخ، ومتين ذو حافتين جانبيتين، والقسم الخلفي رخو وجلدي. (٣٤)

والسلحفاة من رتبة السلاحف ذلك هيكل خارجي مدرج متقرن من الناحية الظهرية اكثر منه في الناحية البطنية.

اطرافها متحركة للسباحة مضغوطة الجانبين عريضة في طرفها البعيد. النوع الوحيد الذي ذكره الرحالة هو السلحفاة الفراتية والذي يعرف عند العامة من أهل العراق بأسم رفش وأسمه العلمي *Trionyx euphratica*، بقي ان نعلم بأن الأهالي يمشون هذا النوع وسمعت بعضهم يدعون انه يهاجم الانسان عند مواجهته له. وقد شاهدت رفشاً فراتياً عام ١٩٧٤ كبيراً جداً عاباً وصفه أوليفيه وذلك في احدي سائتين قضاء التنومة من محافظة البصرة، الا انه كان مقتولاً.

#### صنف الطيور:

حيوانات فقيرة يغطي اجسامها الريش، اطرافها الامامية عبارة عن زوج من الاجنحة والتي تستعمل عادة للطيران، ولها

زوج من الأرجل التي تستعملها في الجري والمشي والسباحة وغير ذلك. ذات اشكال واحجام والوان مختلفة، بعض انواعها تكون اجنحتها ضامرة ولا تساعد على الطيران. وقد ذكر منها الرحالة الباز، الدجاج، الزرزور، حمام الزاجل، وغيرها.

باز:

جاء ذكره في الحديث عند صيد الطيور والغزلان. وهو حيوان من ضواري الطير يتبع فصيلة الصقور. تتميز بمنقار قصير مقوس، واهم انواعه هو *Accipiter nisus* اي ما يعرف باسم باز البدو. استخدمه اهل العراق منذ قديم الزمان في الصيد وقاموا على تربيته وتدريبه. وما زال مستخدماً عند القبائل العربية والبدو التي تسكن الصحراء الغربية من العراق لغرض الصيد.

بط بري:

ذكره اوليفيه فقال: ونجد لديهم شاة البط البري بكميات كبيرة. وهو طائر مائي من رتبة الوزيات، فصيلة الاوز. يعرف اسمه عند العراقيين في الجنوب باسم الحضيبي، يكثر في مناطق احوار محافظة ميسان وهو طعام محبب عند اهل المنطقة فيصطادونه ليبيع في الاسواق والمطاعم، فوجدته ذا طعم للذي. غذاءه النباتات والاسماك الصغيرة، وهو من الطيور المهاجرة في العراق واسمه العلمي *Anas platyrhynchos*.

بوم:

من ضواري الطير ذات نشاط ليلي تتبع رتبة البوم، فصيلة البوم. تتميز بأنها ذات رأس كبير ووجه مستدير ذات هينين كبيرتين. يعتبر من الطيور النافعة حيث يفترس اللبائن الصغيرة كالقوارض والطيور الصغيرة والحشرات. الا ان اهل العراق يتشامون من ذكر اسمه او رؤيته ولأسباب غير معروفة، بينما نجد الاوربيين يتعاملون به. وقد ذكر القزويني ايضاً ان الناس تشام منه ايضاً.

من اهم انواعه في العراق البومة البيضاء *Tyto alba* والبومة الاذناء *Asio otus* والشبح المخطط *Otus scops* وهو النوع الذي يش عند صياحه طوال الليل.

حجل:

طائر من رتبة الدجاجيات، الفصيلة التلوجية. يعتبر من الطيور الأبدية في العراق، الا انه قليل الوجود والانتشار حالياً في العراق. من اهم انواعه العراقية القجج *Ammoperdix bonhami*.

حمام:

طير ذو شهرة واسعة في المدن والقرى العراقية. يتبع رتبة الحماميات، فصيلة الحمام. غذائه الحبوب وثمار اشجار الفاكهة لذلك نجده يكثر في الحدائق المنزلية والبساتين. وان من اهم انواعه في العراق الفاختة *Streptopelia decaocto* واسم النوع محلياً معروف عند اهل بغداد والحلة وماجاورها باسم (كوكوختي) ولعله من صوته جاءت التسمية.

ومن الانواع الاخرى التي تتبع فصيلة الحمام الطبان *Coturnix* والطوراني والذي يعرف محلياً باسم (الطوراني) *C. Bona*. ومن اهم سلالات الحمام في العراق هو حمام الزاجل والذي استخدم لغرض نقل الرسائل والمعلومات عبر مناطق شاسعة وبمعدلة. ويعتبر الحليقة المهدي ثالث خلفاء العباسيين اول من نظم استخدام حمام الزاجل في البريد الرسمي لدولته. وقد اشتهرت تربية هذا النوع من الحمام في العراق وانتشرت بكثرة ايام الحليقة العباسي المستعصم بالله.

حُصَّار:

طائر يتبع رتبة الشقراقيات، الفصيلة الوروارية. يتميز بأن لون ريشه يغلب عليه اللون الاخضر ومن هنا جاءت تسميته وعند عامة اهل العراق يعرف باسم (ابو الحضيبي). غذائه المفضل نحل الصل وخاصة الملكات لذلك يعتبر آفة خطيرة على هذا النوع من النحل في العراق وماجاور.

ومن اهم انواعه الوروار العراقي *Merops superciliosus*، والذي يحدث اضراراً كبيرة في مناطق تربية النحل، حيث يستطيع التهام ١٢٥ نحلة يوماً وبالتالي يؤدي الى هلاك خلية النحل وخاصة عند التهامه للملكة طائفة النحل.

دجاج:

ذكره اوليفيه فقال: والطيور منتشرة في بغداد، وبخاصة في القرى الواقعة شرقي دجلة، وعندهم الدجاج. وهو من رتبة الدجاجيات، الفصيلة التلوجية. كان وما زال واسع الانتشار والتربية في المدن والقرى العراقية. له سلالات عراقية محلية متميزة تفضل في التربية المنزلية وقد يعود ذلك الى الوان ريشها الزاهية ومقاومتها للظروف البيئية القاسية. ادخلت خلال القرن العشرين سلالات اجنبية الى العراق الا ان تربيتها



انتصرت على كونها مصدر للحوم البيضاء ويبيض المائدة. الاسم العلمي لهذا النوع من الدجاجيات هو *Gallus domesticus* أي الدجاج المنزلي.

ججاج الوادي:

طير من رتبة الدجاجيات، الفصيلة التدرجية. كان قديماً يعرف عند أهل العراق باسم الدجاج السنلي. <sup>(٣٣)</sup> ريشه ذو لون اسمر مبقع، سريع الحركة وتفضل اراضي المراعي وان غذاءها الحشائش والحشرات. الا انه قليل الوجود في العراق في الوقت الحاضر واهم انواعه عندنا هو *Nurida meleagris*.

دراج:

قبل عنه: والدراج نوع من الحجل، اكبر قليلاً مما يوجد عندنا في اوربا. <sup>(٣٤)</sup> طائر من رتبة الدجاجيات، الفصيلة التدرجية. لحمه مفضلة ومرغوبة عند العراقيين ويكثر في الحقول والبراري. اهم انواعه هو الدراج العراقي *Francoeurus* الذكر يتميز بالوانه الجميلة عن الانثى. واكثر ما شاهدت من اعداد لهذا الطائر كان في محافظات المنطقة الوسطى من العراق، وخاصة في الحقول والبراري الواقعة ما بين محافظات بغداد وبابل وواسط.

زوزور:

وصفه اوليفيه فقال: <sup>(٣٥)</sup> الرأس، والرقبة، وريش الاجنحة والذيل بلون اسود جميل، ذي انعكاسات خضراء واريجوانية. والصدر، والبطن، والظهر، والزمق وردية جميلة المنقار، والرجلان صفراوان. . . الذكر وحده مزين بكثرة سوداء عمولة في الحلق.

والزوزور طير يتبع رتبة المصفوريات، الفصيلة الزوزورية. وهو من الطيور المهاجرة الى العراق وخاصة عند الربيع، يقات على الثمار والحشرات. <sup>(٣٦)</sup> وقد اعتبره الرحالة الاوربيين من اهم الطيور التي تهاجم الجراد فتفضي عليه. <sup>(٣٧)</sup> والنوع الشائع منه في العراق هو *Sturnus vulgaris*.

شعراق:

طير يتبع الشعراقيات، فصيلة الشعراق. يمتاز بتعدد الوانه والتي يغلب عليها اللون الاخضر، بعض انواعه تفضل المعيشة في البساتين كنوع الشعراق البنغالي *Coracias benghalensis*.

وانواع اخرى تفضل المعيشة في التلول والحرايب كالنوع *G. garrulus*. <sup>(٣٨)</sup>

غراب:

طائر من رتبة المصفوريات، الفصيلة الغرابية. واسع الانتشار كثير العدد في العراق وخاصة في المناطق الريفية. الا ان العراقيين يتشاهمون من صوته وصورته وهي عادة متوارثة منذ قديم الزمان ولا تعرف اسبابها، وقد يعود الى انه يفضل اكل البجّة. كما انه يتغذى على الفضلات وفضلات الحيوانات. واهم انواعه في العراق النوع *Corvus corone*. ولقد اخطأ الاوربيون فاعتقدوا انه من اشباه اللقالق التي يتشتر في بلادهم. <sup>(٣٩)</sup> وان التشبه هنا من حيث الالوان وهي الابيض والاسود ليس اكثر.

قطا:

طائر من رتبة الحماميات، فصيلة القطا. وهو من الطيور التي تعيش في المناطق الصحراوية، تتغذى على النباتات الشائعة والمتوفرة في البيئة الصحراوية. اهم انواعه المنتشرة في العراق هو نوع القطا العراقي *Paroedus alchala* والتسمية اللاتينية مأخوذة من اصل التسمية العربية.

لقلق:

طيور من رتبة اللقالق، الفصيلة اللقلقية. ذات ساقين ورقية طويلة، يفضل في معيشته وبناء اعشائه المناطق المرتفعة كالمذنب. الا ان انتشاره في العراق بدأ ينحسر في السنوات الاخيرة ولا سباب غير معروفة. يتغذى على الحيوانات الصغيرة كالضفادع والحشرات ومن اهم انواعه المهاجرة الى العراق هو النوع *Odonia* جاء ذكره في كتب الرحالة من باب التشبيه فقط.

نسر:

من ضواري الطير الكبيرة يتبع رتبة الصقريات، فصيلة النسر. يتميز بمنقاره الكبير والمقوس نهايته الطويلة، رقبته خالية من الريش. يتغذى على الجيف والحيوانات الصغيرة، قليل الانتشار في العراق ومن اهم انواعه *Aegyptius monachus*.

نعامة:

ذكرها اوليفيه فقال: وما يزال النعام كثيراً حتى اليوم. <sup>(٤٠)</sup> وهي طائر كبير من رتبة النعاميات، تتميز بأن الرأس والرقبة

والساقين خالية من الريش. كانت النعامة تنتشر في الجزء الغربي من العراق وشمال الجزيرة العربية، ولعلها انقرضت في العراق أو أصبحت في حكم المنقرضة. (١) كان في العراق نوع واحد مسجل والمعروف باسم *Struthio camelus*، أي أن اسمها باللاتينية هو النعامة الجميلة ولعل أصل هذه التسمية عربية، فلقد ذكر القزويني أن لها بعض صفات الجمل من باب التشبيه. (٢) ويعرف هذا النوع أيضاً باسم النعامة العربية.

#### صف البائس:

من الحيوانات الفقرية، شعبة الحبليات. تتميز اجسامها بأنها ذات جلد مغلف بشعر ولها أربعة أطراف تنتهي بعدد من الأصابع لا تتجاوز الخمسة. لها حواس متطورة عن باقي أصناف الحيوانات، لها هيكل عظمي وعضلات وجهاز عصبي جيد. ترضع صغارها اللبن (الحليب) ولذلك سميت هذه الحيوانات بالبائس. بعض أنواعها تعيش في مياه البحار والمحيطات كالخيتان وبعضها يطير كالحفاش، إلا أن معظم أنواعها بيرة المعيشة. ذكر الرحالة منها الخيول، (٣) الكلاب، (٤) البقر الوحشي، (٥) الأسد، (٦) الغزلان، (٧) وغيرها.

#### ابل:

حيوان لبون مجتر من رتبة الظلفيات، الفصيلة الجميلة. تتميز بقوة صبرها وتحملها للظروف الصحراوية القاسية. موطنه الأصلي الجزيرة العربية ثم انتقل إلى باقي المناطق المعروفة بانتشاره حالياً فيها. حيث ساهمت موجات هجرة العرب من جزيرتهم وكذلك الفتوحات الإسلامية بنشره إلى المناطق الأخرى. يوجد منه نوع واحد في العراق هو الجمل العربي *Camelus dromedarius* والذي يتميز بوجود سنام واحد في أعلى ظهره. يسمى ذكر الأبل بالجمل أما أنثاه فتسمى ناقة. ويلاحظ أن إسم الجنس لهذا الحيوان مأخوذ عن التسمية العربية. وذكره الرحالة عند حديثهم عن القوافل فقط.

#### ابن آوى:

حيوان من رتبة الضواري، الفصيلة الكلوية. تتغذى من خلال اصطيادها للطيور وخاصة الأنواع التابعة لرتبة الدجاجيات بالإضافة إلى تغذيتها على بعض أنواع ثمار الحنظل والفاكهة كالحيار والنعب. وأهم أنواعها الشائعة في العراق هو النوع *Canis aureus*.

#### أرنب:

حيوان من رتبة الارانب، فصيلة الارانب. تتميز بوجود قواطع كبيرة مع غياب الانياب وارجلها الخلفية ذات قدرة على الجري والقفز حيث انها اطول وذات عضلات أكثر قوة وبناء من الأطراف الامامية.

على ما يبدو انه لم تكن الارانب في العراق مدجنة والنوع الوحيد المعروف هو البري واسمه العلمي *Oryctolagus cuniculus*، أما السلالات الداجنة التي تشاهدها في العراق حالياً فأنها أدخلت إليه خلال القرن العشرين والتي جميعها مستأنسة.

#### أسد:

لقد جاء وصف الأسد عند الرحالة فليل: رأينا في زرية باشوية بئداد خمسة اسود...، قد جلبت منذ خمس سنوات، إذ اصطيدت وهي صغيرة بعد في أطراف الموصل، وكانت ثلاثة ذكور وأنثيين، الأولى أضخم من الأخرى، وجميعها شبيهة بالنوع الذي في إفريقيا، مع الفارق بكونها أصغر حجماً، وليس لها ذوائب. وقد أكدوا لنا بأنها لم يكن لها ذوائب البتة، وكذلك سائر الاسود في هذه الأرجاء. لقد أسفنا كثيراً لأننا لم نسأل الباشا يومها عن أسدين، ذكراً وأنثى، ولكي نقارنهما عن كتب بالنوع الإفريقي، وحتى الوصول إلى يقين، فإن أسد جزيرة العرب ينبغي أن يعتبر نوعاً مختلفاً عن هذا الآخر وأنه نوع أدنى منه. (١) والأسد لبون من رتبة الضواري، الفصيلة السنورية. معروف منذ آلاف السنين في العراق حيث نشاهد في النقوش الأثرية البابلية والآشورية. إلا أنه انقرض في العراق وقد يعود ذلك إلى الصيد الجائر الذي تعرض له. ولم تسعنا المصادر المتوفرة بذكر أوصافه وحجمه وأوجه المقارنة بينه وبين الأسود التي تستوطن الهند وإفريقيا. والاسم العلمي للأسد هو *Panthera (Felis) leo*.

#### بقرة:

من الحيوانات المجتررة تعود لرتبة الظلفيات، الفصيلة البقرية. حيوانات قوية تصير على مقاومة الظروف الصعبة. تستخدم بالإضافة إلى إنتاجها للحليب واللحوم في تنفيذ العديد من الأعمال الزراعية كسحب المحراث وإدارة النعور وخاصة الذكور منها (الثيران). إلا أنها على ما يبدو كانت قليلة الانتشار في ذلك الوقت وقد يعود ذلك إلى كثرة الأمراض التي تصاب بها فادت إلى قلة أعدادها. أهم أنواعها في العراق هو *Bos taurus*.

*Bos indicus* واسم النوع الأخير ذو اصل عربي والذي يعرف بالثور ومازالت هذه الكلمة شائعة الاستخدام في اللغات الأوروبية ولغات أمريكا اللاتينية وغيرها من اللغات الحية وغير الحية.

بقر وحشي:

حيوان لبون من رتبة الظلغيات، الفصيلة البقرية. يكاد ان يكون حجمه بحجم البقر، ذو قرون كبيرة، وكان واسع الانتشار في العراق فجاء ذكره عند الرحالة الاوربيين ان العراقيين كانوا يربون البقر الوحشي كتربيتهم للابكار والجاموس وهذا امر يستحق الدرس مستقبلاً ويفتح آفاقاً لاصحاب الاختصاص في الانتاج الحيواني للاهتمام بهذا الحيوان.

البقر الوحشي انقرض في وقتنا الحاضر ان لم يكن منقرضاً في العراق وذلك لتعرضه الى الصيد الجائر، لان لحمه مرغوب في الاكل فوصلت اعداده القليلة في العراق والوطن العربي حالياً الى ماوصلت اليه. يعرف عند العرب باسم المهسة واسمه العلمي *Addax nasomaculata*.

ثعلب:

حيوان من رتبة الضواري، الفصيلة الكلبيية. يتميز بمكره ودعائه في السلوك وفروجه الكث للجيل وهو اصغر من ابن آوى. يوجد منه في العراق نوع شائع هو *Vulpes vulpes* والذي يسمى عند اهل اوربا بالثعلب الاحمر. الا انه لم يتعرض عندنا للصيد الجائر وعمليات الابداء التي تعرض لها في اوربا طلباً لفرائه الذي يتمتع بسوق رائجة حتى عصرنا الحاضر.

جاموس:

حيوان مجتر من رتبة الظلغيات، الفصيلة البقرية. ينتشر في جنوب ووسط العراق ولا ينتشر في شمال العراق باستثناء محافظة نينوى.

يفضل في معيشته الاماكن القريبة من المياه او على ضفافها ولذلك فان اكثر اعداده عند الاهوار في كل من محافظتي ذي قار وميسان. وهو حيوان صعب المراس والاستئناس. الا انه معروف في العراق ومنذ آلاف السنين حيث يلاحظ في النقوش الانثارية. والنوع المعروف في العراق هو *Bubalus bubalis*. جرذ النخيل:

تحدث عنه اوليفيه فقال: (١٢) ثمة في بساتين بغداد نوع من النمس، اكبر من السنجاب، شبيه بالنمس المصري، الا انه

اصغر بخمس اوست مرات، ولكنه اكثر رقة، واجمل، وله لون ألطف، ويتألف بنوع اسهل. يسمونه في البلد بفارة الثمر، او جرذ النخيل، ليس لانه يعيش فوق اشجار النخيل او يتغذى من ثمرها، بل ربما لانه يكثر في البساتين المزروعة بالنخيل.

وهذا الحيوان لبون من رتبة الضواري، فصيلة ابن عرس. ينتشر بكثرة في المحافظات الوسطى والجنوبية من العراق وخاصة في مناطق زراعة بساتين النخيل واشجار الفاكهة. جاءت تسميته ايضاً عند الرحالة الاوربيين باسم فارة الثمر، (١٣) بينما لا يوجد مايشير الى انه يتغذى على الثمر ولم يتمكن من معرفة اصل التسمية هذه. والاسم العلمي لهذا النوع هو *Herpestes europunctatus*.

هامر:

ذكوره الرحالة على انه وسيلة حمل ونقل. (١٤) وهو حيوان لبون من رتبة وترية الاطلاق، فصيلة الخيل حجمه اصغر من حجم الحصان، يستخدم لحمل الاثقال والتنقل وخاصة في القرى والارياف ولقلاً يستخدم لهذا الغرض في المدن. منتشر في مختلف انحاء العراق، واسمه العلمي *Equus asinus*.

خنزير:

قالوا: والخنزير البري منتشر كثيراً في هذه الربوع، فهو طيلة السنة على صفاف دجلة والفرات. (١٥)

الخنزير حيوان لبون غير مجتر من رتبة الظلغيات، فصيلة الخنازير. ينتشر في جميع محافظات المنطقة الوسطى والجنوبية وابعاد قليلة في بعض محافظات المنطقة الشمالية من العراق وخاصة في الاحراش القريبة من الانهار والاهوار والبحيرات. ويمكن اعتبار الخنازير آفة زراعية عندنا حيث تهاجم العديد من نباتات الخضار وخاصة القرعيات طلباً لثمارها.

النوع الشائع في العراق هو الخنزير البري *Sus scrota*. الا ان لحمه محرم عند المسلمين كافة.

خيل:

ذكروا الرحالة كاهم وسيلة ركوب في رحلاتهم. (١٦) حيوان لبون ينوع رتبة وترية الاطلاق، فصيلة الخيل. يتميز بالرشاقة وسرعة الجري، منه سلالات مشهورة ذات اصل عربي وخاصة عند القبائل العربية التي تسكن الصحراء الغربية من العراق ومازالوا يقومون على تربية هذه السلالات ويصدرونها الى مختلف

انحاء العالم.

فأر:

لها صفات ونعوت عند اهل العراق يتفاخرون بها، استعملت للرياضة كالصيد والقتال والتقل وجر العربات. اما الآن فللسباق والفروسية والاستعراضات فقط، اسمها العلمي هو *Equus caballus*.

سجلب:

لبون من رتبة القوارض، فصيلة السناجب حجمها بقدر حجم الجرذ الاعتيادي، تغذى على البذور والنباتات لذلك نجده متشراً في مناطق الاحراش والغابات في المناطق الشمالية من العراق ويعرف النوع المتشتر هناك باسم *Sorex anomalus* (١٠٩).

ضأن:

حيوان مجتر من رتبة الظلغيات، فصيلة *Bovidae*. توجد له سميات مختلفة منها خراف واغنام وغير ذلك. يكسو جلدها الصوف، السلالات المنتشرة في العراق تتميز بوجود ذيل طويل متضخم يعرف عند العراقيين باسم (البة) وهي مكتنزة بالشحوم. تنشر الاغنام في مختلف انحاء العراق بالرغم من اختلاف الظروف المناخية والبيئية بين منطقة واخرى. من السلالات العراقية الاغنام الجنوبية والتجدي والحمدانية وافضل هذه السلالات هي العواسي، وتعتبر لحوم الاغنام عند العراقيين هي الارغب والافضل كغذاء. اما الاسم العلمي فهو *Ovis aries*.

غزال:

قال: والغزلان ايضاً التي تصطاد بواسطة الباز لا يأكلها ايضاً سوى الفقراء. (١١٠)

حيوان من رتبة الظلغيات، الفصيلة البقرية. والغزلان جميلة المظهر رشيفة الجسم سريعة الحركة. تعرضت لصيد جائر خلال القرن الحالي فأصبحت اعدادها قليلة جداً في العراق، وتبذل الآن جهود من الجهات الرسمية للحفاظ عليها من الانقراض وتكثيرها. اهم انواعه في العراق هو الغزال العربي *Gazelle arabica* واصل التسمية اللاتينية لهذا النوع والجنس مأخوذة من التسمية العربية.

من اللبائن التي تعود لرتبة القوارض، فصيلة الفئران. يبلغ عند الانواع التابعة لها في العراق ستة انواع اهمها فأر المنزل *Mus musculus* وهو الذي ينتشر في المدن والقرى فيلحق اضراراً بالباقي والمنشآت والمخازن بالإضافة الى اتلافه للآثاث. والنوع الثاني المهم في العراق هو فأر الحقل الاعتيادي *Apodemus syriacus* والذي ينتشر في الحقول ومناطق الارياف فيؤدي الى اضرار اقتصادية كبيرة. كما ان الفأر ينقل العديد من الامراض التي تصيب الانسان.

قط:

حيوان لبون اصغر من الكلب ذو الوان واشكال جميلة يتبع رتبة الضواري، الفصيلة السنورية. يعتبره اهل العراق حيواناً نظيفاً يقيم في مكافحة الفئران في المنازل، لذا نجده كثير الانتشار في المدن. اما اسمه العلمي فهو *Felis catus*، وان جميع السلالات الموجودة في العراق هي سلالات محلية وغير اصيلة.

قوارض:

حيوانات لبونة تتبع رتبة القوارض ولها في العراق ست فصائل، يعود لها ٢٥ نوعاً مسجلاً عندنا. بعضها تعيش مميشة اجتماعية على شكل مستعمرات ولكل مستعمرة قائد هو اقواها وادكاها. ونكاد لانجد منطقة في العراق خالية من احد انواع القوارض، كما نكاد لانجد محصولاً زراعياً في قطرها الا يصاب بأحد انواع القوارض. (١١١) وذكرها اوليفيه كأحد أهم آفات التمور في العراق. (١١٢)

كلب:

حيوان لبون من رتبة الضواري، فصيلة الكلاب. اهتم به اهل العراق كثيراً وجعلوا منه سلالات اليفة استخدمت للحراسة والصيد، كثير الانتشار في القرى والارياف وعند التجمعات البدوية من الذين يقومون على تربية الاغنام والماعز. الا ان العراقيين يعتبرونه حيواناً نجساً فلا يسمحون له بالدخول الى منازلهم وقد يعود ذلك الى ما جاء عنه في كتب الفقه والسنة النبوية، اسمه العلمي *Canis familiaris* اي الكلب الاليف.

ماعز:

حيوان مجتر من رتبة الظلغيات، الفصيلة البقرية يتميز بالقوة والصبر على الظروف الصعبة وقوة التحمل في الاراضي

يربوع:

قالوا: وقد ظهر في هذا اليوم اعداد كبيرة من اليرابيع.<sup>(١٧)</sup> وهو حيوان من رتبة القوارض، فصيلة اليرابيع. يتميز بطول أطرافه الخلفية وقصر أطرافه الأمامية، ذو ذنب طويل مقارنة بطول جسمه. يعيش في البراري ويتغذى على النباتات والأعشاب المتوفرة في منطقة تواجده. يستعمله البدو أحياناً كطعام لهم. والنوع الشائع في العراق هو اليربوع الفراقي *Alactaga* <sup>(١٨)</sup> ga euphratica

الوعرة، يستفاد منه بشكل اساسي من البان و شعره في صنع الحياض والمستلزمات الاخرى بالإضافة الى اللحم والحليب واسع الانتشار في العراق من جنوبه الى شماله، وله سلالات معروفة ذات مواصفات جيدة ومنه ما يعرف بماعز الماعز والذي يصنع من شعره الجميل البطانيات حتى يومنا الحاضر وهي انواع نادرة وغالية الثمن. اسمه العلمي *Capra hircus*.

## المواش والمصادر

- ٢١ - يحدد الحصاد. ٢٢ - أوليفيه ص ١٣٩ - ١٤٠.
- ٢٣ - نفس المصدر ص ٢١٦. ٢٤ - نفس المصدر ص ١٥٦.
- ٢٥ - راولوف ص ١٠٠. ٢٦ - أوليفيه ص ١٣٤.
- ٢٧ - راولوف ص ١٧٧. ٢٨ - أوليفيه ص ١٥٦.
- ٢٩ - رابع كتاب ضواري الطير للطريف بن قدامة الساسي. معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية، فركتفورت. ٣٠ - أوليفيه ص ١٥٦. ٣١ - ٢٥٦/٢٢. اللوس بشر ١٩٦٠ - ١٩٦٢. الطير العراقية. بغداد. ج ٢ ص ٢١٥ - ٢٢٢. ٣٢ - الشيخ حسين، عادل محمد علي ١٩٨٨. عام ليريد عند العرب. النسخة القوية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مركز ابحاث التراث العلمي العربي، بغداد ص ٥.
- ٣٤ - المختلط حماد محمد ذياب ١٩٨٦. الآفات الزراعية ألقاها وسبل مكافحتها في العراق. وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي، بغداد ص ٧٧.
- ٣٥ - أوليفيه ص ١٥٦. ٣٦ - النعمري، كمال الدين ١٣٦٧ هـ. حيلة الحيوان الكبرى. القاهرة. ج ١ ص ٣٣٤.
- ٣٧ - أوليفيه ص ١٥٦. ٣٨ - نفس المصدر ص ١٣٦.
- ٣٩ - اللوس ج ٢ ص ٢١٣ - ٢١٦. ٤٠ - أوليفيه ص ١٣٣.
- ٤١ - اللوس ج ٢ ص ٢٥٩ - ٢٦٣. ٤٢ - راولوف ص ١٠٠.
- ٤٣ - أوليفيه ص ٢٢٩. ٤٤ - اللوس ج ١ ص ٨٦.
- ٤٥ - الفزوي ج ٢ ص ٢٩٢. ٤٦ - راولوف ص ١٧٨.
- ٤٧ - ولستيد ص ٨٤. ٤٨ - أوليفيه ص ١٥٥.
- ٤٩ - نفس المصدر ص ١٣٧. ٥٠ - نفس المصدر ص ١٥٦.
- ٥١ - نفس المصدر ص ١٣٨. ٥٢ - نفس المصدر ص ١٣٨ - ١٣٩.
- ٥٣ - نفس المصدر ص ١٣٨. ٥٤ - رابع أوليفيه ص ٦٧ و ٢٢١.
- ٥٥ - راولوف ص ١٧٩، ولستيد ص ٨٤. ٥٥ - أوليفيه ص ١٥٥.
- ٥٦ - رابع أوليفيه ص ١٩٣ - ١٩٤ و راولوف ص ١٧٨.
- ٥٧ - ولستيد ص ٤٦. ٥٨ - أوليفيه ص ١٥٦. ٥٩ - المختلط ص ٦١. ٦٠ - أوليفيه ص ٥٤.
- ٦١ - نفس المصدر ص ٢٢٩. ٦٢ - المختلط ص ٦٢.

- ١ - أوليفيه ١٩٨٨. رحلة أوليفيه الى العراق، ترجمة يوسف حي. للجمع العلمي العراقي، بغداد. ص ٢٣.
- ٢ - نفس المصدر ص ٢٠١ - ٢٠٢.
- ٣ - نفس المصدر ص ٢٠٢ - ٢٠٣.
- Shaw, T. L. and Selinger, R. L. 1988. General Zoology, 4th. ed. Southern Illinois and Knight Books, Tokyo. P. 617
- Shaw, T. 1988. Annual collection of acariophora from Iraq, Bull. Iraq Nat. Hist. Mus. 204. Baghdad. P. 1-5
- ٦ - أوليفيه ص ١٣٤. ٧ - نفس المصدر ص ٢٠١.
- ٨ - ولستيد، جيمس ريموند ١٩٨٤. رحلي الى بغداد، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي. مكتبة النهضة العربية، بغداد ص ٩٢ وأوليفيه ص ١٢٥ - ١٧٧.
- ٩ - راولوف، ليونلوت ١٩٧٨. رحلة الشرق، ترجمة سليم طه التكريتي. وزارة الثقافة والفنون، بغداد. ص ١٠٢ وأوليفيه ص ٤٨ و ١٢٩.
- ١٠ - راولوف ص ٢٠٣. ١١ - أوليفيه ص ٤٨.
- ١٢ - نفس المصدر ص ١٣٥.
- ١٣ - نفس المصدر ص ٢٠١ - ٢٠٣.
- ١٤ - نفس المصدر ص ١٢٥ و ١٧٧.
- ١٥ - راولوف ص ١٠٢ وأوليفيه ص ٤٨ و ١٢٩.
- ١٦ - سورة البقرة آية ١٥٧، الاصحاف آية ١٦٠ طه آية ٨٠.
- ١٧ - أوليفيه ص ٤٨.

Al - Al, A. B. 1977. Phytophagous and entomophagous insects - 1A and notes of Iraq. Hist - Nat. Mus. Chel, Pub. no. 82, Baghdad. P. 85

١٩ - راولوف ص ٤٨.

٢٠ - الفزوي، زكريا ١٣٦٧ هـ. حياض المخلوقات وخرائب للوجوهات (مطروح على مدخل حيلة الحيوان الكبرى للنعمري). القاهرة. ج ١ ص ٢٣٨.

# رحلات علمية قام بها فلاسفة وعلماء

## الى الموصل من المشرق والمغرب

دراسة  
د. عادل البكري  
الجامعة المستنصرية / كلية الطب

وانشئت فيها مدارس عدة ودور قرآن. وقد ذكر سبط ابن الجوزي انه كان في الموصل سنة ٦٦٠ هـ ٢٨ مدرسة و ١٨ داراً للحديث و ٢٧ رباطاً. ومن هذه المدارس نذكر:

١ - المدرسة النظامية: بناها نظام الملك السلجوقي (٤٠٨ - ٤٨٥ هـ) قرب الجامع النوري وأول من قرّس بها القاضي ابو بكر محمد بن علي الخالدي المعروف بالسيد قاضي الموصل، ولا تزال آثارها باقية<sup>(١)</sup>.

٢ - المدرسة الاتابكية العتيقة: بناها سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي ودفن فيها بعد موته سنة ٥٤٤ هـ وكانت المدرسة من احسن المدارس واوسعها وهي مخصصة للفقهاء الشافعي والحنفي<sup>(٢)</sup>.

٣ - المدرسة الكمالية: بناها زين الدين ابو الحسن علي بن بككين المتوفي سنة ٥٦٣ هـ، وسعت بالكمالية نسبة الى كمال الدين بن يونس الذي قام بالتدريس فيها<sup>(٣)</sup>.

٤ - المدرسة الزينية: بناها زين الدين بن بككين الذي تقدم ذكره، وكان عباً للخير وترك كثيراً من المباني والاوقاف.

٥ - المدرسة العزّية: بناها عز الدين مسعود بن قطب الدين مردود (٥٧٦ هـ - ٥٨٩ هـ) بباب دار المملكة وخصصها لتدريس الفقه الشافعي والحنفي<sup>(٤)</sup>.

٦ - المدرسة النورية: بناها نور الدين ارسلان شاه بن عزّ الدين مسعود الاول (٥٨٩ - ٦٠٧ هـ) مقابل دار المملكة، ووقف لها الوقوف الكثيرة ويقول عنها ابن خلكان ( قل أن توجد مدرسة في

الموصل احدى قواعد بلاد العرب المهمة ولها تاريخ حافل بالماثر فقد كانت عطف رجال الركبانيين ومنها يقصد الى جميع البلدان، وهي باب العراق كما انها تصل بين المشرق والمغرب لذلك سميت بالموصل<sup>(٥)</sup> وكان أول من اختطها ومصرها واسكنها العرب الفاتحين هو عرفة بن هرة البارق<sup>(٦)</sup>. ومنذ ذلك الوقت أصبحت الموصل مركزاً من مراكز الحضارة العربية ومقصداً للزوار والرحالة والسائحين على مرّ العصور. فقد زارها الرحالة ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ وقال عنها انه مدينة عتيقة ضخمة حصينة فخمة كادت ابراج سورها تلتقي انتظاماً لقرب مسافة بعضها من بعض. وزارها ابن بطوطة في الثلث الاول من القرن الثامن الهجري ووصفها بمثل هذا الوصف. وزارها الشيخ مصطفى بن كمال الدين الصديقي في القرن الثاني عشر الهجري وذكرها بكتابه المسمى ( كشف الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان ) - نسخة خطية مصورة - كما زارها من الاوروبيين وغيرهم كل من ليونهارت راوولف سنة ١٥٧٥ م ونافرنسيه سنة ١٦٤٤ م ونيبور سنة ١٧٦٦ م ودومينيكي لانا سنة ١٧٧١ م وابو طالب خان سنة ١٧٩٩ م والمنشي البغدادي سنة ١٨٢٢ م وغير هؤلاء من الرحلة والسياح وكتبوا مذكراتهم عنها. غير ان الموصل كما اشتهرت بأسوارها واسواقها وابنتها وصناعاتها وفنونها فقد اشتهرت بمدارسها وعلومها وعلمائها. وقد ازدهرت الحركة العلمية في الموصل على ايدي الاتابكة

٧ - المدرسة الكمالية القسوية : بناها ابر الفضل محمد بن ابي القاسم الشهرزوري الفقيه الشافعي (٤٩٢ هـ - ٥٧٢ هـ) من اشهر علماء الدولة الاتاكية وقضاها.

٨ - المدرسة اليوسفية : لتدريس فقه الامام الاعظم ابي حنيفة . وقد ورد ذكرها في الجواهر المضية لابن ابي الوفاء .

٩ - المدرسة القاهرية : بناها القاهر عز الدين مسعود (٦٠٨ هـ - ٦١٥ هـ) وبني له تربة دفن فيها بعد موته وتقع قريباً من الباب العمادي .

١٠ - المدرسة الجهادية : نسبة الى مجاهد الدين قيماز وتقع جنوب المدينة بالقرب من الجامع المجاهدي والمرستان<sup>(١٠)</sup>.

١١ - المدرسة المهاجرة : شيدها ابنه مهاجر مع دار للحديث قريباً من نهر دجلة<sup>(١١)</sup>.

وكان يدرس في هذه المدارس جماعة من كبار العلماء الذين ذاعت شهرتهم في اقاصي البلاد حتى ضربت اليهم آباط الابل وجاءهم الدارسون من كل مكان فكان بينهم الفلاسفة والعلماء والاطباء والفلكيون والرياضيون والشعراء والمتصوفة يتلمذون على هؤلاء العلماء في مدارسهم ، وقد أرخ لهم المؤرخون وذكرهم مع من زار هذه المدينة أو اقام فيها ، ومنهم :

١ - الطبيب الفيلسوف عبد اللطيف البغدادي :

وقد قام البغدادي برحلته الى الموصل عام ٥٨٥ هـ من اجل ان يلتقي مع عالمها وفيلسوفها المعروف كمال الدين بن يونس بن منعة الذي كان اوجد زمانه في العلوم العقلية والرياضيات . وكان البغدادي كما يقول ابن ابي اصيبعة معجباً بنفسه وينتقص الفضلاء من العلماء الذين في زمانه ، فيقول عن رحلته هذه انه لم يبق من يأخذ بقلبه ويملا عينه من العلماء أحد لذلك قرر السفر الى الموصل ليجد بغيته في كمال الدين بن يونس . وعندما وصل الموصل اقام في مدرسة ابن مهاجر (المدرسة المهاجرة التي نذكرناها قبل قليل) والتقى بكمال الدين بن يونس فوجده (جيداً في الرياضيات والفقه متطرفاً من باقي اجزاء الحكمة ، قد استغرق عقله ووقته حب الكيمياء وعملها حتى صار يستغف بكل ما عداها)<sup>(١٢)</sup> . وبقي في الموصل سنة كاملة في اشتغال دائم متواصل اطلع خلالها على تصانيف ابن منعة وابندا بتأليف كتاب اسمه (غريب الحديث الكبير)<sup>(١٣)</sup>

٢ - علم الدين قيصري بن ابي القاسم المصري : وكان اماماً في علوم الرياضيات في مصر وببلاد الشام وتولى التدريس في المدرسة النورية بدمشق ، وقد سمع بكمال الدين بن يونس بن

منعة فاراد الانتساب في الدراسة اليه كما يقول فرحل الى الموصل قصد الاجتماع به . ويحدثنا عن اللقاء بكمال الدين بن يونس فيقول : «سافرت الى الموصل قصد الاجتماع به ، فلما حضرت في خدمته وجدت على حلية الحكماء المتقدمين ، وكنت قد طالعت اخبارهم ، فسلمت عليه وعرفته قصدي له للقراءة عليه . فقال لي : في اي العلوم تريد تشرح ؟ فقلت : في الموسيقى . فقال : مصلحة هو ، فلي زمان ما قرأه أحد علي ، فانا أوثر مذاكرته وتجديد العهد به . فشرعت فيه ثم في غيره حتى شققت عليه اكثر من اربعين كتاباً في مقدار ستة اشهر... وكان اذا لم اعرف المسألة اوضحها لي ، وما كنت اجد من يقوم مقامه في ذلك<sup>(١٤)</sup> .

٣ - تاذري الفيلسوف الانطاكي الطبيب : يقول عنه ابن العبري انه اتقن اللغة السريانية واللاتينية (اللاتينية) وعلوم الاوائل . وشد الرحال الى الموصل ليدرس أيضاً على كمال الدين بن يونس فقرأ عليه مصنفات الفارابي وابن سينا وحل اقليدس والمجسطي . ثم عاد الى انطاكية ولم يطل بقاءه فيها فقد وجد نفسه بحاجة الى ان يكمل تحصيله فرجع ثانية الى الموصل وقصد ابن يونس ودرس المزيد من العلوم ثم درس علم الطب في بغداد

وبعد أن انتهى من ذلك قصد السلطان علاء الدين ولم تطل اقامته عنده إذ رحل الى فريد ريكوس الثاني ملك الفرنج فأكرمه واقطعه مقاطعة . فلما صلح حاله وكثر ماله اشتاق الى بلده وأهله فاستأذن من الملك بالسفر فلم يأذن له واجبره على البقاء الى ان امكنته الفرصة بخروج الملك في بعض غزواته فجمع امواله وركب سفينة كان قد أعدّها له وابتعد عن خذيده قاصدين عكا . فيها هم في البحر اذ هبت عليهم ريح رمت بهم الى مدينة كان الملك قد ارسى فيها لبعض شؤونه فلما علم تاذري بوجود الملك في هذه المدينة فضل الموت على الحياة خجلاً من موقفه مع الملك وتناول سماً كان معه ومات ضحية حبه لبلده<sup>(١٥)</sup>

٤ - الحكيمان نجم الدين القمراوي وشرف الدين المتفني ، وهما من قريتين من قرى هرخد جنوب الشام . اشتغلا بالعلوم الشرعية والحكمة . فلما تميزا واشتهرا فضلهما عزما على السفر الى الموصل للدراسة فيها . وعند وصولهما قصدا الشيخ كمال الدين بن يونس وهو في المدرسة يلقي الدرس ، فسلما وقعدا مع الفقهاء . ولما جرت مسائل بينهم تكلم فيها وبحثا في اصولها وبيان فضلهما على اكثر الحاضرين ، فأكروهما الشيخ وادناهما . ولما كان آخر النهار سألاه ان يريهما كتاباً له كان قد ألفه في الحكمة وفيه لغز . فامتنع وقال : هذا كتاب لم اجد

أحد أ يقدّر على حله وأنا ضنين به . فلما له نحن قوم غرباء وقد قصدناك ليحصل لنا الفوز برؤيتك والوقوف على هذا الكتاب ، ونحن باقيا عندك في المدرسة ونريد أن نطالع هذه الليلة ونعیده اليك في الصباح ، وتكلما كلاماً لطيفاً معه فأخرج الكتاب اليهما . فانصرفا تلك الليلة بكاملها الى دراسته وفهم معانيه ولم ينما قط . وكان كل واحد منهما يعطي على الآخر وهو يكتب حتى فرغوا من كتابته وقبلاه مع الاصل . وعند طلوع النهار تبين لهما حل اللغز الذي فيه . فحبلا الكتاب الى الشيخ وهو في الدرس . فجلسا وقالوا : يامولانا ما طلبنا إلا كتابك الكبير الذي فيه اللغز ، وأما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان وأن اللغز الذي فيه نفوه من قديم وإن شئت ذكرناه لك . فقال لهما : قولوا حتى اسمع . فتكلما بما جاء في الكتاب وأردا جميع معانيه من أول الكتاب الى آخره ، وذكرنا حل اللغز الذي فيه ، فتمتع الشيخ منهما وقال : من أين تكونان ؟ قالوا : من الشام قال من أي موضع منه ؟ قالوا : من حوران . فقال : لا أشك أن أحدكما نجم الدين القمراوي والآخر شرف الدين المتاني . قالوا نعم . فقام لهما الشيخ واضافهما عنده وكرمهما غاية الاكرام حتى اكتملا درسهما عليه ورجعا الى بلادهما .<sup>(١٤)</sup>

٥ - أبو علي القالي صاحب كتاب الامالي : وهو اسماعيل بن القاسم اللغوي البغدادي ، كان احفظ اهل زمانه للغة والشعر والنحو وله عدد من المؤلفات من أهمها ( الامالي في لغة العرب ) وكتاب ( البارح ) الذي رتبته على حروف المعجم وكتاب ( مقاتل الفرسان ) . طاف البلاد للدراسة على علمائها ثم رحل الى الموصل واقام فيها لسماع الحديث من ابي يعلي الموصللي الحافظ الثقة المشهور ، المتوفي سنة ٣٠٧ هـ ثم غادرها الى بغداد سنة ٣٠٥ هـ ومنها الى قرطبة التي استوطنها والى اكثر كتبه فيها . وقد مدحه الشاعر يوسف بن هارون بقصيدة بديعة جاء فيها :

في أي جارية اصون معذبي سلّمت من التعذيب والتتكلي  
وثلاث شيبات نزلن بعفري قطعتم أن نزولهن رحيلي  
فعرانتي عن صيوتي فلتن ذلك لقد سمعت بذلة المعزول  
روض تماده السحاب كانه متعاهد من عهد اسماعيل

وقد توفي ابو علي القالي في قرطبة سنة ٣٥٦ هـ ودفن فيها .<sup>(١٥)</sup>

٦ - أبو حامد التبريزي : ذكره ابن المستوفي فقال هو أبو حامد محمد بن رمضان بن عثمان التبريزي اللقبه الزاهد الصالح الورع ، إمام أئمة الزهد .<sup>(١٦)</sup> رحل الى اربيل ومنها الى الموصل فنزل في المدرسة المجاهدة جنوب المدينة فزاره وجوه

المدينة وعلمائها وسمع الناس عنه الحديث ، وكان شيخاً كبيراً طويلاً قد انهكته العبادة وبلغ منه الاجهاد . وذكرت له عين القيارة التي في جنوب الموصل وهي عين على سجلة يخرج منها ماء حار يزعم الناس انه يربط الجسم<sup>(١٧)</sup> ، فنزل الى تلك العين ورآه ابن المستوفي فقال : « فرايته عرياناً فيها ، وهو - رحمه الله - جلدة يابسة على عظام نحيفة . وكان لطيف الاخلاق ، غير نافر من أحد على ما به من الضعف والكبر » .<sup>(١٨)</sup>

وبعد القامة ابي حامد في الموصل رجع الى بلده تبريز وكانت وفاته فيها بعد سنة ٥٨٨ هـ وقبره هناك .

٧ - أبو الحرم مكي بن ريفان الماكسيني النحوي : من بلدة ماكسين على نهر الخابور ، نشأ فيها فقيراً فهجراً لشدة فقره ولقي عدداً من شيوخ النحو واللغة والحديث ، وقصد الموصل واشتغل يعلم القرآن والادب ، فعرفه الناس وذاع صيته ، ومن شعره قوله :

سئمت من الحياة فلم اردما تسألني وتشجيني بريقي  
عسوي لا يقصر في اذاني ويفعل مثل ذلك بي صديقي  
وقد اضمحت لي الحدايا داراً واهل مودتي بلوى العقيق

وعندما اشتالت نفسه الى بلده عاد اليها . وكان جيرانه ومعارفه القدماء يسمونه ( مكيك ) عندما كان صغيراً ، وهو تصغير مكي . فعندما وصل بلده سمع الناس برجوعه ففرحوا به وصاروا يزورونه . وبات تلك الليلة فلما كان وقت السحر خرج الى حمام السوق وبينما هو في طريقه سمع امرأة في غرفتها تقول

لاخرى : ما تدرين من جاء ؟

فقلت : لا

قالت : مكيك ابن فلانة !

فلما سمعها قال : والله لا اعد في بلد ادعى فيه مكيك ، وسألفر حالاً بعد ان كان قد نوى الإقامة بها ، وعاد الى الموصل وبقي فيها حتى وفاته سنة ٦٠٣ هـ . ودفن بصحراب باب الميدان في مقبرة المال بن عمران<sup>(١٩)</sup> .

٨ - الطيبي مذهب الدين بن الحاجب وموفق الدين عبد العزيز السلمي ، من اهل دمشق ، درس الطب فيها . فاما اولهما فقد اشتهر بالهندسة وصناعة الساعات في اول امره ثم درس الطب على مذهب الدين بن النقاش واشتغل في المستشفى النوري بدمشق وخدم تقي الدين عمر صاحب حماة . واما الثاني موفق الدين عبد العزيز فقد كان في اول امره فقيهاً في المدرسة الامينية ثم درس الطب على ابن المطران وتميز به



واشتغل أيضاً بالمستشفى النوري ثم خدم الملك العادل بن أيوب. ولما رأى هذان الطبيبان حاجة إلى اكتمال دراستهما في الطب قررا السفر إلى الموصل للدراسة على شرف الدين الطوسي وكان أوحد زمانه في الحكمة وكان يقيم في الموصل. وعندما سافرا للاجتماع به والدراسة عليه وجداه قد غادر الموصل إلى مدينة طوس فضاغت عليهما فرصة الدراسة عليه. فأقاما مدة هناك ثم سافر ابن الحاجب إلى أربل وكان بها فخر الدين بن الدهان فدرس عليه وحلّ معه الزيج الذي كان قد صنعه ابن الدهان ونقله بخطه. ورجع إلى دمشق للاشتغال بالطب وكانت وفاته بجماعة أثناء إقامته عند صاحبها الملك المنصور لأصابته بمرض الاستسقاء.

أما موفق الدين عبد العزيز فقد رجع إلى دمشق وبقي في خدمة الملك العادل بن أيوب وكان يثالث منه المال والتكريم حتى أصيب بمرض القولنج ف توفي سنة ٦٠٤ هـ ودفن بجبل قاسيون وهو في الستين من عمره.<sup>(٣٠)</sup>

٩ - أبو الوليد سليمان بن خلف البجلي، من مدينة باجة في الأندلس، وكان كثير من الرحالة الأندلسيين والمغاربة قد زاروا الموصل كما زارها المشارقة، فأقاموا فيها ودرسوا على علمائها. وأبو الوليد الباجي هو أحد علماء الأندلس ومحدثيها الذين رحلوا إلى المشرق. فتوجه نحو مكة سنة ٤٢٦ هـ ليقوم فيها ثلاث سنوات ثم يرحل بعدها إلى بغداد فالموصل، وأقام في الموصل يدرس الفقه على أبي جعفر السمعاني.<sup>(٣١)</sup>

ومما يذكر عن أبي الوليد الباجي أنه كان فقيهاً شاعراً عالماً صلب العود، فبعد مفادرتة الموصل وعودته إلى الأندلس أثار العامة عليه بمناظرته لأبي بكر الصائغ في قضية أمية الرسول الأعظم (ص) في حديث الكتابة يوم (الحديبية) الذي ورد في أحاديث البخاري، وصنف أبو الوليد رسالة بين فيها أن ذلك لا يقدح في معجزات الرسول.<sup>(٣٢)</sup>

ومما يروي عنه أنه كان في أيام طلبه للعلم يؤجر نفسه لحراسة الدروب لشدة فقره وهاجته. وقد جرت في ذلك مناظرة بينه وبين ابن حزم الظاهري تبين همة كل منهما في طلب العلم: قال أبو الوليد يخاطب ابن حزم: أنا أعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته في اكتفاء وثروة تعينك عليه وتسهر بمشكاة من الذهب. وطلبته وأنا أسهر بتدليل خافت.

فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، لأنك طلبت العلم وأنت في تلك الحال وترجو تبديلها بمثل حالى وأنا طلبته في غنى، فلا أرجوه إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة.

ومن شعر أبي الوليد قوله:

لله أيام الشباب وحسنها وغصونهن المانسات الميئ  
اتقنص التلبيات في سبل الصبا فيصيدهن في العذار الأسود  
وقد توفي أبو الوليد الباجي بالموت في الأندلس سنة ٤٧٤ هـ ودفن بالرباط.

١٠ - أبو عبدالله محمد بن أحمد الزهري، وهو أندلسي أيضاً خرج من الأندلس ورحل إلى بلاد المشرق وأقام مدة في الموصل للدراسة وطلب الحديث، وسمع وكتب، ثم رحل إلى بلاد العجم فأقام في بلدة الكرج ولكنه كره الإقامة فيها فهجأها بقوله:

أنا مأسور بحيطان الكرج في عناء أسأل الله الفرج  
ليس بالمغبوط من يسكنها إنما المغبوط من منها خرج  
وقال يصف مجرة لها غطاء من نحاس:

جاءتك من عدد العلا زنجية في حلة من حلية تبختر  
سوداء صفراء الحلي كأنها ليل تطرزه نجوم تزهر  
خرساء إلا حين يوضع فزها فنراه ينطق ما يشاء ويخبر  
وللزهري شرح كتاب الأيضاح وكتاب المعني. وقد قتل التتر هذا العالم الأدب فمات شهيداً سنة ٦١٧ هـ.<sup>(٣٣)</sup>

١١ - الشيخ أبو بكر محمد بن علي الحلقمي الطنفي الأندلسي، المعروف بمحي الدين بن عربي والملقب بالشيخ الأكبر، أحد كبار المتصوفة في الإسلام ومن أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية في الأندلس وانتقل إلى أشبيلية وقام برحلة إلى تونس والعجاز وبغداد والموصل والشام. وفي الموصل عام ٦٠١ هـ كان الشيخ محي الدين بن عربي يدرس في مسجد العماد بن الجلايين وكانت به خزانة كتب موقوفة على أهل العلم، فقد درس على ثابت بن فرة الحارثي. وقد ذكر ابن عربي أنه قرأ على استاذة هذا من كتبه التي ألفها.<sup>(٣٤)</sup> وجاء أيضاً أن ابن عربي ألف كتاباً في الجامع النوري بالموصل سماه (التنزيلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الاصلية).<sup>(٣٥)</sup>

وقد اختلف الناس في ابن عربي فمنهم من أنكر عليه آراءه وأقواله حتى دعا إلى إبادة دمه، ومنهم من رفعه إلى مرتبة الأولياء الصالحين. وقد استقر ابن عربي في دمشق وتوفي فيها عام ٦٢٨ هـ ودفن في الصالحية على سفح جبل قاسيون.

١٢ - الأمل محمد بن عبد الوهاب النجدى الشيعي، صاحب الحركة الإصلاحية السلفية المعروفة باسمه، وهو من أبرز الشخصيات التي رحلت إلى الموصل لطلب العلم والدراسة فيها خلال العصر المتأخر. وقد ولد محمد بن عبد الوهاب في

(العينية) بنجد ورحل الى الحجاز فمكث في المدينة مدة قرا خلالها على بعض علمائها. ثم رحل الى الشام والعراق والقى عصاه في الموصل ليستقر فيها ويدرس على علمائها المعروفين، وكان منهم آنذاك العلامة احمد الجميلي الموصل. (٣٧) وهو شاب يافع لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره، واخذ عنه الكثير. (٣٨)

وكانت الموصل عندما وصلها محمد بن عبد الوهاب تخوض معركة فكرية حامية اثارها احد علمائها المجددين ويدعى احمد بن الكولة الموصل. حول نبوة جرجيس الذي يقول عنه الناس في الموصل انه احد الانبياء بينما انكر ابن الكولة نبوته وقال انه رجل صالح لا يجوز التوسل بقبره للحصول على الرزق وانجاب الذرية او غير ذلك فاثار بقوله عامة الناس فتألبوا عليه وشكوه الى والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي فارسل اليه (يامره بالثبوت من هذا الانكار) (٣٩) ولكن ابن الكولة استمر في حملته ضد البدع والضلالات والتوسل بالقبور والاشربة حتى

ادركته الوفاة سنة ١١٧٢ هـ (١١٥٩ م) فقام ابنه الشيخ محمد بحمل لواء الحركة، وكان هذا مفرد الذكاء متقناً لكثير من الفنون فالتفت حوله كثير من المثقفين يؤيدونه في دعوتهم وانقسم الناس الى فريقين متناحرين يدعم كل فريق حجته بالمؤلفات والقصائد والخطب فكان ذلك باعثاً لحركة التأليف والكتابة وانتشار الافكار السلفية التي تدعو الى استنكار التوسل بالقبور ووضع الستور والمعائم عليها والاستعانة بها من دون الله في طلب قضاء الحوائج وغير ذلك من البدع التي دخلت الدين الاسلامي.

ففي تلك الفترة من تاريخ الموصل والتي بلغت الحركة السلفية فيها اوجها كان محمد بن عبد الوهاب في الموصل يتلقى العلم في مدارسها وقد عاش احداث تلك الحركة التي اثرت في نفسه واسهمت في بناء دعوته الاصلاحية فيما بعد (٤٠)، حيث رجع الى بلاده وتزعم حركة الاصلاح الديني في بلاد نجد حتى كانت وفاته سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩٢ م).

### الهوامش والمصادر

- (١) معجم البلدان - شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي - القاهرة ١٣٢٣ هـ - ج ٨ ص ١٩٥.
- (٢) تاريخ الامم والملوك - محمد بن جرير الطبري - مطبعة الاسطمة - القاهرة ١٣٥٧ هـ - ج ٣ ص ١٤٢.
- (٣) تاريخ الموصل - سعيد الدهوري - بغداد ١٩٨٢ - ص ٣٤٤.
- (٤) المصدر السابق - ص ٣٤٤.
- (٥) ولغات الايمان - فحس الدين بن علكان - تحقيق احسان عيسى - دار الثقافة بيروت - ج ٥ ص ٣١١.
- (٦) التاريخ الباهر في الدولة الاتيكية بالموصل - ابن الاثير الجزري - تحقيق عبد القادر طليمات - القاهرة - ص ١٨٩.
- (٧) ولغات الايمان - ج ١ ص ١٩٣.
- (٨) تاريخ الموصل - الدهوري - ص ٣٤٩.
- (٩) المصدر السابق - ص ٣٥٠.
- (١٠) حيون الانباء في طبقات الاطباء - مؤلف الدين احمد بن القاسم الخزرجي المعروف بابن ابي اسيفة - بيروت ١٩٥٦ - ج ٣ ص ٣٣٤.
- (١١) المصدر نفسه - ص ٣٣٥.
- (١٢) ولغات الايمان - ج ٥ ص ٣١٥.
- (١٣) تاريخ مختصر الدول - فرينوربوس المظلي المعروف بابن العبري المتوفى سنة ٦٨٥ هـ - بيروت - دار المسيرة - ص ٢٧٣.
- (١٤) حيون الانباء - ج ٢ ص ٣٣٨.
- (١٥) ولغات الايمان - ج ١ ص ٢٢٦.
- (١٦) تاريخ اربل - شرف الدين ابو البركات المبارك بن احمد اللخمي المعروف بابن المستوفي - تحقيق سامي بن السيد حلس الصغار - بغداد ١٩٨٠ - ج ١ ص ١٣٦.

- (١٧) ونسب الان (حلم اللؤلؤ) ويقصدنا الناس للاستشفاء بياضها الكبريتية الحارة.
- (١٨) المصدر السابق.
- (١٩) ولغات الايمان - ج ٥ ص ٢٧٨.
- (٢٠) حيون الانباء - ج ٣ ص ٢٩٨ و ص ٣١٤.
- (٢١) ولغات الايمان - ج ٢ ص ٤٠٨.
- (٢٢) نفع الطيب - احمد بن محمد المقرئ النلساني - بيروت دار صادر - الطبعة الاولى - ١٩٦٨ - ج ٢ ص ٦٨.
- (٢٣) تاريخ اربل - ابن المستوفي - ج ١ ص ٨٩.
- (٢٤) نفع الطيب ج ١ ص ٤٠٤، ولغات الوفيات ج ٢ ص ٢٤١، وجامع كرامات الاولياء ج ١ ص ١١٨، وشرحات الذهب ج ٥ ص ١٩٠.
- (٢٥) فهرست المخطوطات المصورة - لؤاد سيد.
- (٢٦) الشيخ احمد الجليلي الموصل، فقيه وفه وعالم عصره، وقد تولى التدريس في مدرسة جامع الباشا وتلمذ عليه كثير من علماء الموصل، توفي سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ م) ودفن في تربة الامام حون الدين. ترجمته في (منهل الاولياء) لمحمد امين العمري (ج ١ ص ٢٧١) و (السيف المهند) لياسين بن خير الله العمري و (شعلة العتير) لمحمد بن مصطفى اللامي - ص ٣٣٥.
- (٢٧) غرائب الاثر في حوادث القرن الثالث عشر - ياسين بن خير الله العمري - تحقيق الدكتور محمد صديق الجليلي - الموصل ١٩٤٠ - ص ٢٤.
- (٢٨) الموصل في العهد العثماني - عماد عبد السلام رؤوف - النجف ١٩٧٥ - ص ٤٠٩.
- (٢٩) المصدر السابق - ص ٤١٥.

# ما تبقى من رحلة احمد بن الطيب السرخسي

## دراسة وتحقيق هدى شوكة بهنام

### المقدمة :

اسحاق الكندي ، اتصل بالخلفاء العباسيين فكان احد مؤيدي احمد بن الموفق طلحة الذي اصبح فيما بعد خليفة باسم المعتضد بالله ، فاختص به واصبح احد مناديه الرئيسيين .

وقد اتم ابن الطيب بحسن المعرفة وجودة الترجمة وبلاغة اللسان وحسن العشرة كما كان مليح النادرة ظريفاً ذا اطلاع كبير في علوم اللغة والادب ، كما روى شيئا من الحديث النبوي<sup>(١)</sup> وبرز في العلوم العقلية والنقلية<sup>(٢)</sup> ، واتسمت مصنفاته وتأليفه بجودتها<sup>(٣)</sup> وشموها جوانب المعرفة المختلفة .

وكان المعتضد بالله يحنه بأسراره ويستشير به أمور مملكته سواء أكان قبل توليه الخلافة أو في اثانها<sup>(٤)</sup> . لكن تلك العلاقة التي ربطت المعتضد بالسرخسي لم تستمر حتى النهاية بل انها اودت بحياة السرخسي نفسه ، فيذكر ابن النديم وابن أبي أصيبعة بخصوص السرخسي ان علمه قد غلب على عقله ، وقصة مقتله مذكورة في أغلب المصادر التي ترجمت له<sup>(٥)</sup> .

وكان ابن الطيب قبيل مقتله يتولى الحسبة والمواثيق وسوق الرقيق وذلك في سنة اثنين وثمانين ومائتين ، وبعد ذلك

يتميز ادب الرحلات بأهمية خاصة لانه يكشف عن جوانب كثيرة للمناطق التي تحيط بها كتب الرحلات كما ان تلك المصنفات تعد نوعا من السهرة الذاتية لكاتبها لما تضمنه من ملاحظات ومشاهدات ، ومن بين الرحلات التي لها اهميتها التاريخية الرحلة التي قام بها احمد بن الطيب السرخسي الذي رافق المعتضد بالله قبل توليه الخلافة وذلك في سنة ٢٧١ هـ وذلك لحرب خوارويه بن احمد الطولوني حيث دُون فيها كثيرا من مشاهداته في الرحلة التي انطلقت من عاصمة الخلافة العباسية (بغداد) باتجاه الموصل ونصيبين ثم المدن الشامية الرئيسة حتى مدينة الرملة بفلسطين .

### ١ - حياة صاحب الرحلة

هو ابو العباس احمد بن محمد بن مروان السرخسي<sup>(٦)</sup> - نسبة الى مدينة سرخس - درس على يد الفيلسوف يعقوب ابن

بعام واحد غضب عليه المعتضد حيث عوقب بمئة جلدة وحول الى المطبق (السجن) ، وقتل في سنة ست وثمانين ومائة . ويشير بإقوت الى تسرع المعتضد في الحكم عليه وندمه لمقتله بعد ذلك .

وفيا يخص مؤلفاته فقد فصل بعض المؤرخين في ذكر قائمة طويلة منها تغطي جوانب العلوم المختلفة من فلسفة وطب وموسيقى وغير ذلك ، وهي تمثل جانباً من اهتمامات ابن الطيب ومعالجته وتبين مدى الصلات الوثيقة التي كانت تربطه بالمعتضد اميراً وخليفه . فيما ألفه في الفلسفة اختصر بعضاً من المصنفات اليونانية مثل كتاب قاطيفورياس وكتاب بارميناس وكتاب انالوطيقا الاولى والثانية . ومن امثلة كتب الطب ، صف كتاب المدخل الى صناعة الطب ، ومقالة في البهق والنمش والكلف ، وفي الحسبة له كتاب الاغشاش وصناعة الحسبة الكبير ، وغش الصناعات ، وفي الموسيقى له كتاب اللهو والملاهي ونزهة المفكر الساهي في الفناء والمغنين والمنادمة والمجالسة واتواع الاخبار صنفه للخليفة المعتضد وله من العمر احدى وستون سنة .

اضافة الى اشتغاله بالتصنيف في مجالات المعرفة الاخرى من ضمنها الرحلة التي هي موضوع دراستنا .  
وعلى الرغم من كثرة مصنفاته الا انه لم يصلنا منها شيء بصورة أكيدة ولكن قد يكون كتاب آداب النفس من كلام سيد العرب والعجم الذي ألفه للمعتضد الذي لا يذكر مؤلفه<sup>(١٠)</sup> ، وكتاب المسالك والممالك الذي يذكره ابن النديم بين مؤلفاته بعد من اقدم المحاولات للتأليف في الجغرافيا العملية<sup>(١١)</sup> .

وبعد كراتشكوفسكي ابن الطيب نوعاً نادراً من الكتاب في ميدان الادب العربي لجمعه بين الاهتمام بالفلسفة والعلوم الدقيقة من جهة والادب الفني من جهة اخرى ، وهو في ميدان الادب الجغرافي ينضم من ناحية الى المدرسة الرياضية الجغرافية ذات النزعة اليونانية ومن ناحية اخرى يهتم بالجغرافية الوصفية من طراز المسالك والممالك الذي يشير اليه المؤرخون من مثل المسعودي وياقوت الذي ينقل عنه كثيراً خاصة فيما يتعلق بعصر المعتضد الذي صحبه ابن الطيب في بعض اسفاره<sup>(١٢)</sup> .

## ٢ - الرحلة من الفلحية السياسية والعسكرية :

تعرضت الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي الى اضطراب واسع النطاق لانفصال الاقاليم في شرقي الخلافة ومغربها وذلك نتيجة ضعف الخلافة وازدياد حركات المعارضة الخارجة على السلطة العباسية ، وقد برز ذلك بصورة واضحة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وذلك في خلافة المعتضد على الله التي بدأت منذ سنة ٢٥٦هـ ، واستمرت خلال عهد المعتضد بالله الذي تولى الخلافة سنة ٢٧٩هـ وتوفي سنة ٢٨٩هـ .

حين توفي احمد بن طولون مؤسس الامارة الطولونية في مصر وتولى بعده الحكم ابنه حارويه ، فكر العباسيون مجدداً في كبح جماح الطولونيين ووقع الاختيار على ابي العباس احمد (الذي اصبح فيما بعد خليفة باسم المعتضد بالله) لقيادة الحملة وذلك لانصاله بالشجاعة والمقدرة العسكرية<sup>(١٣)</sup> ، فخرج ابو العباس بالجيش العباسي ورفقته احمد بن الطيب من بغداد في صيف سنة ٢٧٩هـ / ٨٨٤م سالكا طريقه الى جهة الموصل ونصيبين على ضفة دجلة الغربية فوصل الى حلب في شهر ربيع الثاني سنة ٢٧٩هـ / ايلول ٨٨٤م . ومن حلب اتجه المعتضد الى قنسرين<sup>(١٤)</sup> ، ثم الى العواصم التي اخضعها المعتضد بعد استسلامها<sup>(١٥)</sup> .

ثم توجه المعتضد صوب شيزر حيث اصطدم الجيش العباسي ببعض القوات التي كان على رأسها ابن كنداج حيث تمكن من هزيمته ثم نزل منها الى حاة وحمص ثم دمشق التي كان فيها قوة للطولونيين حيث لم تستطع الصمود امام جيش المعتضد فانهمزت صوب فلسطين ، وامضى المعتضد في دمشق مدة لاستكمال استحضاراته العسكرية وتنظيم امور وحاجيات جيشه<sup>(١٦)</sup> .

وفي الوقت الذي كانت جيوش العباسيين تروم دخول الشام كانت الاخبار قد وصلت الى مصر فعقد حارويه بن احمد الطولوني العزم على ملاقاته الخليفة وقتاله لذا فقد خرج بجيش

كبير بولغ في عدده حيث قدرته بعض المصادر بحوالي سبعين ألف جندي وذلك في ١١ صفر ٢٧١هـ / ٨ آب ٨٨٤م<sup>(١١)</sup> .

وبعد خروج جيش المعتضد من دمشق في عدد لا يزيد عن أربعة آلاف جندي كانت قوات خوارويه قد اخذت مواقعها في فلسطين في شمال بلدة الرملة على مجرى ماء يقال له الطواحين<sup>(١٢)</sup> حيث التقى الجيشان في ١٦ شوال ٢٧١هـ / ٦ نيسان ٨٨٥م وكانت الغلبة أولا لجيش المعتضد ثم انقلب عليه الامر وصارت الغلبة لخمارويه ففزع جيش المعتضد ومضى الى طرسوس مع نفر من اصحابه كما يروي الطبري<sup>(١٣)</sup> .

وهكذا اخفقت الحملة التي قادها المعتضد ، ولغرض التخفيف من نتائج المعركة حل الجيش العباسي توجّه المعتضد بجيشه صوب دمشق لغرض تعزيز سيطرة الخلافة العباسية عليها ، الا ان اهالي دمشق رفضوا فتح ابوابها فتركها متوجّها صوب مناطق شمال الشام الساحلية فاصدأ مدينة طرسوس<sup>(١٤)</sup> ، حيث لم يفلح المعتضد في بسط سيطرته على طرسوس وذلك بسبب تأييد واليها لخمارويه كما ان انتصاره زاد من موقعه في الشام علاوة على المساعدات التي كان يتلقاها من الطولونيين فخرج المعتضد من طرسوس يريد بغداد<sup>(١٥)</sup> .

وفي رجوع المعتضد من بلدن انطاكية وكيسوم وسبساط ثم عبر الفرات ، الا انه لم يمر بحلب وذلك لوجود خلاف بينه وبين حاكمها<sup>(١٦)</sup> ، وبعد ان اجتازت الرحلة الشام هادت الى العراق من الطريق نفسه الذي كانت قد سلكته في ذهابها عن طريق الموصل وصولا الى بغداد ، حيث كان دخول المعتضد الى بغداد في يوم ٢١ جمادى الآخرة سنة ٢٧٢هـ<sup>(١٧)</sup> .

وبذلك اخفقت هذه الرحلة في تحقيق اهدافها الرئيسية في بسط نفوذ العباسيين على الشام ، واحد من نفوذ الطولونيين بل بالعكس ادت الحملة الى سيطرة الآخرين على الشام مما دفع العباسيون الى الاقرار بالامر الواقع والاعتراف بسيادة كافور على الشام ، وبعد ارتقاء المعتضد الخلافة سنة ٢٧٩هـ تزوج الخليفة من بنت لخمارويه قطر التلي وذلك في سنة ٢٨٢هـ<sup>(١٨)</sup> .

### ٣ - ياقوت الحموي ونصوص رحلة ابن

الطيب :

المعروف ان المصنف الخاص بالرحلة قد فقد وما وصلنا منها يبقى في حدود ما ضمنه ياقوت في معجمه ، ويبدو ان السبب الرئيس في ايراد ياقوت موادا كثيرة من رحلة ابن الطيب هو سبقها التاريخي وانفرادها بنصوص تاريخية وجغرافية مهمة لم ترد في كتب البلدان الاخرى ولهذا تم جمع تلك النصوص والنقولات من معجم ياقوت ، وذلك لما لها من اهمية لكونه شاهد حيان للنصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . واذا كان ياقوت قد بلغ الاوج في فن المعاجم فإنه يمكن ان يعتبر السرخسي من اوائل من كتب في البلدان والرحلات .

وما يجدر ذكره ان اسم ابن الطيب لم يرد في مقدمة معجم ياقوت حين اشار الى المصادر التي استعان بها في معجمه على الرغم من كثرة النصوص التي استقاها من الرحلة ، ونقله لجانب مهم من بعض فرائدها مطولاً حتى ان بعض تلك النقولات غلبت على مادة ياقوت او تعليقاته في بعض البلدان . الا انه اشار بصراحة واضحة في متن المواد التي نقلها عن السرخسي . اما الطريقة التي اشار اليها ياقوت في استخدامه للرحلة فقد تفاوتت صيغتها بين توضيح كامل لاستخدامه لها ، وبين الاشارات العرضية الواضحة لصاحب الرحلة ويمكن ان نحصر الصيغ التي افصح بها عن استخدامه للرحلة بالشواهد التالية :

١ - الاشارة الكاملة الى الرحلة وصاحبها كما في مادة (الكحيل) حيث يقول : (قال احمد بن الطيب السرخسي القيلسوف ... ذكر ذلك في رحلة المعتضد لحرب خمارويه في سنة ٢٧١هـ) . وكذلك في مادة (حوار) و(سبسطية) .

٢ - الاشارة الكاملة الى صاحب الرحلة دون ذكر الرحلة ، كما في قوله في مادة (برقيد) : (قال ذلك احمد بن الطيب السرخسي) ، وكذلك في مادة (الهرماس) و(ريض الدارين) و(الاردن) و(دمشق) ، و(البردان) . ثم الاكتفاء بذكر اسمه واسم ابيه دون نسبته اي (احمد بن الطيب) كما في مادة

(طرسوس) و (اودن) و (الرافقة) و (الأكام) و (الاسكندرونه) و (رأس العين) .

٣ - الإشارة الى النسخة الخطية التي رجع اليها ياقوت الحموي حيث نجده يقول في مادة (الحشبية) : « كذا نقلته من خط ابن كوجك عن احمد بن الطيب » .

وقد بلغ عدد المواد التي احوال فيها ياقوت الى الرحلة (احدى وعشرين) مادة بلدانية ، لكننا لانستطيع ان نبحث عن مواد الرحلة الاخرى في مادة المعجم مادام ياقوت لم يشر الى ذلك صراحة ، مع العلم بان ياقوت شأنه شأن اي كاتب في تلك الحقبة التاريخية لم يكن بالضرورة يجمل الى المصادر في كل مواده البلدانية ، ومع ذلك يمكن القول ان ياقوت كان من بين رجال عصره القلائل الذين يتميزون بالاستخدام الواضح للمصادر ، وتطبيق القواعد الرئيسة لشروط البحث العلمي ومتطلباته ، لذا فلا غرابة ان تكون هناك مواد اخرى لم يصرح فيها بالاحالة الى رحلة السرخسي من ذلك مثلاً ذكره لواقعة الطواحين حيث انتهت الرحلة فقال ياقوت « الطواحين : موضع قرب الرملة من ارض فلسطين الشام كانت عنده الوقعة المشهورة بين خمارويه ابن احمد بن طولون والمعتضد بالله ، انصرف كل واحد منهما مغلولاً كانت اولاً على خمارويه ثم كانت على المعتضد » وهناك (٢٤) ملاحظة اخرى ان ياقوت قد ركز على المواد البلدانية التي سلكتها الرحلة في ذهابها الى فلسطين ، واكتفى باشارات عرضية لطريق العودة كما في قوله في مادة طرسوس (رحلنا من المصيصة نريد العراق الى اذنه ومن اذنه الى طرسوس) (٢٥) .

يتضح مما سبق ان ما اورده ياقوت من رحلة السرخسي كان عبارة عن مجتزآت ، وهنا تكمن الصعوبة في ترتيب الرحلة

وتحديد طريقها وضبطه بصورة جيدة خصوصاً في مناطق شمال الشام ، حيث يظهر من خلال اعتماد مادة الرحلة نفسها التي اوردها ياقوت وبلاستعانة بالمصادر التاريخية الاخرى عدم وجود خط سير مباشر وواضح في مناطق شمال الشام ، ويمكن ان نعزو ذلك الى الغشل والاختناق الذي لحق بالخليفة جراء خسارته في المعركة واختفاقاته المتكررة في دمشق وطرسوس مما جعل مسيرته في تلك المناطق تتسم بالغموض على الرغم مما تفيض به الرحلة من ملاحظات حيوية لم تأت من كتاب وانما جاءت نتيجة مشاهدات ومعاينة متاعب الرحلة والطريق والمعركة .

ويمكننا القول ان خط سير الرحلة معروف وواضح من اللحظة الاولى لانطلاق المعتضد بجيشه الا ان خيط الرواية ينقطع في كثير من الاحيان ويضطرب احياناً اخرى تبعاً لاختصاص النصوص من قبل ياقوت ، فقد خرج السرخسي من بغداد مرافقاً للمعتضد ماراً في طريقه على جميع المدن الواقعة على غرب دجلة باتجاه الموصل ، وطيلة هذه الرحلة لانبجس اقتباساً من السرخسي الا في موضع واحد قبل وصوله الى الموصل اي ان النقل يبدأ من مدينة الكحول التي تقع بين تكريت والموصل وبعد اجتياز الموصل تكثر النقولات عن الرحلة وخاصة في مواد برفعيد وأذمة ونصيبين والهرماس ورأس العين والرقعة والرافقة . وعلى الرغم من كل الصعوبات التي واجهتني في ترتيب خط مسار الرحلة . فقد حاولت اخيراً ترتيبها على اساس مواقع المدن في تلك الفترة التي كانت فيها الرحلة ، وقد استعنت بالاستاذ يوسف جرجيس الطوني لتوضيح مسار هذه الرحلة وتحديد مواقع المدن التي مرت بها فله كل الشكر والامتنان ، ومن الله التوفيق .

#### هوامش المقدمة

- ١ - سرخس : يقول ياقوت مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ودمرو في وسط الطريق بينها وبين كل واحدة منها ست مراحل . (معجم البلدان طبعة دار صادر ، بيروت ١٩٥٧ ، ٢٠٨/٣)
- ٢ - حيون الانبائه في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، دار الفكر ، بيروت ١٣٧٦/١٩٥٦م ، ١٩١/٢ .
- ٣ - اخبار العلماء باخبار الحكاه لجمال الدين القفطي ، تصحيح محمد امين الحناحي ، مطبعة السعادة ١٩٠٨ ، ص ٥٥ .
- ٤ - القهرست لابن النديم نج ٥ . جوهانس رودبيرج ٥ . اوكت ميلر ، بيروت ١٩٦٤ ، ١٩١/١ .
- ٥ - الاعلام لخير الدين الزركلي ط ٢ ، ١٩٥/١ .

- ١ - سرخس : يقول ياقوت مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ودمرو في وسط الطريق بينها وبين كل واحدة منها ست مراحل . (معجم البلدان طبعة دار صادر ، بيروت ١٩٥٧ ، ٢٠٨/٣)
- ٢ - حيون الانبائه في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، دار الفكر ، بيروت ١٣٧٦/١٩٥٦م ، ١٩١/٢ .

144

بالمدينة وبينها وبين السيمية قرية الهيشم بن المعمر فرسخ عرضا وبينها وبين مدينة سنجار في العرض كورة تعرف بين النهرين بين كورة البقعاء ونصيبين ، ولم تنزل هذه الكورة من اعمال نصيبين ، وأثرمة اليوم قرية ليس فيها مما وصف شيء .

١ - ياقوت ١٧٧/١ - ١٧٨ : وفيه : وأثرمة بفتح اوله وسكون ثانيه وفتح الراء والميم قال احمد بن يحيى بن جابر : أثرمة من ديار بلاد ربيعة قرية قديمة اهلها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي من صاحبها وبنى بها قصراً وحصنها ، وفي بلدان الحلالة الشرقية ص ١٣١ : ان أثرمة تقع في منتصف المسافة بين برقيد ونصيبين ، وكانت مثل برقيد كبرا ، وهي من كورة تعرف بين النهرين ، وهنا يذكر لسترنج ان للملومات التي استلخاها من هذه المدينة هي من رحلة ابن الطيب طيب المعتضد .

٢ - في ياقوت : صحراها

نصيبين<sup>(١)</sup> : وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة الفواغل من الموصل الى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر اهلها اربعون الف بستان بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وبينها وبين الموصل ستة ايام وبين دُنَيْسِر يومان (و)<sup>(٢)</sup> عشرة فراسخ ، وعليها سور وكانت الروم بَنَتْ وأقامه انوشروان الملك عند فتحه اياها وقالوا كان سبب فتحه اياها انه حاصرها وما قدر على فتحها فامر ان تُجمع اليه العقارب فحملوا العقارب من قرية تعرف بطيراشاه من عمل شهرزور بينها وبين سمرقاند مدينة شهرزور فرسخ ، فرماهم بها في العرادات والفواير وكان يملأ القارورة من العقارب ويضعها في العرادة وهي على هيئة المنجنيق فتقع القارورة وتتكسر وتخرج تلك العقارب ولا زال يرميهم بالعقارب حتى ضج اهلها وفتحوا له البلد واخذها عنوة وذلك اصل عقارب نصيبين ، واكثر العقارب في جبل صغير داخل السور في ناحية من المدينة ومنه تنتشر العقارب في المدينة كلها ، ذكر ذلك كله احمد بن الطيب السرخسي في بعض كتبه .

١ - ياقوت ٧٨٧/١ - ٧٨٨ : وفيه : نصيبين بالفتح ثم بالكسر ثم ياء وعلامة الجمع الصحيح ومن العرب من يجعلها بمنزلة الجمع ليعربها في الرفع بالواو وفي الجر والنصب بالياء والاكثر يقولون نصيبين ويجعلونها بمنزلة ما لا ينصرف من الاسماء

في بلدان الحلالة الشرقية ص ١٢٤ : تلح نصيبين في اعالي نهر المرماس وهي من اعظم مدن الجزيرة شأنا ، وهي نيسيس الرومانية ، وقد زارها الرحالة ابن جبر سنة ٤٨٠ هـ وابن بطوطة في القارة الثالثة ووصفها .

٢ - زيادة لفتحها السابق

المِرْمَاس<sup>(٣)</sup> : المِرْمَاس وهو نهر نصيبين يخرج من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ مسدودة بالحجارة والرصاص وانما يخرج منها الى نصيبين من الماء القليل لان الروم بَنَتْ هذه الحجارة عليها لئلا تفرق هذه المدينة ، وكان المتوكل لما دخل هذه المدينة سار اليها وامر بفتحها ففتح منها شيء يسير زيادة على ما هو عليه فغلب الماء عليه غلبة شديدة حتى امر باحكامه واعادته الى ما كان عليه بالحجارة والرصاص والى الآن هذه العين في اعلى المدينة وفاضل مائها<sup>(٤)</sup> يصب الى الحابور ثم الى التلثار ثم الى دجلة قال ذلك احمد بن الطيب الفيلسوف .

١ - ياقوت ٩٢٧/٤ : وفيه : المِرْمَاس بالكسر وآخره سون مهلة والمرماس الاسد الجري . وقيل ولد النمر .

وفي بلدان الحلالة الشرقية ص ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٢٧ : ان هرج برقي المرماس وعابور نصيبين من جانب دجلة الغربي في سمت جزيرة ابن صر كورة طور حليتين الجبلية ، ويصب في اسفل نهر الحابور الكبير ، ومياه نهر المرماس تنصب في بحن دجلة عند تكريت بعد ان تجري في واد يقال له التلثار .

٢ - ياقوت : ماها .

رَأْسُ عَيْن<sup>(٥)</sup> : وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودُنَيْسِر وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً وقريب من ذلك بينها وبين حرّان وهي الى دنيسر اقرب ، بينها نحو عشرة فراسخ ، وفي رأس عين عيون كثيرة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الحابور ، واشهر هذه العيون اربع : عين الاس ، وعين الصرار ، وعين الرياحية ، وعين الهاشمية ، وفيها عين يقال لها خسفة سلامة فيها سمك كيار ينظروه الناظر كان بينه وبينه شبر ويكون بينه وبينه مقدار عشر قمامات وعين الصرار هي التي نثر فيها المتوكل عشرة آلاف درهم ، ونزل اهل المدينة فاخذوها لصفاء الماء ولم يُفقد منها شيء فانه يبين مع عمقها ما في قعرها للناظر من فوقها وعمقها نحو عشرة اذرع وربما اخذ منها الشيء اللطيف لصفائها<sup>(٦)</sup> ، كذا قال احمد بن الطيب . . . وقال احمد بن الطيب وفيها عين مما يلي حرّان تسمى الزاهرية كان المتوكل نزلها وبنى بها بناء وكانت الزواير الصغار تدخل الى عين الزاهرية والى عين الهاشمية ، وكان الناس يركبون فيها الى بسايتهم والى قريسيه ان



شاءوا . . . وقال بالقرب من عين الزاهرية عين كبريت يظهر ماؤها اخضر ليس له رائحة فتجري في نهر صغير وتدور به ناعورة يجتمع مع عين الزاهرية في موضع واحد فيصبان جميعاً من موضع واحد في نهر الحابور .

١ - بالقوت ٧٣١/٢ - ٧٣٢ . وفيه «وقال رأس العين»  
ولي بلدان الخلافة الشرقية من ١٢٥ : وكانت رأس عين قرب منابع الحابور ، وهي رأس ايتا الرومانية على بحر عابوراس مشهورة بكثرة هبوبها البالغة ٣٦٠ حينا على ما يقال . ولتجمع هذه العيون تسقي بساتينها وتجهلها كماها بستان واحد ، وقد مر بها ابن جبر سنة ٥٨٠هـ (١١٨٤م) .  
(ولاحظ على كلام لسترنج عن اصل كلمة رأس عين انها آرامية الاصل من وريش ايتا)

٢ - بالقوت : لصفاهها .

٣ - بالقوت : مائها .

بالجداً<sup>(١)</sup> : وقال احمد بن الطيب : عليها سور ، وكان مسلمة ابن عبد الملك اقطع موضعها رجلا من اصحابه يقال له أسيد السلمي فيهاها وسورها ، وفيها بساتين تسقيها عين تنبع من وسطها يشرب منها الناس ، وما فضل يسقي زروعها ، وهي قرب حصن مسلمة بن عبد الملك .

١ - بالقوت ٤٥٣/١ : وفيه «بالجدا يفتح الجيم وتشديد الدال ، والقصر قرية كبيرة بين رأس العين والرقعة»  
ولي بلدان الخلافة الشرقية من ١٣٦ : ان بالجدا تقع في جنوب حران على طريق من شرق بحر البليخ . وفيه يمتد لسترنج في استقاء معلوماته عن هذه القرية مما نقله بالقوت من ابن الطيب اضافة الى مصادر اخرى .

الرافقة<sup>(٢)</sup> : وقال احمد بن الطيب : الرافقة بلد متصل البناء بالرقعة وهما على ضفة الفرات وبينهما مقدار ثلثمائة ذراع قال : وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل وهي على هيئة مدينة السلام ولها رُيْض<sup>(٣)</sup> بينها وبين الرقة ، وبه اسواقها وقد خرب بعض اسوار الرقة .

١ - بالقوت ٧٣٤/٢ وفيه «الرافقة الفاء قبل القاف» ويعلق بالقوت على كلام ابن الطيب : «ولت هكذا كانت اولاً فلما لان الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة وصار اسم المدينة الرقة وهي من اعمال الجزيرة مدينة كبيرة كثيرة الخير .»  
ولي بلدان الخلافة الشرقية من ١٣٢ - ١٣٣ : في خلافة بني العباس في المئة الثانية كتلت الرقة من اهم مدن ما بين البحرين الاحل ، وتسيطر على تخوم الشام ، وشرح الخليفة المنصور في سنة ١٥٥ (٧٢٢) ببناء مدينة الرافقة على نحو ثلاثمائة ذراع من الرقة . ويقال ان الرافقة بنيت على غرار مدينة السلام فكانت مدينة

مدورة ، ولكن سرعان ما خربت الرقة القديمة وشيدت ابنة جديدة في الارض الفضاء بين الرقة والرافقة ، وغلب اسم الرقة على الرافقة .  
٢ - وريش : وريش للكنية : ما حوفا .

ريش الذارين<sup>(١)</sup> : وقال احمد بن الطيب الفيلسوف :  
كان محمد ابن عبد الملك بن صالح بناء وبنى فيه داراً اعني الريش ولم يستمه واتمه سيئة الطويل ورُم ما كان استهدم منه وصير عليه باب حديد حذاء باب انطاكية اخذه من قصر بعض الهاشميين بحلب يسمى قصر البنات وسمى الباب باب السلامة وبنى ميباه<sup>(٢)</sup> فيه داراً ايضا مقابلة لدار عبد الملك بن صالح فسمى ريش الذارين لذلك .

١ - بالقوت ٧٥٠/٢ - ٧٥١ وفيه : «ريش الذارين يحلب امام باب انطاكية في وسطه فترة على قنوين» .  
٢ - بالقوت : سيا

حاه<sup>(٣)</sup> : وقال احمد بن الطيب فيها ذكره من البقاع التي شاهدها من مسيره من بغداد<sup>(٤)</sup> مع المعتضد الى الطواحين فقال بعد ذكره حصن<sup>(٥)</sup> : وحاه قرية عليها سور حجارة وفيها بناء بالحجارة واسع ، والمعاصي يجري امامها ويسقي بساتينها ويدير نواعيرها .

١ - بالقوت ٣٣٠/٢ - ٣٣١ . وفيه يعقب على كلام ابن الطيب فيقول : وكان قوله هذا في سنة ٢٧١ قسماها قرية ، وقبل ذلك يصف بالقوت حاه فيقول : وحاه بالفتح بلفظ حاه المراد . . . وحاه مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الحسرات . . . يحيط بها سور يحكم وبظاهر السور حاضر كبير جدا فيه اسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على مبرها المعروف بالمعاصي .

٢ - بالقوت : منفاد .  
٣ - لم اجد ذكرا لاحد بن الطيب حين شرح بالقوت حصا .

دمشق الشام<sup>(١)</sup> : وقال احمد بن الطيب السرخسي بين بغداد ودمشق مائتان وثلاثون فرسخاً<sup>(٢)</sup> ، وقالوا في قول الله عز وجل [وَأَوْتَيْنَاهَا إِلَى رِيوْدَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ]<sup>(٣)</sup> قال هي دمشق ذات قرار ، وذات رخاء من العيش وسعة ، ومعين كثيرة الماء ، وقال قتادة في قول الله عز وجل [والتين] قال الجبل الذي عليه دمشق ، والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس ، وطور سينين شعب حسن ، وهذا البلد الامين مكة ، وقال ارم ذات العماد

دمشق<sup>(١)</sup> ... واهل الاسطون قوم من الحكماء الاول كانوا  
ببعلبك حكى ذلك احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف .

- ١ - ياقوت ٥٨٧/٢ - ٥٩٢ ، وفيه : «دمشق الشام بكسر اوله وفتح تائه  
هكلا وراه الجمهور والكسر لفة فيه وشين مجعمة وآخره قال البلدة المشهورة  
قصة الشام وهي جنة الأرض بلا خلاف»  
وفي بلدان الحلافة الشرقية ص ٣٧ : «كان العرب مقلين في اطلاق  
التسميات فكان ذلك علة كثير من الارتباك ، فلما علموا انهم ان يسموا حاصصة  
القليم باسم ذلك الاقليم حتى ولو كان لتلك العاصمة اسم آخر ، فدمشق مثلا ما  
زالت تعرف عنهم بالشام وهي عاصمة الشام» .
- ٢ - في ياقوت : مايتان وثلاثون فرسخ
- ٣ - سورة (المؤمنون ٢٣) آية ٥٠ ك .
- ٤ - سورة (التين ٩٥) آية ١ ك من الآية (والتين والزيتون وطور سينين وهذا  
البلد الامين)

سام بن نوح (ع) وهي احد اجناد الشام الحمسة وهي كورة واسعة منها الغور  
وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك .

الاسكندرونة<sup>(٢)</sup> : «قال احمد بن الطيب : هي مدينة في  
شرقي انطاكية على ساحل بحر الشام بينها وبين بفراس<sup>(٣)</sup> اربعة  
فراسخ وبينها وبين انطاكية ثمانية فراسخ ، ووجدت في بعض  
تواريخ الشام ان اسكندرونة بين عكا وصور» .

١ - ياقوت ٢٥٤/١ وفيه : «الاسكندرونة بعد الدال راه ، وواو ساكنة  
ونون»

٢ - بفراس : بالحسين مكان الزاي : مدينة في خلف جبل اللكام ، بينها وبين  
انطاكية اربعة فراسخ على عين القاصد الى انطاكية من حلب ، في البلاد المظلة على  
نواحي طرسوس (معجم البلدان ٤٦٧/١ ، طبعة بيروت) .

الأكام<sup>(٤)</sup> : «قال احمد بن الطيب : ويكون امتداد جبل  
الأكام نحو ثلاثين فرسخاً وعرضه ثلاثة فراسخ وفيه حصون  
ورستاق<sup>(٥)</sup> واسع» .

- ١ - ياقوت ٣٤١/١ وفيه : «هكلا ووجدت بخط بعض الفضلاء ولا ادري  
الراد جبل للكام ام غيره الا انه قال : جبل لغور الحصينة ، والكام مصل به ،  
ولا شك في انها جبل واحد لان الجبال قد تسمى باسم وتسمى في موضع آخر باسم  
آخر ، وان كان الجميع جبلا واحدا» .
- ٢ - الرستاق : اعجمي ممرب ، ويقال ، وزقاق ورستاق والجميع  
الرساقين وهي السواد» .

الحشيشية<sup>(٦)</sup> : «والْحَشِيشَةُ بلفظ النسبة الى الحشيش : جبل  
قرب المصينة بالغور كان به مسلحة للمسلمين وهي مسلحة  
الغور ، كذا نقلته من خط ابن كوجك عن احمد بن الطيب<sup>(٧)</sup>» .

- ١ - ياقوت ٤٤٥/٢ . انتهى ياقوت بمعلوماته عن هذا الجبل مما نقله من ابن  
الطيب» .
- ٢ - يدنو ان الرحلة التي هي احد مصادر ياقوت في كتابه المعجم كانت  
مكتوبة كتبها ابن كوجك لكما لم تصل اليها .

حَوَار<sup>(٨)</sup> : «وذكر احمد بن الطيب في رحلة المعتضد الى  
الطواحين<sup>(٩)</sup> حَوَار : جبل في غربي جيحان من غفور الشام قال  
سمي بذلك لبياض تربته<sup>(١٠)</sup> وبذلك سُمي الحَوَارِي» .

- ١ - ياقوت ٣٥٤/٢ وفيه : «حَوَار بالضم وتشديد الواو وهو الابهس ومنه  
الحيز الحَوَارِي ، والحَوَار واليشر موضعان بالجزيرة من ابي منصور ... واخبرني  
من اتق به من اهل حلب ان الحَوَار كورة كثيرة مدنتها البلاط وهي الآن خراب

الأردن<sup>(١١)</sup> : «قال احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف  
هما أردنان : أردن الكبير وأردن الصغير ، فأما الكبير فهو بحر  
يصب الى بحيرة طبرية ، بينه وبين طبرية لمن عَبَّرَ البحيرة في  
زورق اثنا عشر ميلا تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجري في  
هذا النهر فتسقي اكثر ضياع جند الاردن مما يلي ساحل الشام  
وطريق صور ، ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند  
طبرية ، وطبرية على طرف جبل يُشرف على هذه البحيرة ، فهذا  
النهر اعني الاردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة ، واما الاردن  
الصغير فهو نهر ياتخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط  
الغور فيسقي ضياع الغور واكثر مستفلتهم السُكَّر ومنها يُجَمَل الى  
سائر بلاد الشرق وعليه قرى كثيرة منها بيسان وقرارا واربعما  
والموجاء وغير ذلك ، وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة  
ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر  
اليرموك فيصيران نهر واحد فيسقي ضياع الغور وضياع البشينة  
ثم يمر حتى يصب في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي ،  
وللاردن عدة كور منها : كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت  
رأس وكورة جندر وكورة صفورية وكورة صور وكورة عكا وغير  
ذلك مما ذكر في مواضعه .

- ١ - ياقوت ٢٠١/١ - ٢٠٢ وفيه : «الأردن بالضم ثم السكون وضم الدال  
للهمة وتشديد النون ، واهل السير يقولون ان الاردن وفلسطين ابنا سام بن ارم بن

ويحولونه حُزَارَ بفتح الحاء .

٢ - الطواحين : جمع طاحونة الخليل : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين بالشام كانت منه القلعة المشهورة بين حُزَارويه ابن طولون والمتنشد بالله في سنة ٧٧١ ، انصرف كل واحد منها مفلولا كانت اولاً على حُزَارويه ثم كانت على المتنشد « ياقوت : ٤٥/٤ طيبة بيروت » .

٣ - ياقوت : لم يبق

أذنة<sup>(١)</sup> : وقال احمد بن الطيب : « رحلنا من المصيبة راجعين الى بغداد الى اذنة في مَرَج وقرى متدانية جداً وعمارات كثيرة وبين المنزلين اربعة فراسخ ، ولأذنة نهر يقال له سبَحَان وعليه قنطرة من حجارة عجيبة بين المدينة وبين حصن مما يلي المصيبة وهو شبه بالريش والقنطرة معقودة عليه على طاق واحد قال ولأذنة ثمانية ابواب وسور وخنق » .

١ - ياقوت : ١٧٩/١ . وفيه « أذنة بفتح اوله وثانيه وثلثه بوزن حَسَنَة وأذنة بكسر اللام بوزن حَسَنَة ، وأذنة ايها بلد من الثغور قرب المصيبة مشهورة . وفي بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٢ - ١٦٣ : « أما المدن الثلاث للمصيبة ولذنة وطرسوس وكلها من بناء الروم ، لها زالت قلعة . . ومدينة اذنة وهي قرب المصيبة تقع على نهر سبَحَان (نهر سارس) » .

طرسوس<sup>(٢)</sup> : « قال احمد بن الطيب السرخسي رحلنا من المصيبة نريد العراق الى أذنة ومن أذنة الى طرسوس وبينها وبين أذنة ستة فراسخ وبين اذنة وطرسوس فتنق بَعَاً والفتنق الجليد ، وعلى طرسوس سوران وخنق واسع ولها ستة ابواب ، ويشقها نهر البَرْدَان وبها قبر المأمون عبد الله بن الرشيد جاءها غازيا فادركته ميتة فمات قال الشاعر :

هل رأيت النجوم اغتثت عن الماء

مُؤن في عز ملكه المأسوس

غادروه بغير ضنني كسرُسوس

مثل ما غادروا اباها بطوس

وما زالت موطناً للصالحين والزهاد يقصدونها لانها من ثغور المسلمين ثم لم تزل مع المسلمين في احسن حال وخرج منها جماعة من اهل الفضل الى ان كان سنة ٣٥٤ فان نقفور ملك الروم استولى على الثغور وفتح المصيبة كما نذكره في موضعه ثم رحل عنها ونزل على طرسوس ، وكان بها من قبل سيف الدولة رجل يقال له ابن الزيات ورثيق النسيمي مولاه فلما اليه المدينة

على الامان والصالح على ان من خرج منها من المسلمين وهو يحمل من ماله معها قدر عليه ، لا يعترض من عَيْن وَوَرَق او خُرْبِي وما لم يلق حمله فهو لهم مع الدور والضياح واشترط تخريب الجامع والمساجد وانه من اراد المقام في البلد على الذمة واداء الجزية فعل وان تنصر فله الحياء والكرامة وتفر عليه نعمته قال فتنصر خلق فأقرت نعمهم عليهم واقام نفر يسير على الجزية وخرج اكثر الناس بقصدون بلاد الاسلام وتفرّوا فيها وملك تقصور البلد فاحرق المصاحف وغرب المساجد واخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله عما كان جمع من ايام بني أمية الى هذه الغاية .

١ - ياقوت ٥٢٦/٣ ، وفيه : « طرسوس بفتح اوله وثانيه وسنين مهملتين بينهما واو ساكنة بوزن قريوس كلمة عجيبة رومية ولا يجوز سكنون المراه الا في ضرورة الشعر وهي مدينة بثلور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم » . وفي بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٤ ، ١٦٥ ان مدينة طرسوس كانت من اجل الثغور ، وتشترط المدخل الجنوبي للثغور المشهور عبر طوروس المعروف بابواب ليلية ، وكان يفتح المدينة عبر البردان (نهر كوندس) .

البردان<sup>(٣)</sup> : « والبردان ايضاً نهر يسقي بساتين مَرَعش

وضياعها يخرج من اصل جبل مَرَعش ويسمى هذا الجبل الاقرب ، وذكر هذين النهرين احمد بن الطيب السرخسي » .

١ - ياقوت ٥٥٣/١ - ٥٥٤ . وفيه ان « البردان ايضاً نهر بثلور طرسوس بجبه من بلاد الروم ويصب في البحر على ستة اميال من طرسوس ولا اهراف بالشام موضعاً او مراً يقال له البردان فيه فهو الذي حناه الزخخري » . وفي بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠ ، ان من طرق بغداد الطريق الشمالي الذي يخترق عملة السلسية ليحب البرهان في بغداد الشرقية . ثم يصل الى بلدة البرهان التي تقع على شفاة دجلة الشرقية ثم يتابع سيره بسائر النهر فيبلغ سمرقاه ومدن ما بين الشمالي (البحر الجبيري) .

أودن<sup>(٤)</sup> : « قال احمد بن الطيب : اودن قرية كبيرة تحت جبل بين مَرَعش والفرات » .

١ - ياقوت : ٣٣٩/١ وفيه « اودن بالنون » .

سبسطية<sup>(٥)</sup> : « قال احمد بن الطيب السرخسي في رسالة وصف فيها رحلة مسير المعتضد لقتال حُزَارويه وعوده . قال : سبسطية : مدينة قرب سُميساط محسوة من اعمالها على اهل الفرات ذات سور » .

١ - ياقوت ٣٣/٣ وفيه : « سبسطية بفتح اوله وثانيه وسكون السين الثانية وطاء مكسورة وباء مثناة من تحت مخففة ، ويعلق ياقوت على قول ابن الطيب « قلت للشهر ان سبسطية بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومانه » .



# رحلة الى بغداد

## تأليف

### نواب حميد يار جونك بهادر

ترجمة

كاظم سعد الدين

بغداد

تمهيد

يخامر كل امرئ يعرف، او يخال انه يعرف، كيف يكتب، طموح اعتيادي في ان يصبح مؤلفاً. ولابد لي في معرض اعترافي بانني لست استثناء من هذه القاعدة، ان ابين مدى ادراكي مواطن ضعفي. ولما لم يكن في نيتي نشر هذه اليوميات عندما بدأت تدوينها، وبما انها لاتعدوان تكون الا مجرد سجل لاحداث طرأت في غضون الرحلة التي قمت بها في صحبة والدي، فاني لحدوني الامل ان بغض قرائي الطرف عن الشوائب التي تكتنفها. واذا ما حالفني التوفيق في نقل كل ما اصبوا الى نقله عن الرحلة التي اثارت في نفسي غابة الامتاع، واذا ما وجد قرائي شيئاً من التسلية بما سجلته، فان ذلك سيزيل شيئاً من تهيبي في المغامرة بما يليق بهذه المدونة الصغيرة.

المؤلف

رحلة الى بغداد

الخميس ٢١ آذار ١٩٠٧، غادرت وحيداً آباءه الى «اجيره» بصحبة والدي العقيد نواب افسر الملك، بهادر» فبلغناها في الليلة الثالثة من رحلتنا، وقد استقبلنا في المحطة اخي الاصغر محبوب الذي يدرس في «كلية مايو». ومكث والدي مع مسر وودنكتن، رئيس «كلية مايو» الذي دعاه الى ضيافته اثناء زيارته الى «اجيره»، ونزلت مع محبوب في «دار تونكه» في كلية مايو. الاحد ٢٤ آذار - ركبنا في الصباح متوجهين الى دولة باغ: كانت الحدائق جميلة، لطيفة الترتيب. وزرنا ايضاً خزان اناساكار البارح الجمال، وقد اقيمت على السد مقاصير من الرمر الخالص، شيدها الاميراطور شاه جهان» سنة ١٦٣٧. والمبنى بالغ الاناقة يضفي على الخزان مظهراً جليلاً. اصطحب مسر وودنكتن ابني عصفراً الى الكلية حيث رأى الدور المختلفة التي يبلغ عددها جميعاً عشرة للاقسام الداخلية، وهي تعود لولايات مختلفة، فضلاً عن مبنى الكلية. ونضفي تلك المباني مظهراً يديعاً للكلية. الاثنين ٢٥ آذار - غادرنا اجيره مساء ووصلنا بومبي في صباح الاربعاء الباكر، وذهبتا بعد الافطار لرؤية سفيتنا، المسماة دواركا العائدة الى شركة B. I. S. N. وبالرغم من ان دواركا لم تكن باخرة كبيرة جداً، فقد القينا كل شيء فيها نظيفاً، وقد ابدى ربانها وضباطها غاية اللطف والانس.

وامضيت بقية النهار في استحصال التذاكر والجوازات وغيرها. واودعنا مالنا الذي سناخذه معنا لدى شركة B. I. S. N. واخذنا منها اعتماداً به الى وكلائهم في بغداد: السادة ستيفن لنج وشركائه". وفي اليوم التالي ذهبنا الى رصيف فكتوريا في حوالي الساعة الثامنة صباحاً. وكان البحر هادئاً. وكان الجو في الليل شديد البرودة وعندما نهضنا في الصباح كان البرد كنهاية موسم البرد في حيدر آباد تقريباً. وفي حوالي الساعة العاشرة صباحاً ابصرنا ارضاً في الجهة الشمالية. واستطعنا ان نستين، بمعونة منظار، مدينة صغيرة ومناظر معبد. وعلمنا لدى استفسارنا من الضباط ان المعبد يدعى دواركا وقد سميت السفينة باسمه وانه مكان مشهور لعبادة الهندوس. ووصلنا خليج كو في الساعة الواحدة وتوقفت باخرتنا ساعتين في ماندفي حيث نزل خسون راكباً تقريباً وصعد اليها قلة آخرون. واستأنفنا السفر في الساعة الثالثة عصراً ووصلنا «كراچی» في صباح اليوم التالي، الساعة السادسة منه. ومكثنا فيها نهار ذلك اليوم كله. ولم يسمح لأحد ان يدخل المدينة نظراً لقيود الحجر الصحي. واخذوا جميع ركاب الدرجة الثالثة وخدم السفينة الى نعيم الحجر الصحي حيث تم فحصهم ثم اعيدوا الى السفينة. وتركنا كراچی في حوالي الساعة الثامنة مساءً واخذنا معنا البريد الانكليزي الذي وصل في الوقت المحدد في باخرة اخرى.

الاحد ٣١ آذار - كان البحر مثل صفحة مرآة. ووصلنا في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي الى مسقط حيث رست السفينة ساعتين لكي تسلم الرسائل والرزق وغير ذلك. تقع المدينة في اسفل صخور جبارة. وفيها بيوت ذوات طبقتين او ثلاث طبقات تواجه البحر وهي قريبة من حافة المياه. وكان بيت السلطان، الذي دلونا عليه بالاشارة، مبنى مهيباً يرفرف عليه علم احر، والى جانبه مقر المندوب السامي الذي يميزه علم المملكة المتحدة الخافق فوقه.

الثلاثاء ٢ نيسان - دخلت سفيتنا الخليج (العربي) في حوالي الساعة الثانية. وعندما صعدنا الى ظهر السفينة في الصباح وجدنا السماء مليدة بالغيوم وكانت ترسل رذاذاً خفيفاً. كان الساحل الشرقي على جهة منا والساحل العربي على الجهة الاخرى وسفيتنا تسير بينهما في الصباح الباكر عندما هب نسيم بارد وصوت الامواج الرقيق يبعث الهدوء في النفس. وكان ابي لايشعر بالراحة، عموماً، في اية رحلة بحرية، غير انه في هذه الرحلة استمتع كثيراً، لان البحر كان هادئاً تماماً. وكان يرافقه الدكتور عناية علي الذي اهتم به اهتماماً كبيراً. وكان ينصح كل مساء عندما يصبح الهواء بارداً ان يتزلزلا ليعرض نفسه للهواء الرطب.

الاربعاء ٣ نيسان - وصلنا بوشهر في حوالي الساعة الثامنة من الصباح. والقت سفيتنا مراسيها بعيداً عن الساحل وامان تم تسليم البريد حتى استأنفنا السفر مرة اخرى. وبعد قليل هبت فجأة ريح قوية واضطراب البحر. واصيب كل من على السفينة تقريباً بدوار البحر. ومكث ابي في مقصورته طوال النهار.

ووصلنا الكويت في الساعة السابعة مساءً، والقت باخرتنا مراسيها هاهنا طوال الليل، ثم غادرنا في الساعة الثامنة بعد ان نزل خسون مسافراً، كلهم تقريباً من العرب. تقع الكويت على ساحل الجزيرة العربية واغلب سكانها من التجار العرب. وسلطان الكويت يتمتع باستقلال تام، وله تأثير عظيم في شعبه، وهو غني جداً وممتلك عدداً كبيراً من بساتين النخيل على ضفتي شط العرب. وفي الكويت يقيم قنصل بريطاني - هو الميجر نوكس، الاوربي الوحيد فيها.

الخميس ٤ نيسان - وصلنا الفار في الساعة الواحدة ورسونا فيها قرابة ساعتين. وسلم البريد فيها ثم استأنفنا السفر. ودخلنا من هذا المكان شط العرب. وكان الحاج ابراهيم مرشد السفن قد اخذ على عاتقه مسؤولية السفينة. مدخل النهر، الذي يسمى السد في حالة سينة بسبب الرمال التي يجرفها ولايجري تنظيفها. وبعد ان توغلنا في النهر مسافة قصيرة، اخذ بضيق تدرجياً وكانت الضفتان على بعد بتراوح بين ميتين او ثلاث مئة ياردة عن الباخرة. تغطي الضفتين بساتين النخيل التي اصفت عليها منظراً خلاباً. وكنا نرى بيوتاً صغيرة من الطين، يسكنها عربي وعائلته ممن يهتمون بالبساتين. وكنا نرى حصاناً عربياً او حصانين امام هذه البيوت ترعى مع الماشية. وكانت الحظلة تزرع بين صفوف النخيل. فالترية خصبة جداً والمياه وفيرة. كان على ظهر الباخرة قليل من اهل البصرة وعلمنا منهم ان لاشي، انفع من بستان نخيل، وتشتهر بمور البصرة في جميع انحاء العالم بجودتها. وبما انها تنمو بكميات وفيرة فانها تصدر الى اوربا وامريكا والهند. ولم يكن النخيل في هذا الوقت يحمل ثمراً. فهو يبدأ في ايار بالحمل وينضج في ايلول، فيكون منظر الاشجار بديعاً. في شهري ايلول وتشرين الاول اشد شهور السنة حرارة"، يجنى النمر ويعبا في صناديق من

الحشب، او الكياس او حصران (خفاف) لنقله بالسفن. وتغل كل شجرة مامدله ٣٠٠ ليرة<sup>(١)</sup> من التمر سنوياً يربح قدره ٨ ربيات<sup>(٢)</sup> يحصل عليها مالكيها.

وصلنا في الساعة السابعة الى المحمرة وهي بلدة صغيرة على ضفة النهر. ويصب هنا نهر الكارون احد روافد الفرات<sup>(٣)</sup>، وتسير فيه باخرتان الى الاحواز، والمدن التجارية الاخرى في ايران تمتلكها شركة بريطانية. ورسنا باخرتنا في هذا المكان طوال الليل، ثم غادرنا في الصباح عند الساعة السابعة الى البصرة التي تبعد عشرين ميلاً من هنا. ولما مرنا باخرتنا بقصر شيخ المحمرة اطلقت اطلاقاً مدفع واحدة نحية واعترافاً ببعض الخدمات التي قدمها الشيخ الى شركة B. I. S. N. قبل سنوات: فتطلق كل باخرة عائدة هذه الشركة نحية لدى مرورها بمنزل الشيخ: وشاهدنا، لدى مرورنا من المحمرة الى البصرة، بعض المباني الكبيرة ذوات طبقتين على ضفتي النهر، تخص الاثرياء الذين يسكنونها اثناء الصيف.

وصلنا البصرة في مدة ساعتين ورسونا امام المحجر الصحي. واشغل نوبة الباخرة طوال النهار بافراغ حولتها التي يكون الحشب والحظوة نسبة عالية جداً منها.

السبت ٦ نيسان - غادرنا الباخرة في حوالي الساعة الرابعة الى مخيم المحجر الصحي في زورق اعاره متلفطاً الكابتن هرست. ورافقتا الضابط الاقدم، مستر ستوكويل الى الشاطيء. ودلنا طبيب المحجر الصحي، الذي وافقتا، على مقرنا الذي يتكون من بيت لطيف وتظليل جداً فيه حجرتان على كل جانب وحجرة طعام في الوسط. يقع البيت على بعد ثلاثين ياردة من النهر، وفيه حديقة صغيرة امامه، يغلب فيها اشجار العنب.

طبيب المحجر من رومانيا اسمه فريد مان. عينته الحكومة التركية. وكان الطبيب والموظفون الآخرون في المحجر لطفاء للغاية. ووضع دكتور فريد مان زورقاً حكومياً تحت تصرفنا واخبرني اننا نستطيع الخروج بالزورق متى مانشاء، على ان لا ندخل مدينة البصرة.

سمعت كثيراً عن المشكلات والمصاعب التي يجب تحملها اثناء فترة المحجر الصحي، غير اننا، على نقيص ذلك كله، الفينا كل شيء مريحاً غاية الراحة. وبالرغم من ان الحجرات لم تكن فسيحة، فانها كانت نظيفة، وعلى النوافذ ستائر خضراء، كان البيت مؤثلاً خيراً تأثيثاً بالاسرة وستائر البعوض، والمناضد والكراسي، ومجهزاً بالسكاكين والشوكات وغير ذلك.

وقبل ان تغادر حيدر آباد اعطى حضرة السيد عبد الرحمن افندي البغدادي أبي رسالة توصية الى ابن اخيه السيد رجب افندي نقيب الاشراف الذي يسكن البصرة، ولدى وصولنا اليها، بعث ابني بالرسالة اليه. جاء في اليوم الثاني ابن نقيب الاشراف في زورقه لرؤية والدي، واخبره ان السيد النقيب خارج الى الصيد في الريف، ولكنه سيمود في المساء، وسوف يرجع لرؤية ابني في اليوم الثاني. وكان يرجو بعد انقضاء فترة المحجر الصحي في صباح الاربعاء ان نحمل ضيوفاً عليهم في البصرة حتى يحين موعد رحيلنا الى بغداد. فقبل ابني هذه الدعوة الكريمة. وخرجنا في الساعة الرابعة عصراً الى صيد البط، واصطحبنا رجل من المحجر ليدلنا على البط. ووايناً قليلاً منه ولما لم يكن لنا مكن على ضفتي النهر، لم تكن قادرين على الوصول ضمن المدى المناسب، ولذلك لم نغلا كيساً كبيراً.

الاثنين ٨ نيسان - حضر نقيب الاشراف صباحاً الى المحجر الصحي لرؤية ابني. كان يتكلم الانكليزية بطلاقة، ونحدثنا طويلاً. الاربعاء ١٠ نيسان - حزننا امتعتنا تاهباً للذهاب الى شاطيء النهر. وحضر الى مقرنا في حوالي الساعة الثامنة يوسف بك وهشام بك افندي ابن نقيب الاشراف السيد رجب افندي وابن اخيه. كان والدي يتناول افطاره في ذلك الوقت، لذلك دعوناها الى مشاركتنا. وقال هشام بك افندي لابي اثناء الحديث ان نقيب الاشراف اخبر والي البصرة عن وصولنا، ورجاه ان يبعث عربته الى وصيف المرفأ لتتغل والدي. وعندما سمع والي البصرة ان نقيب الاشراف يريد العربة من اجل امر قوات سمو النظام اوضح ان من تقاليد الامبراطورية العثمانية اذا ماوصل «سره عسكري» اي لواء عسكري الى اي موقع عسكري رافقه حرس الشرف، لذلك فانه لن يرسل عربته الخاصة حسب وانما سيامر قائد البارجة الحربية «اقليد البحر»، اي مفتاح البحر، الراسية قرب المرفأ ان يجهز حرساً للشرف. وامر والي البصرة ايضاً «امير البحر» ان يذهب في احد زوارق السفينة الى موقع المحجر الصحي ليصحب ابني في عبور النهر.

بعد الافطار، وعندما كان ابي يوسف بك وهشام بك افندي يتمشون على الشاطيء وصل امير البحر وعبد الوهاب افندي امين السر الخاص لوالي البصرة وعبد الله باشا عضو مجلس الوالي وعوزي بك والاي قومندان اي مفتش الشرطة العام، وجاءوا لمقابلتنا. قدم يوسف بك هؤلاء الموظفين الى ابي وتكلم اليهم قليلا باللغة العربية. واعجب امير البحر ببدايات جنديينا من حرس الخيالة الافريقي وببداية جمدار، غلام مرتضى من حامل الرماح الماسية.

ثم دخل ابي ومحبوب وانا في زورق امير البحر وتبعنا في زورق آخر الدكتور عناية علي خان وجنديان مع مفتش الشرطة العام وكانت البارجة التركية «اقليد البحر» راسية قرب بناية في طبقتين هي دائرة امير البحر. وجذفوا الزورق حتى صرنا امام البيت تشكل حرس شرف من حوالي عشرين بحاراً تركياً مسلحين ببنادق ماريتي - هنري، وكانوا واقفين على السدة وتقابلهم الجوقة الموسيقية العائدة للبارجة نفسها. وعندما نزل والدي، اطلق ضابط حرس الشرف أمراً يشبه «سلام دوه».

وامتثالاً لامره جعل حرس الشرف بنادقهم في وضع يشبه ماعدتنا من «سلاحك، قدم». وفش ابي حرس الشرف ثم تقدم مع نقيب الاشراف والموظفين الآخرين الى دائرة امير البحر حيث جلسنا حوالي عشر دقائق وتحدث ابي حديثاً قصيراً مع امير البحر، ثم غادرنا المكان. وصعد ابي ونقيب الاشراف ومحبوب وانا في عربة ارسلها والي البصرة، وتبعنا بقية الجماعة ورافقتنا حرس الوالي وعددهم اثنا عشر رجلاً.

تشبه سترات حرس والي البصرة سترات مدفعية سمو النظام كثيراً. ويلبسون سراويل فضفاضة متفتحة كالاكياس وطرايش تركية واحزمة عبر اكتافهم يحملون فيها عناد ماريتي - هنري.

كانوا جميعاً ضخماً، بشرتهم لطيفة ولحاهم حلقة، تبدو عليهم البسالة، غير ان جلستهم على ظهور الجياد لم تكن بالغة حد الكمال. يتمتعون جياداً عربية اصلية، عليها سروج، وركابها من حديد عريض، وسبور اللجام اشربة قطنية عريضة.

صرنا خلال مدينة البصرة الى بيت نقيب الاشراف، ومررنا في طريقنا باسواق ضيقة وازقة. كانت الطرقات موحلة بسبب المطر الذي هطل ليلة امس. هياً مضيئاً بيتاً مستقلاً لاستقبالنا، مؤثلاً على الاسلوب الاوربي. وارسل السيد النقيب كلمة يمجرينا ان «الافطار» سيقدّم في الساعة السادسة، دهشنا لدى سماعنا ذلك لان الساعة كانت الحادية عشرة آنذاك، ولكن الرجال العرب المرافقين لنا اخبرونا بالفرق العظيم بين توقيت البصرة والتوقيت الانكليزي: فحسب التوقيت الاول تكون الساعة الثانية عشرة عند غروب الشمس وعند شروقها ايضاً، وهذا تعني الساعة السادسة قبل الظهر في الحقيقة الثانية عشرة ظهراً بتوقيتنا.

وذهبت في الساعة المعينة الى مقر نقيب الاشراف. وجاء مضيفنا لاستقبال ابي وقادنا الى «الدبوان خانة» او غرفة الاستقبال،

وهي بهو فسيح، حوفاً دواوين (ارائك) وبسط نفيسة مفروشة على الأرض. وجلسنا فيها، وبعد ان وصل جميع الضيوف اصطحب نقيب الاشراف ابي الى بهو الطعام حيث مدت منضدة واسعة وعليها السكاكين والشوكات وغير ذلك مرتبة وفق ترتيبها الصحيح. ووضعت انواع مختلفة من المخللات والمربيات في صحون صغيرة على المائدة. وبعد ان اتخذنا مقاعدنا قدم لنا حساء طماطة، ثم جلب خروف كامل مشوي وعشو بالرز والكشمش واللوز وغير ذلك على طبق كبير. انها طبخة جديدة تماماً بالنسبة اليها، ولذيذة غاية اللذة، تشبه «البلاوه» افندي. وسألنا عنها فقيل لنا انها تدعى «قوزي» وهي كلمة تركية تعني «حلاً»، ثم تلا ذلك دجاج مشوي وحلويات ومعجنات حلوة ورز مثل بالكاري. استغرقت وجبة الطعام نحو ساعة، ثم استأذنا مضيفنا بالانصراف وذهبت الى مقرنا. وقال نقيب الاشراف لوالدي اثناء مغادرتنا ان من دواعي المجاملة زيارة الوالي، مادام قد ارسل له عربته وحرسه. ولما كان وقت رحيلنا قريباً، فقد اقترح ان نذهب اليه عصر اليوم نفسه، فوافق ابي، مسروراً، على ذلك.

ذهبت عند الساعة الواحدة الى لنج وشركائه لترتيب امر سفرنا الى بغداد، في الوقت الذي ذهب ابي ومحبوب بصحبة نقيب الاشراف لزيارة والي البصرة. حكى لي محبوب في مابعد ان الوالي استقبل ابي استقبالا قليلاً، وتحدثنا طويلاً وقال الوالي اثناء حديثه ان رغبة عظيمة تعمر قلبه لرؤية الهند، وانه يأمل في نهاية خدمته في البصرة، التي ستنتهي بعد حوالي خمس سنوات، ان يحقق هذه الرغبة ويوزر حيدر آباد ايضاً. وعند مغادرة والدي، اخبره الوالي انه مدعو لدى نقيب الاشراف الى العشاء حيث يأمل لقاء مرة اخرى. وكنت في ذلك الوقت قد رتب امر كل شيء بخصوص رحلتنا، ولدى عودتي رايت السوق الكبير وغيره الذي يقع على



صفة شط العرب . أغلب البيوت من طبقتين وهي مبنية من اللبن . ولا يستعمل الرخام هنا كثيراً لغلائه الفاحش، لذلك كانت البيوت تبني كلها من الطابوق واللبن . . والمطر خفيف والا لا يصيب هذه البيوت باضرار جسيمة . طرق البصرة ضيقة جداً ومهملة وليس ثمة تنظيم في انارة الشوارع . يتكون السوق الكبير من طريق طويل ضيق يغطيه سقف وعلى جانبيه صفوف من الخوانيت . تشبه محطة السكة الحديد من بعيد . السوق مغطى بسقف لتيسير التسوق اثناء اشهر الصيف عندما تكون الحرارة لا تنطق . وكل اصحاب الخوانيت تقريباً من العرب فيها خلا قلة من حوانيت الفاكهة والمخابز التي تعود لليهود . ولا يوجد في البصرة ، فضلاً عن هذه الخوانيت الصغيرة في السوق ، مخازن او حوانيت كبيرة . ويتم كثير من النقل بالزوارق بسبب وقوع المدينة على ضفة النهر . ويمكن استئجار العربات ايضاً غير انها ليست في حالة جيدة نتيجة لسوء حالة الطرق . ولا يوجد في البصرة ، على ما اعلم ، اي ناد او هيو للبلدية تعقد فيها اجتماعات لاهل البصرة . للاوربيين ، طبعاً ، ناديم . ويوجد عدد من المقاهي (قهوة خانة) التي تؤمها العامة من الناس . وتكثر البساتين حول البصرة ويقولون انه يمكن الحصول على كل انواع الفاكهة من شهر حزيران لمدة اربعة شهور ، حيث يسود الجو الحار ، الذي لا يطاق فيلجأ الاثرياء ، عموماً الى منازلهم الصيفية التي تقع على ضفة النهر وتحيط بها البساتين ، او انهم يملكون بحجرات تحت الارض تدعى السرايب ، بنيت خصيصاً للاستعمال في اشهر الصيف . كانت اغلب الخوانيت قد اغلقت عند عودتي في الساعة الرابعة ، ولما استفسرت عن ذلك عرفت ان الناس اعتادوا ان يغلقوا حوانيتهم مبكرين .

ارسل نقيب الاشراف في المساء كلمة يقول فيها ان العشاء سيقدّم في الساعة الثانية عشرة وهذا يعني حوالي الساعة السادسة والنصف زوالية ، وانه سوف يبعث خيراً بوصول الوالي . كان ابي جالساً في حجرته لكتابة رسائل ، وكان في نيته ان يذهب الى حجرة الاستقبال في مابعد لدى سماعه بوصول الوالي . وكان جامدار محمود من حرس الحياالة الاثري في واقفاً قرب والذي عندما دخل احد خدم السيد النقيب وطلب اليه ان يخبر سيده ان الوالي قد وصل . والنسب الامر على جامدار محمود فاحطاً في فهم كلمة والي وظنها «مالي» اي بستاني ، فرأى ان من غير الحكمة ازعاج سيده وهو في عمله بخبر وصول شخص لا أهمية له . فوقف دقائق معدودات يفكر محاولاً معرفة الامر ثم عاد خادماً النقيب الذي كان ينتظر متلهفاً ، وذكره مرة اخرى برسالته . ولما سمع ابي كلام خادماً السيد النقيب ، رفع نظره وسأل مالا امر؟ فتقدم جامدار محمود بكل احترام وقال :

«اخبرني هذا الرجل بوصول المالي ولا ادري لماذا جاء؟ لذلك لم اشأ ازعاجك .» فلما سمع ابي ذلك ادرك الخطأ الذي وقع فيه محمود واسرع الى حجرة الاستقبال حيث قابل الوالي والسيد النقيب .

كان العشاء يشبه الوجبة السابقة في الغذاء . عاد الجميع بعد العشاء الى حجرة الجلوس حيث قدمت القهوة . وحين بعد قليل موعد الصلاة ، قدمت السجاجيد في الحجرة نفسها وادى الصلاة جميع من كان حاضراً ، وبعدها قدمت القهوة والسيكاير مرة اخرى . وقبل ان تغادر قال الوالي لابي انه سمع من النقيب ان ابي سيذهب الى الزبير في اليوم التالي وانه ايضاً سيذهب لرؤية الاماكن التي تربي فيها الخيل . وبما ان الزبير تبعد حوالي عشرين ميلاً عن البصرة وان الطريق يمر بجداول وارض صحراوية ، فمن المنسحب ان يصحبه حرس وانه سيكتب الى «السر عسكره» طاهر باشا ليرسل الحرس لوالدي . وعندما انفض جميع الضيوف ، ودعنا نحن ايضاً السيد النقيب وثمانين له ليلة سعيدة ، وقال لنا انا سنبدأ غداً صباحاً سفرنا الى الزبير قبل الشروق .

عدنا الى حجرتنا في حوالي الساعة التاسعة مساءً . وتحدثنا طويلاً عن الخيول العربية . اراد ابي الذهاب الى الاماكن التي تربي فيها الخيول العربية بكثرة ومنها تصدر لالاي يومي وحدها بل اماكن عديدة اخرى ، وكان راغباً في المكوث لدى القبائل التي تمتلك اكبر عدد من الافراس ، مثل نجد ، وفي رؤية الخيول العربية في موطنها الاصلي من اجل الاطلاع عن كتب على طرائق تولدها وتربيتها . وكان السبب الرئيس الذي دعا والدي الى اصطحابي واصطححاب محبوب هو ان نحصل على معلومات كاملة عن الحصان العربي . واخبرني قبل ان تبدأ سفرتنا ان أخذ محاضرتي عن الحصان العربي لكي تذاكرها اثناء رحلتنا وتكون متاهين للدرس الذي سنتلقاه في مابعد . وسوف اشير الى ذلك الدرس الذي تلقيناه في نهاية هذه الرحلة .

نهضنا انا ومحبوب مبكرين في صباح اليوم التالي. وبعد ان لبسنا ذهبنا الى حجرة والدي ووجدناه متأهبا. وارسل نقيب الاشراف بعد قليل كلمة يقول انه متاهب لبدة السفرة.

سرنا نحو ميل يصحبنا حرس والي البصرة وتوقفت عرباتنا قرب ضفة نهر حيث كانت زوارق بانتظارنا. تركنا عرباتنا وصعدنا في الزوارق التي سيرها بعض الرجال بالتجديف اذ لم تكن الريح كافية لرفع الاشرفة. وظن ابي ان الحرس سيعودون من هنا ولكنه دهش عندما رأى الحرس يدخلون الماء بخيولهم ويصاحبون الزورق. وعندما سأل: هل يتبع هؤلاء الرجال الزورق طول الطريق، اوضح له نقيب الاشراف: بما ان الوالي امرهم ان يجرسوه حتى الزبير، فانهم سيظلون يتبعوننا مادام الماء ضحلا والنهر عريضا، وعندما يضيق النهر فانهم سيسيرون على اليابسة. كان هذا الطريق قبل سنوات يعتبر خطرا لوجود قطاع الطرق ولكنه اصبح الآن اكثر امانا، ولكن يفضل ان لا يخرج المسافرين دون حراسة. ودخل الزورق بعد فترة جدولا ضيقا جدا، فبدل الحرس موضعهم: اذ تقدمونا مشي وساروا امامنا على خيولهم بمسافة تقرب من ٣٠٠ ياردة. يبدو انهم قد اتخذوا نظام الكشافة تربية لهم، وساروا بهذه الطريقة في الصحراء لكي يستطيعوا التطلع الى كل جهة. وبعد ان امضينا قرابة اربع ساعات صرنا نرى على يميننا ضريع طلحة وامامنا ضريع الزبير. وقص لنا ابي بناء على طلب محبوب حكاية مقتلها في واقعة الجمل... وراينا على مسافة قصيرة من هذين الضريعين مائة صغيرة...

وبعد ان قطعنا مسافة قصيرة، خرجنا من زوارقنا وركبنا الى الزبير القريبة جدا. استقبلنا شيخ الزبير، خالد باشا، ودعانا الى بيته، ومنه ذهبنا الى ضريع الزبير وقرانا الفاتحة، ثم زرنا ضريع الحسن البصري ومحمد بن سيرين، في الوقت نفسه، وهو مجاور له. عاش هذان الوليان في ايام حكم اخليفة هارون الرشيد. واشتهر محمد بن سيرين بتفسير الاحلام. ويقال ان زبيدة خاتون<sup>(١)</sup> زوجة هارون الرشيد رأت حلما غريبا ذات ليلة فارسلت في صباح اليوم التالي احدى وصيفاتها الى محمد بن سيرين تقول له انها (اي الجارية) نفسها قد رأت ذلك الحلم. فلما استمع اليها محمد بن سيرين قال لها ان الحلم ليس لها، بل لاحدى الشخصيات من ذوات المقام الرفيع. وعندما بلغت الجارية رسالتها الى سيدتها امرتها ان تعود اليه وتقول ان زبيدة خاتون هي التي رأت الحلم في المنام، فقال محمد بن سيرين ان زبيدة خاتون ستقوم في وقت قريب بعمل جليل وكريم ويعم نفعه على بني الانسان والحيوان على حد سواء. وبعد وقت قصير شقت زبيدة خاتون قناة من سوريا الى الكعبة<sup>(٢)</sup>، وما زالت الى يومنا هذا تزود المسافرين والحيوانات بالماء، وهي المصدر الوحيد للماء في تلك الصحراء الخالية من الماء.

ثم ذهبنا لرؤية خيول خالد باشا. ولما وصلنا الى هناك وجدنا ان خالد باشا لا يستولد الخيل النجدية بل يحصل عليها قريب له يعيش في نجد. كان نحو اربعين حصانا مربوطة بحبال في اسطبل يتكون من مبنى مربع يحيط به جدار من طين. وبما ان اغلب هذه الحيوانات قد وصلت اليه من نجد منذ وقت قريب ولم تستعد قوتها تماما، فانها كانت مرهقة من طول الرحيل ولم تكن في حال طيبة. نفحصها ابي جيما وبين اهم مزاياها. كان بينها بعض الخيل العراقية ايضا، لذا استطعنا ان نقارن بين الفتيين. وعندما اوشكنا ان نغادر دعا نقيب الاشراف خالد باشا الى ضيعته الريفية التي كنا ذاهبين اليها. فراقفنا بعربة الخاصة يتبعه عشرون عربيا ممتلئين صهوات الجياد التي رايناها توأ وبالرغم من حداثة وصولها فانها كانت حسة التدريب وتطيع فرسانها تماما. انه لمنظر رائع ان ترى العرب ممتلئين خيولا نجدية ويسيرون خيما امامنا. وكان العرب يشدون معا في فترات قصيرة اناشيد حريم التي تتغنى ببطولات اجدادهم. سرنا على هذا المنوال ساعة ثم وصلنا ضيعة نقيب الاشراف التي تدعى الرضيعة. وفيها نصبوا لنا خياما. ونفقندا، قبل كل شيء، خيول نقيب الاشراف. وكان عددها حوالي اربعين، ولد اكثرها في هذا المكان. ونفقندا ايضا بعض فحول الخيل التي افردت عن الاناث. ولم تكن هذه الخيول نجدية صرفا، بل تحري فيها دماء عراقية.

ذهبنا الى الخيام المخصصة لنا، وبعد ان غسلنا جثنا الى خيمة الغذاء. ارتحنا بعد الطعام حتى الساعة الرابعة، ثم خرج ابي ومحبوب وانا معهما يصحبنا ابن نقيب الاشراف الاصغر حميد بك، راكبين خيولا في السهل الفسيح الذي يمتد حولنا. وكنا قد جلبنا معنا عصي البولو وكراتها [اي الكرة والصولجان]، واوتاد خيام ورماح، واجرينا سباق رفع الاوتاد امام مخيمنا، ثم قمنا انا ومحبوب

وغلام مرتضى بلعبة البولو على خيول النقيب. وعندما كنا نتسابق برفع الاوتاد تجمع جمهور من المشاهدين لرؤية شيء جديد تماماً بالنسبة اليهم ولا يعرفونه. ولاريب انها المرة الاولى التي تجري فيها لعبة البولو في الجزيرة العربية.

وجلبت في صباح اليوم التالي نياق الى المخيم وحلبت امامنا. حلبت انا ومحجوب هذه النياق ايضاً. عملية الحلب سهلة جداً اذا مافورنت بالقر أو الجاموس. شربنا جميعاً شيئاً من الحليب الذي كان طيباً جداً. وقال لنا نقيب الاشراف ان هذه النياق مخصصة للحلب ويجري اطعامها وفقاً لذلك. وأشار الى ناقة قال انها فقدت وليدها بعد ولادته مباشرة، فاولعت بصبي عربي، ابن راعيها، واعتبرته صغيرها. وبالرغم من مرور ثلاثة اشهر على فقدانها صغيرها، فانها ماتزال متعلقة بالصبي العربي، وتتبعه اينما سار. واذا ما تظاهر احد من الناس باذية الولد فانها تظهر غضبها وتركض وراء مؤذيه. ولاتندر الحليب في الصباح والمساء مالم يحضر الولد ولمس ضرعها أولاً. انه لمن المتع حقاً ان ترى ناقة تحب صبياً عربياً كأنه وليدها.

وبعد ذلك غادرنا الربضة ووصلنا البصرة في حوالي الساعة الثانية عشرة. وبعد اداء صلاة الجمعة، ذهب ابي لرؤية الفريق طاهر باشا.

السبت ١٥ نيسان - غادرنا البصرة في حوالي الساعة الثانية عشرة ظهرأ على الباخرة النهرية «مجددة». وتوقفنا في اليوم التالي ساعتين في العمارة حيث نزل قليل من ركاب الدرجة الثالثة. يبدو ان هذه المدينة واسعة جداً وفيها بيوت ذات طبقتين تواجه النهر.

الثلاثاء ١٨ نيسان - وصلنا الكوت هذا الصباح. وقد تغيرت المناظر تماماً ماهانا على ضفتي النهر. كنا نستطيع رؤية خيام سود على مقربة تعود للبدو - حوالي عشرين او خمس وعشرين خيمة مجتمعات - وكانت خيول ترعى العشب حول هذه الخيام.

وكان رجلان يرقبان كل قطع من اربعين او خمسين فرساً. كانت الخيول طليقة تماماً، وكان على ظهر كل واحد منها غطاء انتفاه للبرد والذباب. وعلمنا من العرب الذين في الباخرة ان هذه الخيل جميعاً اناث، وقد ربطت الفحول بعيداً عنها. وكنا نرى كل اربعة او خمسة اميال خيام يبدو سود مع خيولهم. وعندما رأينا قطعان هذه الخيول ترعى العشب، تلهفتنا لمغادرة الباخرة والذهاب لرؤيتها، ولكن لم يكن في طوقنا ايقاف الباخرة. وكانت التواظير الميدانية في ايدينا دوماً. وكانت المشاهد على ضفتي النهر اروع ما يمكن منذ ان غادرنا البصرة، ولكن اكثر ما امتعنا هي قطعان الخيول العربية التي كنا نراها كل مسافة اميال قليلة.

الخميس ٢٠ نيسان - مررنا هذا الصباح بسلامان باك. كان يعرف هذا المكان قديماً بالمداثن. وقد كانت مدينة واسعة جداً فيها مقر للحكم، ولم يبق منها الآن سوى جدران قليلة مهدمة. قريب الى هذه الخرائب مرقد سلمان. وقد كانت هذه المدينة قبل قرابة ١٣٠٠ عام واحدة من اكثر مدن البلاد العربية كثافة بالسكان. واشتهرت المداثن في جميع انحاء البلاد العربية بحكمتائها وشعرائها ومؤلفيها ومركزها العلمي. اما اليوم فلا يرى فيها الا قليل من الاكواخ الطينية وبعض القطعان من الاغنام، بينما ذهل الرحالة قبل ثلاث مئة عام بثرأ هذه المدينة الرائعة وجماها وابنتها وفخامتها ومجدها.

وصلت الباخرة بغداد في حوالي الساعة الثانية بعد الظهر. كان على ضفتي النهر بيوت من طبقتين ملحقة بها حدائق صغيرة حسنة العناية جميلة الترتيب، فيها مختلف انواع الزهور واشجار الفاكهة، وكان الناس جالسين في شرفات بيوتهم يستمتعون بالمنظر الذي امامهم.

مررنا بعد فترة وجيزة بمختلف القنصليات الاوربية وعرفنا المباني التي تخص ائمة مختلفة من اعلامها. رست باخرتنا امام دار الكمرك. وجاء لاستقبال والدي السيد داود افندي (ابن المرحوم نقيب الاشراف السابق) والسيد محيي الدين (ابن نقيب الاشراف الحالي) والسيد محمود افندي، واصطحبونا الى دار نقيب الاشراف. وكنا قد سمعنا ان موظفي الكمرك يسبون كثيراً من المشكلات للمسافرين بفتح جميع حقائبهم وفحص محتوياتها بدقة. وكنا نحمل معنا بعض السبندات والبنادق وتوقعنا ان تواجه شيئاً من المزعجات، ولكن لم يتعرض احد لامتعتنا. وبعد ان قابلنا السيد النقيب ذهبنا الى مرقد «الغوث الاعظم»، وقراءنا فالفاتحة، ركنا الى الدار الذي وضعه نقيب الاشراف تحت تصرفنا. وكان من طبقتين يحيط به بستان كبيرة. ودھشنا لما دخلنا حجرة الاستقبال لما وجدناها مؤثثة حسب الطريقة الاوربية ويتجلى فيها الذوق والترتيب. كانت الارائك والكراسي مغطاة بحرير من طراز لطيف جداً، وينسجم لونها مع لون الستائر. وكانت طنائس نفيسة مفروشة على الأرض، وزينت الجدران بالرسو الملونة.

وكانت الى جوار حجرة الاستقبال حجرة نوم والذي التي كانت تحتوي على كل وسائل الراحة والى جوارها حجرة الطعام حيث وضعت متصلة لاربعة اشخاص عليها ملاءة بيضاء ومناديل مائدة - كان كل شيء في الحقيقة كاملاً.

نزل ابي في صباح اليوم التالي تمشى في البستان الجميلة. فيها مختلف انواع اشجار الفاكهة، ولكنها لم تكن تعمل ثمرأ، اذ ان الموسم هنا يبدأ في شهر تموز. وتحتوي البستان ايضاً على انواع مختلفة من الزهور. وكانت اشجار البرتقال مزهرة امتزج عطرها الفواح بشذا الورود. تنمو اشجار البرتقال الى ارتفاع عظيم في هذه البلاد، ويكاد يبلغ ثلاثة اضعاف ارتفاعها في حيدر آباد. وعندما دخلنا ذلك الجزء من البستان حيث زرعت شجيرات الورد، ذهلت بحسنا فوقتنا طويلاً بلا حراك نتمل المنظر الأخاذ امامنا. انحنت اغلب الفصوص حتى كادت تنكسر تحت ثقل الورد التي لا تحصى، كانت متفتحة بلون الدم. قال لنا ابي ان يأخذ كل واحد شجيرة ويحصى الورد المتفتحة فيها. حسب ستين وردة وابي ستاً وخمسين ومحبوب خمسين. ان الامر في الحقيقة يتطلب مراجعة القاموس دوماً بحثاً عن نعوت مناسبة لوصف حسن هذا المكان من شجيرات الورد حيث بدا جزء كبير من تحت الاشجار احمر اللون من ورق الورد الساقط من الزهور. واتي لن اتولى هذه المهمة التي انا موقن اني لن افياها حقها اذ انها تتطلب قلباً متسكناً في الوصف نابضاً بالحياة ابرع من قلبي التواضع هذا الذي ليس الا مبتدئاً في فن الادب. اينما توجهت في البستان وجدت دلائل هبات الطبيعة السخية وكان كل شيء يتعلق بها مكنملاً، ولكن كتب من الناحية الاخرى الاهمال وعدم الاهتمام بحروف كبيرة. وبدت الطبيعة محرومة من يد البستاني الماهر التي تقدم لها العون. وكانت الاشجار كثيفة والارض بينها مليئة بالأدغال - ولقد تحدثت، في الحقيقة، الف شيء صغير آخر عن الاهمال والحاجة الى العمل. الارض خصبة للغاية والمياه وفيرة. وان موقن ان مجال التطوير في هذه البستان فسيح، لو وجد الاهتمام بمجموعة الطبيعة.

ذهبتا في الساعة الثانية عشرة الى المسجد المجاور لمرقدة والغوث الاعظم. وتوجد فسحة صغيرة على جهة من المسجد محاطة بتبرشة، يجلس فيها نقيب الاشراف ووالي بغداد والسر عسكر (اي القائد الاعلى للجيش) عند صلاة الجمعة. واخذنا السيد النقيب الى ذلك المكان. وبعد الصلاة قرأنا الفاتحة في المرقدة ثم تمشينا الى دار السيد النقيب الذي يقابل المرقدة، وكان والي والقائد الاعلى يؤدي مع جميع الموظفين وشخصيات بغداد صلاتهم في هذا المسجد في ايام الجمع ثم يذهبون بعد ذلك الى منزل نقيب الاشراف ويمكثون قليلاً.

يطلق اسم نقيب الاشراف على الشيخ الاكبر القائم بامور مرقدة حضرة والغوث الاعظم وله نفوذ كبير في بغداد ويمثل مركزاً مهماً في ادارة البلاد. وقد عين نائب رئيس مجلس بغداد، والرئيس هو والي. وثمة ثلاثة اعضاء آخرين، وبهذا تدير اللجنة المكونة من هؤلاء جميع شؤون ولاية بغداد، وتعتقد ثلاثة اجتماعات في الاسبوع.

وذكر ابي في بغداد للوالي والموظفين الآخرين رغبته في رؤية خيول من سلالات نبيلة مختلفة. فقالوا له ان كاظم باشا معروف بامتلاكه افضل الخيول في بغداد، ولكنه لسوء الحظ مسافر الآن. وتعهد والي وشخصيات أخرى ان يرسلوا خيولهم اليه لمعاينتها، وطلبنا ايضاً ان يجلب بانمو الخيل مايرغبون في بيعه من الخيل. وصرنا من اليوم التالي نرى جوعاً من الخيل امام بيتنا، بعضها تخص شخصيات مختلفة وبعضها تعود للبايعين انفسهم. اشترى والذي ثلاثة افراس لكي نستطيع الخروج راكبين عليها. وعندما رأى البائعون ان ابي كان يريد ان يشتري خيلاً، بدأوا يتقاطرون علينا زرافات، واهبتنا فرصة رائعة في رؤية خيول عربية وعراقية، وبين لنا ابي المحاسن والمساوي في الخيل بشكل واضح. وصرنا نر كل يوم، طوال اسبوعين، عدداً كبيراً من الخيل، ولكننا لم نر، باستثناء فرس واحدة، اي حصان لا يضاهيه حصان في اصطبلات صاحب السمو. الفرس التي معنا اليها أتفا تعود الى داود بك بن محمد باشا، القائد العام. واعجب ابي بها كثيراً كان ارتفاعها ١٥ قبضة<sup>١</sup> واصيلة، مليحة جداً، ذات رقبة جبلة وترفع ذيلها بشكل ممتاز عند عدوها. وبذل والذي قصارى جهده لكي يشتري هذه الفرس، غير ان داود باشا لم يبيعها.

فكر ابي بعد ذلك بالذهاب الى الاماكن التي تربي فيها الخيول العربية. وعلمنا بعد استفسارنا ان اعداداً كبيرة من الخيول تربي في الموصل وما بين النهرين<sup>٢</sup>. يقتضي الوصول الى هذه الاماكن سفراً يستغرق عشرة ايام. فتحم علينا ترك الفكرة وفكرنا بالذهاب الى اماكن قريبة كالمحمودية والمسيب والحلة، الخ... ولما علم مضيفونا واصدقائنا اننا ذاهبون الى داخل الجزيرة

العربية، جاءوا الى ابي واخبروه انه بسبب فيضان نهري الفرات ودجلة فان الريف قد غمرته المياه، وان الرحلة التي ازمع القيام بها ستسبب له كثيراً من المضايقات. غير ان ابي قال انه جاء الى البلاد العربية مصادفة وان لم يذهب الى داخل البلاد الآن فلعله لن يكون قادراً على رؤيتها ابداً.

اهل مدينة البصرة وبغداد وكربلاء والتجف الاشرف والكوفة والحلة والسبب والمحمودية الذين شاهدناهم في سفرائنا، يلبسون ثياباً تتكون من سترة طويلة تصل الكاحلين وحزام حول الخصر - وفوق ذلك معطف فضفاض يدعى العباءة. اما لباس الرأس فيتكون من قطعة قماش مربعة، صنعت خصيصاً لهذا الغرض، تطوى في شكل مثلث فتعبر بالزبون<sup>(١)</sup>، وتغطي الرأس وتتحدر على الظهر وتغطي الاذنين ايضاً. وتثبت في مكانها بحبل سمكه نصف عقدة من وبر الجمال، ويضغط على الزبون (كذا) في دائرتين ويسمى العقال. اما لباس الترك الذين رأيناهم فيتكون من ملابس انكليزية اعتيادية مع الفيز<sup>(٢)</sup> على الرأس. اما عليها الذين والمتعلمون فيلبون قطعة قماش حول الطربوش.

تتألف البيوت عموماً من طبقتين، وتؤثت الغرف بارائك (نحوت) تصف قريباً من الجدران الاربعه، ويغطي الارض بساط نفيس، وليس من المعتاد في هذه الاماكن ان يجلسوا على الارض. الفئة المرفهة من العرب والأتراك يتناولون الطعام على منضدة ولا تقدم صحن الاكل واحداً بعد آخر بل ترتب على المائدة قبل بدء الاكل. ويستعمل الأتراك سكانين وشركات. اما اهل العراق فلا يستعملونها. والقهوة منتشرة الاستعمال بشكل واسع.

السبت ٤ أيار - في الساعة السابعة صباحاً، انطلقنا من بغداد. وارسل الألاي قومندان، ابي مفتش الشرطة، شرطين خرمستاناً قاتلاً ان الطرقات غير آمنة تماماً ومن المستحسن ان يكونا معنا. ركبنا من بيوتنا عربات حتى جسر بغداد الذي يربط ضواحي بغداد القديمة بالجديدة الواقعة على ضفتي نهر دجلة. ولما كان الجسر مكوناً من زوارق فلم يكن من الامان عبوره في عربة. وقد كانت خيلنا حاضرة هنا، فتركنا العربية وعبرنا راكبين الخيل. كان في الواح الجسر صدوع واسعة مما تعرض الخيل للخطر بوفع حينفرها فيها، غير اننا عبرنا بحذر شديد. وبعد ان اخترقنا بغداد القديمة، وصلنا الى منبسط من الماء (نتيجة الفيضان) فتركنا خيلنا وعبرنا في قوارب مدورة تشبه السلة تماماً تسمى علياً ولققة ثم مشينا مسافة تقارب الميل ووصلنا الى منبسط آخر من الماء عبرناه بالزوارق ووصلنا الى محلة الريد حيث وجب علينا ان نسافر في عربات الريد التي تشبه الحافلة الكبيرة وفيها عرش اصناعي قوي واذرع عريضة شددت بها اربعة خيول جنباً الى جنب بعدتها. دهش ابي بفكرة اربعة دواب نجر بهذه الطريقة وقال انه سيتخذ هذه الوسيلة في عربات نقل امتعة صاحب السمو لدى عودته الى الوطن. وعندما قطعنا مسافة قصيرة في هذه العربات، اعترض صريرنا وادعريض<sup>(٣)</sup> اقيم عليه قنطرة عرضها اربع اقدام تقريباً لعبور العربات. وصل الماء في الجدول بسبب فيضان نهر دجلة الى مستوى القنطرة التي كانت في حالة سيئة، ولما قطعت عربتنا نصف المسافة تقريباً انزلت العجلة اليمنى وغاصت في الجدول وبقيت العجلة اليسرى على القنطرة. وانزل بقلاص في الماء وبقي واحد على المنحدر والرابع في الطريق. وخشينا ان تنقلب العربة ولكنها خسن الحظ لم تنقلب وبقيت في توازن قلق ودهشة للسبب الذي منعها من الانقلاب. خف البنا بعض الناس الواقفين على اجانب الآخر وحملونا على اكتافهم ثم اخرجت البغال وسحبت العربة بصعوبة بالغة، ثم استأنفنا السفر، وكان علينا ان نعبر جدولاً بين كل ميلين او ثلاثة اميال، وكان بعضها جافاً، بينما كانت الاخرى تحتوي ماءً.

المسافة بين بغداد وكربلاء قرابة ستين ميلاً، وفيها اربع مراحل حيث تستبدل البغال. وصلنا كربلاء في الساعة العاشرة مساء بعد رحلة مضنية، وكان نقيب اشراف بغداد قد هيا لنا بيتاً مكثنا فيه. وفي صباح اليوم التالي ذهبنا الى الدورخانه ابي المرقد وصلينا هناك.

مرقد الامام الحسين عفاط ببناء منيف فسيح مربع الشكل، في كل جهة منه باب عملاق قوي جداً. وحول الساحة بيوت جليلة من طبقتين يسكنها علماء الدين والطلبة. ضريح الامام ومنازله الاربع المذهبية في وسط الفناء المربع، وحول الفيز سباح مربع من الفضة المشبكة.

وبعد ذلك ذهبنا الى مرقد حضرة العباس القريب وهو اصغر من الاول في بانه . وبعد ان قرأنا الفاتحة فيه عدنا الى بيتنا في الساعة التاسعة . وفي المساء ركبنا الى الموضع الذي كان فيه نعيم الامام الحسين اثناء المعركة ، ثم ذهبنا الى مرقد حضرة الحر . وفي صباح اليوم التالي غادرنا بعربات البريد الى النجف الاشرف وهي تبعد خمسين ميلاً من كربلاء . كان الطريق في الصحراء جيداً جداً نوعاً ما . وتوجد «خانات» في كل اثني عشر ميلاً لراحة المسافرين . وكانت المياه في كل هذه المناض بسبب الفيضان في الاسبوع الماضي . وبالرغم من انه جف الآن الا ان الطريق مازال رخواً جداً وتفوص عجالات العربات عميقاً في الاوحال ولذلك فقد كانت البغال تسير ببطء ومشقة . كانت الحرارة اثناء النهار شديدة جداً ، ولحسن الحظ كان النسيم لطيفاً فلم نشعر بآثر الحرارة كثيراً . وصلنا النجف الاشرف في الساعة العاشرة مساءً وتزلنا في الدار الذي هياه لنا نقيب اشرف بغداد . ذهبنا في اليوم التالي الى مرقد حضرة علي المرتضى الذي يشبه المرقدين في كربلاء من حيث بناؤه . وفي الضريح ثلاثة قبور لـ : علي المرتضى وأدم ونوح . وبعد قراءة الفاتحة ثشينا في المدينة قليلاً ثم عدنا الى بيتنا . وابدنا الذهاب الى مدينة الكوفة ولكننا لم نستطع لان الطريق اليها غمرتها مياه الفيضان .

وزارنا عصرأ قائم مقام او طالقدار النجف الاشرف مصطفى باشا . وسمعنا منه ان النهر قد فاض مرة اخرى في ليلة امس ، وغرق معظم الطرق كما حصل قبل اسبوعين ، وهذا السبب فان عربات البريد ، التي كان مفروضاً ان تصل في الصباح ، تأخرت هذا السبب وسوف تتعطل وسائط النقل اياماً قلائل . وعندما سمع والذي ذلك قال انه لايتوي البقاء اكثر من هذا بعد ان ادى الزيارة الى اضرة الائمة ، واذا كان من الممكن اجراء ترتيبات لنهاية عربتين ، فانه يود الرحيل في المساء . وكما قيل لنا في بغداد اننا لانستطيع وصول غايتنا بسبب الفيضان ، فاننا وصلنا النجف الاشرف بطريقة او اخرى . وقال مصطفى باشا ان من الممكن جداً تدبير امر العربات ، غير اننا ستواجه مصاعب كبيرة في الطريق بسبب الامطار الغزيرة التي ستجعل العربات عرضة ان تفوص عجالاتها في الطين ، ولكن اب كان قد عقد العزم . فارسل مصطفى باشا العربات وغادرنا النجف الاشرف في الساعة الثالثة عصرأ . سرنا طوال الليل ووصلنا كربلاء في صباح اليوم التالي ، ثم غادرناها في التاسعة زوالية الى المسيب . وبقينا تسير في طرق جيدة حتى الساعة الثانية صباحاً . عندما وصلنا الى بقعة طفى عليها ماء الفيضان بشكل غزير مما صعب على البغال ان تسحب العربة في هذا الجزء المغمور بالماء بالرغم من المحاولات الممكنة في مساعدتها . لذلك فككنا عدتها واخذناها الى مرتفع من الارض . وباءت جميع جهودنا بالفشل في سحب العربة في هذه الارض المغمورة بالماء من الساعة الثانية حتى الرابعة . وقررنا في الساعة الرابعة ، مادام الامر مستحيلاً علينا ان نخرج العربات ، ان افضل مايقوم به هو ارسال رجل الى المسيب التي تبعد مسافة اربعة اميال لكي يجلب لنا بعض الخمالين لنقل امتعتنا اليها . وعلى هذا فقد ارسلنا صوبه داراً " عبد القادر (من فوج ميسارام) واسماعيل افندي في هذه المهمة .

وصل الصوبه دار قبل شروق الشمس مع بعض الموظفين والخمالين ونقلنا الخمالون على ظهورهم الى ارض يابسة وتركنا العربات في محلها ، وتوجهنا الى المسيب على خيل وبغال . وقررنا ان نتجه جنوباً الى الحلة وبابل ، فقد كنا نرغب في رؤية الآثار المهمة لمدينة بابل القديمة . وقد سمعنا ايضاً ان العشائر العربية التي تمتلك اعداد كبيرة من الخيل تسكن في تلك المنطقة . توجهنا الى الحلة التي تبعد ٢٤ ميلاً من المسيب في الساعة التاسعة صباحاً في زورق شراعي ، وبما اننا كنا تسير مع التيار فان تقدم الزورق كان حسناً . في الساعة الثالثة عصرأ وصل زورقنا قرية تقع على ضفة النهر . لاحظنا سحاً سوداً في السماء باتجاه الغرب ، وشاهدنا ايضاً عاصفة ترابية تتقدم نحونا ، ولم نر شيئاً على مد البصر غير الغبار .

قال ريان الزورق الشراعي الذي يسمى صاحب السفينة ان عاصفة ترابية ستمر علينا فحول الزورق الى الشاطئ بسرعة عظيمة . وماكدنا نتجى الى مقهى قريب حتى اجتاحت العاصفة ، التي تباها صاحب السفينة ، المكان وظلت محدمة شيئاً من الوقت . واطلمت الدنيا ولم نستطع رؤية شيء غير الغبار في كل مكان .

كانت الريح تهب بقوة شديدة بحيث بدت اشجار التوت التي امامنا كأنها مستقلع من جذورها . وماكدت العاصفة تهدأ

قليلًا، حتى اندرعد بعيد باقتراب المطر الذي انهمر مدرارًا فابتلت الاشياء التي تركناها في السفينة. ولحسن حظنا فإن العاصفة، بالرغم من عنفها، كانت قصيرة وانجلت سريعًا، ومع ذلك لم يوافق صاحب السفينة على المسير اذ انه كان يخشى غرق السفينة. على انه بعد مساع كثيرة في اقتناعه، استأنف الرحلة دومًا رغبة منه. وكانت الريح مواتية، فرفعت الاشعة ونقدمنا مسافة قصيرة بسرعة عظيمة، ولكن الريح غيرت اتجاهها فجأة وبدلاً من ان تسير السفينة في وسط النهر اتجهت نحو الشاطئ. وحاول العرب انزال الاشعة وهم يتحدثون كثيراً ويصيحون، صاخبين، قبل ان يتجسروا في مساعهم ارتطمت السفينة بقوة بالشاطئ. ونحن الحظ لم تكن على ضفة النهر صخور، بل طين وتراب انهمرا في السفينة. ومرت الازمة دومًا ضرر خطير، وفرح صاحب السفينة وهتف قائلاً بالعربية: مسنا الضر ومرو ولم يترك فينا اثراً. ثم صار النواخذة يسحبون السفينة بالحبال ويدفعونها بالمرادي في الوقت نفسه.

وصلنا بابل في حوالي الساعة التاسعة مساءً. والحلة على بعد اربعة اميال من بابل وكان عملاً داراً<sup>(١)</sup> المسبب قد خاب من اجل تأمين راحتنا - وامضنا الليلة في راحة تامة في بيت احد اصحاب الاراضي اسمه ملا ابراهيم. ووزنا في صباح اليوم التالي آثار بابل التي انشأت في سنة ٢٢٣٢ ق. م عاصمة لارض شنعار. وبلغت اوج مجدها اثناء حكم نبوبولاصر وابنه نبوخذنصر، وكما يقول هيرودوتس<sup>(٢)</sup> انها كانت مربعة الشكل طول كل ضلع منها اربعة عشر ميلاً. ويجري الفرات من وسط المدينة، وعلى ضفتيها مرافئ. وكانت المدينة محاطة بسورين، وعلى الضفتين تحصينات ثانوية. وقد جرت في السنوات الاخيرة الماضية تنقيبات وكشف عن بعض القصور والبيوت الخربة، وعن تماثيل ونقود قديمة، نقل اغلبها الى متحف اسطنبول وإلى بعض المتاحف الاوربية الكبيرة، ولكن بعض التماثيل الكبيرة مايزال يرى بين الآثار واشهرها تمثال اسد تحته انسان، ويظن ان ذلك يمثل قوة نبوخذنصر. اخذنا قليلاً من الطابوق من هذا المكان للذكرى، وعليها كتابة غربية، لعلها اسم الملك نبوخذنصر، فيقال ان كل طابوقة مكتوبة تحمل اسمه.

تركنا بابل في الساعة التاسعة صباحاً في عربات البريد ووصلنا المحمودية في حوالي الثانية عشرة. وعلمنا ان على بعد قريب غمرت المياه قسماً كبيراً من الطريق، واستعملت الزوارق هناك للعبور. وصلنا الى ذلك المكان في الساعة الرابعة عصراً وتركنا عرباتنا وذهبنا في الزوارق. فاض ماء الفرات وغمر هذه المنطقة، استغرق عبورنا الى الجهة الاخرى حيث الارض اليابسة ساعة ونصف الساعة. ولسو حظنا فانتنا عربات البريد في هذا المكان فقد وجدنا انها غادرت قبل ساعة من وصولنا. وعندما سمع والذي ذلك، قال لحبيب عبد القادر ان يذهب الى خيم البدو التي يمكن رؤيتها على بعد قريب ويتفق معهم على نقلنا. ذهب عبد القادر في مهمته وعاد بعد نصف ساعة تقريباً ومعه فرس وحماران حصل عليهما بمشقة من احد البدو وهو مالكيهما الذي جاء بصحبهما.

تركنا جميع خدماتنا وامتعتنا في البرية بمسؤولية الدكتور عناية علي خان. ركب والذي المهرة البدوية وعليها سرج عتيق شديده جل رفيع بدلاً من الركاب. وركبنا انا ومحجوب الحمارين. وبدأنا رحلة العشرين ميلاً الى بغداد، التي كانت متعبة. مليئة بالمغامرات. ونصب صبي بدوي، يدعى بمعرفة الطريق، نفسه دليلًا لنا. كان تقدمنا بطيئاً بسبب المشاة الذين معنا. وبعد ان قطعنا نصف الطريق خيم الظلام وكان علينا ان نستدل طريقنا في ضوء النجوم الباهت. ولاحث في الساعة التاسعة اضواء بغداد من بعيد، وفرحنا بفكرة وصولنا الى بيتنا بعد وقت قصير والجلوس الى تناول عشاء شهوي، ولكن لسوء حظنا لم يتحقق ذلك لان دليلنا الصغير ضيع طريقه في الظلام ووجدنا انفسنا نسير في سواقٍ وحقول مزروعة حديثاً وهذا كانت الارض موحلة وساء الطريق جداً بحيث لم تستطع الفرس التي كان يمتطيها والذي والحمير التي كنا نركبها خطوة واحدة دون ان تكبو فترجلنا وواصلنا انسير على ارجلنا. وكان من المستحيل علينا تمييز طريقنا بسبب الظلام، فجعلنا انوار بغداد نجومتنا الدالة. وبعد مشي ثقل في اخفوز فترة من الزمن وصلنا الى منبسط من الماء في وسطه حائط ارتفاعه قرابة اربعة اقدام وعرضه قدم ونصف القدم، وكان في اغلب الظن حداً فاصلاً بين بساتين غمرتها مياه الفيضان.

قال لنا دليلنا انه ينبغي علينا ان نصعد الحائط، وكنا مضطرين لاتباع ارشاداته فصعد ابي أولاً وتبعناه. وفاد البدوي الآخر وحبيب عبد القادر الفرس والحمارين في الماء والطين قدر طاقتهما.

لم يكن من اليسير قط السير على هذا الجدار الضيق في الظلام، اذ ان زلة قدم واحدة تورطنا الماء. بدا نصف الميل هذا كأنه لن ينتهي ابداً. وكانت الريح في الوقت نفسه قارسة البرد، فكان ذلك مرهقاً لأبي الذي كان مايزال ضعيفاً بسبب حادث سيارته. وبعد مرورنا في بعض الازقة الضيقة والمظلمة في حوالي الساعة العاشرة مساءً وصلنا الجسر على نهر دجلة، حيث كان في الجهة الاخرى منه مقهى كبير، جلس فيه مئات من العرب يشربون الشاي والقهوة.

دخلنا المقهى وشرب كل منا قدحاً ساخناً من الشاي، مما اعاد الحياة الينا، ثم وصلنا مقرنا في الساعة الحادية عشرة ليلاً. ولما كنا قد ارمقنا طول السفر في ذلك اليوم فلم نتوان عن الذهاب الى الفراش بعد العشاء. وجلب رجالنا امتعتنا التي تركناها خلفنا في اليوم التالي.

في زمن الخليفة المنصور، كانت الكوفة مقر الحكومة العربية، وبما ان مناخ الكوفة لم يكن صحياً وكان الماء نزرأ في تلك البقاع، ارسل الخليفة عدداً من رجاله الى اماكن مختلفة من البلاد العربية ليختاروا موقعاً مناسباً لبناء عاصمة جديدة. فخرج، بناء على ذلك، كثيرون يبحثون، وبعد زمن عادر رجل منهم يدعى علي بن يقطين باخبار بقعة خصبة من الارض على ضفة دجلة، لاسكن فيها سوى معبد يقيم فيه برهمي. وقال ان المكان بديع المنظر وان مناخه يساعد على الصحة وفيه اشجار فاكهة كثيرة تنمو على ضفتي النهر. فلما سمع الخليفة بهذا الوصف، خرج بنفسه ليلقي نظرة الى المكان - الذي تقع فيه بغداد اليوم. استحسن المكان كثيراً وامر مهندسيه ان يرسموا خطة المدينة الجديدة.

وتأهب المنصور للعودة الى الكوفة من اجل ان يرسل المواد منها لاقامة عاصمته الجديدة. وكان احد الامراء خارجاً للصيد فمر بالمعبد الذي قرب النهر ووجد برهمياً منهمكاً في عبادته. وعندما رأى البرهمي الرجل يقترب منه، سأله عن سبب اقامة المنصور مخيمه قرب دجلة، فاجاب الامير ان الخليفة المنصور اعجب بالمكان كثيراً وانه يتأهب لبناء مدينة عليه. فلما سمع البرهمي المعجوز ذلك، قال: «اذهب وقل له انه لن يستطيع تحقيق امله، لاني سمعت من اسلافي ان الرجل الذي قدر له بناء مدينة في هذا المكان الجميل اسمه مقلاص». فدهش الامير كثيراً لدى سماعه ذلك، فقد كان مقلاص مشتهراً في البلاد العربية قبل مئتي سنة. فتقدم الامير الى المنصور ووقف امامه متفكراً. وعندما رآه الخليفة في هذه الحال سأله عن سبب تفكره فقص عليه ماسمع من البرهمي، فدهش المنصور كثيراً وقال: «اما والله الذي خلفني انا مقلاص». فتعجب الامير من قول الخليفة، فروى المنصور له الحكاية كما يأتي: عندما كنت صغيراً اتفقت مع ابناء عمومي الصبيان ان يدعوا كل واحد منا اصحابه الى طعام العشاء بالتناوب. فكان الصبي يدخر دنائير قليلة ليشتري طعاماً يدعو اليه الآخرين. جاءت نوبتي لضيافتهم ذات ليلة فلم اجد مالاً انفقته على شراء طعام. وكنت اعلم ان عمي تخفي قليلاً من الدنانير، فلم يكن لي معدى من اخذ تلك الدنانير واشتريت طعاماً بها دعوت ابناء عمومي اليه. وبعد ايام قلائل احتاجت عمي دنائيرها التي اخفيتها فلم تجد لها. وحامت شبهاتها حولي وعندما رأني صاحبت بي: «يامقلاص انت سرت نقودي» فافضيت خائباً فقلته. وبينت فما واجب علي عمله لضيافتي ابناء عمومي. وظلت منذ ذلك اليوم حتى نهاية حياتها تناديني مقلاصاً، ولكن لم يعلم بذلك احد سواها وسواي».

ولما رويت القصة للبرهمي الحكيم، اخذ طالع المنصور في النجوم، فقال: «هذا هو حقاً من قدر له ان يؤسس المدينة على ضفة دجلة». وبعد سنوات قليلة اكتملت المدينة وسميت بغداد، او بستان العدل، ونقل المنصور اليها مقره وعاش فيها سنوات عديدة.

رأى والدي اغلب اخيل في بغداد ورغب كثيراً في شراء حصان بني محمر نجدي، غير ان صاحب الحصان، وهو عربي ثوري، رفض رفضاً قاطعاً بيع الحصان قائلاً: «يمكنك ان تأخذ اي ماعجبك من هذه الخيل. ولكنني لاسمح لاي حصان من نسل الصفلاوي اخذوا لاني ان يخرج من هذه البلاد، هذا النسل الخاص، من تربية فخذ عشرين عاماً، الذي لم يحصل العرب على مثيل له». ولما رأى والدي عدم امكان اقتناء هذا العربي بالثمن الذي كان يطلب اني احضره السيد محمود



افندي (ابن حضرة نقيب الاشراف)، المرشد الديني بجميع القبائل العربية الذي يكون له احتراماً عظيماً، ان يتوسط في القضية. وعندما ذهب هذا الرجل الديني بنفسه الى صاحب الحصان وطلب منه، لم يجد العربي مناصاً من الازعان، وهكذا اتاحت الفرصة لوالدي ان يشتري الحصان بـ ٢,٥٠٠ ربية. كان اسمه «فالح» وينتمي الى نسب خيل الثوسية الصفلاوية الجدرانية عيان الشرق. واعطى العربي الى والدي نسب «فالح»، مبيناً ان هذا النسب محفوظ فترة طويلة لدى عائلته. منذ ايام الخلافة العباسية في بغداد. وظل يتحدث عن موضوع الخيل بعض الوقت، وقال انه، حسبما يعلم، لا يعرف اي حصان من هذا النسب الخاص قد ارسل الى اي بلد اجنبي قبل هذا.

اطلق العربي الحصان بلا سرج او لجام فراح يجري حولاً مرفوع الرأس والذيل، وبدا كأنه رسم كالصورة الفوتوغرافية المنشورة هنا.

واشترى ابي حصاناً آخر، رمادياً جليلاً اصيلاً من شخص اسمه صالح بن سعيد وكان معروفاً في بغداد كلها. ينتمي هذا الحصان بنسبه الى خيل عترة الحمدانية، واسمه «سامر». وقال صالح بن سعيد ان اخاه ارسل الى اسطنبول قبل سنتين، لسلطان تركيا.

ودع والدي في ١٢ أيار اصدقاءه العرب جميعاً، وكذلك الميجر رمزي، المقيم البريطاني في بغداد، والسيدة رمزي، زوجته.

قبل يوم رحيلنا، ارسل حضرة السيد عبد الرحمن (نقيب اشراف بغداد، مع والدي حصاناً كهيئاً جليلاً هدية الى صاحب السمو النظام؛ وقد ارسل مع خيلنا الاخرى في الباخرة في ١٢ أيار. وابحرنا الى الهند في ١٣ أيار في الباخرة «خليفة». وفي اليوم الثالث من رحيلنا اي يوم ١٦ أيار رست الباخرة في البصرة.

وجاء السيد رجب افندي الى باخرتنا واخذ والدي في زورق الى قصره القريب، ثم جلبت باخرة صغيرة بقرب باخرتنا ونقلت جميع خيلنا الى باخرة كبيرة مسافرة الى الهند. وفي ١٩ أيار غادرنا البصرة الى بومبي. ووجدنا البحر هائجاً والجو مكفهاً. وصلنا بومبي، بعد رحلة استغرقت تسعة ايام، في ٢٨ أيار. وارتحنا فيها يوماً ثم امضينا اسبوعين في مهابلشوار في بيت جميل خصص لوالدي يشرف على منظر بديع وكان الجو لطيفاً صحياً.

غادرنا مهابلشوار في ١٧ حزيران ووصلنا حيدر آباد سالمين، وفي اليوم الخامس توجهت الى نظام آباد لاستأنف مهام وظيفتي قائم مقاماً لتلك المنطقة.

### الحصان العربي

اشرت في قسم سابق من الرحلة الى الارشادات التي تلقيناها عن الحصان العربي وعاهدت ان اقدم تفصيلاتها وهانذا الي بصهدي.

كانت طريقتنا اليومية في تلقي المعلومات كما يلي: أولاً، نأخذ قسماً من الحصان، ونناقش حماسه ومساوئه بالتفصيل. ثم نخرج على الامراض التي يرثها فندونها ونشرح اعراضها مع ذكر المعالجة التي يجريها البيطري والصحي المغولي، ويتم علاج هذا الثاني بادوية السوق التي يتيسر الحصول عليها في كل مكان تقريباً في الهند. وسادون هنا ماشرحه لنا والذي عن قم الحصان العربي وعينه.

الحصان النجدي، بين الخيول العربية، يستدق فمه حتى يبلغ حجماً صغيراً، لذلك فان من الصفات الرئيسية في الخيول العربية النجدية صغر عظمها. فمحيط عظم الحصان النجدي العربي الجيد ٢ - ١٤ أو ١٤ - ١٤ وينبغي الا يزيد على ١٤ ٢/١ عقدة. وليس من اصناف الخيول الاخرى، باستثناء الاسترالية والعراقية، حتى العربية الاخرى مايمكن ان تضاهي النجدية بمثل هذه الافواه المستدقة. ويستحب ان يكون المخزنان واسعين والمحفلتان (الشفتان) رقيقتين لطيفتين، وان تنطبق العليا على السفلى.

تماماً، والا تهتدل السفلى، وان يكون الفك الاسفل عريضاً مع اتساع بين عظام الفك والا يحتوي لحماً كثيراً. ويتناقل العرب حكاية عن عربي لديه حصان نجدي اعتاد ان يسقه بالقدح الصغير الذي يشرب منه، مما يدل على جمال فم الحصان العربي النجدي. وشرح لنا ايضاً امراض القم ومعالجتها، ولكن نظراً لضيق المجال، فاني مضطر الى تركها. يعتمد الحكم على الحصان العربي كثيراً على عينه. وفي الوقت الذي يمكن تحديد النقاط الاخرى في الحصان، ليس من الممكن وضع قواعد دقيقة وثابتة للحكم على الحصان من عينه. يمكن للحكم الجيد ان يحكم على الحصان من عينه نتيجة للخبرة والتجربة فقط، ويمكن في الوقت عينه ملاحظة الصفات الآتية:

- ١ - هل الحصان هاديء ام شرس؟
- ٢ - هل هو طبع سهل الانقياد وقابل للتعليم، ام يحتاج وقتاً طويلاً للتعليم؟
- ٣ - هل الحصان عصبي المزاج ام جفول، وخجول؟
- ٤ - هل هو بصحة جيدة ام لا؟

يقدم لون غشاء باطن عين الحصان معلومات نافعة في تشخيص بعض انواع الامراض. ويتضح تماماً انه لا يمكن الحصول على معلومات كثيرة من اي جزء آخر من اجزاء الحصان بملاحظة ما ينص صحتة ومزاجه كما يمكن ذلك من العين. ظل ابي ثلاثة ايام يناقش الخصائص ويعين محاسن ومساوي الخيل العربية المولودة في اجزاء مختلفة من البلاد، كالحبولة العربية النجدية والعنزية التي حرصنا انا ومحجوب على تدوينها. ويثن لنا ابي ايضاً ان تجار الخيل العربية يطلقون على جميع الخيل التي يملكونها الى يومنا اسم الحبولة العربية، وهذه ليست صحيحة، لان كثيراً منها ولدت قرب بغداد وتعرف بالعراقية، وهي طبعاً غريبة ولكنها ليست من ضرب رفيع. ومن العسير جداً تعيين صف الحصان العراقي الذي اختلط دمه ونسله، ولكن لا يوجد حصان كامل الصفات.

يمكن تقسيم مناطق تربية الخيل في البلاد العربية الى ثلاثة اقسام كما يأتي:

- ١ - في الشامية او بادية الشام وفيها تربي افضل الخيول العنزية، ويؤخذ عدد منها الى دمشق ليبيها.
- ٢ - الارض الواقعة شمال القسم الاوسط من بين النهرين العظيمين دجلة والفرات التي يطلق عليها العرب اسم الجزيرة وفيها الخيل الشمرية.
- ٣ - العراق او ارض دجلة وتشمل ولايتي بغداد والبصرة حيث يفرم البدو كثيراً بخيولهم ويهتمون بها كأنها اولادهم، ويحرصون كثيراً على عدم ادخال دم غريب فيها يتلقحها باي نسل آخر. واني لاستطيع ان اقول اني ومحجوب لم نستطع ان نلم بجميع تفاصيل المعلومات الثمينة التي قدمها لنا والذي ولكننا سمعنا الى فهم كل شيء. قاله جهد مستطاعاً. ولكننا اذا ماذبنا الى البادية ورأينا الخيول من الانساب النجدية والعنزية والطفلاية والجزلاية في مواطنها ونلاحظ اقسامها المختلفة فان التعليم الذي تلقيناه، نظرياً لحد الآن، سيكون تطبيقياً واني على يقين انه سيضيف كثيراً الى معرفتنا بالخيول العربية.
- واني اسمي الى الاحتفاظ بكل المعلومات التي منحني اياها والذي عن الخيول العربية، وكل ماسمعهنا ورأيناه في بغداد وما افدناه من رحلتنا الى كربلاء والنجف الاشرف والحلة وغيرها.
- يقع في وسط الصحراء العربية الجبل وحابل وشمر والى الجنوب منها عترة ونجد. اعتاد سكان هذه المناطق قبل قرن تقريباً ان يمتلكوا الخيول العربية الفارغة التي كانوا يركبونها في جماعات كبيرة ويوجهون الى المدن على ضفاف نهر دجلة والفرات، والى المنطقة الواقعة بينهما المعروفة بالنهرين. ويفيدون مما بها ويتيقنون افضل خيولها ويهدا صاروا يمتلكون الصفوة المختارة من خيول العراق. وما هو مشهور ان اهل البادية حريصون في انسابهم، فلا يتزوجون خارج اهلهم من اجل المحافظة على نظام النساب.

ويسلكون السلوك نفسه في ما يخص تربية خيولهم، ويفضلون ترك الفرس دوغاً مهر على تلفيحها من حصان غير أصيل، وغداً فانهم يمتلكون اتقى الاعراق من الخيول العربية حتى الوقت الحاضر.

ويشخذ البدو الطريقة الآتية في رعي خيولهم: يبدرون المرطمان ويطلقون دوابهم في الحقل عندما يبلغ طول النباتات ٩ او ١٠ عقد لكي ترعى فيها، وتظل فيها مدة ثم تمتع عنها حتى يترك النبات ليعاود نموه. وتكرر العملية مرتين او ثلاث مرات قبل ان يترك الحاصل نهائياً لكي ينمو. وتبدو هذه العملية ممارسة جيدة جديدة بالتجريب في الهند وفي غيرها. اما في ما يخص بيع وشراء الخيول، فيقال انه قبل سنوات عندما لم يكن تمة طلب عظيم على الخيل العربية، فان اهل شمر وعزرة ونجد كانوا يأخذون خيلهم الى بغداد والبصرة وبيروت ودمشق والمدن الكبيرة الأخرى لبيعها. اما في السنوات الخمسين او الستين الماضية فان الطلب ازداد تدريجياً، وصارت خيول أكثر تصدر الى بومبي. واخذ تجار الخيل في بومبي او وكلاؤهم يذهبون الى داخل الجزيرة العربية ويشتررون الخيل من البدو.

اخبرنا السيد محمود افندي ابن نقيب الاشراف في بغداد انه اذا اراد مالك ارض عربي ثري او تاجر يحب الخيل، حصاناً عربياً من اي نسب امثال صفلاوي جدران او صفلاوي بير او غيرها فانه يرسل وكيله الى الصحراء واذا وجد الحصان من النسب الذي جاء يبحث عنه، فانه يشتريه - ويدفع في الغالب ثمناً طويلاً الاجل، ولكنه اذا لم يعثر على بغيته فانه يبحث عن فرس يلقحها حصاناً من النوع الذي يريد ويثق حل ثمن المهر الذي لم يولد بعد ويدفع المبلغ لصاحبه، ويبقى مع الفرس حتى يولد المهر. واذا صادف ان كان مهراً فانه يأخذه واذا كانت ماهرة فان صاحب الفرس يعيد المال الذي دفع مقدماً اليه. ويستطيع المرء ان يحكم من هذه الحقيقة ان العرب يقدرون اسباب الخيل الجيدة.

استفيت المعلومات الآتية من عربي محترم من قبيلة شمر في ما يخص تربية الخيل لدى البطون النجدية والشمريّة والعزبة. من بطون العشائر الكثيرة التي تقسم اليها نذكر اهمها:

١- السلوم ٢- خبيث ٣- عفاريت ٤- جودي ٥- جدران ٦- فداجة ٧- جرداوة

٨- زواج ٩- تومان ١٠- ماجود

ومن البطون التي ذكرت آنفاً فداجة وزواج وهما اكبرها وتمتلكان قرابة ٢٠,٠٠٠ فرس. امام الباقون فيمتلكون قرابة ٥,٠٠٠ او ٦,٠٠٠ لكل مئة.

وهذه البطون تمتلك اعداداً كبيرة من مختلف انواع الخيل، ولكن الآتية منها هي اكثرها شهرة.

١- صفلاوي جدران ٢- ميان ٣- مريقي ٤- نجمة الصبح ٥- عيبة الشرق ٦- شواي مهتل الصبح

وعزل البدو الفحول عن الافراس. وهم يحفظون نسب كل فحل بحرص شديد وحاسة عظيمة لدرجة ان بعض الفحول ترقى بانسابها الى خيل الخلفاء الراشدين وخلفاء بني العباس. وتبقى الفحول لدى شيخ القبيلة ويكون مسؤولاً عنها. ويحاول بعض الناس احياناً تسفيد افراسهم من هذه الفحول سرّاً، غير انهم لا يفلحون عادة.

واغرب شيء انهم لا يدونون نسب الفحول الا نادراً، ولكن لكل شيخ ثلاثة او اربعة من العرب الثقات الذين يعرفون نسب كل حصان عن ظهر قلب. وثمة حلقة أخرى أشد غرابة وهي انه عندما يسفد فحل فرساً فلا يحفظ بذلك سجل مدون، ولكن العرب ذوي المحافظة المذهلة المعروفين باسم "قول بان" يتذكرون هذا ايضاً. ذاكرتهم عجيبة جداً بحيث اذا جاء احد الى شيخ القبيلة يبغى شراء خيل فان الشيخ بأمر النسابين ان يجلب كل منهم مائديه من خيل تتراوح ما بين مئتين الى ثلاث مئة حصان،

وكلما مر حصان بالشيخ فان العربي الواقف قربه ، ويده عصا طويلة يريح عليها يديه والسلسلة ، ويبتف بأسم أب الحصان . وكلما لا يعرف الرجل اسم اب مهر او مهرة ، واذا حدث ان كان يجهل اسم الحصان الذي سفد الفرس ولا يعرف اسم والد الحصان لذلك فانه ينجل من جهله بطرق مخاطبة الشيخ قائلاً : الله وحده يعرف اسم ابيه .

سيمعجب القاريء لحقيقة امتلاك عربي غير متعلم يسكن الصحراء مثل هذه الحافظة فيذكر اساءه وعلامات ثلاث مئة او اربع مئة حصان انجبت من سلالات مختلفة ويعرف شجرة انسابها ايضاً ، غير اننا لو نظرنا الى تاريخ البلاد العربية قبل الف وثلاث مئة عام فسند ان راعياً اعتيادياً امياً من عرب البادية في تلك الايام يستطيع ان ينشد الآف الابيات من الشعر عن ظهر قلب ، كل راع يحفظ قصائد وابياناً جميلة الفكر والمشاعر بلغة بدعية . بدوي اليوم سليل اولئك حفظة الشعر ، فلا عجب اذا استطاع سليل الاجداد ذوي الذاكرة القوية ان يتذكر انساباً طويلة للخيول التي يربها كثيراً .

اعتدنا ان نسمع ان العلف في الجزيرة العربية نادر وانهم يعانون من الحاجة اليه ، ولكن الامر في الحقيقة ليس كذلك ، عدا ما يخفى القبائل التي تربي الخيل المستقرة حول الجبل وفي شعر . على انهم في الحسنيين او الستين سنة الماضية سكنوا منطقة النهرين (جزيرة الموصل) فتوفر العلف لخيولهم منذ ذلك الحين . لان موطنهم الحالي يقع بين نهري دجلة والفرات الذي لا يجف في اي وقت من اوقات السنة ، وتنمو التمور والحبوب بوفرة على طول ضفاف النهرين .

مناخ العراق الذي تقع فيه بغداد والبصرة وكربلاء والنجف الاشرف ينقسم الى الفصول الآتية :

- الخريف — شباط وأذار ونيسان
- البحار — ايار وحزيران وتموز
- فصل الامطار — آب وايلول وتشرين الاول
- البحار البارد — تشرين الثاني ، كانون الاول ، كانون الثاني

ولا يكون علف الخيول في الحر وقيراً ، لذلك فان اولئك الناس في ذلك الفصل يرحلون الى ضفاف الانهار حيث يوجد العلف . وتتغذى الامهار والمهرات على حليب امهاتهن ستة شهور وتعطى احياناً حليب الماعز ايضاً . وتتجول طلبقة مع امهاتهن في الصحراء .

اكتشفت شيئاً غريباً للغاية وهو ان الخيول اذا بلغت سنة ونصف السنة او سنتين ، ذكوراً او اناثاً ، فانها تتزوج في هذا العمر الصغير وان الافراس تلد ذكوراً بشكل ثابت . ولهذا فان الامهار اذا بلغت عمراً يمكن ان تستغني فيه عن حليب امهاتها ، فانها تغزل عن بقية الافراس ، وتباع جميع الخيل التي تزيد على سنتين عمراً الى التجار الذين يتوافدون من جميع انحاء العالم .

سمعت من عرب محترمين ، ثقات ، يعتمد على معلوماتهم ان تجار الخيل العربية لا يشترون الخيل في الجزيرة العربية بشمن بخس كما يتصور بعض الناس الذين يذهبون لشرائها في يومي . تكلف البديلة الجيدة الجيش عادة من اثني عشرة ليرة الى خمس عشرة ليرة . (الليرة عملة تركية تساوي نحو اربع عشرة ربية) فهذه الخيول البديلة تكلف في البلاد العربية حوالي ١٦٨ الى ١٩٦ ربية لكل حصان . ويتوقف ثمن النوع الافضل من الخيول العربية على النوع وثقا الدم .

عندما رزنا الزبير رأينا حصاناً من نسل نجدي ، عمره ستان ، يعود الى خالد باشا . سأل ابي عن كلفه ، فقال له خالد باشا انه دفع ٨٠ ليرة ثماً له او نحو ١١٢٠ ربية . واعجب ابي بذلك الحصان ودفع ١٥٠ ليرة عنه ولكن خالد باشا لم يوافق على بيعه حتى يمثل ذلك الثمن .

وسأل والدي عن اسعار الخيل في بغداد ايضاً ووجد ان الخيول المنزلة او الشمرية الاصيل لا يمكن شراؤها باقل من ٥٠ ليرة . ويمكن بطبيعة الحال شراء خيل عراقية جيدة نوعاً ما باسعار متهاودة .

حكى عربي محترم لوالدي ان نوع الخيول العربية قد تدهور ، بصورة عامة ، في صفاته اثناء السنوات القليلة الماضية . وان الجزيرة العربية لم تعد تنتج خيولاً عربية اليوم كما كانت في الايام الخوالي . وكان ابي مثلهماً لمعرفة السبب لعدم ارسال خيل عربية

اصيلة حقاً الى بومبي كما كانت ترسل سابقاً. واستفسر من عدة اشخاص - ذوى سلطة عليا، امثال السيد محمود والسيد ابراهيم افندي، البغداديين، وتلقى ايضاً ان الخيول العربية الاصيلة بلغت اوج كمالها في ايام الخلافة الاموية، ثم بعد ذلك جرى تهجين الخيول الاصيلة النقية الدم بخيول غير اصيلة ظناً منهم انهم سيحصلون على خيل اجمل واكبر حجماً، فاختلطت بذلك الانساب بصورة غير مفيدة.

وتعرف ذرية الخيول العربية والعراقية كما يأتي:

- ١ - اذا كان الاب عربياً والام عراقية فان المهر يعرف بالمهجين.
- ٢ - اذا كان الاب عراقياً والام عربية فان التاج يعرف بخيرو.
- ٣ - اذا كان الاب والام غير عربيين فيعرف الحيوان بالاعجمي.
- ٤ - واذا كان كلا الوالدين من نسل عربي صرف فان المهر يدعى عتيقاً.

دخل نتيجة لهذا التزاوج كثير من دماء الخيل العراقية في دماء الخيل العربية الاصيلة وخصوصاً في بغداد والبصرة والمسيب والحلة وغيرها، بيد ان قبلي عترة وشمر. حافظوا على انساب خيولهم نقية تقريباً. ومن الحقائق المعروفة ان الخيول العربية التي اشتهرت في الهند بكونها خيل قتال وركوب وسباق، تتراوح بين ١ - ١٤ او ٢ - ١٤ وقلها تزيد على ٣ - ١٤ قبضة بشكل ثابت، وذلك هو القياس للخيول العربية الاصيلة من نجد وشمر وعترة.

في المناطق المحيطة ببغداد والبصرة والحلة والمسيب، عندما ادخل دم الخيل العربية في الخيل العراقية، تحسنت في ظرف سنوات قليلة نتائج الحيوانات في ارتفاعها، وجلب عدد كبير منها الى بومبي وباعها تجار الخيل، على انها خيل عربية اصيلة، الى افواج فرقة حيدرآباد وبيالق اخرى.

وحكى لي والدي ان فوجي القديم، حلة الرماح الثالثة التابعة لفرقة حيدرآباد، كان مقره في سنة ١٨٧٥ في اورانكباد، فذهب من هناك الى بومبي لشراء خيل، ورأى فيها بعض الخيل العربية التي كان ارتفاعها ١٥ قبضة تقريباً، وعندما سأل التجار كيف تم انجاب هذه الخيل اجابوه ان بعض الضباط طلبوا اليهم استيراد قليل من الخيل العربية بهذا الارتفاع، وعاهدوهم ان يدفعوا لهم ثمناً جيداً لها، فجلبوها من بين النهرين، قرب الموصل بعد سفاد خيل عراقية كبيرة الحجم افراساً من عترة وشمر. وبعد ان لاحظ العرب ان الخيول التي ارتفاعها من ١٥ الى ٢ - ١٥ قبضة عليها طلب عظيم في بومبي واثمانها جيدة، بدأوا يستولدون خيلاً بهذه المواصفات، ونجحوا في انتاج خيل اكبر حجماً. وراح بعض العرب ايضاً يقلدون مربي الخيل الاستراليين بوسم الخيول على اكتافها، مع ان بعض مربي الخيل من عترة وشمر يستنكرون هذه الممارسات ويبدلون جهودهم من اجل المحافظة على انساب خيلهم، غير ان اكثر من نصف القبيلة اخذوا يربون خيلاً كبيرة الحجم، وصاروا في محاولتهم كسب مال اكثر يدعرون انساب خيلهم.

ذكر لي والدي ان الولو (الكرة والصولجان) بدأت تصبح لعبة شعبية في الهند نحو عام ١٨٨٠، ونتيجة لذلك صار الطلب لخيول صغيرة للضباط وللأعيان الآخرين، ولكن في ذلك الوقت لم يجلب الى بومبي الا عدد ضئيل من الخيول العربية الصغيرة. واستورد طوال الموسم كله حوالي ثلاثة او اربعة آلاف حصان، ولم يكن بينها من الخيل الصغيرة إلا اربعة او خمسة. وعندما اخذت هذه الخيل تنال الاستحسان في الهند، توجه تجار الخيل العربية في بومبي الى اماكن مختلفة لتربية الخيل في الجزيرة العربية وطفقوا يقتنمون مربي الخيل بانتاج هذا الصنف من الخيل. لذلك فان الفحول والاناث الصغيرة الحجم في مابين النهرين (قرب الموصل) عزلت لاجل استيلاء خيل اصغر حجماً، وبعد سنوات اخذت بومبي تستورد مئات الخيل بارتفاع ٢ - ١٣ و ٣ - ١٣ قبضة. كانوا باديء ذي بدء يميلون الى انتاج نوع من الخيل كبير الحجم وقوي، ولكن الطلب لخيول الهولو المفاجيء شجع انتاج دواب اصغر. ونظراً للانتقال من طرف الى طرف آخر، فقد عانت الخيول العربية كثيراً، لذلك فان نوعية الخيول الاصيلة التي كانت ترى سابقاً

في يومي لاغدها اليوم فيها . واخبرني ابي ايضاً ان الغلظة نفسها كانت السبب في تدمير جميع السلالة المحلية في الهند ونعني بذلك مثلاً خيول مناطق خاتياوار وكونكاتيري، ماروار، مالاكاون، بوندي، والدكن . فقد اخذوا يضربون الخيول العربية والاسترالية بهذه الاصناف ظناً منهم انهم يعملهم هذا يحسنون السلالة الهندية، ولكن النتيجة التي حصلت هي التدمير الكامل للسلالات العريقة، ولم يتحسن نسلها قط . اخبرني ابي انه عندما كان في الثانية عشرة من عمره كان لديه حصان دكني اصيل كستنائي اعتاد ركوبه عند الصيد، وان بنيته وشكله وهيكله تشبه تماماً الخيل العربية من الطراز الاول في ايامنا هذه . وقال ايضاً ان خيول خاتياوار في تلك الايام كانت وسيمة، سريعة الجري . ولو كانت تلك السلالة النقية موجودة اليوم لفاقت الخيول العربية في الهول، وفي السلالات الكونغاتيرية والدكنية خيول ممتازة ايضاً .

في الدكن، استغنى علي بن عبد الله عن جميع فحول السلالة الاصيلية لخيول للاكاون وكونكاتيري، واستبدعها بخيول عربية وكانت النتيجة ضياع السلالة القديمة في الدكن، ولم يكن النسل الجديد بافضل حالاً قط . وكنا في بغداد ذات مساء نقاش مسألة الخيول بعد تناولنا العشاء، وذكر ابي في معرض الحديث انه قبل اثنتين واربعين سنة، عندما كان في الثانية عشرة من عمره، اخذه جدي الى «جائرة»<sup>(١٣)</sup> في مالاكاون حيث يعرض نحو خمسة آلاف حصان للبيع . ويحضر عدد كبير من الناس من حيدر آباد لشراء الخيل، وقد بيعت بعض الخيل في معرض الخيل ذلك بـ ٢٠٠٠ روبية الى ٢٥٠٠ روبية . مالاكاون قرية بين حيدر آباد واوراكاباد حيث تقام جائزة ومعرض للخيل ايضاً . قال ابي ان اغلب الخيل في المعرض كانت من سلالة دكنية صرف - وسيمة، حسنة الشكل، جيدة الهيكل، ولم نعد نجد ذلك النمط وتلك السلالة اليوم . كانت فرقة حيدر آباد وكل افواج خيالة صاحب السمو النظام تمتلك في ذلك الحين خيولاً دكنية ومالاكاونية، غير ان تلك السلالة ضاعت تدريجاً، وكان سبب ذلك الاختلاط الدائم الناقص في الارومات .

كانت الخيول العربية الاصيلية في السابق تعرف باسماء آبائها، فيقال مثلاً عن مهر انه صفلاوي جذران وان اسم ابيه كذا وكذا، غير ان الاسلوب قد تبدل اليوم واتخذت بعض القبائل طريقة جديدة، فتركوا اسم الاب وصاروا يميزون المهر باسم امه، واذا استمرت جميع القبائل العربية في تبني هذا النظام فان ضرراً سيصيب انساب خيلهم .

## التعليق والهوامش

### اهمية الرحلة:

تتجلى أهمية الرحلة في كونها تثبت في يوميات شاهد عيان ذكر فيها مآراه في بداية هذا القرن منذ دخوله البصرة، وقبلها ايضاً، حتى وصوله بغداد، ووصف بعض احوال العراق الادارية والاجتماعية وطرق المواصلات ووسائلها النهرية والبرية، ومافعله فيضان عام ١٩٠٧ فيها . ويولي اهتماماً خاصاً بالخيول العربية وصفاتها وانسابها وتربيتها وتسويقها داخل العراق وخارجه . ويرد فيها ذكر شيخ المحمرة خزعل، امير عربستان العربية من ١٧٩٧ - ١٩٢٥ . وعبد الرحمن النقيب رئيس اول وزارة عراقية عام ١٩٢٠ . وكان حاكم حيدر آباد في الدكن يعتبر من تابعي نقيب بغداد، ويقال ان للشيخ عبد القادر الكيلاني ابنا اسمه عبد الرزاق هاجر الى الهند ومانزال هذه العائلة القادرية هناك . وكانت تُرسل اموال طائلة وملابس موشاة بالذهب هدايا الى نقيب بغداد من حيدر آباد . وحيدر آباد من مراكز التراث العربي الاسلامي الذي حفظ ونشر فيها .

## الهوامش

- ١ - ترد في عنوان الرحلة وضمونها اصطلاحات عسكرية وغيرها ليست عربية ، وأبت من المناسب اعطاء معانيها .
- أ - نواب :
- من القاب أبناء الملوك وهي من العربية وتعني الوصي أو الحاكم . وهي أيضاً لقب لأمير مسلم في الهند ، ويطلق أيضاً على شخص مسلم من ذوي المنزلة السابعة وليس له وظيفة .
- ب - بار جونك :
- بار الشجاع وجونك المحارب فهي تعني المحارب الشجاع .
- ج - بهادر :
- أي البطل .
- د - الحمر الملك :
- وتعني تاج الملك وهي رتبة عسكرية تعني الضابط .
- هـ - النظم :
- وهي من العربية وتعني لقب حكام حيدر آباد المسلمين بالهند من عام ١٧١٣ إلى عام ١٩٥٠ .
- ٢ - شاه جهان :
- هو الامبراطور المنولي المتوفى عام ١٦٦٦م حكم من ١٦٢٩ إلى ١٦٥٨ وفتح كثيراً من بلاد جنوب الهند . وبين صرحاً أو ضريحاً فخماً لزوجته ارجند بهرف بناج على نهر اگرا . وشاه جهان هو لقب محرم ابن الامبراطور جهانجير بن تيمور نال مكانة على انتصاره في بلاد الدكن عام ١٦١٦ .
- ٣ - مستيفن لنج :
- كان اول امر مستيفن لنج تشغيل باخرين في المياه العراقية بعد عام ١٨٤١ ، وقام لنج وفيلكس جونز وآخرون بعملات المسح ورسم الخرائط في العراق وظلت هذه الخرائط تستعمل حتى سنة ١٩١٤ ، وكان لشركة لنج فروع في الهند ودول الخليج العربي والعراق للنفط البحري . واستعملت باخرين حديثين في سنة ١٨٦١ وكانت تنافس بومبره ادارة عثمان العثمانية . وكان مستيفن لنج قد اشتغل في العراق ستين وخرق اخوه في الباغرة ودجلة في شهر مارس ١٨٦٦ لهُوب حاصفة وغرقها في نهر الفرات وكانت شركة لنج يطلق عليها الاهالي «بيت لنج» وكان مقرها في البناية القريبة من عمارة البدوي الحالية وقد اصبحت الآن سوقاً عصرية وكانت فيها مكتبة تباع الكتب الانكليزية وتسمى مكتبة مكتزي .
- ٤ - ذكر ان النخل يبدأ بالحمل في ايار وينضج في ايلول ويكون منظر الاشجار يديعاً في شهري ايلول وتشرين الاول ، اشد شهور السنة حرارة ، غير ان الصحيح ان النخل يبدأ طلمه في شهر آذار وينضج في شهر تموز اما اشد الشهور حرارة فيها تموز وأب .
- ٥ - اللبيرة هي وحدة وزن رومانية قديمة تساوي ٣٢٧.٥ غراماً وتسمى أيضاً باون اي الرطل الانكليزي ويساوي ٤٥٣ غراماً .
- ٦ - الرّبة هي عملة عثمانية تساوي بعملة اليوم خمسة وسبعين فلساً . كانت مستعملة في بغداد في عام ١٧٥٠م وهي عملة هندية أو متأثرة بها واصل الكلمة من السنسكريتية .
- ٧ - نهر الكارون احد رواقد شط العرب وليس الفرات .
- ٨ - جدار = من جاما اي ثوب ، ودار اي حامل فيكون المعنى حامل ثياب السلطان أو الامير أو المسؤول عنها .
- ٩ - ذكر تعبير «سلام دوه قاططاً لانه من الایمازات العسكرية وصوابه «سلام خذه» .
- ١٠ - ترد كلمة الاضطرار بمعنى وجبة الطعام أو الطعام عموماً وهي هنا تعني الغذاء .
- ١١ - زبيدة خاتون اي السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد وهي طبعاً غير زبيدة خاتون زوجة السلطان ملكشاه السلجوقي . ويطلق ايضاً على زمر خاتون اسم زبيدة خاتون ولقبها في كرخ ببغداد .
- ١٢ - لم تنش زبيدة قلعة من سوريا الى الكعبة فهو امر مستحيل وغير منطقي ، بل دعت خازن اموالها وامرته ان يدعو المهندسين والعمال من انحاء البلاد وقالت له : واعمل ولو كنتك ضربة الفأس ديتراً .
- ولقد على مكة اكفا المهندسين والعمال ووصلوا منابع الماء في الجبال واعتدوا على عين حنين فارسلوا منها الماء تحت الصخور حتى تغفل من وادي النضمان على مسيرة ١٠كم من مكة وصار اهلها وحجاج البيت يستقون من مائها التي سميت بأسم «عين زبيدة» ولا يزال هذا الماء يجري الى مكة بعد تطويره حديثاً . كما ان السيدة زبيدة مهنت طريق الحج من العراق الى الحجاز عبر الصحراء وبتت عليه المرافق والمنازل وحفرت الآبار ومازال يعرف بأسم «درب زبيدة» .
- ١٣ - بنصه بالفوت الاحظم الشيخ عبد القادر الكيلاني ولا ينبغي هذا الوصف الا انه وحده . واليه تسب العائلة القادرية التي يتحدو منها عبد الرحمن المتقيب .

١٤ - القبة وحدة قياس ارتفاع الجبل وتساوي أربع عقد (التجات).

١٥ - يرد ذكر ماين النهرين بأسم النهرين ويقصد بذلك الخزيرة أي ماين دجلة والفرات في شمال العراق قرب الموصل.

١٦ - الزبون بلدة أهل العراق يطلق على الرداء الطويل الذي يشبه المعطف ويصل الكاحلين. وقد مر ذكره في الرحلة بتعبير ستر طويلة. أما ما ذكره هنا فهو المقصود به الكفية أو الغترة أو الإشماغ. وكذلك زبون مستعملة في العراق وتجد وشمال أفريقيا. ولعلها من (زين) أي كف أو دفع - البرد - وتعني أيضاً المكان الضيق فهو أذن ثوب ضيق بالنسبة إلى العبادة والقباء.

١٧ - القيز هو الطربوش الأحمر من صنع مدينة فاس المغربية وهو ليس الرأس لدى العثمانيين والمغاربة.

١٨ - قبضان عام ١٩٠٧ الذي بدأ إثر هطول الأمطار وتوابع التلوج يوم الخميس ٢٨ آذار.

١٩ - يقصد بالوادي المريض النهر الفارس.

٢٠ - صوبه دار أي الحاكم أو الوالي أو الأمر.

٢١ - عمليدار صوباً عمليدار أي صاحب العلم.

٢٢ - هيتو داتس صوباً هير و دوتس - المؤرخ اليوناني المروف.

٢٣ - ذكره. حسن ابراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام الجزء الثاني ط ٧ بيروت ١٩٦٤ ص ٣٦٥ ومصادره الطبري وابن الخوري في مناقب بغداد. والفخري. انهم ذكره وحكاية تظهر عليها مسحة الاختلاق. ذلك ان واحياً من رهبان الدبر القريب من بغداد سأل اصحاب المنصور عن الرجل الذي يريد ان يبني المدينة فقبل له امير المؤمنين الخليفة المنصور، فسأل الراهب عن اسمه فقبل عبد الله، فسأل عما اذا كان للخليفة اسم غير هذا فقبل: اللهم لا، الا ان كنته ابو جعفر ولقبه المنصور. فقال الراهب للرجل: اذهب اليه وقل له لا ينبغي نفسه في بناء هذه المدينة، فانا نجد في كتبنا ان رجلاً اسمه مقلص يبني ههنا مدينة ويكون لها شأن من الشأن. وان غيره لا يتمكن من ذلك. فجاه الرجل إلى المنصور. فقص على الحاضرين قصته وهو صغير: وأما والله كان اسمي مقلصاً وكانت تضرب به الإهتال. وكان لنا عجوز تربي فاتفق ان صبيان المكتب جادوا يوماً إلى وقالوا لي نحن اليوم اضيانك ولم يكن ممي مانتفه عليهم. وكان للمعجوز غزال، فاخذته وبعت بما انتفه عليهم. فلما علمت اني سرقت غزالها، سحتني مقلصاً، وغلب على هذا اللقب، ثم ذهب عني والان هرفت اني ابني المدينة.

٢٤ - أطلق ابو جعفر المنصور على المدينة التي شيد بها اسم «مدينة السلام» فيما بالجنة وتبيناً لذكر الله الوارد في القرآن الكريم بأسم «السلام». وصار الناس يسمونها «مدينة المنصور» نسبة إلى الخليفة الذي شيد بها. وسميت أيضاً «الزوراء» و «المدينة المدورة»، وأطلق عليها وعلى ماشملته من ابنة أخرى عند توسعها اسم «بغداد» الذي كان يطلق على هذه المنطقة منذ أيام البابليين - العراقي في التاريخ - بغداد ١٩٨٣.

٢٥ - قول بان أي التسايون وهنا هم تسايو الخيل.

٢٦ - تقسيمات الفصول هنا وتسمياتها غير مضبوطة ولها عند أبناء الشعب تقسيمات واسماء أخرى.

٢٧ - جائرة أي سوق.

ذكر المؤلف ان الزبير تبعه من البصرة عشرين ميلاً. وهي اليوم تبعد عنها نحو عشرين كيلو متراً، ولعل تقديره ذلك ناجم عن الطريق المتتوية آنذاك. وذكر أيضاً اسم لعبوا لعبة «البولو». وأقول كان يسميها العرب في أيام العباسيين «لعبة الكرة والصولجان» وكلمة صولجان كلمة اجنبية تعني بالربية العصا المعقوفة الرأس. وأصل اللعبة من البيت التي جاءت منها كلمة بولو.

وذكر كذلك ان لضرير الامام الحسين أربع منائر مذهبة، وهي في الحقيقة منارتان وقبتان. طبعته هذه الرحلة في يومي في مطبعة جريدة بومبي سنة ١٩٠٨ وقد اهداها مؤلفها - الذي كان في القوات المسلحة لصاحب السمو النظام - إلى العقيد نواب الملك بهادر أفسر المرافق الاقدم لصاحب السمو وافر الجيش النظامي والنظام دليلاً على الاحترام والمجبة. فكان يعد نفسه أيضاً مطبعاً له.

• • •

**صدام حسين تقدم الرجال في معركتي التحرير والبناء.**



# الرحلة الشرقية للاب فيليب الكرملي (١٦٢٩م)

## ترجمة وتعليق

### الاقب د. بطرس حداد

بغداد - الجمهورية العراقية

فرنكفورت ثلاث مرات (١٦٧١ - ١٦٧٣ - ١٦٩٦).

وقد ترجمنا الرحلة عن الطبعة الاولى بالنصر اللاتيني التي نشرت في ليون سنة ١٦٤٩ في حياة المؤلف، واكتفينا بترجمة ما يخص العراق من الرحلة. كلمة في الرحلة:

نرى ان المؤلف وضع كتابه لالغاية علمية، بل كتقرير مبسط لرحلته، و اضاف الى ذلك بعض الاخبار والمعلومات السطحية لاشباع فضول اصدقائه الغربيين بعد عودته الى بلاده، فهو يعد القراء في عنوان الكتاب انه يتكلم: «عن حوادث الرحلة واقاليم الشرق وعن الجبال والانهار والامراء والسكان... وعن الحيوانات والاشجار والنباتات والاممار...».

وهذه طريقة لجذب اكبر عدد من القراء. لكننا عندما نتصفح الكتاب نراه مختصراً جداً، وان افكاره غير متسلسلة، ونلاحظ جهل المؤلف بمادات الشرق فهو بعيد عن البحث العلمي ويكتفي بقوله «رأينا قرية... او مدينة ولا يجهد نفسه بالسؤال عن اسم تلك القرية او المدينة، ولم يكلف نفسه عناء ضبط التواريخ رغم قربه الزمني من حدوثها فيكتفي بالقول: «قبل مدة... او قبل سنوات» وماشابه ذلك.

حصة العراق في الرحلة قليلة، بينما يتوسع المؤلف في الامور التي تخص بلاد فارس والمند. ورغم مرور السائح بالعراق في فترة حرجية من تاريخ قطرنا، اذ كانت بغداد تزوج تحت نير الاحتلال الفارسي، فانه اكتفى بالتنويه باخبار عامة.

## مقدمة المترجم:

هذه واحدة من اقدم الرحلات التي نجد فيها بعض الاخبار والمعلومات عن قطرنا العراقي في النصف الاول من القرن السابع عشر، اقدمنا على ترجمتها لغائدة المؤرخ العراقي المعاصر.

وصاحب الرحلة راهب كرملي، ولد قرب افينيون (فرنسة) سنة ١٦٠٣، وكان اسمه «اسپري جوليان» Esprit Julien ودخل دير الكرملين في ليون سنة ١٦٢١ وهناك ابدل اسمه على عادة الرهبان فاتخذ اسم «فيليب» Philippe de la Trinite وقد نُسب رؤسائه للعمل في ديرهم في بلاد فارس، فغادر بلاده ورحل الى الشرق، وقدم الى العراق سنة ١٦٢٩ عن طريق حلب ثم عان في بغداد، ومنها الى بلاد فارس. وفي السنة التالية عاد الى العراق فنزل في البصرة ثم ابهر الى الهند، وبعد عشر سنوات رجع الى اوربا. وهناك تنسّم مختلف المسؤوليات الكنسية، حتى اصبح رئيس الرهبنة الكرملية العام (١٦٦٥) وتوفي في نابولي في ٢٥ شباط ١٦٧١.

له مؤلفات عديدة تاريخية دينية، ومايهما منها هو كتاب «الرحلة الشرقية» الذي نشره باللغة اللاتينية سنة ١٦٤٩ ونظراً الى اسلوبه الشيق، واهتمام القرب بمعرفة مايدور في الشرق من احداث فقد ترجمت الرحلة الى الفرنسية ونشرت سنة ١٦٥٢ (وطبعت ثانية ١٦٥٩) كما ترجمت الى الايطالية ١٦٦٦ (وطبعت من ثم في البندقية ثلاث مرات) والى الالمانية فطبع في

## الرحلة الشرقية للاب فيليب الكرملي (١٦٢٩م)

### السفر الى الشرق<sup>(١)</sup>

... وصلنا<sup>(٢)</sup> الى حلب في ١٨ نيسان [١٦٢٩] وغادرناها في ٦ ايار.

يحدد القول ان البادية التي تفصل حلب عن بغداد هي صحراء قاحلة خطيرة. ولذا لا يجازف التجار بالسفر فيها منفردين بل يتجمعون في قافلة كبيرة. وقبل رحيلهم يجب عليهم ان ينالوا اذنًا بالسفر من باشا حلب، بعد ان يقدموا له مالاً وهدايا. وعليهم ايضاً ان يرسلوا وفداً الى «ملك البادية» يطلبون منه السماح بالمرور عبر اراضيه، فيمنحهم كتاباً خطياً مشفوعاً بكلمة شرف للمحافظة على سلامة المسافرين وارواحهم، بشرط ان يدفع تجار القافلة ضرائب عن بضائعهم...

اتفقنا مع رجل ليُعد لنا المؤن والمطايا ويقوم على خدمتنا من حلب الى فارس لقاء ستين سكوودو<sup>(٣)</sup> عن الشخص الواحد... فاعد لنا جملتين تتدلى على طرفي الجمل عفتان، واحدة لكل راهب اذ كنا اربعة...

تتخذ القافلة قائداً يسمى «كروان باشي» اي رئيس القافلة. فهو يدير امورها، ويحل المشاكل التي قد تحدث بين التجار، ويعاقب المذنبين، ويتخذ القرارات الحاسمة، ويرشد الى الطرق الامنية، ويقرر اوقات السير او التوقف.

... هناك طريقة عجيبة للمراسلة بين حلب وبغداد وذلك بواسطة الحمام الزاجل.

عانه

وصلنا الى عانه وهي عاصمة البادية، وتقوم على ضفتي الفرات. هناك امضينا شهراً كاملاً رغباً عن ارادتنا. فيعد ان دفع التجار الضرائب عن بضائعهم، واستعدت القافلة لاستئناف الرحلة، جاءنا موفد جديد من الملك يطالب بالبضائع والامتنع الخاصة بالرجال الذين ماتوا في الطريق، لانه يرث كل من يموت في اثناء السفر، وكان عارفاً بالقتال الذي نشب بين بعض رجاله وجماعتنا ومات من جرائه بعض المسافرين... وبعد اخذ ورد استغرق اياماً تحت التسوية بمبلغ قدره ٢٠٠ سكوودو حمله اثنان من القافلة الى الملك<sup>(٤)</sup>، فرضي بذلك واذن لنا بالرحيل. وجدنا في عانه قافلة مسافرة من بغداد الى حلب والتقينا برجلين اوربيين لحددهما جراح فرنسي يدعى «دوماج» يلبس الزي العربي، وكان ملك العرب قد دعاه لمعالجته من مرض الم به، وبعد ان انتهى مهمته كان في طريق عودته الى حلب حيث يقيم، والثاني تاجر الماني اسمه برنارد... عبرنا النهر الى ارض ما بين النهرين، ومن هنا الى بغداد لاتزال اماننا مسيرة اثني عشر يوماً. وكنا نسير بمحاذاة الفرات، وفي طريقنا رأينا قرى عديدة ما بين كبيرة وصغيرة قائمة على ضفة النهر. كما شاهدنا موقعا يخرج القار من باطن الارض. وقد استعمل البابليون هذه المادة قديماً في بناء برجهم الذي رأيناه يوم وصولنا الى بغداد.<sup>(٥)</sup>

بغداد:

في الايام الثلاثة السابقة لوصولنا الى بغداد، ابتعدنا عن الفرات واخذنا نقرب من دجلة، فنرى الاراضي الخضراء وغابات النخل. وفي اليوم السادس من تموز [١٦٢٩] ظهرت لنا مدينة بغداد الشهيرة، فلم يتمالك بعض الرجال الارمن انفسهم فعبّروا عن فرحهم باطلاق العيارات النارية تحية لبغداد، وحمداً لله على السلامة.

لكن بغداد الشهيرة هي نصف خراب حالياً.<sup>(٦)</sup>

نزلنا في دار الآباء الكبوشيين<sup>(٧)</sup>، وبقينا عندهم الى ٢٢ تموز. وكان الحر شديداً لا يطاق، رغم ان الآباء بذلوا جهداً مشكوراً لتخفيف ألنا والترويح عنا بمختلف الطرق.

اضطرونا للبقاء في بغداد هذه المدة الطويلة لان التجار ابدلوا الجمال بالغال، كما انهم ارغموا على تبديل الريالات الاسبانية<sup>(٨)</sup> بالعملة الفارسية، وفي هذه العملية يستفيد حاكم بغداد كثيراً.

### السفر من بغداد:

تركنا بغداد في ٢٣ تموز عند الغروب ووجهتنا بلاد فارس. وفي تلك الليلة قطعنا خمسة وعشرين ميلاً. لان الارض سهلة منبسطة، والبخال اسرع من الجمال في السير. فوصلنا الى بلدة تقع على نهر ديبالي، وعبرنا النهر على جسر من القوارب. وفي الليلة التالية قدمنا الى قرية كثيرة الجداول عامرة بالنخيل. وفي الليلة الثالثة توقفنا في قرية يمر بها جدول. وفي الليلة الرابعة قربنا من نهاية منطقة كلدية ونزلنا في قرية قائمة على نهر صغير ورأينا جسراً من الأجر شيده الشاه عباس<sup>(١)</sup> عندما استولى على بغداد، فاراد بذلك ربط ارض كلدية بارض فارس.

### الفرس والعثمانيون:

مضت تسعة اشهر على وجودي في فارس، عندما وصلني ايعاز لمغادرتها. وفي تلك الفترة كان السلطان الاعظم قد اعد جيشاً عرمرماً قبل انه يبلغ ثلاثمئة الف محارب، وذلك لاسترجاع بغداد من قبضة الفرس. لكنه قبل ان يتوجه الجيش الى بغداد سار لاكتساح الفرس في عفر دارهم<sup>(٢)</sup> لان القتال في ارض كلدية صعب في فصل الصيف. فتوغل الجيش في فارس حتى وصل الى همدان التي تبعد عن اصفهان مسيرة ستة ايام، وقبل ان قائد الجيش الفارسي زينلي خان تواطأ مع الاتراك، قتال جزاءه بالموت.

لم يستطع الفرس مقاومة الاتراك فهؤلاء اقوى منهم بكثير، لكن الفرس اكثر منهم مكرأ في خطط الحرب. فكانوا يتقدمون نحو مواقع الاتراك ويقيمون، ومان يبلغهم خبر استعداد هؤلاء للهجوم حتى كانوا ينسحبون تاركين الارض قاعاً صفصفاً، ويضعون السم في موارد المياه. وعندما يصل المهاجمون الاتراك بعد جهد جهيد وافتقاد المؤن الضرورية للجنود والعلف للحيوانات فيعودون ادراجهم خاسرين.

فالتقت الطويل في ارض فارس اضعف الجيش التركي، بحيث انه عندما وصل الى بغداد وحاصرها من جميع جهاتها مدة اربعين يوماً ثم ضرب اسوارها، اضطر في آخر الامر الى الانسحاب لقلّة المؤن وحالة العوز التي احس فيها، فعاد دون ان يحقق شيئاً<sup>(٣)</sup>.

### السفر الى البصرة:

عندما اقتربت جحافل الاتراك من اصفهان فاصبحت في خطر السقوط... اجتمع رهبان الدير للمشاورة ثم قرروا ان يتعد بعضنا عن المدينة، وكنت من بين الذين تقرر سفرهم حالاً الى البصرة. فغادرت اصفهان في ١٧ ايار، وفي ٢٥ منه كنت في شيراز وبقيت هناك اربعة ايام ثم انحدرت الى البحر، وفيه لاقينا صعوبات جمة فقد الفت الرياح بفارينا بعيداً وكدنا ان نغرق، ونفذت مؤننا. وعندما اقتربنا من قرية على الشاطئ ونزلنا الى اليابسة لتستريح استقبلنا الاعراب بلطف عظيم وكرم بالغ واعطونا كل ماكننا نحتاج اليه...

واخيراً وصلنا الى البصرة في ١٥ تموز [١٦٣٠] فاستقبلنا الرهبان الكرمليون<sup>(٤)</sup> بحجة ونزلنا في ديرنا. ومكثت هناك خمسة عشر شهراً متكباً على دراسة اللغتين العربية والفارسية. ثم اوعز الي الرؤساء بالسفر الى الهند...

من عادة التجار البرتغاليين الإقلاع من البصرة في اواسط تشرين الاول بعد الانتهاء من قطف ثمار النخيل. لكنهم في هذه السنة ١٦٣١ قدموا موعد سفرهم بضعة ايام بسبب شاب نصراني كان اسيراً عند الفرس واتخذ امام قلبي خان حاكم شيران لخدمته. وقد اوفده في مهمة خاصة الى الخويزة القريبة من البصرة. واذ كانت الفرصة مواتية للتخلص من العبودية فقد هرب الى البصرة. وكان مطلقاً على مخططات سيده ضد البرتغاليين. فلما جاء الى البصرة نزل عندنا. وبلغ خبر هروبه الى سيده فارسل الى حاكم البصرة<sup>(٥)</sup> يطلب منه اعادة الشاب المغارب. وكان الباشا على علاقة طيبة بالأبأ<sup>(٦)</sup> فدعاهم وطلب احضار الشاب، وفي

الطريق خطفه رجال الباشا . . .

وفي زيارة لاحقة رافقتهم تاجر برتغالي غني ، وكعادة اهل البلاد فانه لم يحضر خالي اليمين بل قدم هدايا معتبرة للباشا ، طابت نفسه لها ، فلتى طلبهم واطلق سراح الشاب واعاده اليهم .  
لقد اطلعنا الشاب على نوايا خان شيراز ومخططاته ، وقال انه كتب الى باشا البصرة طالباً منه تسليم الاسطول البرتغالي كشرط لعقد السلام معه . وكان الاسطول مؤلفاً من خمسة وعشرين سفينة . وكان القرس بأمر الحاجة اليها لانهم لا يمتلكون سوى بعض القوارب الصغيرة التي لا تصلح للقتال . هذا السبب اسرع البرتغاليون فاخرجوا سفنهم من القنال الفرعي لنهر الفرات الذي يمر بالبصرة وتقدموا الى اواسط الشط ولشوا هناك فترة تحت حراسة شديدة ، الى ان انتهوا من تحميل مراكبهم بالتمور فافعلوا في 4 تشرين الاول في شط العرب وانحدروا الى البحر .

كلمة عن البادية العربية :

تقسم بلاد العرب الى ثلاثة اقسام : البادية ، والارض السعيدة ، والارض الصخرية . ولن اتكلم عن القسم الثالث لاني لم احل به بل رأيت من بعيد فقط .

هناك مدن وقرى صغيرة في بادية العرب . . . فبعد حلب بسبعة ايام نشاهد «طية» وهي حالياً قصبة صغيرة جداً ، لكن الخراب القريبة منها تشير الى انها كانت مدينة كبيرة فيما مضى . . . ثم «الرحبة» وتقع على بعد يومين عن طية ، وتقوم على مرتفع وهي غير بعيدة عن الفرات . وبعد مسيرة ايام اخرى نمر بقرى ثم نصل الى «عانة» وهي اكبر مدن البادية ، وكانت كبيرة وشهيرة قبل ان يخرها الفرس منذ سنوات . وتقوم على ضفتي الفرات ويبلغ طولها نحو ميل ، وتحدها الجبال . وفي وسط الفرات جزيرة فيها قلعة . . . وتكاد تكون عانة حالياً نصف خراب وخالية من السكان ، والذين فضلوا البقاء فيها هم عرب ويهود . ومن بعد عانة حتى بغداد هناك بعض القرى على الفرات .

وفي البادية مدينة عجيبة غريبة في نوعها هي مدينة ملك العرب . منازلها ليست مشيدة بحجارة بل هي خيام سهلة النقل . قيل لي ان ملك العرب هذا عندما يتسلم الرئاسة يقسم بان لايعيش في المدن الثابتة التي تخضع له ولكن في هذه المدينة المتنقلة في ارجاء البادية ، ولايعرف موقعها الا قلة من الناس خوفاً من الاثرالك ، لان الملك على خلاف مستمر معهم ، ولذلك يغير مقامه دائماً فينتقل مدينته حيث الامان لاتباعه والكلأ لحيواناته . وهذه المدينة منتظمة جداً ، فسادق الملك يقوم في الوسط ويشعب منها اربعة طرق الى الجهات الاربع ، ولكل خيمة موقعها المحدد في احد الطرق ، فاذا انتقلت المدينة الى موقع جديد يعاد تشكيلها بنفس النظام فتحتل كل خيمة موقعها ذاته . ويبلغ عدد السكان في هذه المدينة المتنقلة بضعة الاف من جملتهم حرس الملك وهم نحو ألفي رجل .

تتكون واردات الملك مما يؤديه له سكان القرى الخاضعة له ، ومن الضرائب التي يستوفيها من قوافل التجار ، فهو على اطلاع بكل مايجري في اراضيه بواسطة عيون الذين يشهم في طول البادية وعرضها ، فها ان يبلغه خبر دخول قافلة الى اراضيه حتى يرسل رجاله لجمع الاتاوات . واذا كانت القافلة مهمة فيذهب بنفسه لجمع الاتاوات المقررة اضافة الى هدايا متنوعة يقدمها التجار له . اذ ان العادة الجارية في الشرق انه لايجوز لقاء الامراء والملوك باياد فارغة . ويعمد - الملك - عادة الى المعاطلة في جمع الضرائب اياماً عديدة . ليفسح المجال لرعاياه فيبيعوا ما عندهم من ثمار وخبز ولبن واشياء اخرى للمسافرين . واذا حدث ان توفي احد المسافرين في اراضيه فانه يستولي على امواله وبضائعه .

يهبط في هذه البادية من السماء فيجعله الاعراب ويحملونه الى البصرة ، ويبيع هناك بأسعار بخسة اذ يستعمل كدواء ، ويشتره البرتغاليون فيتاجرون به .

تنبت على ضفاف الفرات اشجار شجرة الكروم والتين . وهناك البطيخ وماشابه ذلك . وقيل لي ان النخيل كان يغطي النهر الى قبل عشرين سنة لكن الشتاء القارص الذي تكرر بضعة اعوام قتلها فلم يعد لها وجود .

#### حيوانات البادية:

تعيش في البادية مختلف انواع الوحوش، فهناك الاسود والنمور والحمر الوحشية التي تركض بمجموعات، وقطعان الغزلان التي رايت منها عند ضفة الفرات. كما رايت في قصص حديد حيواناً يسميه العرب «دليل الاسد» وهو يشبه القط، ولذا يسميه البعض «القط السوري» وقد رايت واحداً منه في مدينة فلورنسة، وكانوا يسمونه هناك بهذا الاسم، وهو حيوان وحشي تعلق اذنيه ذوائب من الشعر. اما تسميته «دليل الاسد» فترجع الى ان حاسة الشم عند الاسد ضعيفة يعكس ما هي عليه عند هذا الحيوان، لذلك يتعاونان على قنص الفريسة ويترك الاسد حصه لدليله. . . وهناك الذئاب والافاعي التي تتكاثر في هذه الارض اخاذنة. تستغرق الرحلة من حلب الى بغداد شهراً كاملاً، والى البصرة شهرين، لان الجمال المحملة لاتقدر على قطع اكثر من خمس مراحل وفي الاكثر ست مراحل في اليوم الواحد.

#### بلاد العرب السعيدة:

يجب الا تسمى هذه المنطقة «سعيدة» ابداً، لان سكانها فقراء وهم في اشد حالات البؤس والتعاسة، والارض قاحلة، ومصادر العيش قليلة.

يُجمع في هذه المنطقة ومن السماء، واللبان، وفيها نخيل كثير، ومختلف انواع الفواكه. المناخ حار جداً. في هذه المنطقة قرى كثيرة ومدن عديدة، اهمها البصرة. وهي مدينة واسعة، كثيرة الخيرات والبضائع التي تردّها من الهند. تبعد نحو ميل عن النهر، ويتفرع منه قنال كبير يمر حول اسوار المدينة. وفيها من الفواكه: العنب والتين والتفاح والرمان. ويكثر النخيل فيها على مد البصر في جميع الجهات وذلك بسبب مناخها الحار. معظم سكان البصرة عرب ويتكلمون العربية، وفيها اترك خاصة من العسكريين. ويفدها الفرس باعداد كثيرة للتجارة، ويطلقون على الفارسي اسم «عجمي». لذلك ترى اللغتين التركية والفارسية منتشرتين في المدينة. ولقد نمت هذه المدينة وتوسعت منذ سنوات قليلة على اثر سقوط بغداد وهرمز، لان اعداداً كبيرة من الناس من العامة والتجار قدموا اليها.

فيها من النصارى طوائف عدة: الارمن والناسطرة والبعاقية. وهناك جماعة يطلق عليها اسم نصارى القديس يوحنا وهم ليسوا بنصارى، اذ يسمون انفسهم مندائيين، ويعرفهم الآخرون باسم الصابئة. تتبع منطقة البصرة قرى صغيرة عديدة. والفواكه فيها كثيرة كما ذكرت آنفاً واهمها التمور، كما يوجد الرز فيها، اما القمح فيجلب من فارس.

ان الباشا الذي يحكم البصرة قد شق عصا الطاعة على السلطان قبل بعض الوقت. وهو على علاقة جيدة بنا، ويزور بيننا مراراً، ويتصدق علينا بهبات كريمة. وله نية نقل مدينة البصرة الى ضفة الفرات، وهذا شرع بينا قلعين جبلتين هناك، واسواراً ودوراً كثيرة، وحفر حولها خنادق عريضة وعميقة. تطبق هذه الشعوب العدل على الطريقة الاسلامية، لا بواسطة محامين بل امام القاضي الذي يطلعون عليه اسم «الافندي».

تأتي السفن البرتغالية الى البصرة حاملة البضائع الهندية ثم تعود محملة بالتمور والفواكه على انواعها والسجاد، وخاصة الجياد العربية الرائعة. والمادة المتبعة ان من يحمل عشرة جياد يعفى من دفع الضرائب عن بضائعه، فان نفق جواد في الطريق يعتمد صاحبه الى قطع ذنبه لعرضه على الجباة فيتخلص من دفع الضرائب.

#### وصف ما بين النهرين:

هي الارض الخصبة جداً الواقعة بين النهرين: الفرات ودجلة. وفيها قرى ومدن كثيرة مأهولة بالسكان، وهي سهلة

منبسطة قليلة الجبال . ولقلة السكان فيها فان معظمها غير مزروع اللهم قرب المدن والقرى .  
من مدنها القديمة نينوى عاصمة الآشوريين . . . وتزال بعض اثارها قرب دجلة ، وقد قامت مدينة تسمى الموصل . وبابل  
الواسعة العظيمة . . . وبغداد الواقعة على دجلة وفيها قسم ضمن بين النهرين لكنه هدم منذ بعض الوقت من قبل الفرس .

#### وصف كلدية :

ان كلدية او دولة الآشوريين هي اقدم مملكة في تاريخ العالم ، ازدهرت منذ عهد نينوس اول ملوكها . اما اهم المدن في هذه  
المنطقة حالياً فهي بغداد وتعني البستان لكثرة البساتين العامرة فيها ، وتسمى ايضاً بابل الجديدة لانها شيدت بمواد بابل القديمة .  
وكانت مدينة واسعة قائمة على حدودي نهر دجلة قبل ان يندسها ويغريها شاه الفرس قبل سنوات قليلة . اما الآن فان صاحبها  
المشيقة على جانب البادية قد دمرت واصبحت قاعاً صافصفاً . اما القسم الاخر منها لايزال قائماً وهو بتاسع مدينة افيثيون .  
ان المساحات المزروعة بالنخيل داخل المدينة وخارجها تضيء على بغداد جلالاً آنحاذاً . ولقد اعاد الفرس بناء سورها  
وابراجها من اجل تحصينها لامن اجل تجليلها . ذُروها ضيقة كسائر المدن الاسلامية . بيوتها مشيدة بالطين او بالطابوق .

#### احوال بغداد :

عندما مررت ببغداد كانت في قبضة الفرس الذين استولوا عليها لايقوتهم ولكن من جراء الخيانة ، لان حاكمها الذي يقال  
له الباشا ، خلّ عليه سخط السلطان ، واذخاف ان يأمر السلطان بقتله ، قدم الارض للشاه عباس الفارسي ، ثم انقلب عليه وغير  
خطته مستهزئاً بالشاء الذي جاء ليلسم المدينة ويضمها الى دولته . فغضب الشاه جداً من هذا التحدي وحاصر المدينة مستخدماً  
الحبث والغدر وخيانة ابن الباشا نفسه حتى استولى عليها . وعندما سقطت القن القبض على الباشا ، واذا كان قد خان الطرفين اي  
السلطان والشاه فانه لم يجد من يشفع له ، فمات اشنع مية بعد عذاب طويل ومرير وغريب في نوعه ، اذ نال في اول الامر رعاية  
خاصة ولمدة ثلاثين يوماً كانت وجباته اشبه ماتكون بالولائم ، لكنهم حرموا عليه النوم فما ان يداعب النعاس اجفانه حتى يوقظوه  
بضربات حادة ، وبهذه الطريقة المهولة لقي حتفه فقال جزاء خيانه .<sup>(١٠٠)</sup>

بقيت المدينة بحوزة الفرس سنوات قليلة . لكن مكائنها الكبيرة في نفوس الاتراك تجارياً ومعنوياً ، لانتليق بكرانهم ان تبني  
تحت الاحتلال ، لذا جهز السلطان مملتين او ثلاثاً لاسترجاعها ، لكن العساكر هلكت دون ان تحقق نتيجة ، واخيراً تحرك السلطان  
مراد نفسه على رأس جيش جزار بعد اربعمئة الف رجل ، وقد سمعت انه استعادهها مؤخراً<sup>(١٠١)</sup> وقيل لي انه لم يفتحها بالقوة  
والشجاعة ، ولكن من جراء خيانة حاكمها . ومات في الحرب مئة وثلاثون ألفاً من جانب الترك ، ولقي ثمانية عشر ألف فارسي  
حتفهم على يد الاتراك بعد سقوط المدينة .<sup>(١٠٢)</sup>

#### بابل :

على مسيرة يوم جنوب هذه المدينة توجد خرائب بابل القديمة في موقع بين دجلة والفرات ، اذ لايبعد مجرى الواحد عن الآخر  
كثيراً في ذلك الموضع . كانت بابل القديمة واسعة جداً تكاد تحتل كل المساحة بين النهرين ، ولا تزال اثار عظيمة تشاهد في اماكن  
عديدة الى الآن . كما توجد خرائب برج بابل على بعد ستة فراسخ فوق بغداد كما اخبرني بعض الارمن الحثريين يشنون هذه البلاد  
والذين نستخدمهم كمرشدين . لقد ظهر لي البرج الذي اشاروا اليه عالياً رغم اننا القينا نظرة عليه من بعيد ، ولو فكرنا ملياً فان  
قوهم لا يخلو من حقيقة محتملة لانه غير بعيد عن ينبوع القار ، وقد جاء في الكتاب المقدس ان الذين شيدوه استعملوا القار عوضاً  
عن الملاط في بنائه .<sup>(١٠٣)</sup> يقال ان ارتفاعه يبلغ ميلاً واحداً ، لكن النصارى المحليين يؤكدون ان ارتفاعه يبلغ ٣٩٢ ذراعاً ، ونظراً  
لقيامه في موقع قفر فانه بيان اعلى مما هو في الواقع .

سكان بلاد بابل هم كلدانيون يتكلمون اللغة العربية ، ومعظمهم مسلمون ، ولكن هناك عدداً من المسيحيين من ارمن  
ويعاقبة ونساطرة ، والنساطرة هم اكثر عدداً واهم مكانة من الآخرين . . . وقد اظهروا لطفاً معنا واستعداداً للتقرب منا ،

ويسكنون في قرى بلاد بابل، وهم بطريركهم وهوراهب من اتباع القديس باسيليوس،<sup>١١١</sup> ويسكن في دير شهير في بين النهرين،<sup>١١٢</sup> وكان قد دعا قبل سنوات وطلب بالحاح احد رهباننا المدعو الاب ياسيل للقديس البرتغالي الاصل<sup>١١٣</sup>، وهو راهب فاضل رفيع الحصال عالم باللغات الشرقية كالعربية والفارسية والتركية والكلدانية فلبى دعوته وتبادلا وجهات النظر في امور الديانة. فسمهم متزوجون كسائر الطوائف الشرقية اما اساقفتهم فلا. يستعملون في مراسيمهم الدينية اللغة الكلدانية. في السنين الاخيرة عثروا قرب بغداد (بابل) على مقالع للرخام فاخذوا يستخدمونه في تجميل اماكن العبادة.

شذرات متفرقة:

[ص ٩٨]... وكنت قد توهمت اعلاه كيف استولى الشاه على بغداد ومنطقة كلدية... وكان مصمماً على ارسال حملات اخرى للاستيلاء على مناطق اخرى كالبصرة مثلاً، ولكن حدث ان وافته الاجل المحتوم في اثناء حصارها.

★ ★ ★

عندما كنت في البصرة وصل خبر تداعي جامع مكة الشهير وسقوطه فعم الحزن ارجاء المدينة ولم يمالك الناس انفسهم عن البكاء.

★ ★ ★

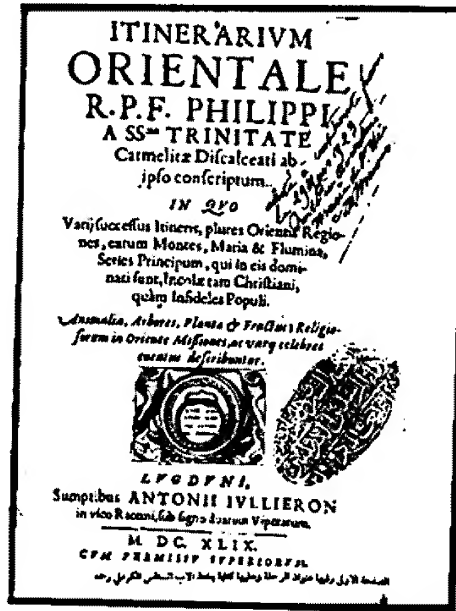
[ص ٣٢١] بينا كنا في البادية العربية في طريقنا من حلب الى بغداد، شرع العرب بمراقبة القمر ولاحظوا خسوفه، فجمعوا الاواني النحاسية واخذوا يقرعون عليها بقوة محدثين ضجيجاً هائلاً،<sup>١١٤</sup> اذ انهم يعتقدون ان قتالاً صارباً قد نشب بين القمر والشمس ويريدون بهذا الضجيج ايقاف القتال.

★ ★ ★

يقدم عرب البصرة ضيافة لاميثل فما نحو الغرباء بكرم ولطف عاليين. وهذا ماحدث لي ولرفاقي عندما قدمنا اليها بحراً من فارس ونفذت مؤننتنا وكدنا نموت جوعاً وعطشاً. وماان وصلنا الى احدى قراهم حتى قدموا لنا خبزاً ولبناً وتمرأ وكل ماكان عندهم في ذلك الموسم. وبعد ان اكنا وشبعنا طلبنا منهم المزيد على سبيل الشراء فاعدوا لنا حلالاً كل ماطلبنا ورفضوا رفضاً باتاً استيفاء ثمن ماقدموه لنا وقالوا باعتزاز ان الضيافة لكل عابر سبيل ايا كان واجبة. واذا اردت ان اقدم شيئاً لقاء ذلك فعند خروجي اعطيت مقداراً من المال بيد الاولاد. ولم تكن هذه حادثة وحيدة بل صادفتنا اكثر من مرة.

★ ★ ★

[ص ٤٠٢] للاباء الاوغسطينيين<sup>١١٥</sup> دير في البصرة، وللآباء الكيوشيين رسالة في بغداد واخرى في الموصل<sup>١١٦</sup>.



### الهوامش والمصادر

- ١ - مع الشكر الجزيل للاب ميشيل الكرمل (بغداد) الذي زودنا بهذه المعلومات من صاحب الرحلة.
- ٢ - هذه العناوين من وضعنا.
- ٣ - هذا مطلع الفصل الخامس من الرحلة وهو في ص ٢١ منها.
- ٤ - نقطة المثلث على الخد الذي يحمل صورة ترس منذ عهد الرومان، والملاحظة لآنية Sevenam.
- ٥ - نوه السائح أكثر من مرة، بملك، البادية وعاصمة البادية. وهو يشير إلى أسرته أبي وشية المسيطرة آنذاك على البادية. و الملك. في تلك الفترة كان مطلق أو مدجج أبو الرتبة.
- ٦ - اظه يشير إلى موقع حفرتوف.
- ٧ - مسكنة بغداد بتلاعب بها الاغراب. انها نصف خراب، بسبب الاحتلال الفارسي لها.
- ٨ - رهبان من اتباع طريقة فرنسيس الاسيزي. فلعوا إلى بغداد سنة ١٦٢٦.
- ٩ - وعادوها سنة ١٧٠٢.
- ٩ - وهي القنوة الملكية الاسبانية. فكلمة اوياله تنسب إلى الملك.
- ١٠ - عباس الصفوي (١٥٨٧ - ١٦٢٩).
- ١١ - كلشتر خلفه ص ٢٢٤ ومايليها.
- ١٢ - د. علاء نورس: العراق في العهد العثماني (بغداد - ١٩٧٩) ص ٤٤ ومابعدها.
- ١٣ - من رهبان الكنيسة الكاثوليكية في الغرب. وينسب اسم رهبنتهم إلى جبل الكرمل في فلسطين. قدموا إلى العراق سنة ١٦٢٣.
- ١٤ - وهو علي بن افراسياب. انظر: الكمي: زاد المسافر ولغة الفهم والحاضر
- (بغداد ١٩٥٨) ص ١٨ - ١٩.
- ١٥ - كان علي باشا على علاقة طيبة بالاوربيين عامة ويكن استمراماً للاباء الكرملين. وقد ذكر الرحالة دبلانفاله الذي زار العراق في نفس الفترة شيئاً كثيراً عن هذا الباشا وعلاقته بالاباء المذكورين. وقد ترجمنا هذه الرحلة الهامة إلى العربية ولم ننشر إلى اليوم.
- ١٦ - هو عثاق الأرض. وبالتركية ثرءقولق. انظر: معجم الحيوان لأمين المملوف ص ٤٩ - ٥٠. وقد ذكر وجوده بالعراق وحالة آخر هو يفتنو وقد ترجمنا مقتطفات في هذه الرحلة إلى العربية (مجله بين النهرين ٢: ٣٨٧ - ٤٠٥).
- ١٧ - يشير إلى بكر صوباشي، واسم ابنه محمد وكان المسؤول عن الدفاع عن القلعة فتواطأ مع الفرس طالباً الأمان لنفسه لقاء تسليمه القلعة فسقطت بغداد.
- ١٨ - استعاد السلطان مراد الرابع مدينة بغداد في ٢٥ كانون الأول ١٦٣٨.
- ١٩ - انظر التفاصيل في: لونتكرليك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (بغداد ١٩٦٨) ص ٦٦ - ٦٨.
- ٢٠ - سفر التكوين ١١: ٣.
- ٢١ - انه على وهم انه لم يكن في العراق رهبنة تتبع غوانين القديس باسيليوس.
- ٢٢ - هو دير الريان هرمزد قرب القوش (الموصل).
- ٢٣ - الاب باسيل (١٥٩٦ - ١٦٥٤) قدم إلى البصرة سنة ١٦٢٣ وفتح فيها مبعثاً لرهبته وشيد كنيسة بمساعدة الوالي.
- ٢٤ - عزيز جاسم الحجية: بغداديات (بغداد ١٩٦٧) ص ١١١.
- ٢٥ - اعضاء رهبنة كاثوليكية ينسب اسمهم إلى القديس اوجسطين (٣٥٤ - ٤٣٠).
- ٢٦ - نوهنا بهم في المامشر ٨.



# رحلة فيدريجي الى العراق (القرن السادس عشر)

## ترجمة وتعليق

الأب د. بطرس حداد

بغداد

### المقدمة:

جيدة استطاع بواسطتها ان يحل مركزاً مرموقاً في سوق البندقيّة ويكون على صلة تجارية بشركاء ومعتمدين له في كل من صقلية واسطنبول.

امّا سنة وفاته فغير معروفة لكنها تقع بين ١٦٠٠ - ١٦٠٢، ففي سنة ١٦٠٠ حرر وصيته، وفي سنة ١٦٠٢ حرر كاتب العدل تركته، فقد وافاه الاجل بين هذين التاريخين.

### صاحب الرحلة:

هو تشيزاري (اي فيسر) بن جبرولامو فيدريجي (ويسرد احياناً: دي فيدريجي). من اهل ايربانبوه من المدن التابعة للبندقيّة. ولد نحو سنة ١٥٣٠م لانه عندما شرع بالرحلة سنة ١٥٦٣ لا بد انه كان ابن الثلاثين عاماً او نحو ذلك، وقد اكتسب خبرة في التجارة وطموحاً خفوه على المغامرة في رحلة طويلة الى الشرق.

كان يتعاطى تجارة الجواهر ويسمى الى اقتناء النفيس منها، ولهذا سافر في رحلة امتدت به ١٨ سنة، اي ما بين ١٥٦٣ الى ١٥٨١، وعاد الى موطنه يحمل بضاعة ثمينة.

طاف في الشرق مروراً بسوريا والعراق واخذ حتى وصل الى بورما (ويسمىها برمانيا) والى ماليزية وهي ملقة. ولم تكن الرحلة سهلة ولا التجارة هينة. فكم من مرة اصابته الحمى، وباعته للصوص وقطاع الطرق. وكم فاجأته العواصف العنيفة واضاع من بضائع، حتى اضطر احياناً على البدء من جديد! لكنه عندما عاد الى وطنه في ٥ تشرين الثاني ١٥٨١ كان يحمل بضاعة

### رحلته:

غادر البندقيّة سنة ١٥٦٣ فوصل الى قبرص، ومنها الى طرابلس ثم حلب ودخل العراق عن طريق بيره جك، وانحدر في الفرات حتى الفلوجة، ثم واصل الطريق البري الى بغداد ونزل الى البصرة في شهر دجلة ومن هناك اتجه بالمركب الى الهند. في سنة ١٥٦٩ قرر العودة الى وطنه بعد ان حقق ارباحاً طائلة، فرجع الى غوا في الهند على امل الاتجار الى البصرة، لكنه لم يبحر لسببين: اولهما مرض خطير الم به اجبره على ملازمة الفراش اربعة اشهر، ثم حصار المدينة الذي حال دون مغادرتها، فخرس مالاَ كثيراً من جراء المرض وغلاء المؤن في اثناء الحصار، فقرر العودة الى التجارة في الشرق. ولما حصل على مال جزيل وقرر العودة الى ايطاليا رحل الى هرزم ثم البصرة ومنها الى بغداد فحلب، وبعد زيارة قصيرة للاراضي المقدسة في فلسطين، اكمل الرحلة الى وطنه فوصل البندقيّة في ٥ تشرين الثاني ١٥٨١.

والجزئية في سائر اللغات في الكتاب المذكور اعلاه ص ٤١ - ٤٢ من مقدمتها.

وزيادة بالفائدة نذكر العنوان الاصلي :

Viaggio di M. cesare dei fedrici, nell' India Orientale, et oltra L. India: Nel quale si contengono cose dilettevoli de intì, et de icostumi di quei paesi, et insieme si descrivono le spetiarie, droghe, gioie, e perle che d'essi si cavano. con alcuni avertimenti utilissimi a quelli, che tal viaggio volessero fare. In Venezia MDLXXXVII.

اما الطبعة الاخيرة التي نشرتها الباحثة اولغا پيتو، فنعوانها :

Viaggi di C. Federici e G. Batbi alle India Orientali. a cura di Olga Pinto. Ist. Polig. dello Stato, Roma — 1962.

وظهر الكتاب ضمن سلسلة من الكتب اسمها :

le Nuovo Ramusio, IV.

ان قيمة هذه الرحلة ليست في كثرة معلوماتها، فهي والحق يقال قليلة. لكن قيمتها تكمن في قدمها، اذ تعود الى القرن السادس عشر. وفيدريجي هو اقدم من وصف الطريق بين حلب وبغداد ثم البصرة من الرحالة الغربيين. ولعل الباحث العراقي يجد هنا او هناك في الرحلة ملاحظة نفيدة، وبهذا الكفاية.

لم يكن صاحبنا دقيقاً في وصفه خاصة فيما يخص المواقع والمسافات، كما لم يكن لطيفاً في بعض تعابيريه عن الشعوب الاخرى.

### رحلة فيدريجي الى العراق

#### المقدمة :

في سنة ١٥٦٣ مسيحية، اذ كنت انا تشيزري دي فديريجي بالبندقية، وقد عصفت بي الشوق لزيارة الشرق، ركب البحر مع بضائع مختلفة، على متن السفينة «كرادينجاء» المتوجهة الى قبرص، بقيادة «جاكامو فاتيكاه».

وعندما وصلت الى قبرص توجهت الى طرابلس الشام بسفينة اصغر، ولم اتوقف هناك، بل تابعت السفر الى حلب ضمن قافلة من الجمال، فوصلتها بعد مسيرة ستة ايام.

وفي حلب يتم الاتفاق مع التجار الارمن والمسلمين للذهاب سوية الى هرمز، وهكذا بارحت في ركبهم فوصلنا بعد يومين ونصف الى بيرة جك. "١"

بيرة جك :

ان بيرة جك مدينة صغيرة، لكنها مليئة بالسلع. يجري حول اسوارها نهر الغرات. وفي هذا الموضع يؤلف التجار مجموعات سفر، حسب البضائع التي معهم، وتوصي كل مجموعة على قوارب، او بالاحرى تشتري هذه القوارب المدة سلفاً للمسافر الى بغداد. "٢" ويدفع كل تاجر مقدارا محدداً يتلاءم مع ما يحمله من بضائع الى ربانة القوارب وخدامها.

ونزولاً الى طلب الاصدقاء المتلهفين الى اخبار الشرق قرر نشر اخبار رحلته، وكان يحتفظ خلال السفر باوراق يدون فيها ملاحظاته. لكن عندما انكب على الكتابة شعر بعدم استعداده اللغوي للكتابة فطلب من احد اصدقائه الرهبان القيام بهذه المهمة. كما نقرأ في آخر الرحلة - فلى الطلب، وهكذا ظهرت الرحلة للنور عام ١٥٨٧م وطبعت في البندقية تحت هذا العنوان الطويل : «رحلة السيد تشيزاري دي فديريجي في الهند الشرقية وماوراء الهند. وتحتوي على اشياء مسرة عن طقوس تلك البلاد وعاداتها وفيها وصف للعقاقير والتوابل والجواهر واللآلئ وكيف تُستخرج. مع ارشادات مفيدة لاولئك الناس الذين يبعون القيام بمثل هذه الرحلة» طبعت في البندقية سنة ١٥٨٧م.

يلاحظ من هذا العنوان الطويل ان المؤلف او الناشر اراد تشويق الناس الى مطالعة الكتاب. وقد اعيد طبعه سنة ١٦٠٦. اما الطبعة التي اعتمدناها في الترجمة فهي تلك التي نشرتها وحققها الباحثة الابطالية «اولغا پيتو» Olga Pinto في روما سنة ١٩٦٢ وقد طبعت مع رحلة «غسبارو بالبي» الذي مر بالعراق ايضاً، وهي من الرحلات المهمة، ولذا فقد اعددنا ترجمتها ايضاً وسبقناها قريباً للنشر.

ترجمت الرحلة الى الانكليزية سنة ١٥٨٨ واعيد طبعها اكثر من مرة، كما نُقلت الى المولندية وطبعت في مطلع القرن الثامن عشر، وقد ذكرت الباحثة بيتنو مختلف الطبعات الكاملة

وهذه القوارب مسطحة الارضية، قوية، لاستعمل الآ لسفرة واحدة، اي انها تنحدر مع مجرى النهر، ولا تستعمل في الصعود ضد التيار بسبب قوة انحداره ووجود اماكن صخرية احياناً. ولهذا فبعد ان تستعمل في الوصول الى قرية الفلوجة، يتابع هناك بجمع سير اقل من سرعها في بيرة جك، فهناك تقفني باربعين الى خمسين زكينة<sup>١</sup> بينما يتابع هنا بسبعة او ثمانية لاكثر. عندما يعود التجار ادراجهم، فلهم ان يسلكوا احد الطريقين حسب ظروفهم: فان كانت هم بضاعة خاضعة للضريبة فهم يأخذون طريق البادية الذي يستغرق اربعين يوماً، ونفقاته اقل<sup>٢</sup>. ولكن ان لم تكن معهم بضائع خاضعة للضريبة فهم يسرون في الطريق المتجه الى الموصل، اذ من هناك تنطلق قوافل كثيرة.

يستغرق قطع المسافة مابين بيرة جك والفلوجة حيث تتوقف القوارب، مابين ١٥ الى ١٨ يوماً عادة، اي عندما تكون المياه عالية. والفلوجة تقع [على نهر الفرات] في منطقة مقابلة لبغداد. وحدث لنا في هذه الرحلة ان الامطار لم تهطل اباماً عديدة ولذا هبطت مناسيب المياه جداً، فاستغرقت رحلتنا ٤٤ يوماً، وكثيراً ماكانت القوارب تصطدم باليابسة فنضطر الى النزول منها واتزال البضائع ثم نسير قليلاً ونعود فنحمل البضائع من جديد على القوارب.

ولا يستحسن السفر من بيرة جك بقارب واحد بل يجب اصطحاب قاربين او ثلاثة. ففي حالة تحطم احد القوارب يكون الآخر حاضراً للتحميل حتى يتم اصلاح القارب المتكسر. اذ ليس من المعقول ترك البضائع على اليابسة خلال فترة اصلاح القارب فمن الصعب حراستها من الاعراب الذين يتجولون هناك باعداد كبيرة خلال الليل يحاولون السرقة. وعندما تتوقف في الليل قرب الشاطيء ونربط القوارب اليه، فلا بد من التناوب على الحراسة... والاعراب لا يقتلون لكنهم يكتفون بالنهب والفرار. واستعمال البنادق في مواقع كهذه مفيد جداً لانهم يخافونها كثيراً.

هناك مواقع في طريق النهر بين بيرة جك والفلوجة يجب دفع ضريبة بضع قطع من فئة المؤدية<sup>٣</sup> عن كل حمل، وهذه ضريبة خاصة بابن دابوريشة<sup>٤</sup> سيد الاعراب وتلك البادية الشاسعة. وله في تلك المنطقة بعض المدن والقرى تقع على شواطئ النهر.

#### بين فلوجة وبغداد:

تتوقف القوارب القادمة من بيرة جك في الفلوجة، وهي قرية تنطلق القوافل منها الى بغداد مستغرقة يوماً ونصف اليوم.

اما بغداد فهي مدينة غير كبيرة، لكنها عامرة بالسكان، يكثر فيها الغرباء من التجار، لانها نقطة انطلاق الى بلاد فارس وتركيا والى بلاد العرب. فان القوافل القادمة اليها والراحلة منها الى مختلف الجهات تكثر فيها والمدينة مليئة بالبضائع والمؤن التي

اما بغداد فهي مدينة غير كبيرة، لكنها عامرة بالسكان، يكثر فيها الغرباء من التجار، لانها نقطة انطلاق الى بلاد فارس وتركيا والى بلاد العرب. فان القوافل القادمة اليها والراحلة منها الى مختلف الجهات تكثر فيها. والمدينة مليئة بالبضائع والمؤن التي تأتياها من ارمينيا بواسطة النهر الذي يحيط بأسوارها. وتنقل هذه المواد الى بغداد محملة على متن اكلاك عائمة فوق قارب متفوخة ومربوطة الى بعضها، وي طرحون فوق القارب الواحد يضعون الاحمال عليها وهكذا ترسل الى بغداد. وعند وصولها تنزل الاحمال وتفرغ الزقاق من الهوا وتحمّل على جبال وترسل الى مصدرها لتستعمل من جديد في سفرات اخرى.

تقع هذه المدينة ضمن الحكم الفارسي، لكنها منذ وقت والى الآن تخضع للحكم التركي<sup>٥</sup>. وللمدينة قسم مقابل في الجانب الآخر من النهر، في الجهة التي تواجه بلاد العرب، وفي هذا القسم سوق حسن، وفنادق<sup>٦</sup>، حيث يجل معظم التجار الغرباء الذين يفلدون الى المدينة. ويتم العبور من هذا القسم الى المدينة على جسر مشيد من جملة قوارب مربوطة الى بعضها بسلاسل غليظة. ولكن عندما تهطل الامطار بغزارة ويرتفع منسوب المياه، فانهم يقطعون الجسر ويمرون قسماً منه الى هذه الجهة، والقسم الآخر يسحب امام سور المدينة. وفي هذه الحالة يعبرون النهر بالقوارب. ولك ان تتصور خطر العبور في هذه الاحوال، لان القوارب

صغيرة، ويالغون في تحميلها، والتيار قوي، ولذا تنقلب القوارب احياناً فيبتلعها النهر ويغرق الناس، كما شاهدت ذلك بأم عيني غير مرة عندما كنت في هذه المدينة.

#### برج بابل:

يقع برج عمود،<sup>١١١</sup> في الجانب الآخر من النهر، في سهل واسع. ويبعد عن المدينة نحو سبعة اميال او ثمانية. وقد تهدمت اطرافه كلها، فاصبح اشبه ما يكون بجبل، لاصوره له. ولو ان قطعة كبيرة منه لاتزال قائمة تحيطها تلك الخرائب، او بالاحرى تغطيها.

شيد هذا البرج بطابق يحفف بحرارة الشمس. واما طريقة البناء فهي كما يلي: لقد وضعوا طبقة من الطابوق ثم طبقة من القصب الذي لايزال قوياً عجباً حتى الآن، مع طبقة من الطين عوض الملاط.

لقد طفت حول البرج عند اقدامه، فلم اجد فيه مدخلًا. ويبلغ محيطه في تقديري نحواً من ميل او اقل، ولكن لاكثر. يترك هذا البرج انطباعاً يختلف عن اي شيء آخر يشاهد من بعيد. فالاشياء تظهر من بعيد صغيرة وبقدر ما يقترب المرء منها تظهر اكبر حجماً. بينما هذا البرج يظهر عظيماً وبقدر ما تقترب منه يفقد تدريجياً هذه العظمة. وسبب هذا الانطباع في رأيي: ان البرج يقوم في وسط سهل واسع، وليس بقرية اي شيء مرتفع، اللهم تلك الانفاض المساقطة منه. ولهذا السبب فمن ينظر اليه من بعيد، والى ماحواله من اكوام متساقطة يخرج بانطباع العظمة، ولكن يختلف المنظر عند الدنو منه.

#### السفر الى البصرة:

رحلت من بغداد الى البصرة بواسطة المراكب التي تنتقل في نهر دجلة، بين بغداد والبصرة، وبالعكس. وهذه المراكب مصنوعة بمقدمة متينة، وكونها<sup>١١٢</sup> مغطى، ولم يتركوا في اسفلها فراغاً منهم لاجتماعهم اليه اذ لا يخافون تسرب الماء، لانها مطلية بطبقة كثيفة من القار، نظراً لكثرة ما عندهم من القار. فعمل بعد مسيرة يومين من بغداد، وعند نهر الفرات، تقوم مدينة اسمها هيت، ويقربها سهل فسيح مليء بالقرير الذي ينبثق من الارض. وما اعجب منظر العين التي ينبثق منها القرير الى الجوف مصحوباً بدخان خفيف، ثم ينتشر القرير على الارض، فتجد منه دائياً كميات كبيرة. ويقول المسلمون ان تلك العين هي فوهة الجحيم؛ والقي يقال ان المنظر جدير بالمشاهدة. وهذا السبب فتلك الشعوب تحصل عليه بسهولة وتستعمله بكثرة في طلي القوارب. ويظنقون على تلك المراكب اسم الدانك<sup>١١٣</sup> او السفينة.

تستغرق المسافة ما بين بغداد والبصرة ثمانية ايام او تسعة عندما يكون نهر دجلة عالياً. اما نحن فقد امضينا ضعف هذه المدة لان المياه كانت هابطة، وكنا نسير في النهار والليل حسب مستويات الماء.

هناك اماكن يجب دفع الضرائب فيها، بضع قطع من فئة «المزيدية» عن الحمل الواحد. وبعد تسعة عشر يوماً وصلنا اخيراً الى البصرة.

#### البصرة:

البصرة من مدن بلاد العرب. وكان يحكمها قديماً العرب [ابناء] الجزيرة، اما الآن فهي تخضع للسيطرة التركية التي وضعت فيها ادارة كبيرة تنفق عليها الكثير.

اما العرب الجزائريون فلمهم بلد كبير، ويرفضون الخضوع للحكم التركي الذي لا يستطيع اخضاعهم لما في بلدهم من قنوات كثيرة تتصل بالبحر، بين كبيرة وصغيرة، بحيث تتكون مواقعهم من جملة جزر، لا يستطيع الجيش التوغل فيها، لاعن طريق الماء ولاعن طريق اليابسة، وسكان هذه المنطقة رجال قتال.

قبل الوصول الى البصرة بيوم واحد على ما ذكر، رأينا قلعة صغيرة تسمى القزنة، تقوم في نهاية الارض حيث يلتقي دجلة

بالفرات فيكونان نهراً عظيماً هادراً نصب مياهه جنوباً في الخليج .  
تبعد البصرة عن البحر نحو خمسة عشر ميلاً . وفي هذه المدينة تجارة واسعة بالتوابل والعقاقير التي تأتيها من هرمز . وفي المدينة  
ايضاً كميات عظيمة من القمح والرز والبقول والتمور التي تنمو في المنطقة نفسها .

#### السفر من البصرة :

ركبت البحر من البصرة متوجهاً الى هرمز . وتبلغ المسافة بينهما ٦٠٠ ميل . ويتم السفر في سفن مصنوعة من الواح مخيطة الى  
بعضها بحبال دقيقة . ويتركون بين لوح وآخر مسافة يدسون فيها نوعاً من التبن ، ولذلك يتسرب الماء . فهي والحالة هذه وسائط  
خطرة جداً .

بعد مبارحة البصرة نمخر نحو ٢٠٠ ميل في الخليج ويكون البحر من جهة اليمين حتى نصل الى جزيرة خرج . ويتم  
الانطلاق من هناك الى هرمز ، فتكون ارض فارس عن يسارنا وارض العرب عن يميننا . ونلقى في طريقنا عدداً لا حد له من الجزر .  
[ويكمل الرحالة طريقه الى هرمز ثم الهند والشرق الأقصى ، وفي طريق عودته الى بلاده يمر بالبصرة : ص ٦٣ من النص  
الاصلي وما يليها] .

#### طريق العودة الى البصرة :

... لتعد الآن الى سرد احداث رحلتي . فقد التفت في هرمز بالسيد فرانيسكو برتين البندقي فاشتركتنا في استئجار سفينة  
تقلنا الى البصرة لقاء سبعين دوكة . وقبلنا معنا بعض التجار ليساعدونا في دفع المبلغ المذكور . فوصلنا بسهولة الى البصرة حيث  
مكننا اربعين يوماً منتظرين اعداد قافلة المراكب التي تنوجه الى بغداد . اذ لا يذهب الى بغداد قاريان او ثلاثة ، بل يجب ان يتجمع  
عدد كبير منها ، ما بين عشرين الى خمسة وعشرين او ثلاثين . واذ لا تقدر المراكب على السفر في الليل بل عليها الرسو عند الشاطئ ،  
لذا يجب ان تقوم حراسة شديدة ، عالية التسلح خوفاً عليها من اللصوص الذين يسمللون لسرقة التجار .  
تسير المراكب في طريقها الى بغداد في اول الامر بقوة الاشرعة ، ومن ثم بواسطة الجبل المربوط الى السارية .

استغرق السفر الى بغداد خمسين يوماً . وفي بغداد اضطررنا الى البقاء اربعة اشهر حتى تجتمعت القافلة المتجهة الى حلب عبر  
البادية . ورافقتنا من هذه المدينة ستة تجار ، خمسة منهم من اهل البندقية وواحد برتغالي . . . فتزودنا بالآون الضرورية لنا ، وعلفنا  
لحيواناتنا ، تكفي اربعين يوماً ، واشترينا جياداً وبغالاً ، فهذه الحيوانات رخيصة هنا . فقد اشتريت حصاناً باحد عشر زكياً ، وبعته  
من ثم بحلب بثلاثين دوكة . واشترينا خيمة للسفر ، كنا نجد الراحة فيها .

اما الاحمال فقد كان عندنا ٣٢ جلاً . وقد دفعنا سبع دوكة لحمل الجمل الواحد . ولكل عشرة جمال نستأجرها يقدمون جلاً  
بجاناً ، فعندما نطلب عشرة جمال نحصل على احد عشر ، فهذه عادة البلد . واعتقد ان هذا الجمل الزائد هو للقيادة . كما اصطحبنا  
ثلاثة حاليين عن اعتادوا مرافقة المسافرين في ذلك الطريق ، وهكذا ارتحنا من جهة الخدمة ، ولم يعكر سفرنا اي مكروه . وعندما  
توقف القافلة ، كانت خيمتنا من الخيم الاولى التي يتم نصبها . والقافلة لانسير كثيراً في اليوم ، بل نكتفي بقصع نحو عشرين ميلاً .  
وكانت تبدأ السير قبل مطلع النهار بساعتين وتتوقف نحو التاسعة عشرة . ونحن حفظنا امطرت السماء اكثر من مرة خلال رحلتنا  
فلم يعوزنا الماء ، كما كنا نلقى ماء عذبا كل يوم تقريباً ، ولم نجد صعوبة ، فلنا حمل بماء للحالات الطارئة . مهما يكن من امر  
فاننا لم نحتاج الى شيء في رحلتنا لامن جهة الماء ولا لاي شيء آخر . فكل شيء متوفر ، بحيث كنا نأكل كل يوم لحم ضرياً . فتي  
القافلة قطع من الاغنام مع رعاتها . وقد اشترينا الاغنام في بغداد ، وكان كل تاجر قد رسم اغنامه بعلامة خاصة . وكنا نعطي  
للراعي «مؤبدية» واحدة عن كل شاة يقوم بذبحها ، وكان الراعي يأخذ اضافة الى تلك القطعة : رؤوس الاغنام وجلودها  
وكروشها . ولا يذبح الرعاة خوفاً الا على طلب التجار . وعلى سبيل المثال فان جماعتنا المكونة من ستة انفار - المنسوب بهم  
اعلاه - اشترينا عشرين خروفاً . ولما وصلنا الى حلب كان لا يزال معنا سبعة خرفان . وهذه الخراف من النوع الكبير والسمين .

ورغم عددنا الكبير كان الحروف يكفينا ليومين. ومن عادات السفر ان جماعات القافلة تتبادل اللحوم الواحدة مع الاخرى لكي لا تحمل معها لحماً طرياً، وهذا حل مريح فم. فمن يذبح خروفاً في هذا اليوم يعطي نصفه لجماعة ثانية فيعاد اليه حقه في اليوم التالي.

يستغرق السفر من بغداد الى حلب اربعين يوماً، منها ستة وثلاثون يوماً في البادية حيث لا يشاهد الا الارض الخالية وليس فيها اثر طريق. يسير الادلاء في المقدمة وتتبعهم القافلة لانهم يعرفون الطرق والمواقع التي تتوقف فيها القافلة حيث توجد آبار. فمتى ما توقفوا توقفت القافلة حلاً.

قلت اننا نقضي ستة وثلاثين يوماً في البادية، لاننا بعد ان نغادر بغداد نسير يومين في مواضع مأهولة حتى نعبث الفرات. وهكذا ايضاً قبل الوصول الى حلب بيومين نجد قرى ومواقع مسكونة من الناس.

يسير في القافلة دوماً قائد يحمل مشاكل المسافرين، ويعين الحراس اثناء الليل فيطوفون حول القافلة. بعد وصولنا الى حلب، ذهب الى طرابلس... حيث اخذنا مركباً بغية زيارة القدس، فرحلنا من طرابلس الى يافا، لكن

الرياح القوية رمت بنا الى قبرص، فعبرنا الخليج الى يافا، ومن هنا يستغرق السفر في البر يوماً ونصف. وقد طلبنا من صاحب المركب ان ينتظرنا هناك حتى عودتنا من القدس. وهناك امضينا اربعة عشر يوماً في زيارة الاماكن المقدسة على راحتنا، ثم عدنا الى يافا واقلعنا الى طرابلس فصعدنا على متن السفينة وراكسونا فوصلنا بعون الله وبعد اتعاب جمة الى البندقية في الخامس من تشرين الثاني ١٥٨١.

ان كان احد ينبغي السفر الى تلك الاطراف من الهند فلا يتراجع عند اطلاعه على الصعوبات الكبيرة والصغيرة التي لاقتها. فقد توقعت ان اجد مثل ذلك لاني غادرت البندقية وانا فقير ليس معي سوى ١٢٠٠ دوكاه استثمرتها في بضائع، فلما وصلت الى طرابلس تمزقت... فارسلت بضائعي في قافلة صغيرة متوجهة الى حلب، لكن القافلة تعرضت للسطو وتفرقت اموالي ومنها اربعة صناديق مليئة بالزجاج كلفتني سبعين دوكاه، وجدها فيها بعد وقد تكسرت معظم محتوياتها، لان اللصوص عند فتحهم لها لم يجدوا فيها سوى الزجاج فكسروا بعضها على امل ان يعثروا فيها على المال وتركوها. وبهذا رأس المال استطعت التجارة بالتبادل فعدت بمال وفير.

في دون برنولومو ديويجي من اهل فانو، استخرجت اخبار هذه الرحلة من مذكرات السيد تشيزاري وكتبها بامانة، جمعها المؤلف اكثر من مرة للتأكد من حقيقة الكلام وصحته. فاراد نشرها للفائدة العامة.

### \* الهوامش \*

- ١ - وردت في الاصل «البيرو»، وهي مدينة على الفرات الاعلى.
- ٢ - دعاهما بابل على عادة الرحالة الاوربيين.
- ٣ - قيل ان هذه اللفظة هي تصحيف لكلمة «سكة» العربية. وهي نقد من الذهب.
- ٤ - يشير الى الطريق ماين هري الفرات ودجلة.
- ٥ - نسبة الى المؤيد شيخ من الملوك المالكيين في مصر (١٤١٢ - ١٤٢١). ذكر الفريري هذه النقود في «كتاب النقود القديمة الاسلامية» لمحقق الاب الكرملي (القاهرة ١٩٣٩) ص ٦٣. وقد تشوهت اللفظة على يد السائح فكتبها «مدين».
- ٦ - نظماً اليه اسم نقد (انظر يعقوب سركيس: نظرة في كتاب النقود العربية وعلم التسمية مجلة الجمع العلمي العراقي ١ [١٩٥٠] ص ٢٩٢).
- ٧ - هي عملة بندقية الاصل سكها الدوق بارباريكو (١٤٨٦ - ١٥١١).
- ٨ - في الاصل «ابوريزه»، ولم يذكر اسمه.
- ٩ - وردت الكلمة بلفظها العربي.
- ١٠ - يشير الى آثار عكركوف.
- ١١ - الكونل: مؤخر السفينة.
- ١٢ - وهو ضرب من السفن الشراعية. يجمع على موانتيك ودوانج. انظر: حبيب زيات: المراكب والسفن في الاسلام (مجلة المشرق البيروتية) ١٩٤٩: ص ٣٣٤.
- ١٣ - نسبة الى الدوق وهو سيد البندقية في ايام غزوها في السنة الثالثة عشرة للميلاد.

# رحلة جوستن بيركنس عبر شمال العراق الارض الكلاسيكية عام ١٨٤٩م

## ترجمة

### د. سيار الجميل

كلية الآداب / جامعة الموصل

رحلته هذه على شكل رسائل في الحولية ومجلة الجمعية  
الاستشرافية الامريكية (Journal of the American Oriental  
Society) العدد الثاني ، الصادر في سنة ١٨٥٩م<sup>(١)</sup> .

ونظرا لاهمية رحلة بيركنس ، وما تضمنته «رسائل  
صاحبه» من معلومات مفصلة من الناحية التاريخية والجغرافية  
والطوبوغرافية والديموغرافية .. ولما لها من المتعة الادبية ، فقد  
عمدت الى وصفها بهذا المقال ، معتمدا في ذلك على «الرسائل»  
نفسها ( = الاصول ) ، ومعلقا على بعض ما رأيته يستوجب  
الملاحظة والاهتمام في ملحق بنهاية .

وما تجدر ملاحظته حول هذه «الرسائل» الهامة ، انها  
بقيت مجهولة عند جميع المؤرخين والدارسين والباحثين من العرب  
والاجانب الذين كتبوا في جغرافية العراق وطوبوغرافيه .. او  
اولئك الذين كتبوا في تاريخ عراق القرن التاسع عشر ... لقد  
استفاد العديد من الكتاب العراقيين المحدثين من «قائمة المصادر  
الاجنبية» التي ضمنها المؤرخ الانكليزي ستيفن هيمسلي  
لونكربك لكتابه الشهير : «اربعة قرون من تاريخ العراق  
الحديث» .. ولكن هذا الاخير لم يستخدم «رسائل بيركنس» ولم

## مشروع العمل : رسائل جوستن بيركنس

إن جزءا كبيرا من الكتابات الميدانية حول «العراق» ،  
والتي كتبها ونشرها العديد من الرحالة الغربيين في فترات  
متباينة ... لم تزل حتى يومنا هذا ، بعيدة عن الانظار العربية ،  
كونها محبوسة في لغاتها الاجنبية الام ... وان ما ترجم منها ، او  
كتب عنها يعد قليلا جدا بالنسبة لما تضمه جامعات الغرب  
ومكتباته ، ومؤسساته .. من الكتابات القديمة المنشورة وغير  
المنشورة عن العراق ، سواء كانت تلك الكتابات على شكل  
مذكرات يومية او يوميات او رسائل او تأليف او مقالات ...  
نشرت في فترات متباينة في حوليات مختلفة ، او على شكل كتب  
متفصلة ... كل في المجال الذي يعنيه ، والموضوع الذي  
يحتويه .

ولعل ما يلفت النظر ضمن ذلك التشكيل الواسع من  
الكتابات «الاجنبية» عن العراق : تلك الرحلة التي قام بها  
الراهب البشردكتور جوستن بيركنس - Rev. D.D. Justin Per-  
kins ، والتي اخترق بها شمال العراق قادما اليه من شمال  
غرب ايران ، وذلك في سنة ١٨٤٩م<sup>(٢)</sup> . وقد نشرت تفصيلات

يشير إليها في «قائمة مصادره الأجنبية» المشار إليها أعلاه . علماً بأنه استعمل وأشار إلى ما هو أضعف منها «مادة» ، وأضعف منها «معلومات» !

لقد توضح لنا بعد دراستنا لرسائل «جوستن بيركنس» ، بأن معلوماتها الجغرافية تغطي على «معلومات» الأحداث التاريخية . . لكنها يحد ذاتها ، إنما تضيء جوانباً نحن بأمرس الحاجة إلى معرفتها ، من أحوال المجتمع والتراكيب السكانية عصر ذاك ، ناهيك عن تبيان طبيعة العلاقات السياسية المحلية التي حكمت أوضاع المنطقة . . ثم مدى فاعلية السياسة الإدارية التي إتبعها باشوية بغداد ، في إطار القضاء على حالات التمرد والمصيان ضد «حكومة السلطان العثماني» . . ثم الوصف الدقيق والمعتبر للموجودات الأثرية التي كانت قد اكتشفت ضمن أعمال التنقيبات . . . والتي شوهدت في المناطق الأشورية لكل من العواصم الغابرة : نينوى والتمرود وخرسباد وآشور . . والتي كانت قد غدت عطف أنظار العالم قاطبة خلال النصف الأول من القرن الماضي . . وعدت تلك العمليات والاكتشافات الأثرية ، ظاهرة «متقدمة» لذلك العصر . وإخيراً ، ماذا توضح لنا ؟ يستشف قارىء «الرسائل» طبيعة الأسلوب والأداة والتعبير لـ «صاحب الرسائل» (جوستن بيركنس) كأحد الذين دفعتهم الأجهزة «الاستعمارية» إلى المنطقة . . ملاحظاته وتعليقاته التي توضح لمن يقرأ رسائله : أمانيه وطموحاته وهو يحتاج أصعب المناطق في مسالكها الوعرة والخطيرة التي يتعلم فيها الأمن والاستقرار . وهذا ما توضح جلياً من ثنايا هذه الرحلة .

ولكن ماذا عن النوايا والأغراض ؟

لقد كان قصد «جوستن بيركنس» قد بينه هو نفسه بجلاء . . إن الأغراض التي قصد صاحبها تحقيقها هي متنوعة ومتعددة ، مثلها مثل غيرها من الرحلات التي سبقتها أو لحقتها من قبل الغربيين لمنطقة الشرق الأوسط عموماً . . ويظهر جلياً بأن الهدف التثري كان من أساسيات تفكير الرحالة بيركنس ، باعتباره مبشراً أمريكياً كان يعمل ضمن الهيئة الأمريكية العاملة في إيران إبان تلك الحقبة . . وأنه كان أحد مراسلي «المجلة

الاستشرافية الأمريكية» - المذكورة أعلاه . . وقد توضح كل ذلك جلياً في بعض الفقرات التي كتبها في رسائله . أما الهدف الآخر ، والذي أولاه الكاتب أهميته وعنايته في رحلته هذه . . أنه ابتغى الوصول إلى مدينة الموصل ، بغرض الاطلاع على الآثار الأشورية التي تتعالى قباتها على الضفاف اليسرى من نهر دجلة ، والتي كانت قد اكتشفت حديثاً .

ولكن ما أهمية الآثار ؟

تعتبر الاكتشافات الأثرية الكبرى تلك . ظاهرة «غريبة» لذلك العصر الباحث عن «حقائق الماضي اللاهوتي القديم» . . وقد برزت وتشتكت وتجلست تلك الظاهرة في رحلات وتنقيبات الرجال الأثريين الغربيين أمثال : لا يارد وراولنسون ويونا ورسام وغيرهم ، وتثلث أمام العالم من خلال كتاباتهم سواء كانت نشرات أم مراسلات . . أم كتب ورسوم . . الخ ومن المعلوم لدى الباحثين والعلماء أن نتائج تلك الاكتشافات كانت «إيجابية» كونها أمدت التاريخ والعلم والحياة والناس والجامعات . . بما كان ينقصهم من جوانب خفية عن الحضارات الإنسانية الأولى في دنيا وادي الرافدين ، وعن قوله العالمية القديمة . أما النتائج المباشرة لتلك الاكتشافات الأثرية ، فإن علينا نحن أبناء العراق أن ننظر إليها نظرة المالك لاثارة وموروثاته وموجوداته فقد كانت الاكتشافات ذات وجه سلمي ، إذ أن أعمالها الأساسية العامة ومن ضمنها عمليات التنقيب . . قد جرت في عصر ، كان أصحابها من أبناء «العراق» يرم ذلك غافلين عما يجري من حولهم ، نظراً لعقم ثقافتهم وضعف تحسهم وقلة وعيهم بقيمة تلك الموارث والموجودات ، إذ أنهم لم يقيموا وزناً يذكر لقيمة تلك الكنوز والفنائن التي نقلت إلى أوروبا على مرأى ومسمع منهم عملاً بنظام «الامتيازات العثمانية» الذي منح للأتوريين في السياسة والدبلوماسية والتجارة والتقل . . . فقدوا والأجيال البعيدة من بعدهم أعظم ما خلفه التاريخ لهم من تراث حضاري يمثل بتماذجه المختلفة المتوزعة في متاحف أوروبا ، شموخ أقدام المدنيات البشرية في العراق . . هذا البلد الذي يعتبر : «الأرض البكر الأولى من حياة الحضارة



الانسان، وهي الارض التي اطلق عليها الرحالة بيركنس بـ «الارض الفكلسلكتية» ، او «المهد البكر من عرق الانسان في الوجود» - على حد تعبيره -<sup>(١)</sup> . وماذا عن «الرسائل» ؟

تتصف «رسائل» جوستن بيركنس ، كونها تتحرى خط الرحلة التي ضمت كاتبها مع جماعته خطوة خطوة في المناطق التي جاسها عبر شمال العراق .. داخلا اليه من البوابة الحدودية الاستراتيجية الجبلية (= كاليه شين)<sup>(٢)</sup> ، بعد قطعه مسافات ايرانية ، ثم يغترق السلاسل الجبلية العراقية ، وسهل اربيل وسهل الموصل حتى يصل الى ضفاف نهر دجلة . وتتفاوت الرسائل في حجمها ، ما بين رسالة قصيرة تتألف من عدة اسطر الى اخرى مسهية في تفاصيلها .. تزيد على صفحتين وثلاث او اربع صفحات . اما تواريقها ، فتكاد تكون يومية «كسجلات» ، اذ تبثني الرسالة الاولى في ٢٥ ابريل (= نيسان) ١٨٤٩ ، وتؤرخ آخر رسالة في ١٨ ميس (= ايار) من نفس السنة ، وبمجموع الرسائل كاملة ٢٤ رسالة ، اما العنوان الذي نشرت تحته في «مجلة الجمعية الامشراقفة الامرفكة» فهو :

'Artical IV: Journal of a tour from Oroomiah to Mosul through the Koordiah Mountains, and a visit to the ruins of Nineveh', By Rev. Justun Perkins D.D., Missionary of the American Board in Persia, (Read May 24, 1850). (٣)

وماذا عن الاسلوب الادبي الذي تمفزه به بيركنس ؟

تمتاز رسائل جوستن بيركنس ، باسلوبها الرومانفكف الاخاذ الذي فطفى عليه الجانب الوصفف . اما بناؤه . فهو محكم وفوتر اكفب اءففة فصففة فاففة فف الجمال . فشر الفارف ، وكافه فففش ففلة فاففها لفظة بلطفة ، وفففش الفافف الموصوفة ذاتفا .. فلك الفف اففرقفا الكافب ، بطففمفها الفلابة : فبالها وسهولها ، ففونفا وانهارها ، مزارعفا وحقولها ، لفلها ونهارها .. وففعله مشفدا لها ، مفعمسا ففروعفها ، ففففا فففرها ، فلك الفافف الفصففة من اعالف الفبال ، او السهول الفرففة للمافهة لها والمففة ففف نهر ففلة . ولا فرفابة ان فكون

الاسلوب على فففة من هفف الصنفة ، فهو افف الفان الافب الرومانفف الذي كان مزدهرفا فف اورفا فبان القرن الفافف عشر . من فافب اففر : هل هناك افشفاف افرفف ؟

لا ففوت ان فذكر بان فافب الففلة فف ففرض فف رسائفه بالمس من فففة وصففاف ففصف الففمافف والفبالف فف الفبال .. فففا فكون مرفافا من موفف ففلا قلبه دهشة ورهبة وانفعالاف ، فففة للاضطرابات الفف كانت ففمط الفافف الفف اففنازها فف فلك الفظروف الصعبة من فففة «العراق» . وماذا ففد ؟

ففل ان افقل الفارف للفرفف ففافب الففلة ، اففد ان افلمع على ففصف الامور . فففة ففشاراف فف «اسلوب الففب والفعمل» لابد من فذكرها :

١ - لفد اكفف على ففصف الامور المذكورة فف الففلة من فلال «الففففداف» الفف اسففرمفها .. اذ لم فكن موفوفة اصلا فف الفصوص ، واففصد «الففففداف» .

٢ - لفد ففاوزف عن فذكر امور وفففها لفسف بلفف فاففة .. وخصوصاف فلك الانشائفاف اللفظفة فف الوصف والفف فالف ففها فاففها .

٣ - اعتمدف على ففصف المرافف المهمة فف ففرفف ومعرفة ففصف المصطلفات والامافف للفاكف من ففرففها .. ولم فسعفنف فلك المرافف المفعمة فف الففرف على ففصف الفرف المفعومة الفف فذكرها بفركنس فف رساله ، وربما عرفها ففرف فواسطة المشاففة المفدانفة بالففان .. او من فلال افلافف على ففرائط فففة وفاصة للمنفقة .

٤ - هناك ففصف «الملاففات» على فافش الرسائل .. اففن انها فعود الى فففة ففرفف «فجلة الففمفة الاسفراقفة الامرفكة» كـ «فصوفاف» منها على رسائل منفوبفا بفركنس .. فاففلف علفها ، وفكرففا فف باب ملاففلاف على الففلة .

فرفف موفف بالففلة ففوسفن بفركنس<sup>(٤)</sup> : ولفد ففوسفن بفركنس فف ففرب الففاطعة الامرفكة (Westfield) الفف فسمى الان بمنطقة (Holyoke) ، وفلك ففارفف ٥

آذار=مارس ١٠٨٥ م . وقد لازم حلقات (Andover) الدراسية اللاهوتية للفترة ١٨٣٠ - ١٨٣٢ م . وتزوج من المس جارلوت بلس في ٢١ تموز=يوليو ١٨٣٣ م ، وأنجب منها سبعة اطفال . سمي كاهنا في الكنيسة الابرشية الكهنوتية في سنة ١٨٣٣ م ، ثم مبشراً ، وارسل كمبعوث اجنبي ضمن رحلات التجارة الامريكية الخارجية . وكان مخصصه في موضوع والمسيحيين الناطرة في شمال غرب ايران ، والتي عمل هناك للفترة ١٨٣٣ - ١٨٦٩ م . وقد اسس مركزا تبشيريا في مدينة اورمية بايران . كما وأسس فيها أول مدرسة لانكاستريانية في آسيا الوسطى .

ويعتبر بيركنس أول من حول اللغة النسطورية العامة الى السريانية الحديثة كتابة ، وأسس دار طباعة في سنة ١٨٤٠ م ، واشتغل محرراً في مجلة «شماعات الضوء» للفترة من ١٨٤٠ - ١٨٦٩ م . ومن اعماله : ترجمته لدمعهد الجديد للغة السريانية سنة ١٨٤٦ م . وايضا «المعهد القديم» سنة ١٨٤٣ م . والف كتابا بعنوان «اقامة ثمان سنوات في ايران» ، وكتاب «الحياة التبشيرية في ايران» ، وكتاب «مخطط تاريخي للبعثة التبشيرية نحو الناطرة» .

وتوفي جوستن بيركنس في ٣١ كانون الاول=ديسمبر سنة ١٨٦٩ م .

#### الرحلة

##### البداية

تحرك بيركنس ، مغادرا محل اقامته في سير - Seir - ، وذلك في الساعة السابعة من صباح يوم ٢٦ نيسان ١٨٤٩ ، متوجها الى الموصل ، محطاً انظار عالم الغرب آنذاك ، والتي بدأ من اجلها رحلته ، غنترقا الزاوية المحورية للطرف الشمالي الغربي من ايران ، ليدخل صابرا بعدها السلاسل الجبلية الشاهقات الذرى ، والتي تمتد مواقعها ، وفجواتها ، ومناقلها الحية في المنطقة الشمالية من العراق ، وقد سلك بيركنس الطريق الستراتيجي - التاريخي الذي مر من خلال ثغوره العديد من عطاء التاريخ ، مجتازا القرى والمدن المحلية التي تمتد عبر طول هذا الخط الجغرافي=والذي يصل مدينة اورمية بهذه السلسلة .

ولم يتوضح لنا كم كان عدد جماعته التي كانت ترافقه في رحلته هذه ، ولكنه يعلمنا انه اصطحب بعض الادلء من السكان المحليين ، ليكونوا عوناً له في الطريق الذي سيسلكه ، وليفيد كذلك من خبرتهم عبر المسالك<sup>(١)</sup> .

#### في اراضي كردستان ايران

واصل بيركنس رحلته ، حين عبر جسراً مقاماً على نهر باراندوز - Barandooz - ، ذلك الجسر الذي يكاد يلاصق صفحة الماء الصافي . . ثم انحدر مع جماعته نحو البحيرة الكائنة غربي تلك الجبال ، التي تشترك في سلاسلها بين العراق وتركيا وايران ، وتتمحور هنا على محور عريض في فجوة جغرافية مستطيلة من اراضي ايران . تتوقف بيركنس ليلاً قرب قرية كرجان - Garjan - وتلقى دعوة من قبل صاحبها كريم خان ، فليها بشغف عميق وها هو جالساً مستجماً في الغرفة العليا من بيت هذا الخان ، وليرى كم كان منظر البحيرة خلابة . . ولم يعكر صفو استجمامه ذاك الا صوت اطلاق نارية دوت في الافق<sup>(٢)</sup> .

وعضي في طريقه القريب من البحيرة ، قاطعاً تلك الحقول الخضراء ، ثم يجتاز سلسلة من تلال صخرية منخفضة ، ويعبر مقاطعة سولدوز - Suldüz - ، ومدينتها الرئيسية نيقاديك - Nigadik - ، ثم يذكرنا بالخطر المهدد في ذهابهم من خلال هذا الطريق ، ولا سيما من الجماعات التي تسيطر على القمم ، وتتوزع بين الكهوف الغائرة ، وهم من الاكراد الذين كانوا قد قتلوا العديد من الايرانيين في تلك المناطق .

هكذا يمدد مصاعبه اثناء تقدمه في سولدوز ، ويصف لنا كم كانت الدهشة كبيرة تلك التي ارتسمت على وجوه الناس الذين صادفوه في هذا الطريق ، وعلى درجة مخيفة من الغرابة . كانت الثلوج بيضاء وقيرة وهي تعلو سلاسل ومنحنيات الجبال التي كانت تحتضن طريق القافلة ، وقد وصلوا نهر جدير - Jidir - بعد انهمار المطر . وكان النهر يسط صفحته المائية عرضاً كلياً ازدادت القافلة تقدماً ، وعند حافته الجنوبية اخذت الرحلة طريقاً مباشراً طوله ميلان ، اوصلهم الى قرية راختانا - Rakhtana - ، التي تضم ست عوائل نسطورية ، وهم

الناس الذين توقف بينهم بيركنس وقد اعتبرهم من ملكة - على حد تعبيره - .

بعد ان يصف بيركنس مقاطعة سولدوز ، وما يتخلل طبيعتها ، وما يزخر مزارعها<sup>(١١)</sup> . . يواصل سيرته بقطعه ٥ فراسخ ليصل بعد ذلك الى مدينة سارج بلانك - <sup>(12)</sup>Bay - Bulak حيث اصبح الان مع ركة بين الجبال الكردية ، وصعدوا اعل قمة في تلك السلسلة الجبلية ، وقد تركوا المدينة قائمة مباشرة تحت هامة ذلك الجبل المطل من فوقها ، ثم انحدروا وهربوا نهرها بواسطة جسر حجري عال ، مبنا بارتفاع فاطر وقد تلفت بعض احجارها ، وكان طوله حوالي ١٥٠ قدما . . وعلى جنوب النهر تنتشر مزارع القمح والكهوف الحجرية . ويستطرد بيركنس قائلا : من المحتمل ان اسم هذه المدينة قد اشتق من طبيعتها ، والذي يعني (الربيع البارد) .

تبثت قمم جبلية مخضوضرة ، هذا ما يكسو البعض منها ثلجا ، منتشر هنا وهناك ، وكان الفصل سائغا ، ومناخه صافيا لمن يؤثر السفر فيه ، الا ما يزعج من انهيار المطر احيانا . . ورغم ما يحيط بالمدينة من جبال الا انها ستكون ذات حرارة لاهفة صيفا . ويسكنها الاكراد ، وفيها حوالي مائة بيت من اليهود . البيوت حراء داکنة ، واسطحها صغيرة ، كما ان فيها اربع عوائل ارمنية ، وهي ذات تعامل تجاري جيد مع اماكن مهمة تستقطب التجاراتها ، فقد شاهد بيركنس في السوق تجارا من تبريز والموصل واورمية ، كما يمر عبرها الترانسبورت الى اسطنبول واوريا عن طريق ارضسروم ، والى افريجان وروسيا عن طريق بحر قزوين<sup>(١٣)</sup> .

في مساء ٢٩ ابريل ، انزلت الرحال بعد ان توقف الركب عند قرية داروك - <sup>(14)</sup>Darik - التي يسكنها خمسة عشر عائلة ارمنية ، وعشر عوائل نسطورية . وانهمرت الامطار ليلا ولكن تغير الطقس ، اذ هب الهواء عليلًا ، ونشرت شمس النهار اشعتها على اطراف تلك البقاع . . وبينما كانت الغافلة تمضي في طريقها ، كان بيركنس يسجل المعلومات الاساسية الهامة عن الموصل والمسالك الجبلية المؤدية لها ، وعبر مناطق الثلوج العميقة

التي قدر صعوبة اجتيازها في ذلك الفصل من السنة . . فكيف اذا ما كان الفصل في بواكيره ؟ ان الثلوج الطامية في المسالك هي عقبة كأداء تعيق الحركة والتنقل بين اقصر الطرق<sup>(١٥)</sup> . اما المسلك الذي سيتبعه بيركنس نحو العراق ، فهو من خلال القمة العليا التي تدعى بـ (كاليه شين) - <sup>(16)</sup>Galeh Shin - اي الدعامة اللازوردية الزرقاء ، والواقعة على المسلك بين اوشنو ورافاندوز - <sup>(17)</sup>Ravanduz - . وهي دعامة رخامية غامقة علوها ثمانية او عشرة اقدام ، ويصفها بيركنس وصفا دقيقا ، ويذكر بان المجر راولنسون - <sup>(18)</sup>Rawlinson - قد زارها منذ عدة سنين ، وكان قد نسخ منها نقوش الحروف المسمارية . ويعتبر هذا المسلك ذا موقع استراتيجي ، وله تاريخه العريق فقد مر من خلال نفوره الاسكندر المكنوني في حركاته الحربية مع داريوس الملك الفارسي<sup>(١٩)</sup> .

يواصل بيركنس رحلته في ٢ مايس ، على المسلك الذي يقوم بين طرايزون - ارضسروم فيسهب في وصف هذا الطريق ، ويصور لنا مروج ، والطيور التي تتلاعب في سمناته ، ويسانينه المزدهرة بشمار الكمثرى والشم . وغيره ، والاشجار الوارفة المنتثرة على حافة ذلك النهر ، وكأنها حاشية شريطية خضراء ملتحمة مع زرقة الماء الشفافة . وبعد خمسة اميال ، يصل الى قرية صغيرة تدهى بايرام شاه - <sup>(20)</sup>Bayram Shah - التي يتركها منحرفا نحو الغرب ، ويرى يتابع الماء تنضج في الوديان وقرافة صافية او ترسمها الطبيعة على صفحة الجبال ، خطوطا متوزعة متعرجة بعد ذوبان الثلوج . . وعند احد تلك الوديان الكبيرة ، افترض بيركنس الارض مع جماعته ، وكانت متعته كبيرة بمشاهد الواح الطبيعة ، وهو يتنسم عبقات الزهور الطرية ، وروائح اشجار الجوز والتفاح . . وكانت نعمات الطبيعة تتبدد في خفوت وتبقى مسسقات المصافير المنبعثة عن قرب تموسق سكون ذلك الوادي الجميل . اما الشمس فتسقط حليها كل يوم على تلك الجبال الثلجية بالياض . ويتحدث بيركنس عن الشمس الساطعة والثلج والجليد . . وقدرته - هو نفسه - على تذوق الحليب الرائب . . اللبن والفهمر - <sup>(21)</sup>Kimak - الذي اهدى اليه

القول كونه لم يشاهد ابداً من الاوربيين اناسا قد عبروا سهل  
ليجان قبل هذا التاريخ .

يعبر بيركنس بعد ذلك عن هواجسه وقد ملأ الخوف قلبه  
حين يشرح لنا كيف تسرب بعد ذلك مع جماعته بصورة خاطفة  
حوالي عشرة اميال من المكان الذي توقف فيه عند مقابلته لرئيس  
البلياس ، الذي نصح لهم باتخاذ الحيلة والحذر ومراقبة انفسهم  
من الناس الذين «لا يخافون الله» لَقَهُمْ في الخارج صمت قاتل ،  
وكان يوما غائما حين تسابق فيه المساء عليهم ، وانه لمكان  
ملائم ، ووقت مناسب جدا للرجال الدمومين ، وللأعمال  
اللينة المخزية - على حد ذكر صاحب الرحلة - . ويستأنف قاتلا  
واننا نؤمل ان ندخل (العراق) غدا ، وهو المكان الذي يعتبر اكثر  
امنا ، نظرا لتواجد حكومة فعالة على اراضيهِ ، وعليه فخطر  
القبائل قليل . ولقد صرح لنا مضيفنا الشاب - رئيس البلياس -  
عن الرغبة القوية المتواجدة لدى الجميع ، والتي تريد العيش  
تحت ظل حكم الاثراك بدلا من الحكم الايراني» (١١) . ولقد بقي  
مراد اغا برفقة بيركنس حتى صباح الرابع من نيسان ، وقد  
اكرمهم فيه كعادته بمائدة افطار شهية تضمنت الحبز واللبن  
والدوشاب المخلي اي (دبس السكر) . وتقدم معهم حوالي  
اربعين ميلا من رحلتهم المتواصلة . . بالوقت الذي وصلت  
الاخبار عنها الى القنصل الانكليزي في الموصل (١٢) عن طريق  
استخباراته .

### الدخول الى (العراق)

وفي اثناء مسيره ، عرف بيركنس المزيد من المعلومات عن  
كيفية عبور الحدود العراقية - الايرانية ، وما يتخللها من مناطق  
جبلية ، وقرى جبلية ، كما والم بطبيعة (كاليه شين) ، والمرور عبر  
هذا القنصل التاريخي - الجغرافي بين البلدين ، والذي يعتبر اشبه  
بنافذة جبلية حادة ، التي دخلوا العراق منها ، ووصلوا (شيخ  
محمد) - Sheikh Muhammad - ذلك المكان الرائع الذي يتصل  
بالمسلك الجبلي ، وهو احد الاضرحة الكبيرة الذي تؤمه الزوار

من الجيران الذين كان يجيئ لبعض الوقت بالقرب منهم (١٣) .  
مضت الرحلة في طريقها ، وهبت الريح فاخذت  
الاشجار تتراقص ، ثم انهالت الامطار ثقيلة مترعة ، واستمرت  
نحو ساعة من الوقت . . قطعت فيها الجماعة حوالي مليون . .  
ولازالوا في الطرف الغربي المباشر وتترامى لهم على الحدود  
الجنوبية نقطة جبلية عظيمة تشكل الحدود العامة بين العراق  
وامران (١٤) ، وقد غطيت بالثلوج البيضاء الوفيرة . . وابتدأت  
نهاياتها لا يحدّها شيء سوف الافق .

انحرفت الرحلة الان لاربعة او خمسة اميال نحو الجنوب  
الغربي ، ووصلت سهل لوجان - Lujan - وهو ذرية غنية ،  
ومياه وفيرة . . ويجري في شماله الشرقي نهر صغير يدعى  
(روبري - Roberi) ، وهناك نهر آخر بالمعوض يسمى (ليفان  
- Lavan) والذي يدخل السهل من جنوبه الغربي . نهران  
تجري على جانبيها جداول صغيرة تروى جميع القرى التي تتوزع  
في تلك المنطقة ، وتصل الجنوب حتى المنطقة الايرانية من  
سرادشت - Serdash - . كانت الاشجار الصنوبرية كثيفة  
تظلل عددا من الكهوف ، والصخور الممتدة من سولدوز متشرة  
على طريق السلسلة المنخفضة للجبال . وتقطع هذه المنطقة قبيلة  
البلياس (١٥) . وعلى ما يقرب من تسع ساعات ، قطعت الرحلة  
ما يقرب من ثلاثين ميلا بين احراش الاستبس . ثم خيم الركب  
ليلا في الجنوب الغربي من السهل عند قرية هانسه  
- Hanes - التي تعتبر على اقامة قره يناغدا ، ذلك الرئيس  
البارز لقبيلة البلياس صاحبة النفوذ ، وهو الذي قاد القبائل  
الكردية الرحل التي غزت ارومية في الحريف المنصرم ، ونهبت  
خمس عشرة قرية جنوب السهل ، فكانت له سمعة في الاماكن  
التي اجتازتها الرحلة . . على أية حال ، فقد صرف بيركنس  
نظره عن رؤية هذا الرجل الذي كان غائبا عن قريته في ذهابه الى  
اوشنو . فكان ان استضافهم ولده الاكبر مراد اغا ورحب بهم  
بحرارة . كان يناهز الثلاثين من العمر ، وقد جالسهم واكرمهم  
بمشاء سخى ، وقضوا ساعات المساء عنده . ويذكر بيركنس بانه  
قد عومل من قبل هذا الرجل بمتى الاحترام والوقرة . وبسط له

داخل بناء صغير تحويه ظلال اشجار الصنوبر ، وهو مقلص من قبل الاكراد ، وحوله قبور وزهور جميلة . ثم وصلوا قرية (بالك) — Balak — التي تقع ضمن اقليم راوندوز الذي يرتبط اداريا بياشوية بغداد — Baghdad Pashahq ، وقد قطعت الرحلة هذا اليوم ما يقرب من ثلاثين ميلا ، ولا زالت في طريقها الذي بدأ ينحرف قليلا نحو الجنوب الغربي .

بعد الدخول الى الاراضي الكردية من العراق ، يأخذ الطريق بالاتواء نزولا ، وهو ضيق وشاهق ، وعلى جاتيه واد صخري مسحيق . . . الثلوج تلدب على الجبال من حوله لتؤلف جدولا كبيرا يتهدى مآزه ليصل الى واد مشابه له يقع على الطرف الاخر من الطريق ليكون بعد ذلك نهر راوندوز . النهر الذي يعتبر من اهم روافد الزاب (زاباتوس — Zabatos — عند اكراتافون) — Xenophon ، وتراثه ليركنس بعض الحقول الصغيرة القمحية ، وكانت يانعة الاخضرار ، وعلى البعد منها تتفرق شجيرات البلوط ، واشجار السديان والغرب بشكل مجاميع على سفحات الجبل .

انحدرت الجماعة الى اسفل قاع الوادي . واصبحت الجبال في الطرف الاخر نافذة حادة وتغطاها قطع الغيوم المتفرقة في عليائها ، وقطعوا مسافة اوصلتهم الى قرية رايات — Raïet — وقد ظن اصحابنا ان للنافذة سلمها وبضائعها ، ولم يصدقوا ما اعلن من امر هذه الرحلة ، اذ توقعوا العكس تماما ، فبادروا الجياد ليقفوا ويحفصوا صناديق المؤن المحمولة ، وتواشقا الكلمات الحادة مع الادلاء ، وكاد يعصف الامر بينهم لولا التهديد الذي مورس معهم . . وقد اثار موقف احد الادلاء المراقبين الارتياح عند بيركنس ، كونه نجح في تمجازه العنيف مع بني قومه بجلجلته اللغوية التي لم يفهمها بيركنس — على حد تعبيره . .

قرية رايات ، قلعة قوية ، مبنية بالحجر والكلس ، وتشابه مع غيرها من القرى في هذا الوادي الذي يعتبر منطقته هذه ذات تحصينات قائمة ، ومتواجدة بما يقرب من عشرين عاما ، وذلك من قبل عماد باشا او كورمير<sup>(١)</sup> ، الرئيس الراحل

لراوندوز ، والذي تمرد ضد حكومة السلطان العثماني ونشر الخراب في كل مكان من مقاطعته ، كما نشر الرعب في جميع الاقسام المتاخمة لها<sup>(٢)</sup> .

نزلت القافلة في طريقها حتى صارت الى قرية (ديرنت) — Derbent — ، القرية اللطيفة ، التي هي رغم صغرها مأوى ينعم بالدفء ، ومنحجب تماما عن الانظار . ونقع على مفرق طويل ما بين نهر راوندوز ورافد اكبر يدخل من الشمال ، ويحتدر هذا النهر كثيرا مما يجعل مياهه تندفع بقوة عظيمة جدا . وقف بيركنس معلقا على هذا يقوله : وانه لو كان ذلك متواجدا في بلد متمدن ، لتحولت قوة النهر هذه عبر آلاف الدواليب للاغراض الصناعية ، والاستفادة من طاقاتها في المعامل ، ساحبة الصوف من اصل عشرات الالاف من قطعان الحراف المتواجدة في كل مكان من هذه المقاطعة لتنتج بعد ذلك سلعة مصنوعة ، وهذا ما يقال نفسه عن عدة انهر اخرى شبيهة تتدفق ما بين الجبال .

ان موقع ديرنت شاهق جدا ، والبيوت مبنية بالحجارة وقرية فيها بيضا . الاشجار خضراء جميلة نحو الاعلى من حافة النهر ، وتوزع حقول القمح نحو الادنى من القرية ، اما الجبال الصخرية الجبلانية فقد غطيت في هذا الوقت من السنة بطبقة ثخينة من الطحالب التي نادرا ما وكنا نراها في ايران ، ومن المحتمل ان نموها يتأثر عن حالة الجفاف التي يتمتع بها الغلاف الجوي في هذه المنطقة — على حد قول بيركنس . .

انحدرت القافلة بعض الاميال تحت بيرميت ، وكان طريقها صغريا ووعرا ، حتى وصولها الى واد ضيق ، ذلك الذي تقوم عنده قرية (ميميخال) — Memehâl — ، وقد تحدث الى بيركنس البعض من المسافرين الاكراد الذين مروا به عن الجيش التركي الجرار الذي كان محتشدا عند راوندوز ، وفعلا عند وصولهم هذه المدينة ، علموا ان الف جندي قد جازوا من المركز بغداد الى المنطقة المجاورة لـ (خوى) — Khoi —<sup>(٣)</sup> لتقوم بعمليات تاديبية للخارجين عن القانون ، والذين جاءوا الى ايران اثر تقدم الجيش التركي الذي كان يجتري الالاف من الجنود

النظامين ، وقد احتاج منهم اولئك القرويون الاكراد ، والاكراد هم الذين اعلموا بيركنس بتأجج الموقف<sup>(٣)</sup>

كانت القافلة قد نصبت خيامها في الليلة الماضية على بعد نصف ميل من قرية (ميمحال) هناك حيث يراري كردستان الموحشة ، ولكن اصحابنا كانوا مطمئنين في نومهم ، دون مراقبة للموقف او خشية من احد ، فيتبدد في رقادهم كل ما علق بهم من وعاء السفر واتعابه ، ويعود الامر في هذا كله لتواجد الحكومة الفعالة عكس ما عليه الحال في ايران ، وخلال خمسة عشر عاما لم يستطع احد من الاوربيين الاحتكاك بهذا الاقليم ، اما الان فقد اثمرت الجهود المكثفة لكل من الاتراك والايرانيين في قهر تلك الرهبة التي كان قد زرعها كورمير ، وعاد الامن والاستقرار الى ربوع هذه الجبال .

واصلت الرحلة طريقها غربا لما يقرب من ثلاثين ميلا ، متبعة في تزولها نهر راوندوز ، وذلك من خلال طريق صخري ضيق يبلغ طول قاعدته ١٠٠ قدم ، وله ارتفاع شاهق على جانبيه الاخر يعلوه مئذات الاقدام ، اما الجبال - هنا - فقد ليست سفوحها اشجار البلوط ، وكيست الارض بالمروج الملونة الجميلة التي تتماوج على حافة النهر ، اما اشجار الصنوبر الطبيعية الكثيفة فانما تنتشر على مد البصر ، التي نادرا ما تتواجد في الجبال الايرانية ، تلك الجبال التي وصفها بيركنس بالجبال الصحراوية .

تابعوا سيرهم بعد ان انحدروا غربا بجوافة هذا النهر التدفق بحوالي اربعة اميال ، ثم عبروا جدول ماء بواسطة جسر خشبي ، وانحرفوا الى الجنوب الغربي من الضفة ، ومروا بثلاث قرى تدعى على التوالي (جومان) — Choman — ، و (ريزان) — Rizan — ثم (عمرافا) — Omarava — وتحيط هذه القرى اشجار الفواكه ومزارع القمح . وعند القرية الاخيرة عبروا الى الجانب الاخر من النهر ، ثم اخذوا بالصعود الى قمة الجبل العالية المكسوة بغابة كثيفة من البلوط ، حتى وصلوا قرية (جاماركين) — Chamarkin — الشبيهة بتلك التي مروا بها سابقا ، ومنها وصلوا قرية (ديركالا) — Dergala — ، وهي

قلعة قوية وكبيرة ، ويقطنها اليهود ، وقد هرع العديد من الاطفال راكضين الى الطريق ليروا موكبنا ، ونحاطوا بيركنس بالسريانية - كما يذكر - التي تعتبر لغتهم البلدية . . وبدأت السماء تمطر مطرا ثقيلا على طول الطريق ، فسبب للرحلة مصاعب جمة ، ثم يقدم بيركنس بعد صعوده مشات بل الاف الاقدام منذ دخوله منطقة الرعب التركي - كما يسميها - يقدم وصفا لغلال اشجار العفص ، وكيفية جمعه من قبل سكان تلك الجبال ، رجالا ونساء واطفالا وذلك خلال الموسم المحدد من كل سنة<sup>(٤)</sup> .

تلاها بريق الشمس اللامع ، وانتشر على تلك البقاع صباح يوم ٦ مايس ، وانحدر الركب من القرية نحو مركز الوادي ، وكان المنظر رائعا لما يعلوه ويدنوه ، والتفوا مرة اخرى مع نهر راوندوز وقد قطعوا خلال ذلك خمسة او ستة اميال ، واقتربوا من مدينة راوندوز<sup>(٥)</sup> ، بعد مصادفتهم لبعض المتاعب في الطريق ، اذ انكسرت (العجلة) من جراء الامطار .  
وراوندوز<sup>(٦)</sup>

هذه المدينة التي توضحت حالتها من ثبات ذلك الوادي المنخفض ، وقد ذكر لصاحب الرحلة انها حارة وغير مريحة ولكنها بلدة صحية ، ويبلغ عدد سكانها ١٥٠٠ عائلة ، وهناك من بين هذا الاجمالي ٨٠ عائلة يهودية ، والبقية اكراد ، اضافة الى وجود يهود اخرين ايضا في عدد من القرى المجاورة ، وهناك قرية صغيرة تدعى (بايال) — Papel — ويسكنها النساطرة . ويتكلم اليهود اللغة السريانية . وعشنا حاول بيركنس ان يحرز عينة من منطلقهم ، اذ يقول ان نزعتهم الى الشك القديم الذي مرده حاخامهم ، لن تجعلهم يتقبلوا حتى الكتابة لمن يمل عليهم فصلا من فصول العهد الجديد (= الانجيل) .

لقد تمركز في راوندوز اربعمئة جندي تركي ، ليساعدوا في حكم هذه المدينة واقليمها . بيوتها مبنية على درجات ، اضافة الى الاسطح المسطحة التي يعلو الواحد منها الاخر . هذا ، اذن ، شكل راوندوز ، الاسم الذي كان يقلق تلك الاقاليم الايرانية التي مرت بها الرحلة لأول مرة . . وهي بالذات مكان

عمد باشا او كورمير ، كما كان يدعى عشائرياً<sup>(٣١)</sup> ، والذي كان لديه ٢٠ الفا من الاتباع البدائيين - على حد قول بيركنس - ، وقد قهر كورمير في نهاية الامر سنة ١٨٣٦ ، من قبل الجهود المكثفة لكل من الجيشين التركي والارمني . ويتابع قوله فيصف كورمير أنه في الحقيقة رجل دم ، ويروي عنه مثلاً انه في احدى المناسبات عندما كان هاجماً يغط في نومه على سطح قلعة المتغطرة العالية صيفاً ، في ساعات الليل الحالك ازعجه بكاء طفلة اليافعة التي كانت محزومة في المهد بجانبه ، فاستيقظ ونهض حائفاً واخذ الطفلة بيده وقذفها الى النهر المأدر في اعماق القاع السحيق ، وذاع توحيته بين بني قومه الذين ظلوا يذكرون هذه المأساة المريرة .

لقد نجح رسول باشا اخو كورمير مؤخرًا في حكومة راوندوز ، الا ان الترك وجدوا ان تقهقه به في غير موضعها ، في حين انه على مدى ثلاث سنين مضت ، كان مجرماً لان يتفادى المعصيان ، وذلك قبل زحف الجيش التركي الى ايران ، وبواسطة التدخل الانكليزي رخص بتواجده راجعاً كشخص اعتيادي ليسكن في بغداد .

ان الحاكم الحالي لراوندوز هو التركي المخلص ، حاجي عماد اغا الذي اخضع هذا الاقليم المتطرف بقسالة بالغة ، وتحول الاكراد في سنوات قليلة الى قرويين هادئين - على حد قول بيركنس - ويذكر انه من الاستحالة ان يدخل احد من الاوربيين هذه الجبال ، بدون خطر محقق واكيد . . ثم يورد اخباراً عن كورمير ، وحركاته الدموية للقرى المنتشرة حول راوندوز واخضاعه للتيارية - "Tiyari" ، كما بدد القرى النصرانية حيث وجدت بدون رحمة او تحيز لذرائعه ، وحطم القرية البابوية الكبيرة القروش - "Alqush" .

في راوندوز ، وعلى جانب من غيمه ، تهادى صوت الموسيقى المارشالية - الحربية مساءً كان ينبعث رخيماً من ثكنات الجنود ، قد استساغ هذا الصوت - كما يذكر - ونقلته تلك المقطوعات الموسيقية التي يهددها الى وطنه واهله . . . ويتابع كلامه بالقول : ووهنا نتذكر ايضاً طبيعة التكبيك الاوربي ،

وماجرى من العمليات على مدى الثلاثين سنة الاخيرة في سبيل ان يرقى الامن والتقدم الحضاري في تركيا<sup>(٣٢)</sup> ، ولقد جعلتنا هذه الاطراف الاكثر تطرفاً نحس انها ليست في مركز قلب الامبراطورية ، مع انكارنا من طرف آخر لاجمان الجيش وقواعيته وتنظيمه بالنسبة الى كل ذلك .

في زيارته للمدينة ، نستمع معاً الى وصفه لها كما يراها . فيوتها مبنية بصورة مجرأة من قطع الصخر والاجر . الذي يصنع من الطين المزوج مع كمية كبيرة من التبن على الاسلوب المصري القديم<sup>(٣٣)</sup> . . الشوارع ضيقة ، متعرجة ملتوية ، وقلعة . . وفي الاسواق البعض من تجار الموصل الصغار ، وقد بان الان ان عددهم هنا قد كثر بصورة واضحة .

ودعي بيركنس عند حاكم الاقليم الذي وصفه بذلك الرجل البغدادي الذكي الذي يتمتع برقة عالية ، الذي انسجم معه ، واهتم به ، ووجه رسالة يصدهه لتكون عوناً له ولجماعته في تسهيل ما قد يعترضهم في الطريق ، يقول بيركنس : «وقد هنأته على خططه ، وتقدمه في اقليم كردستان ، وقد عبر لنا عن امله لان يبقى التغييرات الاعظم ، ويطورها نحو الاحسن دوماً . ويذكر بيركنس ، انه صادف احد التجار الاكراد في راوندوز ، واسمه محمد امين اغا ، وصفه بالرجل المحب والذي . . والذي كان قد زار استانبول وبيريز ومدن اخرى ، ولم يستطع بيركنس ان يقنع نفسه ، كيف ان رجلاً متحضرًا كهذا يعيش في جبال موحشة كهذه . ويستطرد قائلاً : بان هذا الرجل كان ثائراً في اطرائه للتغيير من الكردية الى الحكم التركي مع انه كردي المبت . . وهو نفسه الذي كان قد صاحب كورمير في محاولات اعتدائه غير الناجحة على مناطق عديدة<sup>(٣٤)</sup> .

وتبدأ الرحلة من جديد :

في ٨ مايس ، تبدأ الرحلة من جديد في طرق ملتوية صعبة . . كان تقدمها ضئيلاً الى الجنوب الغربي من راوندوز ، وقد عبروا جسراً يقوم على نهر المدينة ، التي حمل بيركنس بيده نوصية من حاكمها القدير للقرى التي سوف يمر بها ، اضافة الى ذلك فقد انتدب هذا الحاكم للرافلة بعض الحراس ليكونوا عينا

ساهرة لها حتى اخر الليل . ويرجع لنا بيركنس ، ليصف المكان الذي يمر به ، وذلك النهر وحافاته الصخرية ، ويجراء وانجهاهه نحو اليمين من ممر ضيق ، تتعلق فوقه قلعة الحكام الجائمة على ضفته الصخرية التي يقدر علوها بمائة وخمسين قدما . لقد صاحب بيركنس خارج المدينة تجار الموصل ويذكر مستطردا : « بان هؤلاء التجار اضافة الى مصاحبتهم لنا ، فانهم اطلعونا على بعض الامور ، وارشدونا ، واهتموا بنا ، ووافق ذلك مزيد من الكياسة والطف الشرقي الاصيل » .

ان حكومة هذا الاقليم التي تدبرها باشوية بغداد ، تمتاز بقدرتها ، وضبطها ، وفاعليتها على جميع الاطراف - على حد تعبيرة - ، وكيف استطاعت في وقت قصير ان تغمر السعادة بين جميع الطبقات والمثل التي تتمايش جنبا الى جنب ، موظفة اليهود والاكرد في الدوائر المسؤولة ، وخصوصا في دوائر الكمارك ، وكم يتراءى الاطفال لدى هذا المجتمع سعداء اكثر بكثير من اطفال ايران ، تراهم لاعبين ، فرحين حتى ساعة متأخرة من ساعات المساء .

بعد ان غابت اسوار راوندوز وبساتينها المزهرة الجميلة عن عيون القافلة ، اخذهم ذلك الطريق الجبلي العميق الى منطقة (زك زاك) - zig-zag - ، التي تمتاز بصخورها الانكسارية البارزة . اما الطريق هنا فانه صعب في الاجتياز . . اما الذي يلتفت النظر حقا فانها تلك الاعداد العظيمة من الاشجار والشجيرات التي تتوزع في كل حذب وصوب . . ثم جماعات من الاكرد ، كانوا يتحركون مع عوائلهم ، ومواشيهم من المناطق الدافئة الاذن ، تلك الامكنة التي قضوا فيها فصل الشتاء ، قدما ليشربوا انفسهم - الان - فوق الجبال المتاخمة . وكانت هذه الجماعات الكردية من الهركية - Herki - ، والذين عادة ما يتحولون شتاء نحو اراضي باشوية الموصل Mosul - Pashalik ثم ينتقلوا صيفا الى الجبال فوق تركور - Torgawar . ان المخاطر كبيرة في العبور من قمة الجبل ، داخل ثغرة ضيقة ، تعبر منها العوائل الكردية ، مع مواشيهم واحمالهم ، وذلك بطريقة بارعة ، اذ يتخللون هذا الممر الواحد

بأنجهاهات متنوعة في آن واحد . ولكن . . كم هو الخطر المحقق من العلو الشاهق نحو الوادي السحيق ؟؟

يصل بيركنس هاوية خليفان - Khalifan التي يتسرب حجمها المنجرف العظيم من الطرف الجنوبي الغربي ، متخللا الاعماق المثنية مع ضفاف شبيهة بتلك التي رآها هذا الرحالة عند نهر راوندوز . . الطريق الان ينعطف حول جرف مقترح نحو الجنوب ، يأخذ القافلة ليوصلها الى الحافة المقابلة . فتصبح جوانب الجبل على اليد الاخرى ، اما انجهاها فقد بدا الان معاكسا تماما . . وكانت اللوحات الاخرى من الاقسام الدنيا لهذه الهاوية ملبسة باشجار الجوز الثقيلة ، وشجيرات خضراء صغيرة زاهية اما حوافي ذلك المجرى فقد كانت غنية بالحشائش والاعشاب ، وبقرها تنسج الطحالب اليابها التي تطفو في المياه الصافية . . ويتجمع الاكرد باعداد غفيرة قرب شواطئ هذا النهر ، لكي يرعوا قطعانهم من الماشية ، وقد جلسوا هم ليعتصموا بالظل البارد .

لقد عبرت القافلة الى الضفة الغربية من هذا الرافد بواسطة جسر مبني بدعامات حجرية ، وواصلت مسيرتها الهادئة لاكثر من ميلين ، بعد تركها قرية «خليفان» التي تبعد نصف ميل اعل النهر ، وهي القرية الوحيدة التي رآها الرحلة في هذا اليوم ، وقد اكتمل عمر السلسلة الجبلية العظيمة . ويحكى بيركنس لنا تنفا من صور الحياة الاجتماعية التي رآها<sup>(2)</sup> ، فالمائلة الكردية متماسكة فيها بينها ، ومتراصة في تكوينها ، يتصف الرجل بصلابته ، والمرأة بقوتها . . وكيف انها تحمل مهد طفلها على ظهرها ، وهي تراقب بقية اطفالها الذين حوالها ، وهم يسرون معها ؟؟ ثم ما اكثر الرعاة والفقراء في هذه المناطق . .

خيم بيركنس ليلا الى الجنوب الغربي من جبل عال ، وقد تسلف ثلاثة جنود من راوندوز ، ودخلوا علينا - كما يذكر - ليقصوا لنا الروايات الهامة عن فرار كورمير ، وهروبه من الطريق القريب منا ، وملاحقة الجيش التركي له ، بالتمتة العسكرية المنظمة . . كان الجنود يتزعمون - على سبيل المثال - مدفعهم بواسطة الحبال ، ثم ينفروا قليلا في التلويح المتوجة العالية ،



قرب المنطقة السفلى لتلك السلسلة الصخرية التي عبرتها القافلة هذا الصباح من خلال منحدر وعمر ، مرت في طريقها بأكثريّة من الاكراد الذين كانوا يحتشدون من حولها ، وهم من عشيرة الهركي الكبيرة ، ويتواجد هنا وهناك كذلك قليل من عشيرة الشاقية - Shiqāqī - من ارومية ، كان هؤلاء قد انساقوا في السنة الماضية بهذا الاتجاه نظرا لما دعت اليه مسألة النقص في المؤن ، وقتلتها بسبب طغيان الجراد على ذلك الاقليم . والذي اصبح مشابها لغيره من الاقاليم فقد انسحب اليه الجراد من السهول الحارة : (سهل الموصل وسهل اربيل) الى السلاسل الجبلية المتعددة المغطاة بالثلوج . . يقول بيركنس : ولم نستطع ان تقدم أيّ دعم او مساعدة للجماعات التي مررنا بها ، وقد خلفوا في انفسنا اثارا عذبة رغم الثراء الذي ينعم به رؤساء - اغوات - الاكراد ، والذي تبدى واضحا لنا من خلال اجتيازنا بين الاف القطعان من اغنامهم ، والمئات من خيولهم . غادرت القافلة مخم بيايك - Bayak اثر عبورها السلسلة الصخرية ، والسهل الواسع الذي يعتبر جزءا من مقاطعة حرير - Harir وسكانه الاكراد من قبيلة الزوركي - Sūrki - وتتوزع عدة قرى التي تمتاز بفلاحتها الجيدة ، وحقولها الواسعة الغنية بمحاصيل الحنطة ، كان موسم الحصاد قد اقترب ، فيا لها من حقول ثرية بالسنابل الذهبية المتماوجة مع حركة الريح هنا وهناك .

كانت الشمس دافئة جدا ، عندما قطعت القافلة وادها عميقا يقع في قلب هذا السهل ، ثم دنت رويدا نحو الزاب ، لمسافة ميل قرب قرية كنديل - Kandil - ، وتعتبر هذه القرية من احد المسالك التي تقطع النهر الى الموصل ، ثم توجهت القافلة الى الجنوب الغربي باعتباره الطريق الاقرب ، وقد نصبت خيامها قرب السلسلة الجبلية المنخفضة ، والتي تجاور سهل حرير في الجنوب ، قرب قرية هارش - Harash - ، بنحو ميل . . . اما هذه السلسلة فقد غطيت بشجيرات البلوط الصغيرة ، والتي كانت نادرة في ربوع السهل نفسه . ولقد كان معها جدا ان نجد

ويغمره فيها ، حتى اذا ما تحركوا في تقدمهم ثانيا ، نقلوا ذلك من اماكن تواجدها الى طريق اخر . وقد مرّ الجيش عبر المسلك الذي اجتازته القافلة ، حسب رواية اولئك الجنود .

رحل الجيش التركي هذا اليوم في قوة كبيرة من خوى - Koy - ، بغرض مطاردة رئيس النافركورد ، الذي ساد سابقا على سبعين قرية ، كان خائفا ، فلاذ بالفرار طائرا كالحجل بين تلك الاقاليم ، ولا يزال مرتكباً السرقات خلال المطاردة المحكمة .

هذا هو اليوم التاسع من مايس ، تقدمت فيه الرحلة نحو الجنوب الغربي لاكثر من عشرين ميلا ، وعبرت سلسلة جبال انكسارية ، وامتداداتها تقلد بسة او ثمانية اميال ، وتدمي بعض امساكنها بالجبال المنخفضة ، ولكن تعتبر هذه التسمية مغايرة في صورتها لتلك الطبيعة الصعبة القاسية فقد كان الطريق صخريا ووعرا من خلال ارتفاعات حادة الاطراف . . . ان هذه السلسلة مغطاة بشجيرات البلوط الشبيهة بتلك التي كانت متكاثرة على الجبال العالية ، اضافة الى هذا ، تنتشر هنا حقول قمح صغيرة ، وشجيرات الكروم الجميلة المبعثرة هنا وهناك . بعد قطعه لهذه المسافة ، لاح لرأي بيركنس سهل عظيم متماوج على امتداد ثلاثين ميلا كاملة او اكثر . ويتقاطع من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي اما عرضه فيبلغ عشرة اميال على الاقل . وقد تركت الجبال الانكسارية ورائه .

#### نهر الزاب الاهل ومواصلة الرحلة :

تعتبر القافلة في القسم الغريز من هذا السهل ، نهر كبير هو نهر الزاب ، ذلك المجرى العريق الذي مر بنا حديثه ، يسمى هذا النهر ايضا بدزبابايوس - Zababaius - في التاريخ القديم ، والذي عبره اكثر من عشرة الاف من البشر كانوا تحت قيادته . يخترق نهر الزاب طريقه من اعالي تخوم الجبال العالية ، منحدرًا على طول الجانب الشمالي لهذا السهل ، ثم ينحرف غربا لتبقى الجبال من ورائه ، وهو ليس بعيد جدا عن تلك التخوم ، والتي تعتبر اماكن رئيسية مثل جيلو - Jal - ، وباس - Bas ، وتيخومو - Tekhomo ، وتياري

انفسنا الان قرييون جدا من نهر الزاب المشهور على امتداد التاريخ) - على حد تعبير صاحب الرحلة - .

على جانب ذلك المكان ، حيث خيم الركب ، توزعت عدة خيمات كردية ، وظهر فجأة رئيس عشيرة تلك المنطقة - باباز اغا - محتطاً بصهوة حصانه الرشيق ، وحاملاً حربته في يده وقد احيط بحاشيته . . فاسرع نحوه دليل الرحلة ، واطلمه على رسالة حاكم راوندوز - حاجي محمد اغا - التي صرح فيها لمن يعنيه الامر بمراقبة ركب الرحلة وخيماته ليلا من فضول القرويين . . بعد وهلة من الوجوم ، كان الرعب مرتسماً في وجوه خدم باباز اغا ، ويتابع بيركنس حديثه قائلاً : ولقد كنا لعبة جيدة في يده . . ثم عاد دليلاً بعد ان اشيع بكلمات مؤذية . . وفي نهاية الامر امر هذا الاغا اربعة من رجاله ليشظاهروا بحمايتنا ، ولكن مع كل ذلك فانهم تراءوا لنا كونهم ابعد من مراعاة منزلته الرفيعة ، وبدلاً من ان يرحب بنا مع جماعته ذوي النظرات الحادة ، فانهم تبخثروا في طريقهم وراء التلؤلؤ عندما اخذنا ننصب خيامنا ، وقد خشينا منه كثيراً ، اذ ربما يضمر جدباً فكرته الخافية ، ليلعب بنا في الليل لعبته او لربما يفعلها من خلال الحراس الذين انتدبهم لحمايتنا . وبناء على ذلك فقد قوضنا خيامنا بمجرد طلوع الشمس .

هكذا تحركت الرحلة ، مرة اخرى وقد قطعت حوالي ميلين عبر - ذاك - لتصل بعد خفوت الشمس بفترة قصيرة قرية بابيجيك - Babajik - ، وقد سادها الظلام ، وعلى سطح إحدى بيوتها الصغيرة ، توزعوا في رقادهم ، وذهبوا نائمين منعمين بالهواء الطلق ، وذلك لغرض ان يبكروا في مغادرتهم صباحاً ، وقيل اشتداد حرارة الشمس في رابعة النهار . يصف - بيركنس - هذه القرية . فهي تقع في جنوب السلسلة الجبلية ، وتتكون من اربعين بيتاً مبنية بالصخر . . ونعيمها قلعة عالية ، وفيها جامع ذو حجم مناسب . وهناك على علو واضح من القرية يتواجد مدفن مقدس جداً يدعى - مون صوفي قره سولي - - Munsufi Qara Suli - ، الذي تضلله الاشجار الباسقة ، وفي الحقيقة ، فان هذه القرية تبدو هادئة ،

ويغشاها السكون ، ويعتمرها روح الايمان نظراً لمكانتها الدينية وفي رحاب ذلك المكان يعيش المتصوفة والاولياء الصالحين ( ) . ان الكتخدا - Kethoda - ، هو نفسه الشيخ الذي يقم مع جماعته من الدراويش ، الذين كانوا يصلّون ويرتلون بعبودية ، في هذا الجامع لساعة متأخرة من الليل ، وما ان ينهوا صلواتهم حتى يداؤوا بترجيع (لا اله الا الله) وذلك في صوت واحد ، متناغم في انسجامه وضبطه وموسيقاه . . . بعد ذلك تبدأ تلاوة اسم (الله) مائة مرة ، وينفس الصوت والغنى ( ) .

استيقظ بيركنس مع جماعته في تمام الساعة الثانية صباحاً ، ليأخذوا طريقهم ، ممطين ظهور البغال ، وقطعوا مسافة خمسة عشر ميلاً قبل طعام الفطور . . كان النصف الاول من الطريق يمتد بانحماجه نحو الجنوب الغربي ، ثم يتحرف نصفه الآخر لينحى الى الغرب قليلاً وفوق سلسلة جبلية ، لتمر الرحلة بعد ذلك بوادٍ وعمر عميق تتخلله الاعمدة الصخرية ، وعند تلك النقطة وصلت الرحلة الى وادٍ اخر ذي دائرة استعراضية ومجرى ينحدر من الجنوب الشرقي نحو الزاب . يدعى كل من الوادي ونهره بـ - يره برووش - .

وتترادى ليل على الجنوب من هذا الطريق ، قلعة تدعى بـ ديفيري - Devire - وتعتبر من احدى القواعد الاسمية للمتمرّد محمد باشا الراوندوزي في عصيانته على الاثراك .

بعد هذا كله يتحدث بيركنس عن عبوره لذلك القاطع من التره الجبلي ، ويصف لنا صخوره الهشة وترابه الداكن ، وقد قطع مسافة كبيرة مع جماعته خلال هذا الصباح ، ووصلوا اخيراً الى القمة العليا من تلك السلسلة ، وباطلاعه نحو ذلك الامتداد من الاعلى ، توضحت له تلك المناظر الخلابة لكل من السهلين العظيمين . . سهل الموصل ، وسهل اربيل . ويتابع كلامه حين يذكر : بان تلك الجبال التي كنا قد قطعناها في بضعة ايام . . كانت غالباً ما تملأ احاسيسنا بالسمو الذي لا يوصف ا اما الان فان اتساع رقعة السهول المستوية قد اسرنا واخذ بالباينا ، حيث كانت رؤاها بعيدة عن غيختنا ، وما هنا اصبحنا لا نجد شيئاً يحول امام نواظرنا الا الارض والسما .

## سهل اربيل

يمتد سهل اربيل الهائل الخصيب ، او اربيل — Arbil — ، والتي انتزعها الاسكندر المقدوني — Alexander — من داريوس — Darius — على اليسار من امتداد مسلك الرحلة وجانبه الجنوبي ، وهل اليمين منه يمتد سهل نوكر — Noker — الكبير ، وتوزع الخصوبة بين الاثنين على حد سواء ، وتعتبر عقرة — Acra — مدينة هذا السهل (١) .  
اما نهر الزاب الكبير المتدفق فكان يماشى على بعد واضح من المسلك . وكان الجبل المنخفض مجاذي مجراه على نطاق صغير ابعد مسافة الى الغرب . . وقد توضح الان موقع الموصل على سهل الموصل ، وتوضحت ايضا نينوى القديمة .

يعلم بيركنس بعد ذلك بقوله : وكم هو اصيل وعريق ، اضافة الى كونه ساميا رفيعا . . منظر هذه الارض الكلاسيكية التي نجعل فيها عيوننا ، كونها المهذب البكر من عرق الانسان وقد اجتذبت ركاما هائلا من الحوادث الخطيرة ، والاثار الحية في تاريخه ، وكلها منضوية بين نطاق كل من الدين والدنيا .

يستمر بيركنس في حديثه ، حين يصل الى قرية بواهلين — Bawahallen — التي يتناول فطوره فيها . لقد كانت هذه القرية تربع على مكان ساحر ، وتعلو مستقرة عالية مطلة فوق واد اصطبغت سفوحه بالخضرة الوارفة ، وتكفل جرفه باشجار الفواكه منها التين والرمان ، وكرمات الاعناب . . ثم يصف بيركنس بيوتات القرية ، والتي يمر بين جدرانها في ذلك الصباح الباكر . . في القرية خمس عشرة عائلة كردية ، وثلاث عوائل يهودية . وقد تحدث سكانها معه وكانت ملابسهم سوداء اعتيادية والتي تدعى — كازيك — Kasik . . وفي هذه المنطقة لاحظ بان اشجار الجوز بدت اقل منها مما كانت عليه في المناطق العالية .

تريت صاحبنا بعد ساعات قليلة من الفطور مع جماعته تحت ظل رائع نشرته اشجار المرعر (الصنوبر) الكثيفة ، وزودت الخيول بالطعام والراحة ثم امتطيت ومضت في سيرها لاكثر من خمسة عشر ميلا ، ولم تتوقف حتى قرية ريشوان — Reshwan . . وكان تقدم الرحلة العام اثناء ذلك اليوم منجها نحو الجنوب الغربي ، وقد انتشرت حقول القمح والشعير

في تلك المناطق التي تمتاز بترابها الاحمر ، عدا ما كسا البعض منها صخورا واحجارا . . . .

في نهاية ذلك الطريق التدريجي المنحدر ، لاح بيركنس منظر شامل وعريض لمدينة اربيل ، والتي بدا ارتفاعها واضحا للعبان ، وكانت تبعد بما يقرب من عشرين ميلا ، وقد احتضنها ذلك السهل العظيم الذي يطلق عليه نفس الاسم ، وكان الطريق ممثدا اليه على طرفي الجنوب والغرب لما استطاع البصر التقاطه حيث تنطبق السماء بالاقف البعيد .

بينما كانت الرحلة تجتاز تلك التمجعات الخصبة . . كان ظيآن جيلان قد طفرا فوق التلول وغابا من امامهما مع لمح البصر . وقد ذكر لبيركنس بان مثل هذه الحيوانات البرية تنتشر بصورة كبيرة في اطراف هذه الربوع كالذئاب والذئبة والخنازير البرية .

في نهاية مغادرتها الاراضي المتموجة ، انحدرت الرحلة الى ذلك السهل الغربي الكبير ، وهو احد السهول الخصبة العظيمة في الشرق . كما يذكر بيركنس . ، وقد اخضت - هنا - الاشجار الا ما كان منها قليلا عند الطرف الشمالي من هذا السهل ، مع استثناء نادر لبعض الاماكن منه . اما ما يمتاز به هذا السهل فهي تلك الحقول الكبيرة الشاسعة الامداء ، والغنية بمحاصيل القمح والشعير ، في هذه الايام حيث تتماوج السنايل الذهبية نحو كل اتجاه بحركها النسيم اليه حين يسري ، وهي مثبسة بشمارها المكتنزة من الحبوب . . اما الحشائش فقد كانت كثيفة حيثما كان التراب قد ترك دون زرع ، ولكن ما اقصر حياة هذا الضرع الطبيعي الدسم ، فسوف يسفح بحرارة الشمس ليليل بعد ايام . . وتعتمد هذه الارض على الامطار فهي لم تسق اثر زراعتها او خلال ايام النمو .

يعود بيركنس ليصف لنا القرية التي كان قد توقف عندها ، حيث خيم عندها الركب ليلا ، هي قرية ريشوان الكردية التي تتألف من حوالي مائة بيت ، مع بيتين اثنين لليهود الذين كانوا يتكلمون النسطورية . ولها اطيائها ، واسطحها الصغيرة ، وحيطاتها المشابهة ، وسقفوها الخشبية ، وهناك نهر

بوسنورا — Bostora — الصغير الذي ينحدر من الجنوب الشرقي ، ليقصل اقليم راوندوز عن هذا المكان من مقاطعة اربيل ، حيث ان رشوان تبعد عنها ما يقرب من خمسة عشر ميلا ، اذ تقع اربيل على الطرف الجنوبي من هذه القرية .

#### اربيل وبسنورا وهجور الزاب الاهل

ان جزءا من مدينة اربيل ، مبني على تلة مستدير ، يعطوق هذا الجزء بحائط او سور ، وينتشر ما يتبقى منها حول قاعدة ذلك التل الكبير . يعيش في اربيل حوالي ٢٥٠٠ او ٣٠٠٠ عائلة من الاكراد والأتراك ، مع عشرين عائلة نسطورية ، نصفهم يعاقبه " " ، والنصف الاخر نساطرة يتبعون التعاليم البابوية " " . ويعلق بيركنس بعد ذلك بقوله : وان ذلك يعتبر نقصا محزنا في مقدار سكانها على ما كانت عليه هذه المدينة في العصور القديمة ، ويرتد عليها في اعمال التجارة الاكراد والعرب .

لم يدخل بيركنس مدينة اربيل ، بل مضى في طريقه ، مسترسلا في رؤاه الرومانتيكية ، اذ كان للطبيعة روعتها . اثرها الكبير في ازدياد تشوقه للمزيد من الاماكن الهادئة الجميلة ، بعد ان تعبت افكاره واعصابه في الجبال العالية ، رغم ما منحت تلك الجبال من آيات جمال الطبيعة ، ويعود بيركنس لبواصل حديثه ذلك ان الرئيس الكردي لمنطقة بسنورا هوسيد حسن Salyed — Hasan — الذي يقيم في قرية رشوان : «ولكن عند مرورنا بقرية كان هو في زيارة راوندوز . وكان ولده قد خيم مع الناس في القرية التي تقع على ضفة النهر ، لنصف ميل الى الاعلى من مسلك الرحلة . لقد اعتنى ولده هذا بحراسة الركب من خلال اثنين من رجاله في اثناء الليل ، وقد بدا انه ميال للمساعدة اكثر بكثير من غيره ذلك الذي توقفنا عنده البارحة » .

يعيش الناس في هذه المنطقة في خيمات لعدة اسابيع خلال هذه الفترة ، ثم تراجع جماعاتهم الى البيوت الاولى ، وقد القوا بخيمهم ارضا ، او حجبوها عن الحرارة الشديدة التي ستلفح هذه المناطق بعد ايام ، وهذا ما يتميز به الطقس .

نفض جمع القافلة ، في الصباح الباكر من يوم ١١ مايس ، متقدما خمسة او ستة اميال على حواشي وادي بسنورا الخصب ، وفي معابر وثنيات حقوله الثرية قمحا وشعيرا ، ثم وصلوا ضفة

نهر الزاب الكبير . وقد لوحظ من خلال مرورهم باحدى تلك الحقول ، بان الناس كانوا مستعبدين لحصاد الشعير ، وقد جلبت نظر بيركنس تلك الطريقة الخاصة في حصادهم ، ذلك انهم لا يجزمون الحبوب داخل اكياس ، ولكنهم يتركوها صودعة في اكوام ، وبصورة طبقة على نفس الارض ، حيث تبقى عدة اسابيع ، بغرض دوسها على الحقل نفسه في فترة لاحقة . وقد اعلمهم دليلهم بانها الطريقة المستعملة في الحصاد ، وانها غارس على نحو كبير في تلك المنطقة ، وعند جميع المزارعين .

لا تزال القافلة سائرة في طريقها ، وقد اصبحت قرية من كنديل — Kandi — وستأخذ مسلكها المنحدر نحو الموصل ، ثم تقطع نهر الزاب الكبير الذي يمجذ بيركنس تاريخ تدفقه منذ عصور سحيقة ، ذلك التاريخ الموهل بالقدم . وتعتبر القافلة في طريقها قرية كيردا ماميش — Girdamamish — التي يتدفق عندها نهر الزاب بقوة كبيرة ، خصوصا في هذا الفصل . ومن المحتمل ان يمتلئ مجراه بالماء لاكثر من نصفه ، ثم ينخفض منسوبه في بعض الاحيان ، وفي هذا المكان بالذات ، وعن عبور هذا النهر ، يصف بيركنس العوامات ، ورجالها الذين يعبرون النهر بطريقتهم الخاصة . وقد رآه البعض يسجل بعض ملاحظاته التي من جملتها ذكره بان هذه المناطق قد سكنها في القدم الفرنج — Frank — " (كذا) .

ان الاكراد قليلون في هذه المناطق ، على اية حال فانهم كانوا على درجة واضحة من القلق لتلك المخاوف المرفقة ، ويتابع بيركنس ذلك بقوله : «انهم ارادوني ان اسجل اسماء بعضهم على سبيل الذكرى . . ويجب على ان استجيب - على الاقل - مع مطلب رئيسهم الذي كان يتكلم بينهم ، والمدعو باخير — Bakhir — ، وهو صاحب العوامة التي عبرنا عليها » . وقد ذكر هذا الشخص لبيركنس بانه نفسه قد كان مسافرا او سائحا كبيرا قد رأى بغداد والبصرة (ويوشير الايرانية) .

فرض بيركنس مع جماعته عدة ساعات في العوامة ، وخلال ذلك الوقت كانت الصحبة عالية في روحيتها ، وكان الحديث مشوقا ولطيفا ، اما الشمس فقد اشتدت حرارتها ، وشعروا بالتعب الواضح في المناخ ، ثم نصبوا خيامهم في جانب

من شمال غرب الزاب ، ولم تعد الاشجار العالية تتراعى للناظر في هذه الاماكن ، وقد اشعرهم الجوف فعلا بما يشبه الصحراء . كان عبورهم للزاب لأول مرة عند مرورهم في اقليم راوندوز ، ذلك النهر الذي تتصل منابعه بالعمادية — Amadiyya — ، وهو نفسه الذي يتوزع بين ياشوفي بغداد والموصل ، وتستوطن على امتداده اقوام كل من السوران — Suran — وبعدها بادينا — Badina — وذلك ضمن الامتداد الجغرافي لكل من الباشوتين ، وعلى رقعتها الواحدة تستقطب كل من راوندوز في الشمال الشرقي ، والعمادية ذات الاتصال اللاحق بالموصل الى الشمال منها .

يقلب بيركنس صفحة التاريخ مرة اخرى وهو في طريقه حين يذكر : «باني ساكون مهتبا جدا ، للتعرف فقط ، على المكان الذي عبر منه اكرانافون ورفاقه الزاب ، مع جيشه الذي يتقدمه رماة الاسهم ، وقاذفوا القناصل . . ولكن ليست لدينا اية معلومات عن تلك النقطة التي توقف عندها ذلك المؤرخ ، ولربما كانت في موقع ادنى من مكاننا هذا ، وقد كان نهر دجلة قريبا الى جهة اليسار قليلا» .

ان النهر الذي عينه اكرانافون ذو عرض يقدر بأربعمائة قدم<sup>(١)</sup> ، ولا بد انه قد كان منخفضا في ذلك الوقت ، ولم يكن عرض المجرى ذا اتساع كالذي قطعه بيركنس ، اذ يعتقد الاخير بان اتساعه هذا اليوم يبلغ سبعمائة قدم ، ولم تتواجد اية جسور على نهر الزاب - هل حد تعبيرة - .

تتأب بيركنس افكار عديدة ذات تأصل ديني اسطوري للمراثي القنائية الكلاسيكية ثم يعلق على اسم الزاب كرون الاكراد يدعونه (زاي) — Zay — ، والنساطرة يدعونه (زافا) — Zava — ، اما العرب فيدعونه (الزاب) — Zab — وهو ما يشتهر به هذا النهر الاصيل .

تشابه في هذه المنطقة ملابس اهاليها ، فزايواهم عربية ، وهي ملابس سمكية فضفاضة مع اثواب قطنية بيضاء ، متكيفة مع الطقس ، وهي متغايرة في سمكها ، وعباءات ثقيلة بتغطون بها ولكنها متماثلة مع الاثواب ، وقد ضمت عدة السوان مبهرجة . وكل هذا وذلك قد عكس صورة ما رآه بيركنس من

ملابس رثة بالية عند اكراد المناطق العالية .

غادر ركب القافلة ضفاف نهر الزاب الكبير عند غروب الشمس ، ومضى بارتفاعه في سيره خلال الوادي وعبر مجاريه ، ويصف بيركنس ذلك الوادي الحجري ، والحقول المحيطة به والحشائش التي تنمو في مداخله . ثم اعقبه النعاس بعد مسيرة ثلاث ساعات ونصف الساعة ، قطعت خلالها ما يربو على عشرة اميال . . واخيرا انتشروا واقتربوا الارض ، ولم ينصبوا خيامهم ، اذ جرى كل ذلك سريعا حيث اخذهم النوم ، وغطوا به عميقة<sup>(٢)</sup> .

### الارض الكلاسيكية

عبرت القافلة اثناء سيرتها في يوم ١٢ مايس ، السهل الحشائشي الذي كانت قد خيمت عليه في دجى الظلام ، ووصلت الى حقول مزروعة حنطة وشعيرا . . فضمتهم تلك السابل الناضجة وسبقاتها النباتية الثقيلة . ثم جنحت القافلة نحو الغرب بعد قطعها ١٢ ميلا ، ووصلت نهر الخازر — Khazir — ، ذلك النهر الذي ينساب صافيا وقرقا ، وجاريا من نواحي الجبال ، وقاطعا سهل نوكر — Noker — . ويتدل هذا النهر ، على بعد اميال عدة للجنوب من خط الرحلة ليتحد مع نهر الزاب الكبير ، ويبلغ عرض هذا النهر حوالي ١٥٠ قدما وقد سهل عبوره على القافلة . وهو نهر قديم ، وتاريخي ايضا فقد اُنتل على احدى جوانبه الفسحة كل من الاسكندر المكدوني وداريوس في معركة فاصلة . . ويؤكد بيركنس بانه من المستحيل تعيين او ضبط الموقع الصحيح لتلك المعركة او تحديده على وجه الاجمال . . ولكن من المحتمل بان هذه المعركة قد وقعت على بعد اميال قليلة للياسر من مسلك الرحلة ، بمسافة تقدر بنحو ٣٥ ميلا للشمال الغربي من اربيل .

يقول المؤرخ اريان — Arrian — : «ان نقطة كاوكاميليا — Gaugamela تقع في اشوريا — Assyria — ، تلك النقطة التي تورط فيها كل من داريوس والاسكندر في قتالها ، ومعركتها العنيفة ، لقد كان مكانا صغيرا ، وذا اهمية ضئيلة جدا ، وتدعى تلك المعركة بمعركة اربيل ، اما المدينة فقد كان تواجدها حيا في قريبا الى حقل المعركة ، وقرية كوكاميليا تقع في سهل اربيل على

نهر بامادوس — Bumadus — . وهي القرية التي اختارها داربوس ، ونصب عليها خيمته الملكية منتظرا الاسكندر الذي سحقه فيها ، وتركها وقد اصطبغت ارضها بصفحة حمراء من الدماء الغانية ، وتراكمت عليها الجثث<sup>(١)</sup> .

واصلت رحلة بيركنس مسيرها ، وارتفعت من ضفاف نهر الحازر ، وقطعت مسافة تقدر بميلين ثم توقفت على تل مفروش بالحشائش ، وزودت الجياد بالطعام ، واستراح الركب بعد ان تناول الجميع طعام الافطار ، وكانت قد وصلتهم جماعة من النصارى البياعة من قرية برطلة — Birthe —<sup>(٢)</sup> . وتبعد هذه القرية ما بين ١٢ - ١٥ ميلا عن الموصل ، اما عن مسار الرحلة فانها تبعد حوالي اربعة اميال نحو جهة اليسار ، وكانت تلك الجماعة تتكلم السريانية الحديثة على لحن مفهوم من صاحب الرحلة بيركنس والذي يذكر بان الاختلاف قليل بينها وبين اللهجة العامية المتداولة في ارومية . . لقد كان بين افراد تلك الجماعة اتاس عرب من نفس القرية ، والذين كانوا بدورهم يتكلمون السريانية ايضا ، ومنذ ذلك الحين تعرف بيركنس على العوائل العربية القليلة في برطلة ، ومن هذه القرية توجهت الرحلة صوب مدينة الموصل التي تبعد حوالي ٣٠ ميلا .

### سهل الموصل

كان هنالك جبل منخفض يقع لميلين الى الشمال من المكان الذي توقفت عنده القافلة ، اما على الطرف الشمالي الغربي فتواجد عدة قرى يزيدية<sup>(٣)</sup> . . وهناك جبل صغير يبعد بعض الاميال القليلة نحو الجنوب من خط سير الرحلة<sup>(٤)</sup> .

واصلت القافلة طريقها حتى الساعة الواحدة بعد الظهر ، وقد قطعت سلسلة من التلوي الحشائشية المرتفعة . وكان انقياد بيركنس مع ركبه فيها سهلا ومريحا وميسورا ، وقد بدت جماعات من العرب متوزعة فيها ، كونها منطقة مألوفة لاغراض الرعي والكلال لقطعانهم من الاغنام في فصل الصيف . بعد ان صعدت قافلة بيركنس قمة المرتفع والذي عبروه ببسر انفتح امام اعينهم المنظر الجلي الكامل لسهل الموصل او نينوى الشرقية بكل انفساحاته ، واطرافه المتحاورة مع الشمال والغرب والجنوب . . كان سهل الموصل ذا اتساع كبير في امدائه لابعد ما تصل اليه

العين حيث يترامى بعيدا فلا يحده الا السماء . يقول بيركنس : ولقد منحني هذا السهل الفسيح الارغاء الطباعا قويا عن وجود شيء ضخم عظيم على الرغم من ان وصولي اليه قد جاء متأخرا . ويتابع هذا الرحالة قوله : «دخلنا في هذا السهل المفتوح على رحبه ، وكانت حقول القمح نامية ومزهرة ومزدهرة ، ويدأنا نحت الخطى نحو الجنوب الغربي ، وكنا في اثناء عبورنا لهذا السهل متأثرين بحدة وشغف لامتناه . مع احوال نينوى القديمة ، تلك المدينة العظيمة التي تتوسط قلب سهل الموصل ، هذا السهل العظيم ، المائل الحصوية والمياه القادر ان يغذي الملايين من البشر» .

بينما كان افراد القافلة يجتازون هذا السهل ، ولا تزال امامهم عشرة اميال الى مدينة الموصل ، اخذهم الليل في طياته ، ولما تترامى لهم هذه المدينة بعد ، اذ حجب الظلام مرءاهما عنهم حيث كانوا يجتاجون لاجتياز المزيد من المسافة ، ولا سيما وان الموصل تتبوأ مكانها بانخفاض نسبي على الضفة الغربية من نهر دجلة ، وترتفع امامها الروابي الأثرية شاهقة عالية على الطرف المقابل . . تلك هي آثار نينوى التي يعتبر علوها عائقا يحجب الانظار امام المدينة العريقة والحديثة من جهة الشرق .

اخذ بيركنس مع جماعته بالارتفاع مجتازا المسافة المذكورة على تلك الروابي ذات الشجرة الواسعة والصيت المفتوح في الدنيا . . واخيرا وصلوا ارضا انكسارية<sup>(٥)</sup> ، وقد ميزها بسهولة نظرا لقربها من آثار نينوى العظيمة . يقول بيركنس : «والغريب بان انفعالاتنا كانت في تلك اللحظات جياشة مضطربة على الرغم مما اكتفنا من ظلمات المساء حين اخترقنا هذا الطريق على الارض الكلاسيكية» . ومنذ دخلوا تلك البقاع المحيطة بنينوى ذات التمجوجات المنكسرة ، فانهم لاحظوا السلاسل النظامية التي لايمكن تجاهلها كبقايا الاسوار القديمة المثيقة في خرابها ، والمتحاذية مع موازاة خط التلوي . . . تلك الاسوار التي اشارت بوضوح الى مكان نينوى كالطلل القديم .

واخيرا ، وصل الركب المتعب الى قرية تقع عالية بين الآثار القديمة ، تدعى باللغة التركية (يونس بيغامبر -Yunus Pegamber) ، اما في اللغة العربية

فقدى بـ (النبي يونس — Nabi Yunus — ال). تحتوي هذه القرية على جامع كبير ، قائم على رابية عالية في سفحها مقبرة قديمة . ان الاعتماد الراسخ بين القاطنين من الناس بان ضريح النبي المبجل يونس — Jonah — محفوظ في هذا المكان المقدس . لم يتوقف الركب عند هذه القرية ، بل قطعوا ميلا واحدا ، ووصلوا الى الضفة الشرقية من نهر دجلة ، وحطوا رحالهم وكانوا متعبين ، ولم يستطيعوا ان يتبينوا ما كان يحيط بهم من مناظر الامياه دجلة المتماوجة مع حركاتها على نحو باهت من الضوء الخافت . . فخيّموا على الارض لقضاء ساعات الليل<sup>(١٢)</sup> .

### جسر الموصل<sup>(١٣)</sup>

اخذهم النوم عميقا بعد انتهاء رحلتهم الدراماتيكية . . كان النسيم عريلا منعشا على حافة نهر دجلة ، لم يفيقوا حتى مطلع الفجر حين كشف عليهم ضوء الصباح بنوره الوهاج بعد ان ارتفعت الشمس من مهجعتها وغلبت على السماء زرقعتها الجميلة بعد ان خفت وسرعة الالوان المبهوجة . . ولاح لاصحاب الرحلة ذلك النهر المهبب بانسيابه الهادئ . . انه النهر الشهير في الدنيا ذو العراقة التاريخية المتأصلة المتزامنة مع عصور سحرية في القدم . وبدت امامهم مدينة الموصل على الساحل المقابل لنهر دجلة ، وهي ذات مظهر شرقي . . مع جوامعها العظيمة ومناظرها الشاهقة ، وابنيها المتراسة . اما على جانبهم الشرقي فقد امتدت اطلال مدينة نينوى القديمة التي كانوا قد مروا من خلالها في الليلة المنصرمة<sup>(١٤)</sup> .

يرتبط كل من جانبي النهر بجسر يمتد من قلب مدينة الموصل غربا نحو الحافة الشرقية . . . ويقوم هذا الجسر على زوارق مرتبطة بعضها بالآخر بصورة متراسة قاطعة النهر . وتتميز هذه الزوارق بانها قديمة مبنية على نحو بدائي وبصورة ضخمة ومسطحة ، مع علوبارز لقيودها اذ ترتفع رؤوسها المديبة بشكل ملفت للنظر ، ورغم ان كل زورق لم يكن متروكا على الشاطئ بدون دعامه او سند ، الا انه يعوم متحدرا لاكثر من نصف ميل ، وعندما يراد سحبه فان ذلك يجري بواسطة ستة او ثمانية رجال يقفون صفوا واحدا في رتل طويل على شاطئ النهر الممتد

نحو الجسر<sup>(١٥)</sup> .

وتعوم الزوارق الخشبية المشتتة بعضها مع البعض الاخر بواسطة الجلود المنفوخة الشبيهة بثلث الجلود المستعملة على نهر الزاب ، ولكنها اكبر بكثير . اما من الناحية الاخرى فان تلك الجلود المنفوخة تخضع لاستعمالات هامة اخرى ، فانها تستعمل لنقل المسافرين في نهر دجلة من الموصل الى بغداد ، كما وتستعمل ايضا في نقل البضائع التجارية والمؤن الذاهبة الى مدينة بغداد الواقعة الى ثلاثمائة ميل جنوبي الموصل . كما وتمتد في استعمالاتها الى اماكن اخرى ، وقد حدد نجم بغداد الكولونيل وليامز — Col. Williams — المثبتين والقائم باعمال التفويض الانكليزي في الموصل ، وهو الذي كان قد ذهب جنوبا الى بغداد منذ فترة قصيرة وذلك بواسطة عوامة تحتوي على مائة قرية جلدية منفوخة قاطعا المسافة المذكورة اعلاه بطريق نهر دجلة في ستة ايام ، متوقفا على شواطئه خلال ساعات الليل ، وكان قد سافر معه بعض ابناء البلد من الموصليين الذين يستعملون الاخشاب الطروقة ، وكان لدى الكولونيل وليامز ثلاث او اربع كابينات صغيرة نصيبها على تلك العوامة الكبيرة التي اشغلها هو وجماعته الكبيرة من المراقبين .

ذلك هو جسر القوارب الشهير لعبور نهر دجلة في الموصل ، والذي يستعمل عندما لم يكن النهر ذا منسوب عال ، بالوقت الذي تسحب هذه القوارب هنا وهناك متحاذية متوازية مع الساحل لترسو هناك وذلك في ظروف استثنائية طارئة عند ارتفاع مناسيب مياه دجلة .

ان نهر دجلة على العموم ذو مجرى متحدر ، وسريع الجريان الى حد بعيد ، متدفقا كتير الزاب الاعلى ، وعليه فان اسمه — Tigris — يدل معناه على ما يميزه اذ يعني هذا الاسم (السهم) دالا على سرعته . ونهر دجلة ذو حوض رحب جدا . . وفي هذا المكان يتقن النهر هذه الارض الكلاسيكية العربية شقين فيفصل بها الموصل عن نينوى .

اطلال نينوى<sup>(١٦)</sup>

تقابل آثار نينوى مدينة الموصل بالضبط ، وذلك بطول يقرب من ٤/٣ الميل . وتتباعد هذه الآثار عن نهر دجلة الفاصل

بمساحة منحسرة متداخلة ذات ارض غرينية منخفضة . لكنها تبدو مرتفعة بنحو بسيط عن المجرى . وربما كان قد تواجد هذا السطح الغربي وبهذا الشكل الطبيعي منذ عصر نيوى ، وربما كان نهر دجلة في مجراه القديم قريبا جدا من المدينة القديمة نيوى . اما في هذا العصر فانه يجري عماديا لاسوار الموصل .

تتألف آثار نيوى من سلسلة تلال ، شبيهة بأسوار قديمة ، وهي مشتملة على مساحة داخلية ربما تقدر بأربعة اميال طولا ، وحوالي الميلى عرضا . . . وتبدو هذه المساحة مسطحة وهي على الاغلب محروثة ومستغلة . وهناك على الجانب الغربي من هذه المنطقة المذكورة رابية طولية ونظامية الشكل (هي المسماة تل النوبة ) ، واخرى على مقربة من الوسط وهي ذات شكل رباعي الزوايا ، ويقدر علوها بخمسين قدما ، يتوضح ظاهرها كممد مربع من الاعواد . وهذه الرابية قريبة من السطح الداخلي نحو القمة ، وتتميز بانحدارها الشديد من الخارج (هي المسماة تل قوينجوت)<sup>(١٧)</sup> . ان المظهر الخارجي لهذه الرابية المتميزة منتظم الى حد بعيد . . . وثمة افكار تحول حديثا عن القلعة والبلاطات والقصور المطوقة والمدفونة في قمة الرابية .

ان الحفريات الأثرية تواصل الان عملياتها في التنقيب عن البقايا القديمة ، ورغم النتائج العديدة والمهمة التي احرزت لحد الان - على حد ذكر جوستن بيركنس - الا ان هنالك عددا من الرجال الذين لازالوا يعملون حتى هذا اليوم ، وهم من الذين كانوا قد استخدموا من قبل المستر راسم H. Rassam<sup>(١٨)</sup> ، والمستر لايرد - Layard<sup>(١٩)</sup> - وزوجته ويعتبر المستر لايرد قائدا لهذا المشروع الكبير ، رغم انه شخصيا غائب الان في زيارته لانكلترا .

يذكر بيركنس في حديثه عن الحفريات والآثار في نيوى قائلا : «لقد انتابنا الذهول بمجرد فحصنا لتلك الحفريات ، اذ كانت بالنسبة لنا ذلك النوع النادر الذي كرسنا له اوقاتنا . . . اما التحدر من الاعلى والنزول الى باطن الارض فقد تم ذلك بواسطة الدرج الارضي الذي نظمته الحفاريون ، والتألف من عشرين او ثلاثين قدما . وعلاوة على ذلك فان هناك نفقا عابرا من تحت الارض له شكل اقفي ، وقد انحدرنا في داخله ،

وفاجأنا تلك القصور الرخامية القديمة فكانت الجدران المنحوتة بصورة جميلة جدا ، وقد انشرفت صدورنا وملأنا الاهجاب والسرور الذي لا يوصف . . . فكل ما نراه في مشاهدتنا لهذه المتاحف العريقة جديد وغريب ومدش لاهتنا . . . وقد مررنا في الصالونات العظيمة المزينة بالواح رخامية شق مطبقة الواحدة فوق الاخرى ، علوكل لوحة حوالي ستة اقدام ، وطولها ثمانية اقدام ، اما سمكها فيتراوح بين ٧ - ٨ بوصات . ان التماثيل جميعها منحوتة ومنقوشة تصور مناظر روحية مختلفة ، كما وانها تحتوي مشاهد علمية متباعدة فهناك المطاردة في الماروك ، وهناك تسلح المحاربين بأنواع عديدة من الاسلحة : الرماح ، الأقواس والسهام ، المقالع والسيوف . . . اما المتصورون فانهم غالبا ما يحملوا رأسين في يد واحدة ، احد الرأسين من لحية ، والاخر من خصلة شعر الجمجمة ، ويهددون عدوهم بالسلاح في اليد الاخرى . وهناك مشاهد عديدة لقتال محصنة ومطوقة . . . كما وتبدو مشاهد عديدة اخرى لقافلة من الجمال ، والحيل والبغال . . . وتجري الانهار على جوانب تلك القلاع العالية الفخمة ، في حين تتلاعب الاسماك في مياه تلك الانهر . . . ويبدو واضحا ذلك الطريق الحجري الواسع للقوافل والذي يترامى وراء تلك القلاع العظيمة ، ثم ينحجب عن الابصار . . . وعلى جانب من خضم هذا العالم ، تتعالى شجرة نخل باسقة وهي متبسة بأوراقها ، ومكتنزة بأثمارها . . . وتتابع الرحالة بيركنس حديثه عن اشوريات نيوى ووصفه لآثارها الثمينة فيقول : «ثم مضينا لمشاهدة الواح اخرى ، فوجدنا عددا اخر منها مخطوطا بالاحرف السامرية ، وقد كانت واضحة وعلى نحو اعتيادي . . . ان المخطوط السامرية اقل في نيوى مما هي عليه في النمرود - Nimrod<sup>(٢٠)</sup> . لقد عبرنا عدة صالونات اطرواها اكثر من مائة قدم ، وتتماثل في اشكالها واجوائها الروحية ، وكانت بعض الواحها مشوية بالسواد ، وكأن هذه البلاطات قد تساقطت محترقة ، وكانت هناك قطع من الفحم . لقد كان صعبا علينا جدا ان نحرك تلك الصخور من امكانها في هذه الحفريات وعملياتها ، وهنا يقوم العمال بتحطيم الصخور قطعاً ليسهل بعد ذلك تحريكها . . . ومن المحتمل ان نجد الصخور في النمرود



اقرب كثيرا الى السطح . وعلى أية حال ، فان فنون النحت هنا في نينوى وعلى اسوارها كاملة جدا ونظيفة<sup>(٣٧)</sup> . ان الملاحظة الجديرة بالذكر هي ان الصالونات والغرف ليست لها شبابيك ، وعليه فلا بد ان سكانها كانوا يتلقون النور من السقوف . اما الشيء الآخر الذي جلب انتباهنا وانظارنا هو ملاحظة تلك التماثيل الانثوية التي كانت معلقة في الاعلى ، تستشرف الفاعات وصحون الغرف . وكانت تلك التماثيل غروبية الرؤوس ومرصوة الذوات<sup>(٣٨)</sup> .

ويستطرد الرحالة بيركنس في حديثه عن آثار نينوى فيحكى لنا عن اثنين من التماثيل العظيمة ، هما على شكل نودين كبيرين كانا في نينوى<sup>(٣٩)</sup> ولفترة ليست بطويلة منذ ذلك الحين ، اذ انهما كانا قد اكتشفا في خرسباد — Khursabad من قبل الفصيل الافرنسي (السيو بوت<sup>(٤٠)</sup>) الذي باعهما بدوره الى الميجر والينسون — Major Rawlinson<sup>(٤١)</sup> . وكانا من اكبر الثيران المكتشفة . . لقد قطعت التماثيل على كتل رخامية بمساحة ١٥ قدم مربعة ، ويسمك ٢ قدم ونصف . وكان كل ثمال يتألف من اربع قطع ، وذلك لغرض نقلها عن طريق نهر دجلة جنوبا الى بغداد . ومن ذلك المكان الى انكترا .

#### جامع النبي يونس<sup>(٤٢)</sup>

غادر بيركنس موقع الحفريات التي كانت تجري عملياتها على تلك الرابية العالية والمتكونة من قلمة البلاطات ، وتابع سيره جنوبا متوجها نحو السور الشرقي لمسافة تقرب من نصف ميل ، ووصل الى رابية اخرى (تل التوبة)<sup>(٤٣)</sup> وكانت بنفس مقياس الرابية الاولى ولكنها كانت تبدو ذات هيئة نظامية وادنى مستوى وانما تتحول حول قاعدة تلك المقبرة . وتقوم قرية على حافة منحدرها ، وفي الطرف الشمالي من هذا التل ، وعلى القمة بالذات ، يتماثل ذلك الجامع العظيم الذي يحوي ثاوياً ضريح النبي يونس (ع) ، ويطلق اسم (النبي يونس) على كل من الجامع نفسه والقرية التي تقوم معه . يقول الرحالة بيركنس : ولقد زرنا ذلك الضريح المقدس ، وهو ضريح صغير تحتوى غرفة معتمة في ذلك الجامع الكبير . ويتكون الضريح المقدس من

صندوق كبير مقوس الجوانب ، طوله عشرة اقدام ، وعرضه خمسة اقدام ، ويتراوح علوه بين ثلاثة الى اربعة اقدام ، ويبدو الصندوق مكسوا باضطية منديلة تؤلفها طبقات من الحرير والجوخ . اما اعمدة الزوايا الاربع فقد كانت مرتفعة قليلا فوق ذلك الصندوق ، وقد ذُلت اواخر تلك الاعمدة ببكرات كبيرة من الذهب . . اما حيطان غرفة ذلك الضريح المقدس للنبي المبجل يونس (ع) فقد كانت موشاة بالفسيفساء فيبدو منظرها رائعا لما احتوت عليه من اشكال ورسوم جميلة . اما ارضية ذلك المكان فقد كانت مفروشة بالسجاد النفيس ، كما هو عليه الحال في جميع رحاب ارض ذلك الجامع الكبير .

ويتابع الرحالة بيركنس وصفه الدقيق لهذا الجامع الشهير فيقول : «ان هذا الضريح مبجل من قبل الجميع ، وينظر اليه باحترام واجلال نظرا لقدسيته العظيمة ، ولا يسمح بالدخول اليه الا للقليل ، وبصورة مطردة من قبل الموصليين . وقد كانت حظوتنا بالدخول اليه قد احرزناها بواسطة المستر رسام ومساندته وورعايته ، واسيخ علينا هذا الرجل المزيد من لطفه وفضله ومعروفه . ويظن البعض بان هذا الجامع الكبير كان قد بني على اسس معبد قديم . . ومن غير ريب فانا لم نعرض للاعتقاد الشديد او الثقة العالية في الرأي السائد هنا كون هذا الصندوق العظيم يحتمل على وفاة النبي يونس (ع) ، كما كنت قد ذكرت سلفا ، اذ اننا لا نشك ابدا في موقع نينوى ونحسب ذلك في تقديرنا لمكان هذا المرقد فرما كان متواجدا في منطقة مجاورة . . . المهم بان هناك العديد من كبار المؤرخين لمعظم الفترات التاريخية القديمة يوافقونا ، وهذا ما يجعلنا مطمئنين باننا قد قدمنا قدرا كبيرا من البراهين المرضية من خلال وقوفنا على اطلال نينوى .

#### خرسباد وامكن اخرى

تشتمل احاديث الرحالة بيركنس على ذكر خرسباد ، اذ يذكر بان المستر بوت<sup>(٤٤)</sup> كان مواصلا ابحاثه في موقع خرسباد — Khursabad<sup>(٤٥)</sup> . وتقع خرسباد على بعد حوالي ١٦ ميلا شمال شرق الموصل ، وتشكل رابية منفردة ذات ابعاد محددة في تخومها الى حد بعيد ، وتقع المنطقة كاملة على بعد ١٨ ميلا من

نهر دجلة شرقا ، في حين تبعد النمرود ميلين عنه وللشرق ايضا .  
يقول بيركنس : وتعتبنا محصلة الجهود التي قام بها كل  
من المستر لايارد والمستر رسام افتراضا يطرحه الاخير لمشاهد  
الاماكن الثلاثة نينوى وخرسباد والنمرود كونها مواقع لعدة مدن  
مختلفة ، ولكن الأدلة الحاضرة تشير الى اتجاه ذي علاقة مركزية  
يربط جميع المنطقة بنينوى ، فهي اسم عام لها . فالاسم نينوى  
هو الاسم العظيم في المصور المتقدمة والشبيه باسم لندن في  
عصرنا الحاضر ، فقد استطاعت نينوى ان تبطل وبصورة كبيرة  
نسبيا العديد من الضواحي المتاخمة والمذكورة آنفا . وقد قدّر  
لنينوى ان تكون مدينة عظيمة واستثنائية لما فوق العادة لايتهي  
السفر فيها لمدة ثلاثة ايام كاملة . ومن الضروري ان تمتد لمسح  
اكثر من الوقت المذكور ، وتشمل المسافة الحقيقية على الاقل  
للمدن المحلية الثلاثة واحدة تجاه الاخرى . هذا ما ينظر اليه  
المستر رسام ، والى هذا الحد من الواقع القائم نسبيا ، والذي  
يعني بوضوح ما يلاحظ من الموصل لاطلال نينوى المقابلة لها على  
الطرف الاخر من نهر دجلة . . اما رسن - Resen - فترامى  
آثارها واضحة من النمرود . .

اما الكال - Kallih - في الشرقا التي تبعد حوالي ٦٠  
او ٧٠ ميلا جنوبي الموصل ، وعلى ضفة نهر دجلة ، فانها تحتل مع  
آثارها مساحة تقدر بثلاث مرات الرقعة التي تغطيها نينوى .  
وتقع على الجانب الغربي من النهر ، وهي مدينة قديمة ، تحتوي في  
داخلها على اقسام متعددة من الاسوار ، والتي ترتفع عاليا في  
عزلتها شبيهة في تراكيبها بالآذن . .  
اما الرحبة<sup>(٣٣)</sup> ، فانها قائمة على نهر الفرات ، وهي التي  
يطلق عليها - Rehoboth - .

يعود بيركنس لحدثنا مرة اخرى عن قرية النبي يونس  
فيقول : ولقد وجد المستر ريج - Rich - العديد من الآثار  
المقمنة والمهمة جدا في رابية النبي يونس ، مقابل الموصل ، مع  
المزيد من الكتابات المنقوشة . ولو كانت عمليات الحفر والتنقيب  
في ذلك المكان قانونية او مشروعة الى حد كالذي جرى في غيره  
من الاماكن التاريخية ، فرما يعثر ضمن موجوداته على المزيد من

التحف والانتيكات الثمينة ، ولكن تعتبر هذه الرابية ذات اعتبار  
مقدس جدا<sup>(٣٤)</sup> .

#### بين آثار النمرود<sup>(٣٥)</sup>

بدأ الرحالة بيركنس مع صحبه مبكرا في زيارته للنمرود ،  
وقد ازمع على ان يكون رجوعه في ذلك اليوم نفسه . تبعد نمرود  
١٨ ميلا عن الموصل ، وتقع مباشرة على الضفة الشرقية من نهر  
دجلة . ويتابع حديثه فيذكر بانهم عبروا في طريقهم الى نمرود  
بثلاث قرى صغيرة ، ولم يكن مظهر تلك القرى على مستوى من  
الاهمية ، ويقطنها العرب . ثم عبروا عدة غيومات كبيرة (بيوت  
شمس) للعرب من البدو المنتشرين على الطريق الى نمرود . لقد  
كان سهل الموصل العظيم الواقع الى شرق نهر دجلة والمتاخم  
لشرق المدينة وعلى جانبه الجنوبي مأهولا بصورة متفرقة ، ويقال  
ان السكان قد تناقصوا كثيرا عن السابق بصورة ملفتة  
للنظر . . . ان البلاد مستوية ، وتغطيها خلال هذا الفصل  
خضرة القمح الثرية وبصورة شاملة ، وقد انتهجت الحياة فيها  
اثر الحصاد . وفي النصف الاخير من طريقهم تألفت امامهم  
موجات عديدة من احجار الكلس ، ولم تكن تلك القطع المرمرية  
الجميلة ذات مساحات صغيرة ، بل كانت تحتل ابعادا كبيرة من  
المنطقة . وعبروا في طريقهم مجرى صغيرا من الماء والذي كان  
متجانسا مع النماذج الطبيعية التي لم ار مثلها ابدا - كما يقول  
الرحالة بيركنس - . . فالماء يقطع قنالا يمتد في اخدود ذي عمق  
يقدر بقدمين نزلتها طبقة من طبقات الحجر الكلسية البيضاء  
وحولهم التلال التي كانت تتلالا هي الاخرى ايضا ، مع  
انكساراتها بفعل الشماعات المضئية للشمس الساطعة . . وهناك  
ايضا حيث يتنازع الكبريتية القابعة في جوار هذه السلسلة  
المرمرية ، والتي ربما كان لها القوة الفعالة في تكويناتها البنيوية .  
اخذهم الطريق بعد ان وصلوا سيرهم ليلا واحد بهذا  
الاتجاه عند قرية السلاية<sup>(٣٦)</sup> وحوالي ثلاثة اميال الى الآثار في  
النمرود ، التي برزت فجأة امام اعينهم ، وظهر العديد من  
ابرازاتها العالية الواضحة والتي كانت مخروطة ورفيعة ويبلغ  
علوها على الاقل ٧٠ قدما ، وهي اهداف ذات منظر اخاذ يجلب

الانظار . اما نهر دجلة فانه ينحدر ليلين على الاقل من الآثار المذكورة ، ولكن الفسحة الواقعة بين الاثنين تعتبر منخفضة ، وهي ذات تربة غرينية ألقتها التكوينات الحديثة الظاهرة والنباتية .

ويتابع بيركنس احاديثه في رسائله قائلا : « هناك شك كبير بان نهر دجلة كان يجري ضيقا وحيسا تحت اسوار المدينة القديمة - نمرود - ، كما كان ظني الذي ذكرته مسبقا عن حال نينوى مقابل الموصل . ويصل بيركنس مع مرافقيه منطقة النمرود ، فيبدأ بوصف تلك الآثار المدهشة التي رآها على حين غرة . . . وما تضمنته من الاسوار ، والصالونات القديمة ، والقطع المعمارية البهية والتي منحتها انطباعا كونها لازالت جديدة ، ولامعة وكاملة . . ثم ينتقل الى ما يراه داخل تلك الاسوار المعلقة ، فيصف الحروف السمارية ، ورويته لمعلومات كاملة عن الرجال والمقامات العملاقة ، ثم يرى ثورين يشبهان الى حد ما فيلين كبيرين ، ولكل من الثورين الكبيرين جناحان ورأس انسان . . . جماعات متنوعة ، ومشاهد كما لو انها كانت تقابل جمهور ملكي الافتتاح ، دفاع القلاع ، الرجال الجبابرة ، الرؤوس والاجنحة والنسور . . وتماثيل تحكي عن رجال تحمل ازهار الاناناس في ايديهم . . وكانت جميعها طبيعية وواقعية في تصوراتها ، ومشتركة في تناسقها الفني .

ان المكتشفات الاولى كانت قد ارسلت الى انكلترا ، اما المكتشفات الاخرى فلها تنتظر دورها وهي لازالت تحت التراب لم يكشف النقاب عنها . . ويشرف المستر لايبارد ايضا على عمليات الحفريات في النمرود .

ويزيد بيركنس من شروحاته بعد رجوعه من النمرود الى الموصل في مساء اليوم نفسه (١٦ مائس) ، عندما يلتقي بمسافر انكليزي كان يقوم باعمال المسح والفحص والمعاينة في نفس المكان ، والذي يشرح له عن مشاهداته في البلاط وصالوناته وموجوداته ، وصوره ، وتماثيله . . . الازهار ، الحيوانات ، الملوك ، الجدران ، النقوش ، الاجسام البشرية الطويلة ، ورؤوس بشرية اخرى باجسام حيوانية . . كلها باقية ومحفوظة

منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة ، وكلها تنشق عنها الارض الان لتنهض من تحت التراب جديدة ومضيئة وفي هذا الفجر بعد ان نامت طويلا ولقرون عديدة - على حد تعبير صاحب الرحلة - . ويتابع تسجيلاته فيقول بان مدينة النمرود تختلف عما وجدناه في تلك الرقعة المقابلة للموصل - نينوى - ، فالقطع الفخارية الطينية المتواجدة في النمرود تبدو اكبر للعيان ، وكذلك التماثيل والمنحوتات التي كان بعضها صغيرا في الموصل ، واكثر صفرا من الحياة نفسها بينما تكاد تكون الصورة معكوسة في النمرود ، كل شيء اكبر ، فمثلا الثيران والاسود تبدو اكبر في احجامها من احجام الفيلة . وينتقل بيركنس لشرح عن طبيعة البناء في النمرود ليصل متسائلا فيقول : « ولكن من هم اولئك الرجال البناة ؟ وما نوعهم ؟ اولئك الذين انجزوا كل هذه الاعمال الخارقة الجبارة . . من الموجب حقا انهم كانوا فنانيين بكل ما تعنيه الكلمة من معان . . في تلك الايام الغابرة والمنتدأة من عمر التاريخ البشري ، والحضارة الانسانية ، فلقد كانت لهم طرائقهم والاهم الوافرة الواسعة . ثم يستطرد معبرا على كلامه هذا بالمقولة الشهيرة بان : « ليس هناك جديد تحت الشمس » . ثم يكمل قائلا : « نحن نتباهى فخرا واعتزازا بالاختراع الحديث للزجاج ، ولكن حتى هذه المادة قد وجدت في آثار نينوى »

على بعد مسافة تقدر بـ ١٢ ميلا جنوب شرق النمرود ، يقع هناك مصب لقناة مائية قديمة تبدو آثارها من اوصال الصخر ، وينقاد مجراها نحو نهر الزاب (الاعلى) ، والذي ربما كان مستعملا لايصال المياه الى المدينة التي احتلت موقع هذه الآثار واطرافها<sup>(١٨)</sup> .

#### النهاية

قبل ان يختم بيركنس تسجيلاته ويغيب عن موضوع هذه المناقص الطبيعية التي تم اكتشافها وما يتواجد فيها من انبيكات ثمينة ، وما تحفل به من كنوز هذه الارض الكلاسيكية . . يقول بيركنس : « يمكنني ان اذكر بانه يتواجد على بعد حوالي خمسين او خمس وخمسين ميلا جنوبي غرب مدينة الموصل آثار مدينة قديمة هي الحضرة او مدينة - Hatra -<sup>(١٩)</sup> ، والتي تتعالى فيها الآثار

ينوى الاشورية ، والارض الكلاسيكية بالرجوع الى الكتاب الذي كتبه وطبعه مؤرخا المستر لايارد<sup>(١١)</sup> ، ويتابع قوله : «ورغم اني لم ار الكتاب لحد الآن ، ولكن ثائق تقني بذلك من خلال معرفتي للرجل ، فان كتابه له في طبيعته ، واتساع مداه ، ووفرة موانه ، ما ليس عندي اي شك بانه الكتاب الذي سيحظى بالاهمية ، وقصب السبق في هذا المضمار<sup>(١٢)</sup>»

الصخرية ظاهرة على السطح او تلك التي تمتد تحت طيات الترى . ولقد زار تلك الآثار مؤرخا الكولونيل وليامز والمستر رسام .

واخيرا ، يجتزم الرحالة بيركنس احاديثه وتسجيلاته هذه كلها من خلال رسائله فيوصي جميع اولئك الذين يشعرون بالاهمية للوصول الى حد ابعد من المعرفة والاطلاع على آثار

### ملاحظات وتعليقات

١١ - The Letter No. 2, dated 26/04/1849; ibid., pp. 71 — 2.

١٢ - سولدوز : مقاطعة كبيرة ، لها امتدادها الواصلة ، ويجمعها خليط من عشائر كردية هي : الرزازا والماش والمكري .. راجع عنها :

W.R. Hay, Two Years in Kurdistan, London, 1921, p. 126.

The Letter No. 3, dated 27/04/1849; JAOS, op. cit., pp. 137 — 3.

١٤ - راجع عن سلوج بلادي في :

The Encyclopaedia of Isted, vol. 3 p. 188.

The Letter No. 4, dated 28/04/1849; JAOS, op. cit., pp. 74 — 5.

The Letter No. 5, dated 29/04/1849; ibid., p. 75; see also, 16 Letter No. 6, dated 30/04/1849, loc. cit.

١٧ - ملك كاليه شين : كان لهذا الملك الاستراتيجي « = لشنو-واوندوز » شأن كبير في تاريخ الحروب الرومانية - الفارسية سنة ٥٩٨ م ، وذلك بين رئيس القائد الروماني وحسرو برونز الفلوسي (من منسوجات الاركولوجيست راو لينسون ، ص ٧٤ - ٨٠) . من طرف آخر لقد كتبت القوات المغولية مستغلة من هذا الملك الهام في حركاتها الحربية وتغللها بين الاقاليم . (انظر : ع . الزواي ، تاريخ الصراع بين احمدين ، ج ١ ، ط ١ ، بغداد ١٩٣٩ ، ص ٣٧٧) . لقد اكتشف البعض من الآثاريين العديد من الآثار التاريخية في ميفيق كاليه شين ، وهي عبارة عن مشارف والواح مكتوبة باللغة الاشورية ، وتوضح تلك الآثار اخبار عن الحملات في حركاتهم الحربية ومتواشاهم مع الاشوريين ابان عهد الملك الاشوري شلمنسر الثالث ٨٢٤ - ٨٤٩ ق.م . واحلال اللغة الحقلية على الاشورية التي كانت تعبر اللغة الرسمية ونقل لغة الادب في الامبراطورية . راجع التفاصيل التاريخية من ذلك :

'Cambridge Ancient History', vol. I, (Khuldiyeen), pp. 211 — 225; see also, Morris Jastrow, The Civilization of Babylonia and Assyria, London, 1915, p. 245.

١ - شملت هذه الرحلة ٩٩ صفحة من المجلة المذكورة في المتن ، والتي سألني اليها في هذه الملاحظات بـ (JAOS) .

٢ - هي مجلة استشرافية امريكية ، تأسست في بوستن سنة ١٨٤٧ م ، وعينت بالعقارب التبشيرية والاستشرافية بواسطة مراسلها الذي اختصوا بمواضيع الشرق الحسنة والمتنوعة .. وتوزعوا في اتجاه مختلفة منه عصر ذاك . ولا زالت هذه المجلة تصدر حتى هذا اليوم بعد ان صيغت بالطابع الاكاديمي ، وذلك عن الجمعية الاستشرافية الامريكية ذاتها ، وساهم في تحريرها والكتابة فيها العديد من المشرفين الغربيين . لقد ورد ذكرها عند نجيب الملقبي في كتابه «المستشرقون» ، الجزء ٣ ، تحت بند ٦٨ ( = الجمعيات والمجلات الشرقية ) في حديثه عن استشراف الولايات المتحدة الامريكية ( = الفصل العشرون ) . قال الملقبي : بان مجلة : 'Journal of the American oriental society' وهي تصدر كل ثلاثة اشهر في نيويورك بالولايات المتحدة الامريكية ( انظر : الملقبي ، المرجع اعلاه ، ج ٣ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ ، ص ٩٩١ . لقد اخطأ الملقبي في ذلك ، وربما قصد غيرها .. ولكنه في كل الاحوال لم يذكر المجلة ، التي نحن بصدد الاعتماد عليها .

٣ - كتب عن ذلك مزيد من التفاصيل : المطران سليمان صايغ في كتابه «تاريخ الموصل» (نفائس الآثار : درس الانتروبولوجي) ، لبنان ، ١٩٥٦ ، ص ٩٦ - ٩٧ .

JAOS, vol. 2, 1851, pp. 70 — 1.

'Reys of Light'

'Residence of Eight Years in Persia', 1843.

'Missionary Life in Persia', 1861.

'Historical Sketch of the Mission to the Nestorians', 1862.

٩ - هذه هي الترجمة الحرفية الكاملة لحياة الرحالة جوستن بيركنس التي نظمها الموسوعة :

'Who was who in America : Historical Volume 1607 — 1896, Chicago, ed. 1967, p. 467.

The Letter No. 1, dated 25/04/1849; JAOS, op. cit., p. 71. — ١٠

- The Letter No. 9, dated 03/05/1849; JAOS, op. cit., pp. 78 — 82.
- ٢٥ - لم نجد للكولونيل وليامز ترجمة خاصة به... اما ارتباطه السياسي فيكون مع القنصل البريطاني العام المقيم في بغداد، والاخير مرتبط بدبلوماسية السفير البريطاني الواحد في مقر عمله بالعاصمة العثمانية (استنبول). ومن المؤكد ان للكولونيل وليامز اوراق سياسية، ورسائل دبلوماسية، وثائق تاريخية تشهد تواجد في الموصل... ربما سيأتي أكثر من بحث عملي لبحث في ذلك مستقبلا ويستخلص معلومات ثمينة عنه وعن الموصل.
- ٢٦ - محمد باشا الذي اشتهر بـ «كوره آي والاخوره»، نظرا لاصابته بعلته في احدى عينيه. راجع اخباره القطنية عند المؤرخ لوتنبرك في كتابه الشهير: «اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث».
- S.H. Longrigg, *Four Centuries of Modern Iraq*, Oxford, 1925, pp. 282 — 6.
- ٢٧ - للمزيد من التفاصيل التاريخية - التحليلية عن محمد باشا كورمير (الراوندوزي)، ودوره المؤثر السالب في الاحداث السياسية الهامة لعراق القرن التاسع عشر، انظر باللاتينية: الاطروحة الاكاديمية الرعية: ( «دكتوراه» ) عن جامعة هامبورك بالمانيا الغربية:
- Jemal — eddin Nebez, aus Sulaiman, *Kurdistan Der Kurdische Furst Mer Muhammad — i Rawendzi genannt Mir — i Kora im Spiegel der Morgenlandischen und Abendlandischen Zeugnisse (Ein Beitrag Zur Kurdischen Geschichte): Dissertation Zur Universitat Hamburg*, 1970.
- ( عمله الاطروحة تحفظ بها مكتبة جامعة هامبورك في المانيا الغربية )
- ٢٨ - تعتبر (خوي = Khoy) من المراكز الاستراتيجية الشهيرة التي لعبت دورا مهما في التجمعات العسكرية في فترات متلاحقة وعديدة من التاريخ. كما ان لها اهميتها البارزة كحقل وصل لخطوط التجارة الشرقية، انظر:
- The New Encyclopaedia Britannica, vol. v, London, 1974, p. 796.
- The Letter No. 10, dated 04/05/1849; JAOS, op. cit., pp. 82 — 6.
- The Letter No. 11, dated 05/05/1849; Ibid., pp. 86 — 9.
- The Letter No. 12, dated 06/05/1849; Ibid., pp. 89 — 90.
- ٣٢ - مدينة راوندوز: هي مدينة قديمة تمتاز بموقعها الاستراتيجي الفريد... كانت ذات مركز يجمع خطوط المواصلات التجارية التي تربط الموصل - بامشرو نحو انزليجان. وراوندوز، هي المدينة القلعة التي شهدت حل مقرية منها انتصارات الروم على الفرس سنة ٦٢٧م. ولهذه المدينة مكانتها في العصور العراقية الحديثة، اذ كانت تعتبر احد المراكز العسكرية - الاستراتيجية لتربط الجيوش العثمانية ضد الفرس. واسمها (روان) ولفظ (دز) - في اللغة الفارسية القديمة - معناه «القلعة» وتسكنها عشيرة الرواندي التي احتللت بها مشار اخرى. راجع عنها: (محمد امين زكي، تاريخ الكرد والكردستان، القاهرة، ١٩٣٦، ترجمه عن الكردية: محمد علي حوني، ص ٣٩٣. اما الاصل، فقد طبع ببغداد عام ١٩٣١).
- نرى خط الحدود بين العراق ويران يهين كاله شين البالغ من الارتفاع ٣٤٨٠ (من: طه الهاشمي، جغرافية العراق، ط ٢، بغداد ١٩٣٦، ص ٢٩).
- ١٨ - هو الكولونيل (السير - ليا بعد -) هنري كرويسوك واوليسون، من اشهر المهندسين الانجليز البريطانيين في القرن التاسع عشر... والمقيم بشؤون شركة الهند الشرقية ببغداد للفترة ١٨٣٤ - ١٨٥٥م، وكان قد اخذ على عاتقه مسؤولية الانشاء العام للحضريات الانبارية في العراق، والخاصة بالتحف البريطاني بعد الدور الذي كان متاعا بالانباري البريطاني الشهير هنري لابلورد. اشترى واوليسون للمتحف البريطاني ثوران مجتهدان «ديراسي انسان» - وهما من لماتيل عرسيد العائلة... (المعلومات عنه في النشرة الحديثة لقسم آثار غرب اسيا في المتحف البريطاني، سنة ١٩٧٩ - متحف البلاط الاشوري -)
- ( British Museum : Dept. of Western Asiatic Antiquities ).
- The Letter No. 7, dated 01/05/1849; JAOS, op. cit., pp. 75 — 6.
- عند عمله المبارة لخطي - هيئة تحرير المجلة (JAOS) الدكتور بيركنس بالاتحاد على منسوخات المجر واوليسون ومعمل الغاري الى الحولين التاليين.
- Journal of Royal Asiatic Society, vol. X, p. 25; and Journal of Royal Geographical Society, vol. X, p. 21. See, JAOS, op. cit., p. 76 n.
- وللاستزادة والتأكد من صحة الاحداث والتفاصيل التاريخية، راجع:
- Arrian, *The Campaigns of Alexander*, tr. by Aubrey de Selincourt, Introduction and Notes by J.F. Hamilton, Reprinted in Britain, 1978.
- The Letter No. 8, dated 02/05/1849; JAOS, op. cit., pp. 77 — 8.
- ٢١ - للمزيد من التفاصيل الجغرافية وطبيعة منطقة الحدود العراقية - الايرانية - التركية، انظر: طه الهاشمي، المرجع السابق، ص ٢٩ - ٢٧.
- ولتوضي الفقه في المعلومات والشروح والخرائط، راجع:
- Major Lloyd 'The Geography of the Mosul Boudary', *Geographical Journal*, vol. VII (1926).
- ٢٢ - للمزيد من التفاصيل عن التميم (سراشت)، انظر:
- Walter. B. Harris, *From Batum to Baghdad*, London, MDCCCXCVI, pp. 219 — 225.
- ٢٣ - الجبل: من المشار الكردية التي تطلن في قلبي اوشن وراوندوز في محافظة اربيل... وتنقسم الى السام كبيرة: ييران ومنكور وماش والي بطن منها في منطقة رانية. وقد تعرض المجر واوليسون للذكر هذه المشار أثناء دراسته للعبة لعاصفة (مياه) القديمة، وذلك أثناء رحلته الخفية للمنطقة وفحصها ميدانيا سنة ١٨٣٦ هـ...
- Notes on a marche from Zohab at the foot of Zagros, a long the mountains to Khuzistan ( Susiana ) and from the nee through the provinces at Luristan to Kermenshah in year 1836 by Major Rawlinson, of the Bombay army serving in persia, p. 33.

وللمزيد من التفاصيل الجغرافية والمعلومات الاجتماعية والانثروبولوجية عن

رواندوز، انظر :

A.M. Hamilton, *Road Through Kurdistan : The Narrative of an Engineer in Iraq, with a foreword by Major — General Row An — Robinson*, London, (n. d.), pp. 270 — 9.

٣٣ - جيف المؤرخ البريطاني لونغريك ، القصة التي اتصف بها محمد باشا كورمير كوربا وقصة عائلة - على حد تعبيره - دون ان يلتفت ليدرس مليا الفصائع التي نقلها كورمير ، انظر : S.H. Longrigg, op. cit., pp. 285 — 6. للاستزادة عن شخصية كورمير وسياسة القبلية والمحلية ، انظر الفصل الاول والفصل الثاني من اطروحة جمال الدين السليمان المذكورة آنفا (راجع الملاحظة ٢٧ أعلاه).

٣٤ - راجع من جامعات والتجارة ، بالتفصيل في كتاب لايارد الشهير :

H.A. Layard, *Nineveh and its Remains*, ed., Intro., and notes: H.W.F. Saggs, London, 1970, p. 156.

٣٥ - القوش : هي القرية النصرانية التي وصفها المستر لايارد في كتابه آنف الذكر (م - ٣٤) ، وذكر بأنها تقع من قبل الكلدانيين الاقحاح الذين تحولوا إلى الملعب الكاثوليكي - الروماني ، بموجب التحول العام للمعرف الديني . وتحوي القوش ممبدا للنبي ناحوم الاقحاشي - كما يدعي - ، والمكان مقدس من قبل المسلمين والنصارى واليهود ، ويقع بالقرب منها دير الربان هرمزد الذي يقوم على منبع جبلها ، انظر

٣٦ - ان هذا الاسلوب الكلاسيكي في البناء ، اما يرجع الى المصور العراقية الغابرة والسحيفة في القدم . وهو الاسلوب الذي قلته طرز البناء النعومة عند البابليين والاشوريين ، انظر الضابط : M. Jastrow, op. cit., p. 216. The Letter No. 13, dated 07/05/1849; JAOS, op. cit., pp. 90 — 4.

انظر ان هذا الممر الضيق الذي يفصله بيركنس هو الممر الشهير الذي يعرف اليوم بدمشق كلي على يمينه والواقع بالقرب من راوندوز .

٣٨ - توكور : كانت تحمل مركز اماره تحت ايدى عشيرة دبراموستة ولكنها ضمنت فلالشي شاميا ، وتلخص حدة سكانها ، انظر : م . ا . زكي ، المرجع السابق ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ . اما بخصوص العائلة الكردية ومواصفاتها ، لقد كتب ثوماس بويس فصلا كاملا عنها ، انظر :

Thomas Bois, *Connassance des Kurdes*, Beyrouth — Khayats, 1962, chap. No. 7.

The Letter No. 14, dated 08/05/1849; JAOS, op. cit., pp. 94 — 8.

٤٠ - عشيرة السورجي من العشائر الكردية الكبيرة التي تنتشر في محافظة اربيل ، ويبلغ عدد عوائلها ٤٣٠٠ أسرة . وتنتشر مسطرة فيها بين الشامي الشمالي لهر الزاب الصغير ورواندوز ، ولهم حصون قربة ، انظر : م . ا . زكي ، المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .

٤١ - راجع من القصص الاكراد ، كتاب المؤرخ الانكليزي :

J.S. Trimmingham, *The Orders in Islam*, Oxford, 1971, pp. 124 — 5.

The Letter No. 15, dated 09/05/1849; JAOS, op. cit., pp. 99 — 102.

٤٢ - يقول صاحب الرحلة في احد هواش رسائله : - في معرض حديثه عن سهل اربيل : - يدعي هذا السهل من قبل الاكراد والساسطرة مولسبر - HOLER - ، ويدعي من قبل (الأتراك) اربيل - ARBIL - ، (انظر : Ibid., p. 103 n. ان التسمية حرية منذ القدم ومعروفة من لفظ دار بيلور . ومن دون شك فان صاحب الرحلة قصد بالأتراك سكان المنطقة بمختلف انتهائهم العرقية والذين كانوا تحت حكم السطرا العثمانية عصر ذاك .

٤٤ - راجع بشأن مدينة حررة : بالقوت الحسوي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٣٦ .

٤٥ - الهلبة هم من السريان الأرثوذكس الذين يؤمنون بان المسيح ذو طبيعة وحدوية متكاملة امتزج فيها عنصر الاله بمسمر الانسان . التفاصيل عند الشيرستاني : الملل والنحل ، ج ٦ ، ص ٤٥ .

٤٦ - الساطرة البهريين : هم من النصارى الكاثوليك الذين يتبعون الكنيسة الكاثوليكية في روما ، وقد تشكلوا في بداية القرن التاسع عشر . للمزيد من التفاصيل التاريخية ، انظر :

Sayyar K. Al — Jamil, *A Critical Edition of al — durr al — Malun fi al — Ma' aṭhral — Madiya min al — Qurun of Yaṣin al — Umarī (920 — 1228 A.H. 1514/1515 A.D. — 1811/1812 A.D.)*; ph.D. Thesis, St. Andrews Univ., Scotland, 1983, 3 vols., (The Library of St. Andrews Univ. ).

٤٧ - الفرنجيون : هم دفرنجية ، اوروبا عند الاغريق والعرب . ان الرائي الذي يطرحه بيركنس هنا ، هو رأي خاطيء ، فالعراق لم يشهد خلال حياته التاريخية الطويلة ، اي شكل من اشكال استيطان الاوربيين سواه كانوا من الفرنجة ، ام غيرهم .. او استراجم . ولم تشهد هذه البلاد العريقة ، الا بعض الحملات الاخرقية والرومانية التي مرت عبر شمال العراق لحرب الفرس .. وسرعان ما تبديد ، ولم تترك آثارها على تاريخية العراق . انذ ، نستج بان البلاد العراقية لم تتأثر سكانيا بالرومان او الاغريق لدهما .. ولا بالفارنج خلال عصور الحروب الصليبية في التاريخ الوسيطة ، ولا حتى الحملة النابوليونية في التاريخ الحديث .. اذا استثنينا حركة التجار الاوربيين المكتنحين الذين كانوا الافراد ، فلذا كان من هؤلاء من استقر في دمشق وحلب فان بغداد والموصل لم تشهدا استقرار وتوطن اي دائري . ان العراق اول ما شهد من جامعات اوروبية انكلوسكسونية على ارضه ، اما جاء ذلك بعد الاحتلال البريطاني للعراق خلال الحرب العظمى الاولى في التاريخ المعاصر .

٤٨ - العمادية قلعة قديمة وحرقة في تاريخها الوسيط ، تقع على بعد ١٦٨ كم شمال الموصل . اشتهرت كثيرا في المصور الوسيط بعد ان بنى قلعتها عماد الدين زنكي على انقاض قلعتها القديمة «امات» وسميت باسمه . انقلدت في اوائل القرن التاسع الهجري مركزا لامارة البهيدتان التي يتسبب امرالها الى الخلفاء العباسيين في بغداد . راجع التفاصيل عند : بالقوت الحسوي ، معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٢١٤ .

٤٩ - وانظر كتاب *Anabasis* ، الجزء ٢ ، الفصل ٥٤ ، والجزء ٣ ، الفصل ٣ ، وهاش بيركنس : (JAOS, op. cit., p. 108)

E.S. Stevens, By Tigris and Euphrates, London, 1923 (Chap. XIII MOSUL).

The Letter No. 19, dated 13/05/1849; JAOS, op. cit., p. 59 111.

٩٠- عن تفصيلات تاريخ وجسر الموصل: راجع مقالة المؤرخ سعيد الدينويجي: «جسر الموصل في مختلف العصور»، مجلة «سومر»، العدد ١٠، سنة ١٩٥٦.

٦١- بر دجلة: من الأبرار المظمى في العالم، وبعد أقدمها لأطية. يتسب لفظ دجلة إلى اللفظ الميراني «جي» ذلك، الذي يعني: شدة جريته وسرعته على حد سواء. وأما اللفظ اللاتيني 'Tigris' فقد جاءه من 'Tigra' الزندية والنشئة من كلمة (Tig) الشكرية، بمعنى «حاد». يبلغ طوله ١١٤٦ ميلاً.. تفصيلات وأقية عن تاريخية بر دجلة وجيولوجيته وطبوغرافيته.. لجمعها في:

The New Encyclopaedia Britannica, vol. 18, ed. 1974, pp. 402 — 8.

٦٢- تعتبر نينوى من أشهر المدن التاريخية في حلة حضارات العالم القديم. وهي العاصمة الأخيرة والكبرى من بين عواصم الإمبراطورية الآشورية... يبدأ عصر نينوى منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد، وخلال عهود حكم كل من: منشاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م.)، وأشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م.)، حتى إمبراطورية الآشورية في سنة ٦١٢ ق.م. انظر: طه ياق، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٥٥. أيضاً: د. سيار الجهميل، «الآشوريون في التعبير اللغوي للتاريخ»، مجلة «بين النهرين»، العدد ١٣، الموصل، ١٩٧٦، ص ١٧-٥.

٦٣- كوينجوت: هي مجموعة من التلّات الحالية التي تقوم في موطن نينوى العاصمة الآشورية القديمة، ولا زالت هذه التلّات تحوي حتى هذا العصر تلك العاصمة، انظر للملاحظة رقم (٦٨)، والملاحظة رقم (٧٢).

٦٤- يعتبر السمر. د. وسام أحد ثلاثة رجال آثار كبير، والذين اعتبرهم بريطانيا من عظمائها.. أولئك الذين كانت لهم اليد الطولى في كشف الستار عن أعظم الآثار الآشورية القديمة، وإلقاء الضوء على مجاهل التاريخ القديم الذي يحلّ العراق قوته ومكانته وعظمته فيه.. وتزين لوحات مصورة زينة هؤلاء الرجال الثلاثة للقاعة الآشورية السفلى من المتحف البريطاني بلندن، وهم: لايلارد وداولينسون وهرمز د.م. إضافة إلى لوحة أخرى في مكان آخر لكتولديوس ريج. جاء من ه. د. وسام في نشرة «للتحف البريطاني» الصادرة سنة ١٩٧٧: «هرمز د.م. الشاب الموصل للمسيحي الذي عمل تحت إدارة داولينسون، وبصورة مستمرة للفترة ١٨٥٢-١٨٥٤م. ويعتبر مساعداً قوياً للمكتشف الآثاري الأول لايلارد في تفكيكه، والذي اكتشف في النشروء معبد الآله والحكمة والكتابة، والتصح في نينوى البلاط الشمالي للملك آشور بانيبال مع مكتبة معبد نابو Nabu. — الفتحة التي اكتشفت من قبل لايلارد في بلاط مستحارب. وفي خلال الفترة ١٨٧٨-١٨٨٠م رجع ه. د. وسام إلى حفل التفتيح بعد انقطاع ليعمل في النشروء ونينوى والحدود وغيرها من الأماكن واكتشفت على يده العديد من اللواتر الثمينة البرونزية التي تعود للبلاط الصغير لآشور ناسر يال الثاني وشلمنصر الثالث. ويذكر العالم البريطاني H.W.F. Saggs — في مقدمته لكتاب لايلارد بأن هرمز د.م. قد تخرج من اتكتلرا بعد أن اصطحبه لايلارد معه

The Letter No. 17, dated 11/05/1849; JAOS, ibid., p. 108 — 9.

٥١- الخارز: مبرين اربل للموصل، ينبع من جبل علبا والصمرانية وهو الموضع الذي جرت عنده ولعة تاريخية شهيرة بين عبد الله بن زياد وابراهيم بن ملك الاشتر النخعي في أيام المختار، ولها قتل ابن زياد سنة ٦٦ هـ، عن: بلوت... معجم... ج ٣، ص ٣٨٨. وانظر: ياسين العمري، منية الابدان في تاريخ الموصل الحديثة، تحقيق: سعيد الدينويجي، الموصل، ١٩٥٥، ص ١٤٤.

٥٢- انظر: «كتاب اريان» — ARRIAN — الجزء ٧، الفصل العاشر والحادي عشر. ثم الجزء ٣، الفصل الثامن والحادي عشره عاش صاحب الرحلة: (JAOS, op. cit., p. 110).

لا بد لي ان اقدم للقارئ تلة مختصرة عن المؤرخ اريان — Arrian — هو فلافيوس اريانوس الكونيون — F.l. Xenophon — الاغريقي الشهير، ولد في نوكوميديا عاصمة إقليم بتيانيا الرومان لسنوات عشت قبل سنة ٩٠ ب.م. درس الفلسفة، واستفاد من تجاربه وعوره في السهامة الرومانية في الكتابة والسهامة والتقدم العسكري في السنين اللاحقة، وله مآثورات عديدة، وقد تقاعد من عمله قبل موت الامبراطور هادريان في سنة ١٢٨ ب.م.، ولفس بنية عمره في الكتابة. اصبح مواطنًا اثينا في سنة ١٤٥ ب.م. ان تلويح موته غير معروف، ولكن يعتقد انه مات حوالي سنة ١٨٠ ب.م. ان في كتاباته عن الامبراطور الاسكندر الكندي في حروبه مع داريوس.. أقرا قيمة في تاريخ العراق القديم وبر دجلة.. مع وصف دقيق وفتح لبعض الأماكن العراقية المعروفة الضاربة أصبتها في القدم، وهي محفوظة في ثابا كتابه عن الاسكندر الخلف من سبعة اجزاء.

اجتزأت هذه الترجمة عن المقدمة التي حروها ب. وايك لكتاب اريان: «حلة الابكتند» (The Campaigns of Alexander) التي ترجمه عن الاغريقية إلى الانكليزية: اميري دي سيلين كوروت، ونشطه وقدم له ج. د. هاملتون، لندن، ١٩٧٨.

٥٣- قرية «برطلة» حرف بها للمؤرخ الموصل ياسين العمري: المرجع السابق، ص ١٣٦.

٥٤- ربما قصد الرحلة د. بيركنس بيله القرى: بمشبهه وبهزلي.. من قرى الموصل.

٥٥- ربما قصد صاحب الرحلة بهذا الجبل الصغير: جبل ملقوب الواقع ليس إلى الجنوب من خط سير الرحلة.. بل إلى الشمال من ذلك. وربما قصد غيره.

٥٦- بقصد الرحلة بيركنس بيله الأرض الانكسارية: منطقة «المنطقة»، الواقعة شرق بر دجلة قبالة مدينة الموصل. وهي المنطقة التي ذكرها صاحب رحلة المشير البغدادي به «مسلجة».. ينبع منها الماء الملب. واصل الكلمة «مسلجة» مع «ج» تركية تعني بالعربية «الترشيح»، انظر عنها: ج. الزاوي في ترجمه لرحلة «المنش» البغدادي سنة ١٨٢٢م، عن الفارسية، بغداد، ١٨٤٨، ص ٨٠.

The Letter No. 18, dated 12/05/1849; JAOS, op. cit., p. 109 — 111.

٥٨- للمزيد من المعلومات عن وصف «جسر الموصل» الشهير، انظر:

اليها ، إضافة الى مشاركته لا يارد في سفرته عبر جبال شمال العراق سنة ١٨٤٦م .  
وهرمزد رسام هو اخو كريستيان رسام نائب القنصل البريطاني في الموصل . انظر :  
H.A. Layard, op. cit., the Introduction by H.W.F. Saggs, p. 7.

٦٥ - المستر اوسن هنري لا يارد (الذي اكتسب لقب السير بحقله) : بعد  
اكتشف الاول للمعبد من البلاطات الاشورية المتواجدة - اليوم - في اروق  
الحف البريطاني . اجري عملياته في التنقيب خلال الفترة ١٨٤٥ - ١٨٤٧م ،  
والفترة ١٨٤٩ - ١٨٥١م . وقد اكتشف في التمرود البلاط الشمالي الغربي للملك  
أشور ناصر بال ، وملاحق معابد اشور ونيورتا والبلاط المركزي لـ نفلث -  
بليسر الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق.م) . وفي نيشوى ، اذنت اكتشافه في ثلوث  
قوينجوق الى الحقل الاساسي الانثري الاول لنيوى والذي قادت الى ظهور البلاط  
الجنوبي الغربي للملك سحراري ، وغيرها من التيات وما تزخر به من اللوحات  
التي تحكي بصورة جلية وابنة مشاهد الحروب وعمل لا يارد كذلك . عثا في  
أشور ، وعربيد ، وشريف خان (حريمسو) وتل التي يونس وهو الحقل  
الرئيسي الانثري الاخر من نيوى . رحل لا يارد في ايلول - سبتمبر سنة ١٨٤٦م  
قاطعا شمال العراق . . . . . واحمرا ، رجع الى بلاده متفاديا ليعمل كمطو في  
البرلمان البريطاني سنة ١٨٥١ ، ليأتي بعده دور المجر (السير لاحقا) هـ . ك  
راولنسون معهم شركة الهند الشرقية في بغداد ١٨٤٣ - ١٨٥٥م . انظر  
التفاصيل :

(Ibid., the Introduction by H.W.F. Saggs, pp. 4 — 13).

لم يكف لا يارد بقل الآثار الاشورية (= العراقية) من مهدها الى بلاده (=  
بريطانيا) ، بل لقد جعلت ان زوجته المسز لا يارد قد نقلت الى الحف البريطاني  
المعبد من خطوط الموصل الهامة . . . . . لقد ظهر ذلك في من اطلاها على تواليفها  
في تلك الخطوط . وهناك خطوط اخرى من الموصل نقلها الى لندن كل من  
لا يارد نفسه وصاحبه هرمزد رسام .

٦٦ - التمرود : هي العاصمة الاشورية الثانية بعد آشور . عالت التمرود  
ابها على جهود كل من الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م) . والملك  
شلتنر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) . والملك شمش ادد الخامس (٨٢٣ - ٨١١  
ق.م) . والملك ادد - نيراري الثالث (٨١٠ - ٧٨٣ ق.م) . واعبيرا الملك  
نيفلث - بليسر الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق.م) . حتى اواخر القرن الثامن قبل  
الميلاد . والتمرود تقع شرقي نهر دجلة ، وجنوب شرق الموصل بنحو ١٨ ميلا ،  
وتعتبر - اليوم - قرية من احوال الموصل . ويعتبر كتاب الاركولوجست «مالاوان»  
عن التمرود بمجلدين كبيرين من احدث وواسع واعم الكتب ، وذلك من نواح  
شئ : وصفها ، وآثارها وتواريخ عهدها ، ولوحاتها وكتاباتها ونقوشها . . .  
سنتينا بعشرات الصور التوتوغرافية . كما ويعتبر هذا الكتاب من اهم كتب علم  
الآثار ، وحري بالعلماء المراتين - اليوم - ترجمته الى العربية ونقلته الى ابحاثهم .  
M.E.L. Mallowan, NIMRUD and its Remains, 2 vols., London,  
1966.

المعلومات المختصرة : قراها في :

The New Encyclopaedia Britannica, vol. VII, ed. 1974, p. 349.  
The Letter No. 20, dated 16/05/1849; JAOS, op. — ٦٧  
cit., pp. 112 — 115.

٦٨ - تسمى هذه المنطقة التي تقع اليوم في قلب الجانب الايسر من مدينة  
الوصل بدتل قوينجوق، وهو التل الرئيس من مجموعة كبيرة من التلوات الواسعة

التي تشكل حلقة لها استراتيجيا لخراسية والخابية اطلال العاصمة المعظمي  
الكلاسيكية (نيوى) ، وهي ذات شكل مستطيل غير منتظم الابعاد ، وآثار سورها  
للداخل واضحة ، وطوله (١٢) كم ويمر عبرها هذه العاصمة التاريخية (=)  
بصورة التلوث) ، عبر الخوصر اما اليوم ، فطور على الطرف الشمالي من اطلال  
العاصمة نيوى ابنة المركز الجامعي لكليات والقسم جامعة الموصل الحديثة . راجع  
تفصيلات ماد «Nineveh» في :

The New Encyclopaedia Britannica, vol. VII, ed. 1974, p. 351.

إضافة الى معلومات والية من وعظمة نيوى .

٦٩ - الفصل الفرنسي في الموصل هو المسوب . ي . بونا ، انظر ترجمته  
- عني - لاحقا ، رقم (٧٣) .

٧٠ - فتح راولنسون بالاشتراك مع لا يارد درجة الشرف كمؤسسين لعلوم  
والاشوريات وعثويات عصورها التاريخية والخاصة لاشورولوجيات ، الحف  
البريطاني . ويعتبر راولنسون عملا كلاسيكيا من الطراز الاول ، - حسب تصنيف  
الدوائر البريطانية - ولكنه لم يكن مقدرا لأي من آخر كالتدوينات المتعلقات  
الاخرية . وكان اكبر من لا يارد سنا بسبع سنوات ، تلقى علومه العسكرية في  
شركة الهند الشرقية في عام ١٨٢٧ وتعلم بصورة جلية اللغات الشرقية ، وتتل في  
اماكن عديدة من الشرق الاذن . اعياره التفصيلية في مقدمة د . ساكنس لكتاب  
لا يارد ، انظر :

H.A. Layard, op. cit., Introduction by H.W.F. Saggs, pp. 19 — 20.

٧١ - جامع النبي يونس : من اكبر وواسع جوامع الموصل على مر تاريخها العربي  
الاسلامي . يقوم حاليا على التل الذي يدعى بدتل التوبة ، بني بعد التحرير العربي  
للموصل على اقاض «كنيسة» قديمة . . . . . ثم جعلت بناؤه في القرن الرابع الهجري  
جيلة بنت ناصر الدولة الحمداني ووافقت له . وتطور في القرن السادس الهجري  
تطورا مشهودا ليشغل على بيوت ومقابر ومطابخ ومساكنات ، كما يذكر ذلك ابن  
جبير في زيارته له سنة ٥٨٠هـ . وفي سنة ٧٦٧هـ ، جده وسومه جلال الدين  
ابراهيم الحنفي . وتعرض الجامع للنهب والسلب وتلفت عثياته من قبل الابرأئين  
اثاء غزو نارمداش وجيوشه للعراق ، وذلك خلال حصار نارمداش للموصل سنة  
١٧٤٣م الذي خاب بالفشل ، فبعد آتات الجامع وسجله والى الموصل الجليلي  
حسن باشا بعد رحيل نارمداش الى بلاده متفلا مدفورا ، انظر ما كتبه عنه المأرخ  
سعيد الجبوري في كتابه : «جوامع الموصل» ، بغداد ، ١٩٦٣ ،  
ص ٧٣ - ١٠٧ .

٧٢ - تسمى هذه الرابية ، بالتل الثاني الكبير بعد تل قوينجوق . وتسمى «تل  
التوبة» (انظر الملاحقة رقم ٧١) ورد ذكرها عند : المسوي : مروج الذهب  
ومعادن الجواهر ، ج ١ ، مصر ، ١٣٢٦هـ ، ص ١٣٣ .

٧٣ - للمسوپلر اسيلي بونا (P.E. Boota) : الفصل الفرنسي في الموصل الذي  
اتلعا بعد ان كان يشغل نفس المنصب في الاسكندرية واليمن . شارك بونا ضمن  
احمال لا يارد ، وكان عمره آنذاك ٤٠ سنة ، وقد حصل على نتائج عديدة ضمن  
نطاق تنقيته في عربيد ونيوى . تعلم بونا الكثير من احوال التنقيب وقضاياها  
الحفرية والمصليات والنقوشات التي تجري لحفظ «الآتيكات» الاشورية ،  
وتقدير احوالها من لا يارد للازمة ليله ، اذ بموجب ما ذكره لا يارد ، لأن بونا لم يكن  
عملا ولا بمؤرخ كلاسيكي (= مشتغل على المصور القديمة) ، لذا فقد استفاد من



The Letter No. 20, dated 16/05/1849; JAOS, op. cit., pp. 7A  
112 — 115.

٧٩- انظر : الملاحظة رقم ٦٦ اعلاه .

٨٠- قرية السلاحة : من احوال الموصل ، تقع على نهر دجلة للجنوب الشرقي منها . وقد كانت فيها مقبى تعد من اكبر قرى الموصل ، ولها كرمون ونخيل وبساتين ، ومنه حمامات وكيسارية وجامع ... وعلى جانبها تقع اطلال «النمرود» . وقد اصابت السلاحة بحراب شاحل ، ثم بدأت تنمر قليلا مرة اخرى . وصفها بدقة : بالقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٠٤ . وكتب عنها المؤرخ ياسين الخطيب العمري في : الفتى ... المرجع السابق ، ص ١٥١ .

٨١- ذكر على عتاش الرسالة ٢٠ لصاحب الرحلة :

'Ezekiel, xlii, 14, 15 — 16; JAOS, op. cit., p. 119.

٨٢- الحضر ( Haris ) حاضرة مملكة « حربايا » اي بلاد العرب . يعود اصل النسبة استلاما من الكتابات التي وجدت فيها بحجر « بستان » ابا : كانت ضمن اسمها الاقليم التي كانت تسيطر عليها الامبراطورية الفارسية في عهد الملك دارا الاول ( ٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م ) ، ثم صار حكمها في القرنين الثاني والثالث الميلاديين يلبين في الكتابات « للحضرية » بـ « ملوك العرب » . راجع تفاصيل تاريخها وآثارها عند : لؤي سفر وعهد علي مصطفى في كتابها : الحضر مدينة الشمس ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ١٧ .

The Letter No. 21, dated 18/05/1849; JAOS, op. cit., pp. 115 — 119.

٨٤- كتب لا هارد : هو الكتاب الذي تقدم ذكره في ملاحظاتي واستخداماتي له ، انظر اعلاه : الملاحظة رقم ( ٢٤ ) .

See, S.H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1925, p. 328 — 334

يقول السيد عبود الشاذلي المعامي في مقاله التي ترجمها عن الانكليزية بعنوان : « احوال بغداد في القرن التاسع عشر » ، ما يلي : « السيد ولیم پیری فوک اول صالح اميركي زار العراق ، لقد حاور اميركا في اول سنة ١٨٧٤م قاصدا مصر » ( انظر : مجلة سومر ، ج ١ ، ص ٢٠١ ، المجلد ١٦ ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص ١٢ ) في حين يثبت البحث ان جوستن بيركنس هو اقدم من پيري فوک برقع قرن في زيارة اول اميركي للعراق وربما كان هناك من هو اقدم من بيركنس !

(د) انظر : للملاحظة رقم ١٧ (ملاحظات وتعليقات) .

(د) انظر : للملاحظة رقم ١ ، الملاحظة رقم ٢ (ملاحظات وتعليقات) .

See, Who was who in America : Historical Volume 1607 — (د) 1896, Chicago, ed. 1967, p. 467.

(هـ) يقصد بها « الدولة العثمانية » التي كانت تسمى ب«تركياء» عند الحلب الرحالة من الغربيين .

رون للاستزادة في المعلومات عن هذا الموضوع ، اشير الى مقالة فريندريك بارث والموسومة بـ : « دراسة في الحياة الاجتماعية في كردستان » ، مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد ٨ ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ٩٦ - ٩٨ .

لا يارد الكثير ، ولم يوفى في بداية عمله ، ولكنه نجح بصورة كبيرة بعد ان تقاعد لا يارد وقاده احواله في تل قوينجوق ينيزي الى اكتشاف آثار خرسباد . هذا الى جانب عمله كمتخصص لغز في الموصل ، وقد جرت تنقياته تحت رعاية الحكومة الفرنسية ... راجع عنه في كتاب « لا يارد » المذكور آنفا . ولزيد من التفاصيل عن بونا ، انظر :

Seton Lloyd, The Archaeology of Mesopotamia, London, 1978, p. 139.

وهذا الكتاب هو من احدث الاصدارات المختصة بحقل « الاركيولوجي » المتعلق بشؤون آثار العراق . وهو الكتاب المحدث الثاني الذي اود ان الفت اليه نظير زملائي المؤرخين والاثاريين العراقيين ، بفرس العمل على ترجمته الى اللغة العربية .

٧٤- خرسباد : واسمها القديم ( - دور شروكين ) اي « مدينة سرجون » ، هي العاصمة الاشورية الثالثة بعد آشور والنمرود ، قمت حياها الاشورية على عهد الملك سرجون الثاني ( ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م ) الذي اُخذ له فيها حصرا ومعبدا . واصل بونا حفرياته فيها حتى سنة ١٨٤٤ ، ثم جرت تنقيتات اخرى فيها للفترة ١٨٥٢ - ١٨٥٤م ، واكتشفت فيها العديد من الآثار المهمة ، ولكن معظمها دُفد في شط العرب عندما غرق القارب الذي يحملها قرب البصرة في مارس ١٨٥٥ ، وذلك أثناء استلامها من مواطنيها الاصليين وارسلها الى اوريا . للزيد من التفاصيل انظر مقدمة « ساكن » لكتاب لا يارد السابق ذكره . وراجع ايضا :

The New Encyclopaedia Britannica, vol. v, ed. 1974, p. 793.

٧٥- تقع اطلال كالح قرب منطقة الشراف جنوب الموصل ، وتسمى ب«اشور» ، وهي العاصمة الاولى للامبراطورية الاشورية في عصرها الاول حتى سنة ١٠٠٠ ق.م . ، ومحاذي ضفاف نهر دجلة ... وقد وصفها المؤرخ الاغريقي اكراتالون ( = اربان ) ، وذكر بان آثارها تعود لمصور قبل الاغريق بفترة ٢٢ قرنا . وهي المدينة الاصلي لبلد الامبراطورية الاشورية وتاريخها وحضارتها ... وهي شبيهة بالنمرود ، وتتواجد قريبا منها خلبة كثيفة قطعها لا يارد في سفراته الى كالح « الشراف » . راجع كتابه المذكور اعلاه .

٧٦- يقصد بها : « الرحلة من بلاد الشام ، والواقعة على شاطئ نهر الفرات اسفل فرئيسيا » ، انظر عنها : بالقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٢٤ .

٧٧- للزيد من التفاصيل عن ينوي والموصل في بداية العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، انظر ما كتبه كلوديوس ريج ، المقيم البريطاني في بغداد ١٨٠٨ - ١٨٢١م :

C.J. Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, 2 vols., London, 1836.

وهناك كتاب هام ووثيق ايضا ، كتب ك.م. الكساندر من كلوديوس ريج : السائح والفنان واللغوي ورجل الائتلاف ، المقيم البريطاني في بغداد لسنوات طويلة ١٨٠٨ - ١٨٢١م ، وقد خصص مؤلف هذا الكتاب احد فصوله عن ينوي والموصل للفترة ١٨٢٠ - ١٨٢١ ، انظر :

Constance M. Alexander, Baghdad in Bygone Days, (From the Journals and Correspondence of Claudius Rich, Traveller, Artist, Linguist, Antiquary, and British Resident at Baghdad, 1806 — 1821), London, 1928, (Chap. No. XVIII: Nineveh and Mosul 1820 — 1821.

# «الروض الخصب في رحلة السيد النقيب» مصطفى نور الدين الواعظ

**تحقيق**  
**الشيخ محمد عباس**  
دار صدام للمخطوطات

«حصان» ، «يداك» ) ، اضافة الى كثرة استشهاده الكاتب  
بآيات شعرية لكبار الشعراء مثل ابي نواس ، والشريف  
الرضي ، ومهيار الديلمي ، وحمدونة ، وغيرهم مما يوحى بثقافته  
وسعة اطلاعه .

ونكشف الرحلة جانباً من العلاقات الاجتماعية بين كاتب  
الرحلة ومعاصريه ، وعمق علاقتهم ، وكما يشير مصطفى  
الواعظ مقدماً للنص المنشور في الروض الازهر ، اذ يقول :  
«وكنيت اذ ذاك في مدينة البصرة رئيساً في دائرة الجزاء سنة  
١٢٩٧هـ وبعد مدة من الزمان توجهنا مع حضرة السيد محمد  
سعيد افندي ورحله الله تعالى الى زيارة سيدنا الزبير ثم الى  
مقنن قريب الكوفة للتمتع بزمين الربيع وكان اذ ذاك حضرة  
ألوسي زادة الاخ شاكراً افندي سلمه الله تعالى نائباً في البصرة ،  
فحررت له كتاباً هذه صورته : «الروض الخصب في رحلتنا مع  
السيد النقيب . . . . .» (١)

«البصرة في اواخر القرن الثالث عشر الهجري»  
كانت البصرة ولاية تابعة لبغداد حتى سنة ١٢٨٨هـ  
(١٨٧١م) بعد عزل الوزير مدحت باشا ، انفصلت البصرة عن  
ولاية بغداد ووربطت بالعاصمة الاستانة وصار السلطان يرسل

اهية هذه الرحلة :

ساهمت الرحلات في استكمال جوانب من الدراسات  
التاريخية والحضارية للمجتمعات التي تتناولها الدراسة ، وتبرز  
قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الانسانية ولرصد بعض  
جوانب الحياة اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة» (٢)

وانطلاقاً من هذا تأتي اهمية الرحلة التي بين ايدينا ، فهي  
تعد وثيقة مهمة تؤرخ لفترة قصيرة من تاريخ البصرة في العهد  
العثماني للفترة بين ١٢٩٧هـ - ١٢٩٩هـ / ١٨٧٩ - ١٨٨١م التي  
شهدت تأسيس بلديتها وتولي بعض اعيانها لعضوية ورئاسة  
المجلس البلدي ، بالاضافة الى انها تعطينا لمحة سريعة للاوضاع  
الاجتماعية والادارية السائدة .

وكما قيل عن الرحلات «انها كشف للذات وفهم للآخر  
وانفتاح عليه وهكذا يصنع التاريخ نفسه» (٣) ، فان هذه الرحلة  
نصيح عن ثقافة المقصّر واهتمامات متقفيه من خلال الاسلوب  
الادبي المستخدم في كتابة الرحلة ، اذ مال الكاتب الى استخدام  
اللامباشرة في التعبير عن وجهة نظره مثل تشبيه البصرة بعروس  
ورئيس بلديتها عريس غير كفء لها (٤) . ومال كاتب الرحلة الى  
استخدام السجع على حساب دقة وسلامة الالفاظ كما في كلمة

إليها المتصرفين أو الولاة مباشرة .

وفي سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م) نصب ناصر باشا السعدون والياً على البصرة وجعلها ولاية بعد أن كانت متصرفية ، ثم عزل السعدون سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧م) وأرجعت البصرة متصرفية وظلت هكذا حتى سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٢م) إذ جعلت ولاية عثمانية<sup>(١)</sup> .

عانت البصرة خلال هذه الفترة من نقص الولاة وتعدد الولايات وانتشار الأمراض الفتاكة (المهضة ، والطاعون) ، وارتباك الأمن ونتج عن ذلك انحطاط العمران وتدنّي المستوى الثقافي ، وارتباك التجارة ، واستمرت الأوضاع مرتبكة في البصرة حتى إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) فدخلت البصرة رحلة جديدة من النهضة السياسية والثقافية<sup>(٢)</sup> .

وقد تم تشكيل بلدية البصرة لتحمل بعض المسؤوليات الخدمية (التنظيف ، والقضايا الصحية) على ضوء زيارة والي بغداد مدحت باشا للبصرة سنة ١٢٨٦هـ وإن لم يكن جهازها الإداري مكتملاً في أول الأمر<sup>(٣)</sup> .

صاحب الرحلة :

هو أبو اسماعيل مصطفى نور الدين بن السيد محمد أمين الواعظ بن السيد محمد الأدهمي .

ولد في بغداد في محلة باب الشيخ سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٦م) .

ثقافته :

تلقى العلم على مشاهير عصره ، وتتقن بأدبهم ، قرأ القرآن ثم قرأ النحو والصرف والفقه والمنطق وآداب البحث وعلمي التفسير والحديث وكتب (السنن) والآثار والسير وله إجازة في الحديث والأخبار بطريقة المراسلة من المحدثين الشيخ عبد الغني الغنيمي البغدادي والشيخ أحمد مسلم الكزبري

كان يجيد الخط وله آثار خطية كثيرة ، اتبع الطريقة القادرية ، وجعل من داره في محلة مدرسة علمية بإشرافه ونصب من تلاميذه المتقدمين مدرسين للمبتدئين ، وتخرج من هذه المدرسة علماء افاضل .

ونصب مصطفى الواعظ مدرساً وواعظاً وخطيباً في مدينة

البصرة في الجامع المسمى (بابي المناريتين) سنة ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) ثم عين عضواً في محكمة تمييز الحقوق بالبصرة واستمر فيها حتى سنة ١٢٩١هـ (١٨٧٤م) ، وفي سنة ١٢٩٧هـ (١٨٧٩م) عين رئيساً لمحكمة جزاء البصرة وبقي فيها حتى استقال منها سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١م) وعاد إلى بغداد إلى أن كلف بمنصب افتاء محلة ثم مديراً لآوقاف محلة سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) ، ومديراً المعارف محلة . وكانت مدة تدرسه في محلة الديوانية قد تجاوزت الخمسة والعشرين سنة .

من أبرز مؤلفاته<sup>(٤)</sup>

١- العنصر الطيب في نسب أبي الطاهر الطيب ، وهو أول كتاب الله .

٢- البرهان الجلي في بيان الفرق بين الرسول والنبي والولي .

٣- الدر النضيد في أحكام الاجتهاد والتقليد .

٤- كشف الستور عن مطالع البدور .

٥- القوائد النورانية والقواعد النورية (مجموع) .

٦- عنوان الهداية في ردع أرباب الغواية .

٧- عقد النحر في الحكم المخالف لنفس الأمر .

٨- الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر

٩- التعليمات في آداب المدارس والتدريس (طبع وتُرجمت من التركية سنة ١٣١٠هـ) .

١٠- بلوغ النيل من الكلام على آية واتموا الصيام إلى الليل

(رسالة)

١١- سل الحسام على كشف اللثام (رسالة) .

١٢- عقد القلب إلى معرفة الرب (رسالة) .

١٣- خلاصة المقال في شد الرحال (رسالة) .

١٤- المطالب المنيفة في الذب عن الإمام أبي حنيفة .

١٥- القول السديد في رد مناقضات ابن أبي الحديد .

١٦- الإرشاد لمن أنكر النبوة والبداء والمعاد . وضعها في الاستانة

سنة ١٣٢٧هـ وهي آخر مؤلفاته .

توفي في ٢٣ جمادى الثاني سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣م) ودفن

في التكية البكرية<sup>(٥)</sup> .

## وصف المخطوطة :

اعتمدت في تحقيق هذه الرحلة على مخطوطة فريدة محفوظة في دار صدام للمخطوطات ببغداد تحت رقم (٣٠٣٨٦) . وهي رسالة ضمن مجموع تملكه احمد شاكر الالوسي كتبه بخطه بين سنة ١٢٩٢ - ١٢٩٩ هـ (١٨٧٥ - ١٨٨١ م) شغلت هذه الرحلة الصفحات من ٨٦ - ٨٨ منه كتبت بخط التعليق بمداد اسود على ورق اخضر . والمخطوط في الاساس كشكول لاحد شاكر الالوسي<sup>(١)</sup> ضمنه اوراقه الخاصة ومراسلاته مع معاصريه

ومفتولات غنلفة تعكس ثقافته واهتماماته .

ورمزت لهذه النسخة بالحرف (أ) . والنسخة الثانية التي اعتمدتها في المقابلة ورمزت لها بالحرف (ب) ، فهي النص المطبوع من الرحلة والمنشور ضمن كتاب المؤلف الموسوم الروض الازهر من تراجم آل السيد جعفر في الصفحات من ٣٠٢ - ٣٠٦ منه .

وقد اعتمدت على النسخة (ب) في اضافة بعض النصوص الساقطة من النسخة (أ) والتي تقتضيها الضرورة

## نص الرحلة

### بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد احمد الله تعالى على نعمه ، ومنه ، وكرمه ، والصلاة والسلام على من اسرى به الى المحل الاسنى ، والمقام الاسنى ، وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه ، فانا نعرض لدى مولانا الحاكم (الحاكم)<sup>(٢)</sup> وقاصم الظالم ابي المحاسن وذوي المكارم (وسليل الاكارم)<sup>(٣)</sup> ومن لا تأخذه في الله تعالى لومة لائم ، اعلى الله تعالى مقداره ، ورفع في الدارين مناره ، اننا نتلو عليكم من نبأنا خيراً (لنحيطوا بذلك خيراً)<sup>(٤)</sup> ، ازال الله تعالى عنا وعنكم ضيرا وضرراً . لما ودعناكم وعند الله تعالى اودعناكم ، وفي القلب حُرقة من ألم النوى والفرقة .

وتلفتت عيني فَمَذْ خَفَيْت

عَنِّي السُّطُولُ نَلَفْتُ الْقَلْبُ<sup>(٥)</sup>

حشا السير حتى وصلنا بعد ساعتين مسجد الجامع المقابل لضريح سيدنا طلحة الخير<sup>(٦)</sup> ، ووجدنا ثمة جمعا من اجله الاحباب<sup>(٧)</sup> . وانجاب الاصحاب ، جاؤا الينا مستقبليين ويقدمونا فرحين مستبشرين ، وغب ان شربنا قهوة البُن وحصلت لنا الراحة والبركة واليمن يادونا الى السير حتى دخلنا بلد سيدنا الزبير<sup>(٨)</sup> من الباب المقابل<sup>(٩)</sup> لضريح سيدنا حسن البصري ، وحللنا دار النجيب الاجل عبد الله جليبي المشري ، فزارتنا كافة الاحبة وتم لنا الاستئناس برؤيا محيا جناب الاجل الشيخ عيسى القرطاس واغتصنا والله تعالى الحمد هناك الزيارة ، ودعونا للمحيين بنجاح التجارة وللحاسدين (اللتام)<sup>(١٠)</sup> بالخذلان والخسارة ، وبتنا ونحن بأنعم عيش ، وأنم راحة ، ورأينا بعد النَّصَب كمال الاستراحة وعقب صلاة الفجر حمد القوم عند الصباح السري ، فشددنا الرواحل وقطعنا (الفيافي)<sup>(١١)</sup> والمنازل ، وكلل الجواد ، (وطار السهاد)<sup>(١٢)</sup> ، واستولت على العين سنة الكرى ثم حططنا للثواقل عند وادي النساء<sup>(١٣)</sup> ، قبيل المساء ، (وريشا استرحنا)<sup>(١٤)</sup> ، سرنا وعن بعض الرفاق بعدنا ، وفي وادي الابريقين<sup>(١٥)</sup> نزلنا ، وللصلاة حذر الفوات تيمنا ، ثم (نحونا نحو وادي النجم)<sup>(١٦)</sup> ، فاذا هو واد فيه حياض وغياض ، وازهار ورياض ، وقبل ان نوارى بالحجاب<sup>(١٧)</sup> بمنا سفوان<sup>(١٨)</sup> ، وتتابع الركاب ، حيث شاهدناه وكحلنا ابصارنا بأئتم عياه .

نزلنا دوحة فحُنت علينا  
 حنو المرضعات على الفطيم  
 وأرشفنا على ضياء زلالا  
 الذ من المدامة للنديم  
 يصد الشمس أن واجهتنا  
 فيحجبها ويأذن للنسيم  
 يروغ حصاه حالية العذارى  
 فنلس جانب المقعد العظيم<sup>(١١١)</sup>  
 ولقد صدق من قال من أروباب الفضل<sup>(١١٢)</sup> :

يا حبيذا سفوان من متررع  
 ولربما جمع الهوى سفوان

فسفوان وما ادراك ما سفوان ، روح وريحان ، وحدائق ويستان ، ونخل ورمان ، وافنان واغصان ، وازهار واطيار ،  
 عيون ساقية ، وانهاره جارية ، وروض خصب ، وعمل واسع رحيب ، واقع في سفلى جبل يدعى ستام<sup>(١١٣)</sup> لشبهه بستان الجمل ،  
 وبالجملة نسيجه يعطر المشام ، وزهره الرند والخزام :

فسألارض يا قوتة والجحر لؤلؤة  
 والنبت فيروزج والماء بلور  
 من ثم طيب رياحين الرياض يقل  
 لا المسك منك ولا الكانور كافور<sup>(١١٤)</sup>

ثم (نصبت)<sup>(١١٥)</sup> الخيام ، وكسى الجو بحلل الغمام ، وبعد ان اكلنا العشاء (وادينا)<sup>(١١٦)</sup> ، صلاة العشاء جادت السماء  
 بالحيا ، فتذكرت قول القائل من ادبائنا الأوائل .

ان فصل الربيع شيء عجب  
 تضحك الارض من بكاء السماء  
 ذهب اينما ذهبنا وورد  
 حيث ردنا وفضة في الفضاء<sup>(١١٧)</sup>

فاهتزت الارض وزَّيت ، ومن كل شيء بهيج اتبنت ، فاهتل وجه السيد النقيب ، والسند النقيب ، مزحاً وسروراً ،  
 وازداد بهجة وجبورا ، واستبشر من هذا الغيث المنهمر على هذا الوادي الرحيب ، وقال ، ومن العجيب اني كلما نحتوت هذا الحي  
 تجود السماء بالزليل بانذن الملك الحي ، وفي الحقيقة ليس في ذاك عجب واستسقاء الغمام بوجهه المبارك لا يستغرب ، اذ هو سليل  
 من ينسقي الغمام بوجهه وطلعت ، وعمت الرحمة على الانام ببيعته (وصل الله على ذاته وصفاته)<sup>(١١٨)</sup> والى ذلك اشار ابوطالب<sup>(١١٩)</sup>  
 بقوله :

وابيض ينسقي الغمام بوجهه  
فمال اليتامى عصمة للارامل  
(يلوذ به الملاك من ال هاشم  
فهم عنده في رحمة وفواضل)<sup>(١٠٠)</sup>  
وكلما حللنا في روضة من رياضه ، ذكرناكم ،  
وحينما كررنا من زلال حياضه ، تمنيناكم .  
فاذكروا مثل ذكرانا لكم  
رُبُّ ذكرى قريت مَنْ نَزَحَا<sup>(١٠١)</sup>

وقد صحتنا في سفرنا هذا مَنْ تم انسابه ، وابتهجنا بقربه الملا محمد آل عَمير ، فلم نجد بمفاكحته الم السير ، وقد امتلأ  
حصناً بدعى «عيان» وفي الحقيقة هو من الصافات الجياد بل من خيل مضر واباد . ثم اني اعود واقول سائلاً عن المخدرة المصونة  
والدرة المكتونة (رياسة البلدية)<sup>(١٠٢)</sup> في البصرة المحمية<sup>(١٠٣)</sup> ، (هل)<sup>(١٠٤)</sup> كمل جهازها ، فتم فرحها ، وزال ترحها ، اذ لم ترض ان  
يكون رئيسها السابق لها بعلاً ، ولم تر نفسها له كفواً واهلاً ، كم مرة استغاثت فلم تغث ، فصار عياطها وصياحها لفوا او عبثاً ،  
وكم مرة نادت فلم تُجِبْ ، فالتفت يميناً وشمالاً فلم يجد سيلاً لكشف مآدها الا ابا رجب ، وخاطبته بقولها :

ولكم ادعو فمالي سامع

وكأني عندما ادعو ابج

(فلي دعاها)<sup>(١٠٥)</sup> ، ورحم شكواها ، ودفع بلواها ، هذا وهي تغازل الفها القديم أبا (بس)<sup>(١٠٦)</sup> ويغازلها ، حيث لا تصلح  
الاله ولا يصلح الا لها ، فشم السيد (المومي)<sup>(١٠٧)</sup> اليه ، اسبغ الله تعالى نعمه (الظاهرة والباطنة علينا)<sup>(١٠٨)</sup> وعليه ، وعن ساعد  
الجد ولا غرو فكم له من حزم وعزم وجد ، فخطبها وخاطب ولاة امرها فاعرضوا صفحاً وطووا كشحاً فاخذته العزمة الاحمدية  
والغيرة العلوية والبسالة الهاشمية ونادى بعلمها السابق بلسان فصيح صريح ناطق :

فطلقها فلست لها بكفوء

والا يعملو مفركك الحسام

فلجلج لانه ورجف جتانه ، وتزلزلت اركانه ، وتفرقت (ايادي سبا)<sup>(١٠٩)</sup> اعوانه ، فلم يجد بدأ من التحلف ، فطلقها بتاتاً  
وهو متأسف متلهف ، (ثم)<sup>(١١٠)</sup> ان حضرة مولانا الحاكم الماجد هو السائق والقائد ، وجناب (المولى)<sup>(١١١)</sup> ابو نعمان (تأتي به وقد)<sup>(١١٢)</sup>  
شمر عن ذراعيه وهز يديه قائلاً ان لم (يطلق فسوف احاسبه)<sup>(١١٣)</sup> حساباً عسيراً ، (واناقشه على ما اختلصه)<sup>(١١٤)</sup> فتبلاً ونقيراً وعزيزاً  
وحقيراً ، واسلم دور ابي ياسين تسليماً يسيراً<sup>(١١٥)</sup> ، واقام جناب الحاج محمود جليبي في ميدان المحاسبة يحول ويصول ويذل المجهود  
بحصول المأمول ، وجناب الحاج سالم جليبي<sup>(١١٦)</sup> (اليد له اليد البيضاء)<sup>(١١٧)</sup> ، وهو الذي روح سوف الحق ، وازهق الباطل ، يرايه  
الصائب اي زهق ، فيناجي هذا ويعرض ذاك ، ويعقب كل لفظه من الفاظه قوله «الله يهديك»<sup>(١١٨)</sup> ، (وقد تم العقد ، والله الامر  
من قبل ومن بعد)<sup>(١١٩)</sup> ، فيا ادرى حتى تكون ليلة الدخول<sup>(١٢٠)</sup> ، وحتى يحظى ابو ياسين بهذا السؤال<sup>(١٢١)</sup> ، وحتى يجمع بين القرط  
والخلخال ، ويفوز بكافة الآمال ، بلغنا الله تعالى واياهم (ما نرومه)<sup>(١٢٢)</sup> وما نتمناه ، آمين (بحرمة من اشرفت الدنيا بنور سناه (ﷺ)  
ما اجتمع المحب بالمحب ونال الشرف بالقرب)<sup>(١٢٣)</sup> قرعة عين الخلائق اجمعين ، ثم اتنا (الان)<sup>(١٢٤)</sup> في سفوان مقيمون ، وعن قريب

من ان شاء الله تعالى ضاعتون ، والى كويت آل صباح وذوي الوجوه الصباح قاصدون ، ويحصل لنا بروايتهم الفوز والنجاح ،  
(ولم تزل مع الاحبة نتذكر محاسنكم في المساء والصباح ، جمعنا الله تعالى واياكم على احسن الاحوال واجملها ، وافضلها واكملها ،  
والحمد لله حمداً غصاً ، والشكر له سبحانه حتى يرضى) (١٣) ، ومولانا السيد النجيب وغدومه احمد افندي الاربب يديان (١٤) لكم  
الدعاء ويتذكرون (١٥) محاسنكم في المساء والصباح ، ويبلغ غني التحية والسلام ، والشوق المستم الى مغني الانام والى الباسل  
الفرغام امين الفتوى ، وآل باش اعيان الكرام ، والى الوفي حسن افندي ، والصفي المستقيم الحاج ابراهيم قنديل زادة (١٦) ،  
واقبل احداق غماديتكم ، محمد درويش . وحسين ونخادمكم اسماعيل (١٧) حفظهم الله تعالى .  
بلغ كل منا مراده ، لازلت اولياء الامر والارادة .

٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ في سفوان الداعي

واعظ زادة السيد مصطفى نور الدين

### المواش والمصادر

- ١- د. حين محمد فهم : ادب الرحلات ، دراسة تحليلية من منظور انتوجرافي (الكوت : سلسلة عالم المعرفة ، المجلد ١٣٨ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ص ١٩ .
- ٢- المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .
- ٣- انظر الفص ، ص ؟
- ٤- انظر الفص ، ص ١٠ ، ١٣ ، ٢ .
- ٥- مصطفى نور الدين الواظف : الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر . تحقيق واصله : ابراهيم الواظف (الموصل ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م) ص ٣٠٢ .
- ٦- علي طريف الاعظمي : مختصر تاريخ البصرة (بغداد ، مطبعة الفرات ، ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م) ص ١٥٢ .
- ٧- عبد الغافر آل باش اعيان العباسي : البصرة في ادوارها التاريخية (بغداد ، مطبعة الجعفي ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م) ص ٥٧ - ٥٨ .
- ٨- رجب بركت : بلدية البصرة ١٨٦٩ - ١٩٨١ (البصرة ، ط ١ ، ١٩٨٤) ص ٨٨ .
- ٩- انظر ، مصطفى الواظف : الروض الازهر ، ص ٣٢٨ ، الرسالة التي كتبها محمد شريف جواد الدين الشكري سنة ١٣٢٩ هـ عن مؤلفاته .
- ١٠- انظر عن ترجمته :
- الشهروزي ، محمد صالح : لب الالباب (بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م) ص ٢٢٣ - ٢٢٩ . مصطفى نور الدين الواظف : الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر . تحقيق واصله : ابراهيم الواظف (الموصل ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م) ص ٣٥٩ - ٤٧٤ .
- الدروي ، ابراهيم : البغداديون اعيانهم ومجالسهم (بغداد ، ١٩٥٨) ص ٢١٨ .
- ١١- هو : احد شاكر بن أبي الشتاء محمود بن عبد الله الالوسي ، ولد سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧) . تقلد عدة مناصب منها ، قضاء البصرة ، ثم عين عضواً في مجلس سفوف استبشول ، وتولى مكانه سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) . انظر ترجمته .
- الالوسي ، محمود شكري : المسك الاندلس في مزايها رجال القرن الثاني والثالث عشر (مخطوطة دار صدام ببغداد برقم ٨٥٧٧) ص ٦٨ - ٦٩ .
- ١٢- نقصة في الاصل ، ضيفت من (ب) ، ص ٣٠٢ .
- ١٣- نقصة في الاصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٢ .
- ١٤- ناقص في الاصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٢ .
- ١٥- البيت للسيد الشريف الرضي ،
- انظر : ديوان السيد الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) (بغداد ، دار صدام للمخطوطات) مخطوطة برقم ١٠٤٧ ، ص ١٠١ .
- ١٦- هو : طلحة بن عبد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني ، صحابي احد عشرة المبشرين بالجنة ، توفي سنة ٣٦ هـ (٦٥٦ م) ، ودفن بالبصرة . الزركلي ، خير الدين : الاعلام (بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ١٩٧٩/٣) ص ٢٢٩ .
- ١٧- ورتت في ب ص ٣٠٣ هكذا (جملة من الاحباب الاجلة) .
- ١٨- نسبة الى الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشي ، ابو عبد الله احد عشرة المبشرين بالجنة ، توفي سنة ٣٦ هـ (٦٥٦ م) الزركلي : المصدر السابق ، ٤٢/٣ .
- ١٩- في الاصل «الطالعة» ، وفي (ب) ص ٣٠٢ كما تينته اعله .
- ٢٠- ساقطة في الاصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٣ .
- ٢١- ساقطة في الاصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٣ .
- ٢٢- ساقطة في الاصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٣ .
- ٢٣- وفي النص ، هو غير مدينة النسا احدى مدن خراسان والتي ينسب اليها الشقي صاحب الفتن . ولم نجد لهذا الموضوع إشارة في كتب البلدان او الكتب لتهنئة بخطط البصرة .
- ٢٤- ساقطة في الاصل ، اضيفت من النسخة (ب) ، ص ٣٠٣ .
- (٢٥) و(٢٦) و(٢٧) و(٢٨) لم نجد لها ذكراً في كتب البلدان .
- ٢٧- ساقطة في الاصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٣ .
- ٢٨- سفوان : (ينفع اوله وثاقبه واخوه نون) عاد على قدر مرحلة من باب المرید بالبصرة وبه ماء كثير ، تبعد عن البصرة مسافة اربعة اميال ، وهي نفس سفوان الحالية .
- انظر : ياقوت الحموي شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت بن عبد الله . معجم البلدان ، (بيروت ، دار صادر ، ١٣٦٦ هـ / ١٩٥٧ م) ٢٢٥/٣ .

٢٩- ينسب أهل الشرق هذه الآيات إلى المازني ، أحد بن يوسف السليكي ، أبو عمر ، الكتب ، توفي سنة ٤٣٧ هـ .  
انظر من ترجمه

ابن خلکان ، أحد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) : وفیات الاحیاء وانباء الزمان (قاهرة ، منشورات مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م) ١٢٦/١ .

ونسبها بعضهم إلى حمدة ، وهي محدودة ينت زياد بن عبد الله العمري المؤدب من واسي آخر ، وهي غناء الغرب وشاعرة الأندلس توفيت في حدود ٦٠٠ هـ ، انظر من ترجمها :

الكسي ، محمد بن شاكر (ت ٥٧٤ هـ) : فوات الوفیات (بيروت ، منشورات دار الثقافة ، ١٩٧٣/١ - ٣٩٤) .

٣٠- البيت من قصيدة لابي نواس في المدح . انظر : ديوان ابي نواس الحسن بن علي . تحقيق : إيفاد فاخر ، القاهرة ، مطبعة بلغة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م . ١٠٦/١ .

٣١- مقام : جبل بين البصرة واليمامة ، إلى جانب ماء كثير ، وهو أبرز معلم طويرق في المنطقة لأيزال عتقا باسمه القديم . انظر عنه بتفصيل :

بلاوت : معجم البلدان ، ٢٦٠/٣ وصالح أحد علي : خطط البصرة ومخططاتها ، دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهد الاسلامي الأول (بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) ١٠٥ - ١٠٦ .

٣٢- البيت للصوري من أبيات بفضل فيها الربيع على سائر الأزمنة انظر الفياض ، محمد واضب : الروضيات (حلب ، ١٩٣٢) ص ٨٠ .

٣٣- وردت في (ب) ، ص ٣٠٤ ، (ركزوت) .

٣٤- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٤ .

٣٥- ورد البيت بدون نسبة هكذا :

طلب المسواه وزداد حتى  
ليس يزدد طلب هذا المسواه  
نعب حبث ما ذهبنا وورد

انظر : التتالي ، ابو منصور : احسن ما سمعت . صححه محمد افندي صادق (بصر ، المكتبة المحمودية ، ط ١) ص ٥٧ .

٣٦- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٤ .

٣٧- البيت من قصيدة لابي طالب بن عبد المطلب (توفي سنة ٣ هـ) تقع في (٩٤) بيتاً في الدفاع عن النبي (ﷺ) ترد في سيرة ابن هشام ٢٩٩/١ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الآباري وعبد الحفيظ شلي (بصر ، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م) .

٣٨- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٤ .

٣٩- البيت من قصيدة لجبار الديلمي في التبرؤ لواقع سنة ٤١٤ هـ . انظر : ديوان مهيار الديلمي . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ٢٠٣ - ٢٠٢/١ .

٤٠- آخر بتفصيل عن تشكيل بلدية البصرة وجب بركات : بلدية البصرة ، ص ٨٨ .

٤١- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٥ .

٤٢- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٦ .

٤٣- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٥ .

٤٤- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٥ . لعله (محمد افندي القيسن الذي اُبتعت له رئاسة بلدية البصرة مرتين في السنوات (١٢٩٢) (١٨٧٤ م) - ١٢٩٤ هـ (١٨٧٦ م) وفي المرة الثانية سنة (١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) - ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، وقد تولى رئاسة البلدية رغم عدم وجود الامكانيات لتحقيق واجبات البلدية واتجز بمعى المهام الخدمية وحالج بمعى المشاكل التي كانت تعانها المدينة (امراض ، اوبئة) . للمزيد حول نشاطاته وانجازاته . انظر :

٤٥- وجب بركات : بلدية البصرة ، ص ٩٣ - ٩٥ .

٤٥- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٥ .

٤٦- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٥ .

٤٧- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٥ .

٤٨- في (ب) و . ص ٣٠٥ .

٤٩- في (ب) لقي . ص ٣٠٥ .

٥٠- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٥ .

٥١- في (ب) (ان لم تطلق فسوق احاسيك) . ص ٣٠٥ .

٥٢- في (ب) (واتفقت على ما اختلفت) . ص ٣٠٥ .

٥٣- لم يرد هذا النص في المطبع .

٥٤- تولى رئاسة بلدية البصرة سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م في دورتها الاولى التي انتهت سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م ، من هوائيل البصرة المرموقة بالفضل والمكانة . انظر عنه : ابراهيم فصيح الجيلدي : عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد (بغداد ، مطبعة دار البصري ، ط ١) ص ١٦٩ ، وايضا بتفصيل : وجب بركات : بلدية البصرة ، ص ٨٨ .

٥٥- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٥ .

٥٦- في الأصل «يدك» ، والافضل ما اثبتناه

٥٧- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٥ .

٥٨- ورد النص في (ب) ص ٣٠٥ هكذا : دفأ ادمي مى مجل تلك الفداء والطول افخاده .

٥٩- ورد النص في (ب) ص ٣٠٥ هكذا : «ابوس بالدخول ويبلغ النول»

٦٠- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٥ .

٦١- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٦ - ٣٠٥ .

٦٢- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٦ .

٦٣- ساقطة في الأصل ، اضيفت من (ب) ، ص ٣٠٦ .

٦٤- في الأصل (يلون) ... وتفاكون) والصحيح ما اثبتناه .

٦٥- هو ابراهيم المنبل النجدي ، من مشاعر الروس من عشار نجد ، كانت له تجارة مع الهند ، وله بيوت في البصرة والزيبر .

٦٦- الجيلدي : عنوان المجد ، ص ١٧٠ .

٦٧- اسماعيل هو الابن الاكبر لمصطفى الواظف (صاحب الرحلة) توفي سنة ١٣٦٢ هـ (١٩٤٤ م) ودفن في مقبرة الاعام الغزالي ، من مؤلفاته الدر النسي في الوظف والتدريس .

٦٨- انظر : مصطفى السواظف : السروض الازهر ص ٣٥٩ - ٢٧٤ ،

الهرودي : لب الالباب . ٣٦٧/٢ - ٣٦٩ .



# رحلة اللحافي البغدادي من بغداد الى القسطنطينية

سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م

## تحقيق

د. عماد عبد السلام رؤوف

كلية التربية - جامعة بغداد

على شيء من هذا الشعر، ونحن نستكثره على الرجل، فإن لغته التي كتب بها رحلته واسلوبه، وافكاره، لا تدل على علو كعب في اي من تلك المجالات، كما لا تشير محاوراته مع معارفه، مما أثبتته في ثابا رحلته، على نباهة خاصة، اودقة فكر، وعلى الرغم من انه عمل في اثناء اقامته باستانبول مدرساً في بعض مدارسها، الا انه لم يكن معدوداً بين المدرسين المبرزين، فعمله ذاك لم يكن الا بنوسط من شيخ الاسلام نفسه، ومعظم من التقى بهم في اثناء رحلته لم ينفروا عليه الا بجهد، بل انه اضطر الى تعريفهم بنفسه احياناً. ولنا نعلم انه كتب شيئاً غير تدوينه وقائع رحلته من بغداد الى استانبول، وحتى هذه تكاسل عن وضع مقدمة لها. كما ذكر ناسخ مخطوطتها السيد احمد شمس الدين الألوسي - مما دفع بالآخر الى القيام بهذه المهمة وكتابة مقدمة مناسبة.

لم يجدد اللحافي زمن قيامه برحلته، بيد ان من اليسور معرفة ذلك، فانه اشار الى لغائه بوالي دمشق مدحت باشا، ومن المعلوم انه تولاه سنة ١٢٩٥ رومية ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م، وصرح بانه التقى بوالها الجفدي احمد امهدي باشا وقد تولاه في ذلك العام. وتكشف رحلة اللحافي عن الطريق المتخذ في اواخر القرن التاسع عشر للسفر الى العاصمة العثمانية، مع تحديد لمراحل هذا الطريق وعطائه، وذلك على النحو الآتي:

قام بهذه الرحلة، في سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م، رجل بغدادي سمي نفسه «السيد احمد افندي اللحافي» قاصداً استانبول لشأن من شؤونه لم يشأ ان يذكره في رحلته، ومن المحتمل انه اراد التوصل الى بعض الوظائف الشرعية من خلال توسطه شيخ الاسلام في الدولة العثمانية، فانه قصده بالزيارة، وتقرب اليه، على ما يفهم من كلامه. وعلى الرغم من عدم وقوفنا على ترجمة له. فان في وسعنا ان نكون تصوراً عاماً لثقافته من خلال رحلته نفسها، فهو كما يفهم من لقبه، كان ممن يمتحن صناعة «اللفحان» (جمع: لحن) ببغداد، الا انه نال، بعد ذلك، قسطاً من التعليم اهله للتعرف على عدد من الشخصيات البارزة في مدينته، كما انه شغف بدراسة الاصطغلاب، وفنون «الهيئة» القديمة، حتى انه كان يصطحب معه اصطغلاباً في رحلته، يستخدمه لاشباع هوايته في قياس ارتفاعات الارض، ومن الراجح انه عمل «موقتاً» في بعض مساجد بغداد، وهي مهنة كانت تختص بضبط اوقات الصلاة، فان ولدأ له، اسمه عبد الحليم، كانت له اهتمامات نفسها، وعمل مؤقتاً في جامع السراي ببغداد<sup>(١)</sup>

وفهم من قصيدة اثبتها بعض معاصريه في آخر كتاب رحلته، بعض اهتماماته الاخرى، وبرزها الموسيقى وربما الغناء ايضا فهو «بلبل اللحن» وله ايضا شعر «ممتاز» ولكن لم نقف

السبر برأ من بغداد الى بيروت ، عن طريق : ابو غريب - الصقلاوية - الرمادي - هيت - جبة - حديثة - الفحيمي - عانة - النجف - القائم - البركحال - الصالحية - الميادين - الديور - تدمر - عين قياق - صخة - ابو الفوارس - القريتين - عطنة - جرود - دوما - دمشق - زحلة - بيروت . ثم الابحار منها الى استنبول مروراً بقبرس - رودس - ازمير - مضيق كالي بولي .

ولم يكن هذا الطريق يختلف - بوجه عام - عما كان يسلكه بعض البغداديين في سفرهم الى استنبول منذ عهد بعيد ، الا انه صار - في هذه الحقبة - الطريق الاكثر استقراراً ، واستخداماً ، من الطرق البرية الاخرى التي كانت تحتل جبال طوروس في مسالك عدة ، وليس من العسير توضيح اسباب هذا التغيير ، فتوفر حداً أدنى من الامن ، وتنامي سلطات المدن ، وتحسن السفن ، واستقرار خطوط الملاحة البحرية ، كانت كلها ، وراء ارجحية هذا الطريق لدى مسافري تلك العهود .

ومن ناحية اخرى فان الرحلة تحفل باسماء الاشخاص الذين التقى بهم المؤلف اثناء رحلته ، ومنهم ولاة وقادة عسكريون

وموظفون رسميون آخرون وعلماء واعيان وغيرهم . وهي لا تخلو من اتصالات شخصية عما مر به من معالم ، وما لقيه من صعوبات .

والنسخة الوحيدة المعروفة اليوم من هذه الرحلة ، تحتجتها خزنة دار صدام للمخطوطات ، برقم (٣٣٤٦) وهي بخط السيد احمد شمس الدين الالوسي ، نقلها عن نسخة المؤلف والتي املاها وصنفها نقلاً حرفياً بما فيها «من املاء وتحرير واعراب وبناء وتقرير وتسطير» ولذا لم يصلح منها شيئاً من الاخطاء الاملائية والنحوية العديدة التي تحفل بها ، بيد انه اضاف عليها مقدمة من انشائه «جريا على العادة» لتكون عند ذوي الالباب مستجادة .

وكان لا بد لنا ، عند نشرها هذه الرحلة ، ان نصلح من اخطائنا الظاهرة ما وسعنا اصلاحه ، الا اننا نبهنا الى ذلك في مواضع ، ومنها عبارات واستطرادات قليلة قد اخلت بالسياق ولربكته ، فحذفناها واشرنا الى ذلك ايضا .

### نص الرحلة

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان ، ومنحه عقلاً امتاز به عن سائر الحيوان ، وعلمه ما لم يعلم ، وفهمه ما لم يفهم . والصلوة والسلام على من اسرى به ليلاً الى المسجد الاقصى ، وغرّج به الى حظيرة القدس فكان قلب قوسين ، ورأى من آياته الكبرى ما لا تكاد تحصى ، فعاد منشراح الصدر قريح العين ، وعلى آله واصحابه نجوم السائرين<sup>(١)</sup> الى طريق الهدى ، والمرشدين الى سواء الطريق ما اظلم ليل ولا ح ضوء صبح وبداء .

وبعد ، فقد رايت رحلة الفرد الذي ما تنفى في مرآة الزمان لناظر ، والواحد الذي كَلَّ كل لسان عن سر مناقبه ، لما حازه من جم المآثر ، ذي الذهن الوقاد ، المجمع على فضله على رغم انف الحساد ، الذي عز عن شبيهه في الظاهر والخافي ، حبيبنا وانيسنا السيد احمد افندي اللخاني ، احد المدرسين المشار اليه في بغداد المحمية ، بلغه الله كل امية ، وذلك فيما جرى له وعليه عند سفره الى فروع<sup>(٢)</sup> ، فكان الفرق بين رحلته وبين رحلة غيره من الفضلاء كغرق الصبح يروق . بيد انه بعد ان اتقها ، ورصع جيدها بلاليتها<sup>(٣)</sup> . ونظمها ، لم يحلها بدليجة ، ولم يكمل بالحسن نسجه وديباجه ، فهي كمرور لم تزين بخضاب ، ولا تجليت على منصة الانس كالغداة من الاتراب ، فحلبتها بهذه الدليجة ليروق حسناتها ، ويعلو قدرها وشأنها ، لدى من رام ان يكحل ناظره بانمده سوادها عند مطالعتها لها ، ويقف على ما اودع فيها من البلاغة وسكب العبارة فيزداد بها شغفاً وولها .

فقال ، لا فاض فوه ، ولا برج من يمجفوه :

## بسم الله الرحمن الرحيم

خرجنا يوم الخميس بكرة من النهار غرة شعبان<sup>(١)</sup> من الزوراء فتوجهنا الى الشام، مرفقين معنا خمسة انفار من طرف الحكومة لمحاظتنا، وكان معي ولدي عماد الدين يشيعنا، فبينما نحن سائرون نزلت عن مطيقي، وركبت يعفور<sup>(٢)</sup> عبد الحليم، وعبد الحليم عماد الدين ركب مطيقي.

[ابو غريب]

فلما دنينا من ارض ابو غريب، رأى الجنود بطيخاً اخضر، وساروا اليه حتى يحنوا منه للاكل، وهو معمول في الحدود وجداول الماء تجري. وانا قلت لهم: تنحوا عن هذا الطريق، ولا يجوز لكم الاكل من هذا البطيخ، قالوا: ياسيدنا نبتاعه بالدرهم، فدخلت خيل الجنود في الجداول، وهربت مطية عبد الحليم في جدول من الجداول، فوثب عبد الحليم عن ظهرها كأنه نهدي، والجمال يقول: وا جلي! وا جلي! انكسر جلي، وانا قلت له: علي بالظمان، لا تخف ولا تحزن ان الله معنا. ثم نهضت المطية وخرجنا سائرين غير ان الفرار<sup>(٣)</sup> الذي فيه متاعنا، والحبز والسكر صار عجبناً، ثم القينا، فاقبل عليه الجنود يأكلون منه، ويقولون:

ياسيدنا هذا دقيق ملتون بسكر، فقلت لهم: هنيئاً مرياً.

فبعدهما فوضوا وطهرهم بالمجل، ركبنا مطايانا وتوجهنا الى مدير ابو غريب، محمد شواف زاده، فاتي بنا اليه، ونوخنا مطايانا يباب خيمت، فقابلنا بالترحيب والتكريم والتبجيل، ومعه ولده عبد الرزاق. فقال لي: يا جدي، ما هذه الساعة المباركة التي آتت بك؟ ثم قبلت بين عينيه، فكان جلوسنا عندهم ست ساعات، ثم صلينا المغرب، وودعت ولدي عبد الحليم وعبد الرزاق ووالده محمد علي افندي.

## [الصقلاوية]

وتوجهنا نحو الصقلاوية<sup>(٤)</sup>، فلما اتيناها نوخنا مطايانا عند مدير التيل<sup>(٥)</sup> حيدر افندي، فجلسنا مع حيدر افندي برهة من الزمان، واذا حسن بك قاتمقام من امراء العساكر<sup>(٦)</sup> المنصورة مقبل من الشام (و) دخل علينا، فلما رأته نهضت وقبلت بين عينيه، فجلسنا معه مقدار ساعتين من الزمان، ثم نظر الى ولدي محمد، (وقال:) ما هذا الشبل الذي معك؟ فقلت: هذا ولدي محمد اخو عبد الحليم.

## (عبور الفرات)

وسرنا نحو الفرات، ثم اتينا الفرات، فقدموا لنا فلماً حتى نعبّر نحو الشامية فلما دخلنا مطايانا في الفلك، واذا قوم من عشيرة<sup>(٧)</sup> الدليم يريدون ان يدخلوا<sup>(٨)</sup> معنا للعبير، والجنود ما رضوا ان يدخلوا<sup>(٩)</sup> معنا، وصارت منازعة بين الفريقين، الجنود يقولون: لا تدخلوا<sup>(١٠)</sup> وهم يقولون: ندخل، فاخذ<sup>(١١)</sup> الجنود ايديهم الى سلاحهم وكذلك القوم، وانا اصلح بينهم<sup>(١٢)</sup>، واذا عجوز شطاه<sup>(١٣)</sup> ولا<sup>(١٤)</sup> منطبق تقول: الفتنة من هذا الشويخ. فلما قالت هذا الكلام، وابنها كذلك تفوه في هذا الكلام، وكان معنا خادم اسمه محمد جاروش متوجهاً الى استانبول، لما سمع الكلام من ابن العجوز، وكان في يده ذنبوس<sup>(١٥)</sup> فصره تحت ابطه فاغمي عليه، فسمع يوز باشي الجنود<sup>(١٦)</sup> حيدر اغا، فقال: يا شيخ ما هذا الامر؟ فقلت: الجنانية من الجنود. ثم بذل الجنود، فقال<sup>(١٧)</sup>

القوم: جزنا<sup>(١)</sup> عن دعوانا ولو الف رجل يموت لحسن كلام الشيخ. ورئيس القوم كان محمد الاعرج المعروف بالطويل<sup>(٢)</sup>. فبعد ما عرفنا ركبنا مطايانا وتوجهنا الى الطويل فنزلنا عنده وبيتنا ليلتنا وكانت بشس الليلة لانه رجل دني ما يلتفت الى حق<sup>(٣)</sup> الضيف.

(الرمادي)

وتوجهنا نحو الرمادي<sup>(٤)</sup>، ونزلنا عند قائمقام الدليم احمد افندي، فقام مستقبلاً لنا بالترحيب والتبجيل، وكان الوقت الشمس في رابعة النهار، فجلسنا معه، ثم اتانا بغداء، فاكلنا وشربنا معه، فسمع بنا طه افندي شواف زاده<sup>(٥)</sup> فقال: مرحباً بكم، فذهب بنا الى بيته، فبيتنا عنده تلك الليلة، فلما مضى ثلثا الليل، قدمت لنا مطايانا، وتوجهنا نحو هيت وقد رفقوا معنا اربعة فرسان من طرف الحكومة، فبعد ما مضت ثلاث ساعات من النهار قال<sup>(٦)</sup> رئيس الفرسان علي آغا: انتم تفوزون بهذه المفازة، ونحن نورد خيلنا وتبعكم، فلما فارقتاهم واذا رجل اعترى<sup>(٧)</sup> راكب على مطية شعلاء وبراء ومعه شاب رديفه، ظهر علينا من الوعد، والكمين في الوعدة، فلما رآه سعد، تجالنا، قام يتنادي بالويل: وا جمالي! لقد ذهبت روحي وجمالي. قلت له: لا تخزن، اصبر ان الله مع الصابرين. فقلت لها: يا اخا العرب ما انتما، وما تكونا، ومن اي العرب انتما؟ فقالا: نحن (من) عنزة. فلما نوسموا في وفي ولدي جعلوا ينظرون الينا شراً. فقلت لهم: اتعلمون ما هذا الغلام الذي معي؟ قالوا: لا، قلت لهم: هذا ابن اخت لكم، فقالوا: كيف هو الحضري يصير ابن اخت لنا؟ فقلت لهم: لما عبد الله الفاضل<sup>(٨)</sup> كان في الشام، وتزوج بالشام، (فان) هذا من تلك المرأة، وقصته معلومة لا تخفى على ذوي الالباب. فلما قلت لها هذا ابن اخت لكما فكانوا بين المصدقين والكاذبين، فقالوا:

يا سيدنا اسلك هذا الطريق حتى نرجع الى قومتنا منذرين وغيرين. فقلت لها: اذهبا قبل ان يخبرا بكم الجنود، فوجهوا مطيهم الى نحو قومهم مجنين مسرعين، فلحق بنا الجنود. وهذا الكلام الذي جرى بيني وبينها، وعلى ارتكابي<sup>(٩)</sup> هذا الكلام، ضرورة الجأني اليه، لا الكذب شيعتي، ولا ارضى به لكن احوج [اليه].

(هيت)

ثم اتينا هيت قبيل المغرب، فنزلنا عند ياسين الذباب باب محط الفواضل والافاضل، رجل كريم، وما وجدناه<sup>(١٠)</sup> في داره، بل وجدنا اخاه<sup>(١١)</sup> عبد الله يفوق<sup>(١٢)</sup> حاتمًا في الكرم، لانه كان شيخ العرب، كساباً وهاباً، وهذا يجود بكدي يمينه، ياله من رجل كريم، ولا يوجد<sup>(١٣)</sup> الان في العراق مثله، رجل نقي نقي.

(جبة)

ثم سرينا في الليل وتوجهنا نحو جبة، فلما اتينا جبة، وهي جزيرة في نهر الفرات، نوحنا<sup>(١٤)</sup> مطايانا، ونزلنا في حصن متخذ للجنود المحافظين لابناء السبيل. . .

(حديثه)

ثم سُرَّ معي محافظ القلعة اربعة فرسان، فخرجنا من جبة نحو حديثه سائرين ليلاً، فاصبحنا في حديثه، وكذلك هي، جزيرة في نهر الفرات. نزلنا في حصن متخذ للجنود المحافظين لابناء السبيل، واجتمعنا باناس من اهلها فقراء، كل رجل منهم

عمات قد لفها رجوية الشكل خضراء، والمنزل في يده يفرز ويتكلم في الحيل<sup>(٣)</sup> الشرعية، كل حيلة عملة المحكمة<sup>(٤)</sup> عندهم<sup>(٥)</sup>، وإذا برجل اتى اليّ وقبل يدي، ولحيته كأنها عرض تسمين، فقال: يا سيدي هل تعرفني من انا؟ فقلت له: لا يا اخي . فقال: ابن سيد حديد، وسيد حديد كان خادماً في جامع المصرف<sup>(٦)</sup> في بغداد في عملة محمد خليل<sup>(٧)</sup>.

(الفحيمي)

وسرنا نحو الفحيمي، فأتيناه صباحاً، فنوخنا مطايانا بباب الحصن، وكان ذلك اليوم عبوساً قمطيرياً من شدة الحر والسحوم وقد قتل رجال كثر، ففضيا ذلك اليوم ولم نر مكروهاً.

(عانة)

ثم قدمت لنا مطايانا ليلاً وسرنا نحو عانة، فلما دخلناها اقبل عليّ<sup>(٨)</sup> اهل عانة يبرعون، كل واحد منهم يقول: انا مضيف لك، واذا ناقي بباب قائمقام عانة ناخ، فقلت لهم: يا اخوان خلوها حبسها حابس الفيل، لاني مستن بسته صلى الله عليه وسلم (فانه) لما هاجر من مكة الى المدينة اتى<sup>(٩)</sup> المدينة فتلقاء<sup>(١٠)</sup> الانصار، كل واحد يقول له: المنزل عندي يا رسول الله . فبركت ناته المضياء عند باب ابي ايوب الانصاري فقال: اتركوها حبسها حابس الفيل<sup>(١١)</sup>.

ثم اتانا القائمقام حقي افندي فقبل يدي، وقبلت بين عينيه، فبعد التحية قلت له: اتركني يا اخي حتى اخذ راحتي لاني اليوم سائر ليلي مع نهاري، فانفردت بحجرة للقيولة، فبعد برهة من الزمان واذا رجل من قبله يناديني: يا سيدي قم للغداء، فقمنا ونغدنا مع حقي افندي.

(النبية)

وسرنا نحو النبية مع اربعة فرسان مرفقين معنا، فلما وصلنا النبية، وهي كذلك حصن متخذ للجنود المحافظين لآبناء السبيل، ولم تنزل فيها.

(القائم)

فبينما ليلنا سائرين حتى دخلنا القائم<sup>(١٢)</sup>، فنزلنا عند المدير السيد محمد سعيد افندي نجل السيد عمر افندي نقيب برصة<sup>(١٣)</sup> وجيل زاده وهو رجل كريم، حلوا الشائل، ذو عقل ودراية. ثم قال: يا سيدي هذا المحل محلك، وانا ذاهب للتعشير، وولدي مصطفى افندي هو ههنا، فهو مقيم بضيافتكم فكان الامر كذلك.

(البوكمال)

ثم بنتا ليلتنا، وخرجنا سائرين سحراً نحو ابي الكمال<sup>(١٤)</sup> فدخلناه وقت القيولة، واذا خارج البلدة سقيفة مبنية لآبناء السبيل، فوجهنا مطايانا نحو المضيف، فخرج رجل من نحو المضيف مرحباً، فاخذ بخطام مطيقي، وقال: المنزل عندي، ونزلت عنده، وكان حائماً. وقبل هذا ذكرنا ياسين الذياب حائماً، فذاك يصرف بماله، وهذا كساب وهاب صفة حاتم، فصيح اللسان حلوا الشائل، قد كانه عود بان، فلما جلسنا معه وبدأنا بالمنادمة، واذا بقائمقام ابي الكمال مع عبد الحكيم افندي البغدادي فقال القائمقام: يا مولانا لأي شيء ما شرفنا؟ فقلت له: المقام مقامك يا سيدي. ثم قضينا ليلتنا في راحة حتى انفلق الصبح.

### (الصالحية)

وتوجهنا نحو الصالحية<sup>(١)</sup> فأتيناها قبل الظهر، وقبلنا فيها وبردنا بالظهر.

### (الميادين)

وتوجهنا سائرين نحو الميادين<sup>(٢)</sup>، فبينما نحن سائرين في القبط وإذا بأسد له صولة، فجفلت ونفرت الأبل منه، ولم تضبط أخطامها، والفرسان معنا غاثرون<sup>(٣)</sup>، فزادها جفلاً ونفوراً، فلما سكنت الأبل وخيل الجنود، قلت<sup>(٤)</sup> لولدي: السلامة، وهو كذلك يقول: السلامة يا أبتى.

فلما وصلنا الميادين، استقبلنا القاتمقام شاكراً أفندي بالترحيب والتبجيل، فانزلنا في مكان داره - وكان خير المنزلين - وجرت بيننا التبادلات إلى المغرب، فلما جن الليل قدمت لنا مطاياتنا [و] سرنا نحو الدير.

### (الدير)

ثم سرنا ليلنا كله، وكانت<sup>(٥)</sup> الأبل تخفضنا طوياً وترفعنا طوياً، لأن الأرض نجد ووهاد، فلما انفلق الصبح اتينا الدير صباحاً، وانخنا مطاياتنا بباب التصرف السيد محمد علي باشا ابن السيد شريف، فلما دخلت عليه قام على قدميه مرحباً، وقال لي: من ابن القلدم يا مولاي؟ فقلت له: من بغداد. فقال: مع من أتيت؟ فقلت له: أنا ولدي مع فرسان مرافقين معنا من مرحلة إلى مرحلة، فقال لي: إلى ابن الذهاب؟ فقلت له: إلى القسطنطينية العظمى. [قال]: وعلى أي طريق تذهب، على<sup>(٦)</sup> طريق حلب أو على طريق الشام؟ فقلت له: على طريق الشام. فقال لي: أما ذهاباً على طريق الشام لا يمكن السلوك فيه الآن لأن الزمان قبط وحر شديد. فقلت له: يا سيدي، لا بد [أن] أذهب من هذا الطريق، فاطرق برأسه<sup>(٧)</sup> ثم رفعه، وقال: عليّ بابت هديب العكيلي. فاني بابت هديب، فقال له: الشيخ يريد الذهاب على طريق صنفنة<sup>(٨)</sup> - فقال: يا سيدي: بوجود همكم يمكن هذا، الفرسان الذين<sup>(٩)</sup> تركبهم معه يحملون الماء، ثم امر بخمسة فرسان فقال لهم: توصلوه إلى القريتين، وبعدما جلسنا معه خمس ساعات قدمت لنا مطاياتنا وركبناها وتوجهنا نحو الشام، وارفق معنا ابلاً حاملة الماء لنا وللفرسان، وكان المسير ليلاً فسرنا ليلتنا ونهارنا. وذهبوا مسرورين، فلما انقضى النهار ومد الليل اطنابه امر شيخ الحمل بالرحيل.

### (تدمر)

فرحلنا سائرين في البيداء ليلنا مع نهارنا إلى أن اتينا تدمر، فانخنا خارجها، فلما نظرت إليها فإذا هي بلدة عظيمة، ورأيت بعض دورها خالية على عروشها وبعضها قائمة على حالها. ورأيت إلى الأساطين منها صنف أبيض وصنف أحمر وصنف أزرق وهي من الرخام. بالها من بلدة وأكثر ما قال المؤرخون أنها لسليمان ابن داود. ثم أق جار الله شيخ تدمر<sup>(١٠)</sup> إليّ وقال لي: يا سيدي ادعوك للمضيف حتى نترك فيك، فذهبت معه للمضيف وبت ليلتي في أرغد عيش، وكان فيها خطياً، فقال لي: تبقى ههنا في رمضان حتى نستفيد منك، فقلت له: لا يمكنني يا أخي. فقال لي: تشرف<sup>(١١)</sup> يا سيدي علينا بكم موعظة، فكتبت له موعظتان لأربع<sup>(١٢)</sup> جمع.

### (عين قياقب)

واتينا إلى عين قياقب، وهي على كرامة أجدادنا، فروينا مطاياتنا وكذلك الفرسان أوردوا خيلهم، فمضينا سائرين أربعاً وعشرين ساعة.

### (صخرة)

واتينا صخرة، ورأينا الحمل نائخاً هناك، ورأينا<sup>(١)</sup> خيمة مضرية خارج القرية، فانتخت بياب الخيمة، فخرج من بابها رجل مع خداه فلذا هو العثمان العكيلى شيخ الحمل. فبعدما حيكنا باحسن تحية اقبل<sup>(٢)</sup> الفرسان اليّ يقبلون اياديّ، يقولون: هل ترخصنا ونمشي مع الحمل، او نذهب معك الى القريتين، فقلت لهم: لكم الرخصة، لان بقيت اربع مراحل للابل، فهذه الاربع مراحل نسير مع الحمل، فقبلوا يديّ وذهبوا مسرورين.

### (ابو القوارس)

ثم رحل الحمل واناخ بابي القوارس، وهو بمسافة ساعة عن تدمر، فقمنا نحن وصلينا الصبح، وركبنا مطايانا وتوجهنا نحو ابي القوارس فلما وصلنا الحمل رأينا<sup>(٣)</sup> الخيمة مضرية حول البئر. وهذا المكان ذو<sup>(٤)</sup> ابار وقنوات، وكذلك هذه، من آثار سليمان، فمنها معطلة ومنها غير معطلة يشرب<sup>(٥)</sup> منها ابنا السيل، وهذا المكان واقع بين جبلين، وهو مفازة يسمونه الدوة، وهو الى القريتين بمسافة<sup>(٦)</sup> عشرين ساعة. ولكل جبل فيه بعض عيون يهطل منها الماء لكن لا يخرج الى مكان، وانا اخذت الاسطرلاب لآزنا<sup>(٧)</sup> بعض الارض التي يخرج منها الماء، وهي قابلة للتعمير لكن محتاجة الى قوة دولة.

### (القريتين)

ثم رحلنا نحو القريتين<sup>(٨)</sup>، فسرنا يومنا وليلتنا، فلما وصلناها نزلنا عند شيخ القرية فياض اغا، وهي قرية ذات اشجار وتامار، فيها تفاح<sup>(٩)</sup> وكثيرى لم ار مثله لا في بغداد ولا في الشام ولا في جميع الدنيا. ثم فارقتا الحمل وسار معنا فياض اغا، وهو رجل جليل تنجب له النجائب، فشيئنا كم ساعة<sup>(١٠)</sup>، وودعنا وسير معنا فرساناً محافطين لنا.

### (سدوم وعطنة)

فسرنا اتينا سدوم، وهي بلدة قوم لوط، طولها ثلاث ساعات وعرضها ساعتين، وبقرية قريبة يقال لها عطنة، فقالوا لي: يا سبيلى نزل في هذه القرية للاستراحة؟ فقلت لهم: لا انزل في هذه القرية لانها قرية قريبة من قرى الذين ظلموا، الا نتأسى بالنبي - صل الله عليه وسلم - لانه في غزوة تبوك لما ات الى مدائن صالح قال: لا تناموا فيها ولا تجلسوا فيها واذكروا الله لانها ديار الذين ظلموا. ثم الحوا عليّ فأتيت شيخ القرية مصطفى الغزال، فانختا مطايانا عند باب، وهو مع بنت له خماسية يقبلها ويلاعبها، فقلت له: ما هذا التقبيل لعلها زوجة لك، قال: هذه بنتي، ثم رجعت رفقتي، وقالوا لي: ما هذا التقبيل؟ فقلت لهم: لعله تقبيل كرامة، لا يظن بالمسلم الا هذا. ثم قلت لهم: اركبوا مطاياكم حتى نخرج من هذه القرية لانها قرية بقرب قرية لوط.

### (جرود)

فركبنا مطايانا وسرنا حتى اتينا جرود<sup>(١١)</sup>، فنزلنا عند محمد اغا الجرودي، فلم يكن، بل كان نسيبه فارس اغا التنصري، فقام بضيافتنا واكرمنا واحسن مثوانا، وهو رجل كريم حاتم الصفات عتزي<sup>(١٢)</sup> الشجاعة ذو عقل ودراية. وجرت المنادمة بيننا الى الصباح.

### (دوما)

وركبنا متوجهين نحو دمشق، فطال علينا المسير، فنزلنا دون دمشق في دوما<sup>(١٣)</sup> عند القاضي الشيخ محمد سعيد افندي، وهو سبط الجاهي محمد افندي، وهو يفصل [بين] الاخصوم في دار الحكومة. فلما سمع بنا اتى مهرولاً، فحيانا بتحية القدم، وجلسنا

معه، وجرحت المتألمة بيننا فقلت له: يا اخي اسألك عن محمد افندي الجاس، كيف حاله؟ قال: هو جدي. فقممت اليه وقلت بين عيني، وقلت له: ذاك اخي، وابن ابن بنت اخي<sup>(١)</sup>. ثم رجعت الكلام عليه. وقلت له: ما حاله الآن؟ فقال لي: وهن العظم من لكن لم يكن بدعاء ربه شقياً. ثم اقمنا عنده تلك الليلة مع اناس عنده من اهل الشام خارجين للزفة، فلما انفلق الصبح سرنا الى دمشق.

(دمشق)

فدخلناها، ثم اتينا الصالحية، فانحنأ مطايانا عند باب الوالي مدحت باشا<sup>(٢)</sup>، فدخلت عليه، فقام على قدميه وقال: اهلاً بالشيخ احمد اللحاني.. ثم سألي على اي طريق سلكت، فقلت: سلكت<sup>(٣)</sup> طريق الشامية، وقلت: يا مولاي كذبت كذبات على العرب تريباً لم قلت لهم الوزير مدحت باشا باعث عليّ، ثم ضربني على يدي تلطيفاً، وقال: لله درك [من] رجل داهية زمانه. فالتفت الى ولدي وقلت: يا بني هذا تأويل رؤياي من قبل، قد جعلها ربي حقاً، فجرت المتألمة بيننا برهة من الزمان، ثم خيرني وقال لي: يا شيخ ابن تريد ان تضيف، هل تريد ان تضيف مهنا، او في بيت سعيد باشا، او في بيت المفتي؟ فقلت له: ضيافتي تكون عند سعيد باشا لان بيننا حقوقاً قديمة، فاتينا الى دار سعيد باشا فجلسنا فيها، وكان الرجل يتنزه في جنيته له، فلما سمع بنا اتى مبادراً الينا، ثم قال لي: يا مولاي قدومك لي نعمة غير مرتقبة، الحمد لله الذي من<sup>(٤)</sup> بقومك عليّ. ثم قال لي: يا سيدي الرخصة لاستقبال المشير الذي جاء من استانبول. فقلت له: ومن يكون المشير؟ فقال:

مشير العراق سابقاً حسين فوزي باشا، فزادني سروراً بقدمه، ثم اخذت استراحتي برهة من الزمان، ثم ذهبت اليه فدخلت عليه في المقصورة، فوجدته جالسا مع احمد ايوب باشا المشير<sup>(٥)</sup> السابق، فلما رأيته قام ناهضاً على قدميه وهو يرحلني بالتركي، ومعاه بالعربي: اهلاً وسهلاً بقدمك علينا، فاجلسني عن يمينه ولدي جالس<sup>(٦)</sup>. فقال: من هذا الغلام الذي معك؟ فقلت هذا ولدي شقيق عبد الحليم، فقال: ما رأيته في بغداد، فقلت له: يا مولاي، هذا كثر غففي، اذ وجد عبد الحليم اختفى، واذا لم يوجد عبد الحليم ظهر، فضحك المشيران. ثم قال: الى اين الذهاب؟ فقلت له: الى القسطنطينية، فقال: صم رمضان ههنا. فقلت: اصوم في القسطنطينية، فقال احمد ايوب باشا ورطنة بالتركي معناها بالعربي: تريد ان تشتت رمضان، فقلت له: يا مولاي، هذا كلام اهل العراق قبلك.. ثم قال لي المشير حسين فوزي باشا: كيف يكون ولدك عبد الحليم، وعلى اي حال يكون وهو على هوسه القديم في نشر العلوم، فقلت له: بل يزيد على ذلك يا سيدي. فقال لي: اكتب له من لسان لا يفتر عن سمعي. ثم نمت منه ذاهباً الى دار الضيافة، وكان اليوم يوم الجمعة اول رمضان<sup>(٧)</sup>، ثم اخذت راحتي، ثم بعد برهة من الزمان، واذا بالشيخ السيد عبد القادر افندي نجل المرحوم السيد مراد افندي الكيلاني اتى اليّ فحياني بتحية القديوم، وسررتنا<sup>(٨)</sup> بقدمه غاية السرور واستأنسنا معه وقتاً من الزمان، فذهب الى داره، وانا ذهبت الى الجامع<sup>(٩)</sup> الاموي فرأيت شيخاً على كرسي جالساً يعظ الناس<sup>(١٠)</sup>، وهو يتكلم في قدوم رمضان.. ثم في اليوم الثالث ذهبت الى شيخ مسلم الكزبري فدخلت فاذا هو جالس على كرسي فجلست في الحلقة وهو يتكلم.. وفي اليوم الثامن اتيت الى جامع الاموي فودعتهم فرداً فرداً، ودعوا لي بالسلامة وقالوا: راشداً مهدياً. ثم اتيت الى دار ضيافتي. ففطرت مع سعيد باشا فلما مضى برهة من الليل ودعته، وذهبت الى العربة فركبنا فيها، وقلنا: بسم الله. وودعنا<sup>(١١)</sup> اناس من اهل الشام، وركب<sup>(١٢)</sup> معنا اربعة من النصاري، وهم خليل وموسى وعجب كرامة ويوسف، فلما جلسنا واخذنا بالمأتمة فاذا كل واحد منهم افلاطون زمانه. وكان موسى بيده عصا فطفت استخيره، فقلت له: ما تلك [التي] يمينك يا موسى؟ فقال: هي عصاي، وعلى قراءة: عصي، اتوكأ عليها واهش بها غنمي ولي فيها مأرب اخرى<sup>(١٣)</sup>. ثم قال خليل: ابن المكان [الذي] قال [فيه] موسى هذه الآية؟ قلت: في وادي المقدس. ثم قال لي: يا سيدي ما هذا الغلام الذي معك؟ قلت: هذا



ولدي. ثم قال موسى: لا شبه له بك. قلت له: بل هو ولدي وامه عرسي. فقال خليل: لا تنظر الى سمرته [فانما] له شبه بالعينين والوجنتين والمكيين. ثم قالوا لي: يا مولانا من اي البلاد انت، ومن تكون؟ قلت لهم: انا عراقي [واسمي] الشيخ احمد اللحافي. ثم قالوا: الى اين الذهاب؟ قلت لهم: متوجهاً الى القسطنطينية العظمى والخلافة الكبرى. قال خليل: ياسيدي كيف تسميها الخلافة الكبرى وقال نبيكم - صلى الله عليه وسلم - الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون اماره او ملكاً عضوضاً؟ فقلت له: الخلافة الكاملة ثلاثون. ثم رجع موسى اليه وقال: صدق الشيخ وبالحق نطق.

#### (زحلة)

ثم لما اتينا قريب زحلة<sup>(١)</sup> في جبل لبنان خرج<sup>(٢)</sup> الثلاثة الى زحلة الا موسى [فانه] بقي معنا الى ان اتينا بيروت.

#### (بيروت)

فلما اتيناها ونزلنا من العربة قبل يدي [وهو] يقول: المنبر من التقصير محروساً راشداً مهدياً، فمشيت الخطا سائراً، وولدي على اثري، واذا الناس يتحدثون<sup>(٣)</sup> بان والي الشام الان اق وقد نزل في دار عمر غزوة، فقلت لولدي: اين منزلنا يكون الليلة؟ فقال: الليلة نزل الحان. فتوجهنا نحو الحان المسمى خان حمزة فانفردنا بحجرة، ولم يناقشنا احد باجرة. ثم لما جلسنا [قلت له] لذهب فابتن لنا فطوراً، فراح وابتاع لنا فطوراً وات، فلما فطرنا حمدنا الله، ثم قلت له: يا بني قم نذهب الى والي الشام حمدي باشا<sup>(٤)</sup>، والدار النازل فيها قريبة من الحان لان معنا حقوقاً قديمة. فلما اتينا اليه دخلنا عليه وهو قاعد على الطعام، فجلست ولم اسلم وانا بيته السفر بالية رثة، لم يعرفني. فقال لي: تفضل الى الطعام، فاشرت اليه بيدي [اني] على كفاية حتى لا يعرفني في اثناء تناول الطعام، ثم لما قضى وطره من الاكل والشرب بدأ<sup>(٥)</sup> يغسل يديه. فلما قام من المغسل توجهت<sup>(٦)</sup> اليه وصافحته وحييته بنية، وهو لم يعرفني، فقلت له: يا سيدي لم تعرفني، فقال: من انت؟ فقلت: انا السيد الشيخ احمد اللحافي، فقال: والله شبهت بك من عنك وانت جالس، ثم بدأ بالترحيب واجلسني عن يمينه، وجرت المناذمة بيننا، فقلت له: يا سيدي لم تعرفني؟ قال: ياسيدي مضي قرن من الزمان لم ارك<sup>(٧)</sup> على قول من قال [ان] القرن ثلاثون سنة<sup>(٨)</sup>، وانت طعنت في سن الشيخوخة<sup>(٩)</sup>، وكانت رؤيتي لك وانت كهل<sup>(١٠)</sup> وودعناه فبعد برهة من الزمان توجه هو الى الشام، ونحن توجهنا الى الفلك المشحون المنسوب الى نفسه، ورئيس الاول<sup>(١١)</sup> كان [اسمه] بتروثج، وكان مسيحياً<sup>(١٢)</sup> ذا عقل ودراية لله دونه من رئيس، كان ذا<sup>(١٣)</sup> عدالة عرفية. ثم لما رأني حياني باحسن تحية، [و] كان معظماً لي ولولدي.

#### (قبرس ولدس)

ثم بدأت السفينة بالمسير، فقلت: بسم الله مجربها ومرسيها<sup>(١٤)</sup> فسارت ليلتها ويومها حتى اتت قبرس، ثم ارسدت محاذية الى جزيرة قبرس، فبقيت راسية ثمانى<sup>(١٥)</sup> ساعات، ثم سار الفلك متوجهاً نحو ولدس<sup>(١٦)</sup>، فلما وصلناها بقى الفلك راسياً ساعتين.

#### (ازمير)

ثم جرى الفلك، وتوجهنا نحو ازمير، فلما وصلناها بقى الفلك راسياً يوماً وليلة. ثم خرجت منه الى مدينة ازمير انا وولدي نمشي في ازقتها، وننظر يمينا وشمالاً فاذا هي كأنها يارس على لانه يوجد فيها من جميع الملل. ثم بقينا نتخطى في ازقتها ساعتين، ثم رجعنا الى الفلك ودخلنا فيه، واذا بقادين خائلي زاده حافظ محمد افندي ازميرلي رأيت داخل في الفلك، فنظرت اليه، فاذا هو ذو

عقل ودراية ، فسأله عن فنون كثيرة ، فاجابني . ثم جرت بيننا مذاكرة [في] العلوم ونحن متوجهون نحو جزيرة مدلي<sup>(١٠٠)</sup> فارست السفينة مقدار ساعتين .

### (جناق قلعة وكلي بولي)

ثم توجهنا نحو جنة قلعة<sup>(١٠١)</sup> ، وهي متخذة على حافتي<sup>(١٠٢)</sup> البحر ، لله در من اسمها ، وفيها مدافع عظام . ثم جرت السفينة نحو كلي بولي<sup>(١٠٣)</sup> ، فلما انت رست محاذية البلدة ، وهذه البلدة مدفون فيها محمد افندي اليازجي<sup>(١٠٤)</sup> تغمده الله بالرحمة . ثم تهيأنا - انا وولدي - وتوجهنا نحو مرقده الشريف ، فقرأنا الفاتحة ، ثم رجعنا الى الفلك .

### (القسطنطينية)

وجري نحو القسطنطينية ، فوصلناها صباح الاثنين السابع عشر [من] رمضان ، ثم خرجنا<sup>(١٠٥)</sup> ، ودخلنا القسطنطينية متوجهين نحو وآية صوفية ، فلما اتيناها وضعنا متاعنا عند امامها ، وذهبنا غشي في ازقة القسطنطينية حتى اتينا جامع بايزيد ، فصلبنا الظهر هناك ، ثم ذهبنا الى [جامع] السليمانية لنصلي العصر ، فبعدما انقضت صلاة العصر - وكان في كل من اركانها الاربعة واعظ يعظ<sup>(١٠٦)</sup> - توجهنا<sup>(١٠٧)</sup> نحو الركن الشمالي لنسمع واعظه ، واذا بحفي افندي من امراء العسكرية ، وقبل هذا كان في بغداد من المعلمين<sup>(١٠٨)</sup> [في] مكاتب<sup>(١٠٩)</sup> الدولة العلية العثمانية . وكانت لنا معه رفقة وصحبة قديمة ، فلما رأني قام على قدميه [و] قبل يدي ، وقبلت ما بين عينيه ، فقال لي : المنزل عندي ، فقلت له : بل ذاهب الى شيخ الاسلام ، فقال : ما يمكن ! يا سيدي هذه الليلة ضباقتك عندي ، وكانت داره في «ايوب الانصاري»<sup>(١١٠)</sup> ، ثم خرجنا متوجهين نحو ايوب الانصاري ، فقال لي : يا سيدي زكبت في الفلك ؟ فقلت له : يا مولاي هذا اليوم خرجت من الفلك [و] لا طاقة لي بالركوب في الفلك لان ممي وجع رأس من الركوب في الفلك . فذهبنا غشي في الطريق ، فاطبقت السماء بالسحاب وانزل الماء من المزن كأفواه القرب . وكان الوقت قيضاً ، فقال حفي افندي : نمضي الى بيت اقارب جمال افندي رئيس مكتب اعدادية بغداد ، فذهبنا الى ذلك المنزل ، وخرج صاحب المنزل وقال : الافطار عندي . فقال حفي افندي : لا يمكن ، اعطنا شمسيات حتى نمضي الى دارنا ، فأتى الينا بشمسيات ، وذهبنا الى داره ، فلما اتينا المنزل تجردنا<sup>(١١١)</sup> عن ثيابنا واتى الينا بشباب لبسناها فبتنا تلك الليلة بارعد<sup>(١١٢)</sup> عيش ومسامرة . فلما انطلق الصبح اتى البنا بماء فترصنا وصلينا .

ثم توجهنا نحو القسطنطينية ، وهو مشيخ<sup>(١١٣)</sup> لنا ، حتى خرجنا [عن] دور الايوبية<sup>(١١٤)</sup> ، ثم رجع عنا ونحن راجلون حتى دخلنا جامع بايزيد لنصلي العصر . واذا بسيد سلمان افندي نقيب الاشراف القادري<sup>(١١٥)</sup> فلما رأني توسم<sup>(١١٦)</sup> في<sup>(١١٧)</sup> ، فقال : السيد احمد؟ قلت : نعم يا سيدي . فاقبل علي وعانقتي ، والناس في الجامع الوف ينتظرون تقبيل اياديه ، فاخذني واجلسني بين يديه وهو يسألني عن احوالي وبجيتي ، فقلت له : يا سيدي بخير . والناس يقولون : ما هذا الصعلوك يعظمه ولم يلنثت الى هؤلاء الوزراء والعلماء المتعثرين الى تقبيل يديه . فقال لي : اذهب الى منزلنا هذه الليلة ، فقلت له : ابني الذهاب الى شيخ الاسلام هذه الليلة فقال : راشدأ مهديا [و] بلغ السلام عليه ، ثم ذهبت امرع الى نحو داره ، فلما اتيت الى داره دخلت<sup>(١١٨)</sup> على وزيره المسمى الآن بكتخدأ ، فقلت له : يا سيدي [اريد] المواجهة مع شيخ الاسلام ، فقال : بعد الافطار . فلما آن وقت الافطار قدموه لنا<sup>(١١٩)</sup> ، فأتى الى الافطار بذاته شيخ الاسلام ، واقبل كل واحد منا بناوله<sup>(١٢٠)</sup> الطعام ، وهو ينظر اليّ ويظن اني من المدعوين على هذه السفرة ويتوسم في<sup>(١٢١)</sup> ولم يعرفني ، فلما طعمنا انتشرنا عن السفرة ، ثم بعدما توضينا وتوضى شيخ الاسلام ، فلما اتم الوضوء اقبلت عليه مصافحاً له ، ففطر الى مستشاره وقال<sup>(١٢٢)</sup> : من يكون افندي؟ فقال له : من مدرسي<sup>(١٢٣)</sup> بغداد السيد احمد اللحاني . فقال لي : اهلا بك ، ثم

قال: أتوا له بقهوة ودخان. فقلت له: يا سيدي ما ابتليت بالدخان. ثم التفت الى ولدي فقال: ما هذا الغلام الذي معك؟ فقلت له: هذا ولدي وابن عرسي. ثم قال لي: أين [انت] نازل؟ فقلت له: يا سيدي بين السماء والأرض، فقال: كل واحد منا بين السماء والأرض، فقلت له: يا سيدي انتم لكم منازل، وأنا لم يكن لي منزل. فقال: ضيافتك عندي، فقلت له: يا سيدي لا يمكن لأن الضيافة ثلاثة أيام. ثم التفت الى درس وكيلى<sup>(١١١)</sup> مصطفى افندي [وكان] جالساً عنده، فقال له: هيم! له مكاناً؟<sup>(١١٢)</sup> فقال لي: في الحرقفة الشريفة او في اسكدار؟ فقلت له لا يمكنني لأن المحل بعيد، ثم قال: في مدرسة ابراهيم باشا؟ فقلت له: نعم يا سيدي ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه<sup>(١١٣)</sup> فانفردنا منها بحجرة فسكننا فيها اباماً، ثم سمع بنا الشيخ السيد احمد يا افندي الموصلي فان الی فقال: يا سيدي كيف تجلس هنا وأنا في استانبول وما تنزل عندي؟ قلت له: يا سيدي هذه مدرسة الابراهيمية، قال لي: يا سيدي، التي انا فيها كذلك ابراهيمية. ثم امر بنقل متاعنا الى التكية، وكان هجوعنا في الليل بالتكية<sup>(١١٤)</sup>، سسنا في النهار بالمدرسة وابام الشعطيل تذهب الى الاصدقاء، منهم صفوت باشا، وزهت افندي، والى باب المشيخة، والى رؤوف باشا والى ادرنه، والى قدري باشا صدر اعظم سابق<sup>(١١٥)</sup> والى منجم باشي الحاج كامل افندي، والى نصيف باشا ناظر الاوقاف، والى درويش الحيدري، ومن<sup>(١١٦)</sup> اشبه ذلك، لاسيما سيدي الشيخ سيد سليمان افندي الكيلاني، فمضت ايام<sup>(١١٧)</sup> [وانا] على هذا الدأب. ثم [ان] سيدي سيد سلمان افندي عزم على الرحيل الى بغداد، فاتته وودعته وقلت له: زاشداً مهدياً، وكذلك ودعت اخاه<sup>(١١٨)</sup> السيد احمد افندي وكاتب سره ملا حمادي افندي، ففارت، وتوجهت الى القسطنطينية العظمى فهطلت دموعي على خدي، فاقبت مكاني وجلست في غرفتي، وناديت<sup>(١١٩)</sup> ولدي السيد محمد، فقلت له: يا ولدي آتني بماء، فنظر الی متغير اللون، وقال<sup>(١٢٠)</sup>: يا ابني ما اصابك؟ فقلت له: يا ولدي فراق سيدي السيد سلمان! فأتاني بماء ممزوج بسكر، فقلت له: يا ولدي انا امرتك بماء، كيف تأتيني بماء ممزوج بسكر؟ فقال لي: يا ابني! لما رايتك متغير اللون خرجت لأتي لك بالماء، فرأيت جمال افندي الحكيم، فقلت له: ان ابي اعتراه<sup>(١٢١)</sup> عشق وصابه لمفارقة سيده سيد سلمان افندي، فقال: اعطه ماء ممزوجاً بسكر، فلما اخذت الكأس من يد ولدي واوردته على شفتي لم يسغ لي الشراب، وكنت انجرعه كشارب الحميم، وكان جالساً عن شمالي الشيخ محمد وهي، وعن يميني الشيخ عبد الغني الطرابلسي، فصبيت الكأس عن شمالي وناولته محمد وهي، فانشد الشيخ عبد الغني الطرابلسي:

صبيتي الكأس عنا يا أم عمرو      وكان الكأس مجراه اليمين

ثم اتى<sup>(١٢٢)</sup> امير من العساكر المنصورة فاجلسني، واتكيت على شجرة شمسية فرطن بالتركي [بما] معناه بالعربي: ما دهاك؟ فقلت له: لمفارقة سيدي السيد سلمان افندي: كذلك رطن بالتركي [بما] معناه يحق لك ذلك، فنزل عن فرسه واركبني. وقال لخادمه: اذهب به الى القسطنطينية، ولم اتب عن صهوة الجواد، وكان الخادم يستدني حتى لا اسقط عن الجواد، واتى بي الى المدرسة، فلما انزلني اغني علي. ثم اجتمع علي المدرسون<sup>(١٢٣)</sup> والطلبة، وجاء<sup>(١٢٤)</sup> ولدي محمد فقال: وا ابتاه، فلما<sup>(١٢٥)</sup> سمعت صوت محمد اتتني الافاقه، ثم قالوا أتوا له بحكيم، فذهب ملا حسن الى باب سر عسكر<sup>(١٢٦)</sup> واخبر صفوت باشا بذلك. فبعث بالمرية<sup>(١٢٧)</sup> واركبني فيها، فذهبت الى دار صفوت باشا واذا بالحكيم واقف في الدار ينتظر مجيئي، فمد الحكيم يده الى يدي ونظر الى العرق الضارب، فقال: لمن يكن فيه شيء الا عشق وصباية، فقال: ارقوه، ونطق محمد: قبل من راق اذا بلغت التراق<sup>(١٢٨)</sup>. واذا بكريم افندي قال: صدق الطبيب: هي صباية ومحبة لولده عبد الحليم، ففتحت عيني، ثم تكلم من هناك، الحاج كامل افندي منجم باشي. قال: بلغنا عنك تقول: عاشق لسيدي سيد سلمان افندي، فقلت له: نعم ذاك مجازي وهذا حقيقة، ثم قال محمد: اسى البارحة اتانا كتاب من تلقائه فقال: اتوني بالكتاب. ثم ناوله ولدي محمد الكتاب، فاخذت راحتي واندفع عني اعلام العشق والله اعلم<sup>(١٢٩)</sup>.

## الهوامش

- ١) لب عبد الحليم نفسه بالحاق، او الحافظي، بحذف اللام الاولى، وعمل ايضاً مدرساً في جامع السراي حتى وفاته سنة ١٩٤٢م. وكان يجوز على اصطرلابات منها ثلاثة من البروتز، عنقولة اليوم في المتحف العراقي.
- ٢) الرحلة، الورقة ١٤
- ٣) في الأصل: السابين (٢) لفروق: اسم للسفطينية (٣) في الأصل لوالها
- ٤) للرافق ٩ نوز ١٧٨٩ (٥) البفوق: الضبي، يريد به الجمل الذي كان يركبه ابنه.
- ٦) جمع فراره، وهي القرية.
- ٧- وصف الأب لتسنس ماري الكرمل الصفلاوية في أثناء رحلة له سنة ١٨٨٦ بوله هي قرية صغيرة، فيها قليل من الحضر تزرع في بساتين صفار بلا اشجار، وضعة اسواق، وهي مبنية على ممر القرات على شكل الازج، وقال في الهامش: في الصفلاوية ٢٤٩ نسمة، و ٤٥٥ داراً، و ٣ عائلات و ٤ قهواي، وهي مديرية الحكم، ليس فيها جامع البتة، وفيها مركز للتعارف، وبعض اهلهما يتنمون في دكاكيتهم (عطوط في مكتبة الدراسات العليا بأداب بغداد، برقم ٢٤٩، الورقة ٨)
- ٨) اي مدير التعارف (٩) في الأصل: حساكر (١٠) في الأصل: عشيرت (١١) (١٢) (١٣) في الأصل: يذخلون، تذخلون
- ١٤) في الأصل: فاحذوا (١٥) في الأصل: يبيها
- ١٦) الرزاة: الحفيفة الوركين، او هي القوس التي يزل السهم لسرعة خروجه، كناية عن سرعتها في الكلام.
- ١٧) امرأة فيها مساهم.
- ١٨) اسم رتبة عسكرية متعاقبة مركبة من يوز: مائة، باشي: رئيس، قائد، مقدم،
- ١٩) في الأصل: فلقوا (٢٠) جزئا: حامية، معنى تركنا
- ٢١) طوبال، تركية، وتنفى: امرح (٢٢) في الأصل: يحق
- ٢٢) حينما مر اللعاني بالرمادي لم يكن قد مضى على اطلاق هذه التسمية غير اربع او خمس سنين، فالرمادي مدينة حديثة سميت بهذا الاسم في عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩ - ١٨٧٢م) وكانت تسمى قبل ذلك قلعة الرماد نسبة الى تل الرماد الذي بنت عليه، وهو تل اري قديم لونه الرماد. فرحان الحديثي: تاريخ الحديثة ٢٦/١
- ٢٣) هو الشيخ طه بن عبد الرزاق الشواف، كان عالماً تقلد قضاء البصرة مدة طويلة، وتولى التدريس في مدارس بغداد، وكان شاعراً ايضاً. توفي في ١٤ صفر سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م وفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير. ابراهيم القروبي: البغداديون، بغداد ١٩٥٨، ٣٩
- ٢٤) في الأصل: قلوا
- ٢٥) نسبة الى حزة، كما سيذكر المؤلف، القبيلة المعروفة
- ٢٦) هو الشيخ عبد الله الفاضل احد شيوخ قبيلة الحسة احدى القبائل العربية الرحل في منطقة الجزيرة وبداية الشام. عرف بشعره الجزل من نوع (العتاب) الذي صوره ملامته الشخصية، من احسانه بالجدى او الجذام، وتبذ قبيلته اياه، ومهم زواجه، ثم نجاته، والحقافه بقبيلته، بعد مكابدات جده. انظر من حياته وشعره
- ٢٧) ضاع عن القريشي: الفنون الشعرية غير المبررة ج ٤ (بغداد ١٩٧٩) ٣٣ - ٤٦
- ٢٨) كذا في الأصل. (٢٩) في الأصل: وما نجد (٣٠) في الأصل: اخيه
- ٣١) في الأصل: يثيق (٣٢) في الأصل: ولم (٣٣) في الأصل: فتوحنا
- ٣٢) في الأصل: حبل (٣٣) كذا في الأصل (٣٤) كذا في الأصل
- ٣٥) مسجد لا يزال قائماً، قريب من شارع الخلفاء، شيده احمد افندي المصرف سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م. وكانت فيه بعض الحجر ومفرسة وغزاة كتب، (محمود شكري الألويسي: مساجد بغداد وآثارها، بغداد ١٣٤١هـ، ٧٣)
- ٣٦) يقع هذا المسجد في طريق لا ينفذ، سمي بشارع المصرف نسبة اليه. وعد في بعض اليهود من حلة البارودية. وليس فيها بين ابدنها من معاصر ما يشير الى حلة بهذا الاسم.
- ٣٧) في الأصل: اقبولوني (٣٨) في الأصل: لما ان (٣٩) في الأصل: لنلقوه
- ٣٩) انظر سيرة ابن هشام ١٢٢/٣ - ١٢٣
- ٤٠) كالت الثاني في اواخر القرن التاسع عشر. تتألف من خفر للشرطة وعان واسع التقدر مركزاً للناحية، وهو يقع على ضفة القرات اليمنى.
- ٤١) في الهامش (بروسا) (٤٢) هكذا يكتبها المؤلف، والشهور (البوكمال)
- ٤٣) بلغة على القرات، الى الشمال من البوكمال
- ٤٤) مدينة على القرات في جنوب دير الزور (٤٥) يريد: حاجون
- ٤٦) في الأصل: قفلت (٤٧) في الأصل: وكان (٤٨) في الأصل: الى على
- ٤٩) في الأصل: طرق واسه (٥٠) في الأصل: الذي (٥١) لعله يريد: تشعل
- ٥٢) في الأصل: اربع (٥٣) في الأصل: رأينا (٥٤) في الأصل: باب
- ٥٥) في الأصل: فاقبلوا (٥٦) في الأصل: فرأينا
- ٥٧) في الأصل: ذلت (٥٨) في الأصل: يشربون
- ٥٩) في الأصل: وهو بمسافة
- ٦٠) في الأصل: وزان، ووزن الأرض قياس مستوى ارتفاعها
- ٦١) بلدة الى الشمال الغربي من دمشق، كانت تعد من اعمال حمص. ذكر ياقوت فديتها وبين تدمير مرحلتان. معجم البلدان ٣٣٦/٤
- ٦٢) في الأصل: تقاعداً.
- ٦٣) في الأصل: عده ساعات
- ٦٤) بلدة الى الشمال الشرقي من دمشق، قرب صيفنايا
- ٦٥) نسبة الى عزرة القبيلة المعروفة. (٦٥) بلدة الى الشمال من دمشق.
- ٦٦) كذا في الأصل: ولعله اراد: ابن بنت اخي
- ٦٧) تولى دمشق سنة ١٢٩٥ رومية/ ١٨٧٩م، ولبت فيها سنة واحدة وثمان اشهر (صلاح الدين المجد: دولة دمشق في العهد العثماني، دمشق ١٩٤٩، ٩٣) وكان قد تولى - قبل ذلك - بغداد كما هو معروف.
- ٦٨) هنا اصطلح لوصف وجهه لا لصفته.
- ٦٩) في الأصل: من الله (٧٠) في الأصل: شير
- ٧١) في الأصل: جالساً (٧٢) ويوافق آ ب ١٨٧٩
- ٧٣) في الأصل: استرنا (٧٤) في الأصل: جامع

- ١) لب عبد الحليم نفسه بالحاق، او الحافظي، بحذف اللام الاولى، وعمل ايضاً مدرساً في جامع السراي حتى وفاته سنة ١٩٤٢م. وكان يجوز على اصطرلابات منها ثلاثة من البروتز، عنقولة اليوم في المتحف العراقي.
- ٢) الرحلة، الورقة ١٤
- ٣) في الأصل: السابين (٢) لفروق: اسم للسفطينية (٣) في الأصل لوالها
- ٤) للرافق ٩ نوز ١٧٨٩ (٥) البفوق: الضبي، يريد به الجمل الذي كان يركبه ابنه.
- ٦) جمع فراره، وهي القرية.
- ٧- وصف الأب لتسنس ماري الكرمل الصفلاوية في أثناء رحلة له سنة ١٨٨٦ بوله هي قرية صغيرة، فيها قليل من الحضر تزرع في بساتين صفار بلا اشجار، وضعة اسواق، وهي مبنية على ممر القرات على شكل الازج، وقال في الهامش: في الصفلاوية ٢٤٩ نسمة، و ٤٥٥ داراً، و ٣ عائلات و ٤ قهواي، وهي مديرية الحكم، ليس فيها جامع البتة، وفيها مركز للتعارف، وبعض اهلهما يتنمون في دكاكيتهم (عطوط في مكتبة الدراسات العليا بأداب بغداد، برقم ٢٤٩، الورقة ٨)
- ٨) اي مدير التعارف (٩) في الأصل: حساكر (١٠) في الأصل: عشيرت (١١) (١٢) (١٣) في الأصل: يذخلون، تذخلون
- ١٤) في الأصل: فاحذوا (١٥) في الأصل: يبيها
- ١٦) الرزاة: الحفيفة الوركين، او هي القوس التي يزل السهم لسرعة خروجه، كناية عن سرعتها في الكلام.
- ١٧) امرأة فيها مساهم.
- ١٨) اسم رتبة عسكرية متعاقبة مركبة من يوز: مائة، باشي: رئيس، قائد، مقدم،
- ١٩) في الأصل: فلقوا (٢٠) جزئا: حامية، معنى تركنا
- ٢١) طوبال، تركية، وتنفى: امرح (٢٢) في الأصل: يحق
- ٢٢) حينما مر اللعاني بالرمادي لم يكن قد مضى على اطلاق هذه التسمية غير اربع او خمس سنين، فالرمادي مدينة حديثة سميت بهذا الاسم في عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩ - ١٨٧٢م) وكانت تسمى قبل ذلك قلعة الرماد نسبة الى تل الرماد الذي بنت عليه، وهو تل اري قديم لونه الرماد. فرحان الحديثي: تاريخ الحديثة ٢٦/١
- ٢٣) هو الشيخ طه بن عبد الرزاق الشواف، كان عالماً تقلد قضاء البصرة مدة طويلة، وتولى التدريس في مدارس بغداد، وكان شاعراً ايضاً. توفي في ١٤ صفر سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م وفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير. ابراهيم القروبي: البغداديون، بغداد ١٩٥٨، ٣٩
- ٢٤) في الأصل: قلوا
- ٢٥) نسبة الى حزة، كما سيذكر المؤلف، القبيلة المعروفة
- ٢٦) هو الشيخ عبد الله الفاضل احد شيوخ قبيلة الحسة احدى القبائل العربية الرحل في منطقة الجزيرة وبداية الشام. عرف بشعره الجزل من نوع (العتاب) الذي صوره ملامته الشخصية، من احسانه بالجدى او الجذام، وتبذ قبيلته اياه، ومهم زواجه، ثم نجاته، والحقافه بقبيلته، بعد مكابدات جده. انظر من حياته وشعره

(١١١) هو السيد سلمان بن علي بن سلمان القادري، نقيب اشراف بغداد، ولد سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م ودرس العلوم في المدرسة القادرية ببغداد، وثبوا وظائف قضائية عدة، وفي سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م اختير نقيباً للأشراف ومتولياً للأوقاف القادرية، وتوفي سنة ١٢٣٥هـ/١٨٩٧م. محمد صالح السهروردي: لب الالباب ١ (بغداد ١٩٢٣) ١٢٨ وابراهيم الدروبي: البغداديون ٦

(١١٢) في الأصل: فنوسم (١١٣) في الأصل: فندخلت

(١١٤) في الأصل: قدموا لنا الاططار (١١٥) في الأصل: تناول

(١١٦) في الأصل: يتسوم في (١١٧) في الأصل: لقال

(١١٨) في الأصل: مدرسين

(١١٩) اي وكيل الدرس، وهو الموظف المخصص بالاشراف على شؤون التعليم

الذي وكلة من شيخ الاسلام الذي يرتبط به هذا النوع من التعليم آنذاك.

(١٢٠) في الأصل: مكان (١٢١) البيرة ١٣٠

(١٢٢) في الأصل: سابق صدر اعظم (١٢٣) في الأصل: وما

(١٢٤) في الأصل: اياماً (١٢٥) في الأصل: اخيه

(١٢٦) في الأصل: فتانيت (١٢٧) في الأصل: فقال

(١٢٨) في الأصل: لقد اعتراه

(١٢٩) هنا كلام للمؤلف في وصف شوقه الى السيد سلمان القادري، فاحذناه.

(١٣٠) في الأصل: اجتمعوا على المدرسين (١٣١) في الأصل: ثم

(١٣٢) في الأصل: ثم لما (١٣٣) سر عسكر: قائد الجيش (١٣٤) في الأصل: الرربة

(١٣٥) إشارة الى الآية ٢٦ - ٢٧ من سورة القيامة واداء بلمت التراقي، وليل من وقته

(١٣٦) في آخر المخطوط تعليقه للناسخ احمد شمس الدين الألوسي هي:

وقد كتبت هذه الرحلة على نسخة المؤلف التي املأها وصنفها ذو الفضل الوافي، والادب الموانر الكافي، السيد احمد الفندي اللحاني. كما عليه مسودة الأصل من املاء وحرير واحراب وبناء وتقرير وتسطير، غير انه عليه الرحلة لم يمتون رحلته بملحجه كاشافاً جرياً على عادة تظايرها واشكالها، وذلك اما كان سهواً من وتكسلاً، لوضوفاً ولماحلاً، وان طالما سمعت منه يذكرها تيجعاً بها، والى ما حوته من الطائف مشيراً ومنها، فاحسبت ان اعنوبها بتدليله جرياً على العادة لكونه من ذوي الالباب مرغوبة مستجادة، وذكر اياماً في نقر بعضها، فيها شطب وتعديل.

(٧٥) في الأصل: يوعظ للناس (٧٦) في الأصل: وودعونا

(٧٧) في الأصل: ووركو (٧٨) سورة طه آية ١٨

(٧٩) في الأصل: رحلة (٨٠) في الأصل: عرجوا

(٨١) في الأصل: يتحدثون الناس

(٨٢) هو احمد حمدي بلشا وفي الشام سنة ١٢٩٢ روية/١٨٧٦ وفي سنة ١٢٩٩ روية/١٨٨٠ (ولاء دمشق ٩٣) وكان قد اقام ببغداد سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م حين وجهت اليه وثيقة اركان الميثاق السادس (عباس الحزاري: تاريخ العراق بين احتلالين ٧/٢٢١، ٢٢٢) ويظهر ان تعرف المؤلف عليه كان في أثناء اقامته تلك

(٨٣) في الأصل: فبدأ (٨٤) في الأصل: فتوجهت

(٨٥) في الأصل: اراك

(٨٦) في الأصل: ثلاثين. وفي الحقيقة فانه لم يكن قد مضى على اقامته ببغداد غير ست سنوات على اكثر تقدير.

(٨٧) في الأصل: التجموعة (٨٨) في الأصل: كهلاً

(٨٩) لعله يريد: ورثته الاول (٩٠) في الأصل: مسجي

(٩١) و(٩٢) في الأصل: فخر (٩٣) هود ٤١

(٩٤) في الأصل: ثمانية (٩٥) لعلها: رومس

(٩٦) جزيرة مقابلة خليج اهرويد، ازاء الساحل الغربي للأناتول.

(٩٧) كلها يكتبها المؤلف، والصحيح: جناق قلعة، حصن ضخم شامخ في مدخل الضيق للنسب بسهما، النافذ من البحر المتوسط الى بحر مرمرة، وكان يسمى بالقلعة السلطانية.

(٩٨) في الأصل: حافين

(٩٩) مدينة شهيرة على الساحل الاوربي لمضيق جناق قلعة.

(١٠٠) هو الشيخ محمد ييجان البازجي، من كبار الصوفي في عصره، من آثار شرحه لنصوص ابن عربي. واهتوار الماشقين توفي سنة ٨٥٥هـ.

(١٠١) يريد: خرجنا من السفينة

(١٠٢) في الأصل: في اركانها الاربعة كل واعظ يوعظ

(١٠٣) في الأصل: فتوجهنا (١٠٤) في الأصل: معلمين

(١٠٥) في الأصل: المكتاب

(١٠٦) حلة شهيرة في القسطنطينية، كانت تمتد بومذاك من ضواحيها

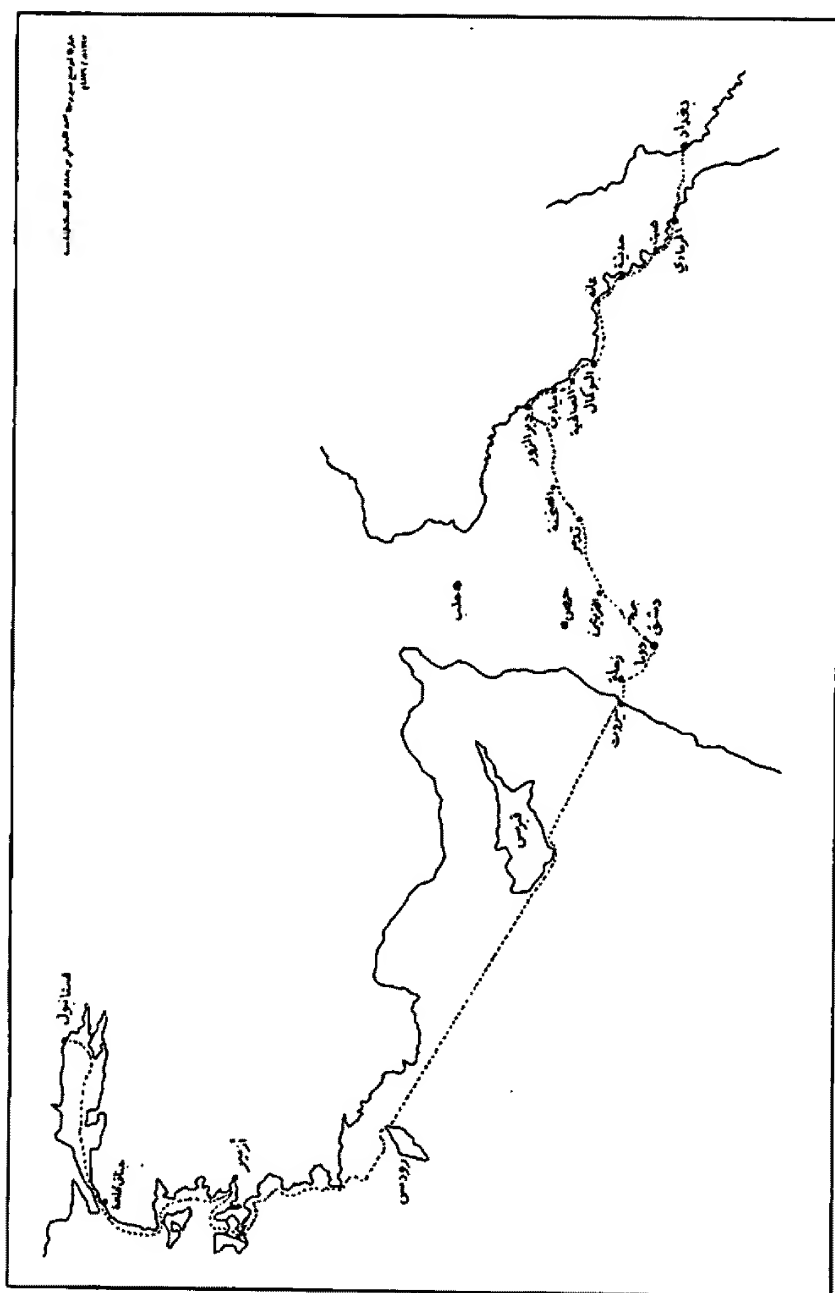
(١٠٧) في الأصل: فحضرنا (١٠٨) في الأصل: بارقد

(١٠٩) في الأصل: شيماء

(١١٠) حلة لي ابوب الاساري التي تقدمت الإشارة اليها

• • •

**الشهداء... معنا في عيد مدينة الفداء وبوابة النصر  
العظيم.**



# «بليوغرافيا» عن الرحلات التي قام بها اصحابها الى العراق

## اعداد

### كوركييس عواد

المجمع العلمي العراقي

ص	صفحة .
ط	طبعة . (ط ٤ = طبعة اولى ، ط ٢ : طبعة ثانية) .
طر	طبع بالرونو .
ظ	انظرو .
ع	عدد
ل	لوح . لوحة .
م	سنة ميلادية .
مط	مطبعة . (المط = المطبعة) .
هـ	سنة هجرية .

والله من وراء القصد .

- الآثار النفسية للرحلة البغدادية عند زهيرين المحبسين : (أبي

العلاء المعري) .

بقلم : يسرى محمد سلامة .

مجلة «الاقلام» ٥ (بغداد ١٩٦٩) جـ ٨ ، ص ٤ - ١٢ .

- ابو العلاء في بغداد .

تأليف : طه الراوي ، ت ١٩٤٦ .

(مط التضيض الاهلية - بغداد ١٩٤٤ ، ٧٢ ص) .

رحلة ابي العلاء المعري الى بغداد .

تهيد :

هذا بحث واسع فسيح الأرجاء ، متشعب الجوانب ، امضينا في تتبع مولده زمناً طويلاً ، وراجعنا في سبيل ذلك ما لا يحصى من مؤلفات عربية قديمة وحديثة ، ويدخل في ذلك : الكتب والمجلات والصحف . وبين الكتب ما كان مخطوطاً او مطبوعاً ، وبينها ما كان مؤلفاً بالعربية ، او منقولاً اليها من لغات اخرى : شرقية او غربية .

رتبنا هذه المواد جيمعاً . وفق السياقة المجانية لعناوينها ، ثم ذكرنا اسم المؤلف : وسنة وفاته ان كان قد توفي ، ونوهنا بعنوان الرحلة ، ومطابق وجودها ان كانت مخطوطة ، ومحل سنة طبعتها ان كانت قد طبعت . وأشرنا الى غير ذلك من البيانات والايضاحات التي تفصح عن امرها .

ورأينا ، التماساً للاختصار ، أن نتخذ في هذا البحث ،

الرموز الآتية :

ت	توفي ، المتوفى سنة
جـ	جزء .
خ	خارطة .
د	دكتور .
دت	تؤن تاريخ (أي أن الكتاب غير مؤرخ) .

- احوال البصرة في اواخر القرن التاسع عشر.

بقلم : د. شرف الدين بن عارف.

ترجمة : حسين علي الداوودي.

(مجلة «الاخاء قارداشلق» ٨ (بغداد ١٩٦٨) ع ٣، ص

١-٣، ع ٤-٥، ص: ١-١).

- احوال بغداد في القرن التاسع عشر.

بقلم : وليم ييري فوك.

ترجمة : غيود الشالجي.

(مجلة «سومر» ١٦ (بغداد ١٩٦٠) ص ١٣ - ٢٤).

- احوال العراق في القرن التاسع عشر.

بقلم : وليم ييري فوك.

ترجمة : غيود الشالجي.

(مجلة «سومر» ١٦ (بغداد ١٩٦٠). مستل من «سومر» ١٦

(١٩٦٠) ج ١-٢).

- الاديرة في رحلة الماضي والحاضر.

استطلاع : جميل روفائيل.

تصوير : محمود علي حسن.

(جريدة «الثورة» . بغداد ١٩٧٨/٥/٣، ص ٦).

رحلة الى : دير مارمقي ، دير مارينهم ، دير مار كوركيس ، دير  
مار اوراهما ، دير السيدة ، دير الزبان هرمزد ، الدير الكهنوتي  
بالدورة.

- اربعون سنة في مهمته : ١٨٥٨ - ١٨٩٨ م.

وهي رحلة الاب مارية يوسف الكرمللي الى العراق ،  
واقلت فيه حتى وفاته سنة ١٨٩٨ ، وقد كان رئيس بعثة الابهاء  
الكرملين في العراق.

تأليف : الاب بطرس الاسباني.

نقلها الى العربية : الاب انتاس ماري الكرمللي ، ت

١٩٤٧ ، وجمعها بتوقيع مستعار له ، وهو «ساتسنا» مقلوب

«انتاس» وقد طبعت هذه الترجمة العربية بعنوان : «ترجمة حياة

الاب ماري يوسف ، رئيس الرسالة الكرملية ببغداد من سنة

١٨٥٨ الى سنة ١٨٩٨.

(المط السريانية - بغداد ١٩٢٨ ، ١١٩ ص).

- ارجوزة في الرحلة

تأليف : نجيب الدين علي بن محمد بن علي العاملي ، وتعرف  
ايضاً بـ «الرحلة المنظومة» . وهي في نحو الفين وخسمائة بيت .  
نظمها حين كان يطوف بلاد اليمن والحجاز وايران والمند  
والعراق . ط : الذريعة الى تصانيف الشيعة : للشيخ اغا بزرك  
(١ : ٤٧٤ ، ١٠ : ١٦٧ الرقم ٣١٣) .

- ارجوزة في الرحلة الى المشهدين : الحائس الشريف  
والكافين ، وذكر ما رآه من عادات بعض مجاوريهما .

تأليف : مهدي بن علي بن محمد الغربي ، ت ١٩٢٤ .

ط : الذريعة (١ : ٤٧٤ ، الرقم ٢٣٦٢) .

الاعلام : للزركلي (٧ ط ٤) ص ٣١٤ .

- اسبوع المعارف في النجف .

(مجلة «الغري» ٤ (النجف ١٩٤٣) ص ٥٢٠ - ٥٣١) .

رحلة وقد التقاة من بغداد الى النجف ، سنة ١٩٤٣ ، وقد  
كان مؤلفا من : ابراهيم سلامة ، محمد محمود خالي ، محمد مبروك  
نافع ، يوسف مجلي ، المستريلر ، المستر هسند ، المستر كيتن ، محمد  
حسن سلمان .

- اسبوعان في العراق .

بقلم : رياض عبد الله حلاق .

(مجلة «الضياء» ٢٩ (حلب ١٩٧٩) ع ٢ ، ص ٤١ - ٤٨) .

- اسبوعان في العراق .

بقلم : محمد قره علي .

(ضمن كتابه : «رايت وسمعت» . مط الكشف - بيروت

١٩٥١ ، ص ٢٥٧ - ٣٠٠) .

أقدم اصداقائي العرب .

تأليف : جون فانيس ، ت ١٩٤٩ .

ترجمة : جليل عمو .

(مط بغداد - بغداد ١٩٤٩ ، د ٣٤٦٦ ص) .

عاش المؤلف مدة طويلة في البصرة . وعنوان كتابه

بالانكليزية :

VAN ESE (JOHN), MEET THE ARAB. (LONDON, 1947)



- الى بغداد.

وهي رحلة الدكتور زكي مبارك الى العراق ، سنة ١٩٣٧ .  
(ظ. كتاب: «تركي مبارك». تأليف: فاضل خلف. ص ٥٨ - ٨٤).  
- الى عاصمة الرشيد.  
وهي رحلة الى بغداد، بقلم الخوري الاسقفي، اغناطيوس سعد،

(مجلة والشهباء ٨ (حلب ١٩٣٣) ص ٢٩٥ - ٣٠٠، ٣٤٤ - ٣٤٨).  
- الى العراق.

(دار العودة - بيروت ١٩٧٧، ١١٦ ص).

مسلسلة: «رحلات الى الوطن العربي».

- الى عكبري وقنطرة خرب (في اواسط العراق).

بقلم: د. مصطفى جواد، ت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

(مجلة ولغة العرب، ٨ (بغداد ١٩٣٠) ص ٣٢١ - ٣٢٤).

(المطبعة العصرية - القاهرة ١٩٣١، ١٠٤ ص).

في رحلة: «دمار تريزا اسمرة المراقية، الى لبنان، في اواسط القرن التاسع عشر

- امين الريحاني في العراق.

تأليف: روفائيل بطني، ت ١٩٥٦.

(مط دار السلام - بغداد ١٩٢٣، ٢٢٨ ص).

- الانبار حين زورها عام ١٩٤١.

بقلم: حسن الامين.

(مجلة والعرفان، ٦١ (١٩٧٣) ص ٨٧٤ - ٨٧٦).

ضمن بحث «الانبار»، المنشور في نفس المجلة، ص ٨٧١ - ٨٧٦.

- احوار العراق: لؤلؤة العراق الساحرة.

بقلم: خافين يونغ.

(مجلة والمختار، كانون الاول ١٩٨٠، ص ٣٦ - ٤٦).

- الاحوار هرس الماء.

تحقيق وتصوير: معد فياض.

(مجلة وكل العرب، ع ١٤٩ (باريس ٣ تموز ١٩٨٥)

ص ١١٠٣).

رحلة الى الاحوار في جنوبي العراق -

- ايام بغداد.

رحلة الى العراق، تأليف: امين سعيد، ت ١٩٦٧.

(مط عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٣٤، ٢٧٤ ص).

- ايام قلبي في العراق.

رحلة، ألفها بالانكليزية: هـ - منت جون قبلي، ت

١٩٦٠.

نقلها الى العربية: جعفر خياط، ت ١٩٧٣.

(مط الكشف - بيروت ١٩٥٠، ٦٥ ص).

- ايام في كردستان العراق.

بقلم: علي هاشم.

(جريدة والنهار البيروتية، يوم ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ تموز

١٩٧٤).

- البصرة قبل تسعمائة سنة، كما شاهدها الرحالة ناصر

خسرو.

بقلم: ميخائيل عواد.

(مجلة وأهل النفط، ٤ (١٩٥٥) ع ١٤٥ ص ١٨ - ٢٠،

٦٥).

- بشة جسي رائد القرات في العقد الرابع من القرن

الماضي.

بقلم: يعقوب مركيس، ت ١٩٥٩.

(مجلة ودار المعلمين العالمية، ٢ (بغداد ١٩٤٥) ع ٤١ ص

٩٢ - ٩٥).

- بغداد: ذكريات ومشاهدات.

تأليف: علي الطنطاوي.

(مط دار الفكر - دمشق ١٩٦٠، ١٦٠ ص).

- بغداد سنة ١٨١٦ كما يصفها الرحالة الانكليزي يكتفهام.

تلخيص وتعليق: ابن العراق (وهو اسم مستعار).

(مجلة وبغداد، ١ (كانون الاول ١٩٦٣) ع ١٨ ص ٨ - ٩،

٣٥).

- بغداد المباشية: رحلة في المكان والزمان.

استطلاع : مصطفى نبيل .

تصوير : عبد الناصر شقرة .

(مجلة «المصري» ، ع ٢٤١ (كانسون الاول ١٩٧٨) ص

٧٢ - ٩٠) .

- بغداد في رحلات الاجانب في العهد العثماني .

بقلم : د. علاء موسى كاظم نورس .

(مجلة «المورد» ٥ (بغداد ١٩٧٦) ع ١٣ ص ١٣ - ٢٤) .

- بغداد في رحلة أين بطوطة .

بقلم : حبيب الراوي .

(مجلة «الكتاب» (التي اصدرتها جمعية المؤلفين والكتاب

العراقيين) ٢ (بغداد ١٩٦٣) ع ١١ ص ٨٣ - ٨٧) .

- بغداد في رحلة نيور .

ترجمة : د. مصطفى جواد ، ت ١٩٦٩ .

(مجلة «سومر» ٢٠ (١٩٦٤) ص ٤٩ - ٦٨) .

- بغداد في سنة ١٥٧٣م ، كما وصفها الرحالة الهولندي

الدكتور ليونهارت راوولف .

ترجمة وتعليق : سليم طه التكريتي .

(مجلة «المورد» ٥ (بغداد ١٩٧٦) ع ١٢ ص ٧٤ - ٨٢) .

- بغداد في سنة ١٨٥٣م .

للرحالة الانكليزي : جيمس فليكس جونز .

ترجمة : عبد الوهاب الامين .

(مجلة «المورد» ٣ (١٩٧٤) ع ١٤ ص ٣١ - ٤٦ ع ٢ ، ص

٦٧ - ٨٠) .

- بغداد في القرن السابع عشر كما وصفها الرحالة الفرنسي

فالرنيه .

نقلها الى العربية : بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد .

(مجلة «الرابطة» ١ (بغداد ١٩٤٤) ع ١٢ ص ٤١ - ٤٢) .

- بغداد في كتابات الرحالة الاجانب .

(جريدة «العراق» ، بغداد ١٩٨٣/٥/٧ ص ٧) .

- بغداد في كتب البلدانين والرحالة العرب .

جمع وتحقيق : كوركيس عواد .

(مخطوط ، مُعد للنشر) .

- بغداد كما شاهدها الرحالة العرب .

بقلم : يعقوب افرام منصور .

(جريدة «الثورة» ، بغداد ١٩٨٦/٨/٢٨ ص ٤٧) . وهي

الحلقة الثالثة من سلسلة : «بغداد بين الماضي والحاضر» التي

تصدرها اشراف : حميد المطبي .

- بغداد كما وصفها الرحالة الانكليزي ويستلد سنة ١٨٤٠ .

بقلم : د. عماد عبد السلام رؤوف .

(مجلة «صوت الاسلام» ، ٢ (بغداد ١٩٦٦) ع ١٦٢ ص

٨ - ١٠) .

- بغداد كما وصفها السَّواح الاجانب في القرون الخمسة

الاخيرة .

نقلها من الالمانية الى العربية : سعاد هادي العمري ، ت

١٩٧٢ .

(مط دار المعرفة - بغداد ١٩٥٤ ، ١٩٢٢ ص) .

- بغداد كما يصفها الرحالة الانكليزي الشهير بكنفهام .

بقلم : ابن العراق (وهو توقيع مستعار) .

(مجلة «بغداد» ١ (بغداد ١٩٦٣) ع ١٧ ص ٤ - ٧) .

- بغداد : مدينة الاقواس .

تحقيق : شربل داغر .

تصوير : حميد العراقي .

(مجلة «كل العرب» ، ع ١٠٥ (باريس : ٢٩ آب ١٩٨٤) ص

٣ - ٩) .

- بغداد : مشاهدات وذكريات .

تأليف : علي الطنطاوي .

(دمشق ١٩٦٠ ، ١٦٠ ص) .

- بلوغ غاية الاشواق في ذكر السفر الى ارض العراق .

تأليف : القاسم بن الحسين العزّي .

منه نسخة خطية في صناعه باليمن . راجع :

١ - فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء :

لمحمد سعيد المليح ، واحمد محمد عيسوي . (الاسكندرية

١٩٧٨ ص ٦٢٩ ، الرقم ٥١) (جغرافيا) ، الورقة

١٦٥ - ١٨١) .

- ٢ - حميد مجيد هزّو، في فهرسه: «مخطوطات عربية من صنعاء» الرقم ٨٧٥٢.
- ٣ - عبد الله محمد الحبشي، في كتابه: «مراجع تاريخ اليمن» دمشق ١٩٧٤ ص ٦٣. قال إنَّ منها نسخة مخطوطة ضمن مجموع برقم ٩٦ في المكتبة التركلية بصنعاء.
- تيريفي: القرية والهدوء والمناظر الخلابة.
- بقلم: جلالك.
- (جريدة «العراق». بغداد ٢٩/٦/١٩٧٨، الصفحة الأخيرة). جولة في هذه القرية الجميلة القريبة من بلدة زاخو في شمالي العراق.
- بين آثار البصرة القديمة وإطلالها.
- بقلم: امين سعيد، ت ١٩٦٧.
- (مجلة «الرابطة العربية» ١ (الضاهرة ١٩٤٦) ص ١٠٠٠ - ١٠٠٢، ١١١٢ - ١١١٣ و ١١١٨).
- بين بغداد وطوس.
- تأليف: احمد حامد الصراف، ت ١٩٨٥.
- (رحلة مخطوطة. ذكرها في آخر الطبعة الثالثة من كتابه «عمر الحجام»)
- بين الخورنق والسليبر.
- بقلم: محمد علي الحقوقي، ت ١٩٦٥.
- («ديوان اليمقوي» ١ (مط النعمان - النجف ١٩٥٧) ص ٩٦ - ٩٧). قصيدة غائية، قالها حين اجتاز باطلال الخورنق الواقعة بين النجف والحيرة ونشرت في جريدة «النجف» سنة ١٣٤٣هـ.
- بين دجلة والفرات.
- قصيدة ثائية، نُشرت بتوقيع مستعار، وهو «ابن العراق».
- (مجلة «المقتطف» ٣٣ (١٩٠٨ ص ٢٥ - ٢٧).
- بين دجلة والفرات وعلى ضفاف الحلابور.
- بقلم: الاب يوخنا دُولباني، ت ١٩٦٩.
- (مجلة «الحكمة» ٥ (القدس ١٩٢٨) ص ٤٨٥ - ٤٨٨).
- بين الشام والعراق.
- بقلم: علي ناصر الدين.
- (ضمن كتابه: «هكذا كنّا نكتب» ١ (بيروت ١٩٥٢) ص

- ٢١٤ - ٢٤٤).
- بين الشام والعراق.
- (مجلة «المقتبس» ٩ (١٩١٤) ص ٥٣).
- بين ضفاف دجلة وحنادل النيل.
- تأليف: ابراهيم الواعظ، ت ١٩٥٨.
- رحلة، ذكرها في مجلة مؤلفاته المخطوطة، في غلاف كتابه: «أسبوعيات».
- بين الهرين: دجلة والقرات.
- وهي رحلة في العراق، تأليف: محمد علي الحوماني، ت ١٩٦٤. افترضها في رسائل، بحث بها الى عبد الله العلالي.
- (مط الكشاف: بيروت ١٩٤٦، ٣٨٥ ص).
- تأليف الرحالة (من رأي العراق).
- للدكتور احمد سوسة، ت ١٩٨٢.
- (ضمن كتابه: «المصادر عن رأي العراق». مط الحكومة - بغداد ١٩٤٤ ص ٨٧ - ١٣١).
- تأثير الاسفار على التراث الشعبي في الموصل.
- بقلم: عبد الغني الملاح.
- (مجلة «التراث الشعبي» ع ١ (١٩٧٦) ص ١٠٥ - ١١٠).
- تاريخ حَمّام علي، او ثلاث ليلٍ فيها.
- تأليف: اسماعيل فرج، ت ١٩٤٨.
- (مجلة «الجزيرة» ٣ (الموصل ١ شباط ١٩٤٩) ع ٣٤ ص ٤).
- تجوّل بطريق السريان الارثوذكس: اغناطيوس الياس الثالث في قُرى الموصل.
- (مجلة «الحكمة» ٢ (القدس ١٩٢٨) ص ٣٨٩ - ٣٩٢).
- تحت اقدام شيرو ملكنا: نص سرياني في رضى مار ميخا.
- بقلم: بنيامين حدّاد.
- (مجلة «وقالا سُرِيّايا» (الصوت السرياني) ٤ (بغداد: آذار-حزيران ١٩٧٧) ع ١٣ - ١٤؛ ص ١٠٥ - ١١٤) رحلة الى الموقع الاثري المعروف بـ «شيرو ملكنا» الكائن في غربي بلدة القوش، من اعمال الموصل بالعراق.
- تحقيقات بلدانية - تاريخية - اثرية في شرق الموصل.

بقلم : كوركيس هواد.

(مجلة «سومر» ١٧ (بغداد ١٩٦١) ص ٤٣ - ٩٩). ثم الفرد في كتاب. (مط الرابطة - بغداد ١٩٦١، ٥٧ ص).

- تسعة ايام في بغداد.

بقلم : د. زكي مبارك، ت ١٩٥٢.

(ضمن كتابه: «الاسمار والاحاديث». القاهرة ١٩٣٩ ص ٢٠٢ - ٢٦٧).

- تطواف في جوار بغداد والمدائن.

بقلم : فرنسيس جبران، وهي رحلته سنة ١٩١١.

(مجلة «لغة العرب» ٣ (بغداد ١٩١٣) ص ١٣٦ - ١٤١).

- تعاملوا معي الى البصرة.

بقلم : علي البصري.

مقالات في رحلته الى البصرة، نشرها في جريدة «الحوادث» البغدادية.

- تعليق على ترجمة رحلة جس بكتفهام الى المراق عام ١٨١٦.

بقلم : عبد الله امين اغا.

(مجلة «بين النهرين» ١ (الموصل ١٩٧٣) ص ٣٦٩ - ٣٧٤).

- تقرير على الرحلة الحسينية التي وضعها محمد حسين بن حمد الحلي.

تأليف : محمد مهدي البحراني النجفي، ت ١٩٢٥.

لم يطبع، ذكره علي الحاقاني، في كتابه «شعراء الغري» (١٠ النجف ١٩٥٦) ص ١٣٣).

- الشعر الباسم.

قصيدة رائية، نظمها علي الشرقي، ت ١٩٦٤، حين زار البصرة سنة ١٩٣٣.

(ضمن ديوانه : عواطف وعواصف. مط المعارف - بغداد ١٩٥٣ ص ١٣٥ - ١٣٦).

- ثلاث ساهات في الاخضر.

بقلم : عبد الرزاق الحسني.

(مجلة «المروشد» ٤ (بغداد ١٩٢٩) ص ٤٤٧ - ٤٥١).

- ثلاثة احوام في بغداد (١٩٢٠ - ١٩٢١ - ١٩٢٢).

بقلم : سليمان فيضي، ت ١٩٥١.

(ضمن كتابه : «في غمرة النضال». بغداد ١٩٥٢ ص ٢٣١ - ٢٧٣).

- ثلاثة ايام في حَمَّام الليل.

تأليف : اسماعيل فَرَج، ت ١٩٤٨.

(رحلة ، لم تطبع).

- الجناح في البصرة وبغداد وسامراء.

ألفه بالفرنسية، المستشرق شارل بِلَات CH. PELLAT نقله الى العربية: د. ابراهيم الكيلاني.

(مط فني العرب - دمشق ١٩٦١، ح ٤٧٠+ ص).

- جامع الخضير ... والرحالة.

بقلم : هاني حمدي احمد

(مجلة «الجامعة»، تصدرها جامعة الموصل ٣ (الموصل ١ حزيران ١٩٧٣) ع ١٧ ص ٣٢ - ٣٩).

يتناول بالبحث ، «جامع الخضير» في الموصل، واقوال الرحالين فيه.

- جولات تاريخية بين مَواطِن الآثار في شمالي العراق.

تأليف : طه باقر، ت ١٩٨٤.

(بغداد ١٩٧٦، ٢٥ ص).

مستل من مجلة المجمع العلمي الكردي.

- جولة استطلاعية في مَواطِن الآثار في الالوية الشمالية.

للدكتور ناجي الاصيل ، ت ١٩٦٣.

(«سومر» ٥ (بغداد ١٩٤٩) ص ٣٠٦ - ٣٢١).

- جولة داخل المصايف (العراقية) الجميلة.

تحقيق : هالة البدري.

نصير : عبد الله حُسون.

الصور الملونة : حلليم الخطاط.

(مجلة «الف باء» ١٠ (٣ آب ١٩٧٧) ع ١٤٦٣ ص ١٨ - ١٩).

- جولة في الالوية : البصرة.

تأليف : ضاري ابراهيم.

(مط الصباح - بغداد ١٩٤٩، ١٤٠ ص).

- مجلة «البيان» ٢ (النجف ١٩٤٧) ص ٦٨٥ - ٦٨٨ .  
 - جولتي في الالوية (العراقية) البصرة .  
 تأليف : ضاري ابراهيم .  
 ( مط الصباح - بغداد ١٩٤٩ ؛ ١٤٠ ص ) .  
 - جولتي في الالوية (العراقية) : العمارة .  
 تأليف : ضاري ابراهيم .  
 ( ط ١ : مط شط العرب - البصرة ، دت ؛ ٤٨ ص .  
 ط ٤ : مط اللواء - بغداد ١٩٥٠ ؛ ١١٠ ص ) .  
 - الحاج وكان : حرب الاهوار .  
 تأليف : «فلائين» . وهو اسم مستعار لمؤلفي هذا الكتاب ،  
 ومما : المستر هجكوك وزوجته - MR. AND MRS. S. E. HEDGE  
 COCK وقد توفي المستر هجكوك سنة ١٩٦٦ .  
 نقله من الانكليزية الى العربية : د . جميل سميد ، د . ابراهيم  
 شريف . ( مط العاني - بغداد ١٩٦٦ ؛ ٢١٩ ص ) .  
 رحلة المؤلفين الى منطقة الاهوار في جنوبي العراق ، وقد وصفا  
 فيها احوالها الاجتماعية .  
 - حلاوة الفراق في العراق .  
 تأليف : عبد الحميد اللاذقي .  
 ( مط صادر - ريماني : بيروت ١٩٤٤ ؛ ٨٤ ص ) .  
 - الحيلة في العراق منذ قرن ( ١٨١٤ - ١٩١٤ ) .  
 تأليف : بيردي فوسيل .  
 ترجمة : د . اكرم فاضل .  
 ( بغداد ١٩٦٨ ؛ ١٨٤ ص ) .  
 - خاطرات مسافر .  
 تأليف : ياسر ابو الغريبان .  
 ( بغداد ١٩٥٠ ؛ ٥٨ ص ) .  
 - خلاصة سفر المستر انتوان نوريس كروفس ، ووصوله الى  
 بغداد وإقامته فيها .  
 لم تطبع . منها نسخة خطية في ٨٦ ص ، في مكتبة الدراسات  
 العليا بجامعة بغداد ، منقولة بالآلة الكاتبة ، لم يذكر فيها اسم

- مجلة في انحاء القائم .  
 بقلم : صبري شكري .  
 ( مجلة «سومر» ٦ (بغداد ١٩٥٠) ص ٢٤٤ - ٢٤٨ ) .  
 القائم : بلد عراقي في اعالي الفرات ، قرب الحدود العراقية  
 السورية .  
 - جولة في الاهوار .  
 تأليف ، محمد حسين فوزي ، و ابراهيم جاسم القرمل .  
 ( مط اسعد - بغداد ١٩٦٨ ؛ ٤٨ ص ) .  
 - جولة في ديار التركمان في العراق .  
 تأليف : احمد خليل رشيدية لي .  
 غمطوط ، ذكره المؤلف في مجلة «الانحاء» - قار داشلق ، ( ٨  
 بغداد ١٩٦٨ ) ج ١ - ١٢ ص ٦٧ . وانظر هذه المجلة ايضاً  
 ( ١٠ ( ١٩٧٠ ) ع ٧ - ٨ ص ٣ ) .  
 - جولة في رُبُوع الشرق الادنى : بين مصر و افغانستان .  
 تأليف : محمد ثابت ، ت ١٩٥٨ .  
 ( ط ١ : مط سعد - القاهرة ١٩٣٤ ؛ ١٩٤ ص .  
 ط ٢ : مط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٢ ؛  
 ٢٨٤ ص . العراق - الافغان - الاناضول - الشام .  
 - جولة في ربوع عراق التراث و عراق المعصر .  
 تأليف : ابراهيم مهدي الشبلي .  
 ( بغداد ١٩٧٩ ؛ ٨٨ ص ) .  
 - جولة في الفرات الاوسط .  
 بقلم : ع . ح . ( = عبد الرزاق الحسيني ) .  
 ( جريدة «الفضيلة» . الاعداد ٧ و ٨ و ٩ الصادرة في بغداد ،  
 يوم ١١ و ١٨ و ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٥ ) .  
 - جولة كنائس الموصل القديمة .  
 بقلم : ماهر حربي .  
 ( مجلة «الفكر المسيحي» ٢٢ ( شباط ١٩٨٦ ) ع ٢١٢ ص  
 ٧٤ - ٧٩ ) .  
 - جولة في لواء العمارة .  
 بقلم : علي الحاقاني ، ت ١٩٧٩ .

المترجم ، وقيل لي انه الاستاذ عبود الشالجي .

- خمسة عشر يوماً في البصرة .

بقلم : علي الحفاني ، ت ١٩٧٩ .

(مجلة «البيان» ١ (النصف ١٩٤٧) ص ٦٣٢) .

- ٢٥ يوماً في الاهوار .

بقلم : عبد القادر اسماعيل .

نشرها بين سنة ١٩٣٣ و ١٩٣٦ في جريدة «الاهالي» لصاحبها

كامل الجادرجي ، ثم جمعها في كتاب طبع في بغداد .

- ٥٠ صحفياً ومصوراً وباحثاً في ضيافة اهل الكهف .

استطلاع : إنعام كجه جي .

تصوير : محمود علي حسن .

(جريدة «الثورة» . بغداد ٢٥ شباط ١٩٧٦) .

هذا الكهف ، يُسمى «كهف كونه با» . ويقع بالقرب من سد

دريندي خان . فيه بحيرة خلابة ، وصخور متكلسة رائعة

الجمال .

- خواطر في النجف والكوفة وكربلاء .

تأليف : عباس المزاري ، ت ١٩٧١ .

(خطوط ، في المتحف العراقي ، برقم ٣٣٣٥٥) .

- دار السلام في حياة ابي العلاء المبري .

للدكتورة عائشة عبد الرحمن ( = بنت الشاطئ ) .

(بغداد ١٩٦٤) .

- النشئة .

تأليف : عبد الرحمن بن محمد العيدروس ، ت ١٧٠١ م .

وهو كتّاش في مجلد ضخم ، دون فيه رحلته الى الحجاز والعراق

وغيرهما ، وفتوناً مختلفة من الادب والتاريخ . انظر : الاعلام

خير الدين الزركلي (٣) (ط ٤) ص ٣٣٢) .

- دير مار بيهام لدى الرحالة .

بقلم : د . عماد عبد السلام رؤوف .

بحث الفتي في الاحتفال عام ١٩٨٥ ، بمناسبة مرور ١٦ قرناً على

تأسيس هذا الدير الاثري ، القائم في شرق الموصل .

- ذكريات من زيارتي الى اهوار العراق : رحلة فوق رؤوف

من قصب وسط طبيعة هجر نهر الفرات

بقلم : حسن الامين .

(مجلة «السياحة» ٤ (بيروت ١٩٦٧ - ١٩٦٨) ع ٤٧ - ٤٨

ص ١٦ - ١٨) .

- ذكريات من العراق .

تأليف : عبد اللطيف يونس .

- ذكريات من وادي الفرات عام ١٩١٦ .

تأليف : احمد وصفي زكريا ، ت ١٩٦٤ .

حققها ونشرها : عبد القادر غيّاش ، ت ١٩٧٤ .

(دير الزور : سورية ١٩٦٨ ٥٦ ص) .

- ذكرياتي في سوق الشيوخ .

تأليف : مصطفى الفاتري آل طعمة .

(خطوط) .

- الرحالة ابن جبير في العراق .

بقلم : عبد اللطيف نوري .

(مجلة «البيان» ٢ (النصف ١٩٤٨) ص ١٢٠٤ - ١٢٠٥) .

- رحالة حرب والفرنج زاروا وادي الفرات .

تأليف : عبد القادر غيّاش ، ت ١٩٧٤ .

(طبع في دير الزور ، دت . ط : الاعلام للزركلي ٤ (ط ٤) ص

٤٢) .

- الرحالة الفرنسي اوليفيه (G. A. OLIVIER) يصف بغداد

عام ١٧٩١ م .

ترجمة وتقديم : د . يوسف حبي .

(مجلة «المورد» ١١ (بغداد ١٩٨٢) ع ١٤ ص ١٧ - ٢٦) .

- الرحالة المؤلفة : المس بل .

بقلم : يوسف رزق الله غنيمه ، ت ١٩٥٠ .

(مجلة «لغة العرب» ٤ (بغداد ١٩٢٦) ص ١٣٣ - ١٣٦) .

يكتب اسم هذه الرحالة الانكليزية ، بصورة :

GERTRUDE MARGRRET LOWTHIAN BELL. (1888 -

1928) .

- الرحالة النرويجي (هيردال) ومقبيته دجلة .

(مجلة «الخليج العربي» . يصدرها ومركز دراسات الخليج

المصري: جامعة البصرة. ع ٩ (آذار ١٩٧٨) ص ١٣٩ - ١٤١.

نُشر هذا التحقيق أولاً في مجلة «الف باء» الأسبوعية.

- الرحالة النرويجي هيردال يستعد للابحار من القرنة.

(جريدة «العراق». بغداد ١١/٧/١٩٧٧ ص ٨).

(القرنة: بلدة تقع عند اقتران نهر دجلة والفرات في جنوبي العراق.

- رحالة هولندي في العراق.

بقلم: مير بصري.

(مجلة «الاقلام» ٦ (بغداد: آذار ١٩٧٠) ج ١٦ ص ٩٢-٩٥).

هذا الرحالة هو: تنكو مارتيوس ليكلاما انيهولت، وقد زار العراق في اواسط القرن التاسع عشر، ويكتب اسمه بالفرنسية: JONKHEER TINCO MARTINUS LYCKLAMA ANJHOLT.

- الرحالون في العراق.

بقلم: الأب استاس ماري الكرمل، ت ١٩٤٧، وقد نُشرت عُقلاً من اسمه. (مجلة «دار السلام» ٣ (بغداد ١٩٢٠) ع ١٢٣ ص ٣٥٨-٣٦٠).

- رحلات .

تأليف: عبد الوهاب عزام، ت ١٩٥٩.

(١- ١٢ مط الرسالة - القاهرة ١٩٣٩ - ١٩٥١ + ٨ + ٣٦٨، ٤٢٤ ص).

وصف فيها رحلاته الى البلاد العربية والاسلامية، الحجاز، العراق، الشام، تركيا، وقد بدأها عام ١٩٢٩.

- رحلات احمد الصافي.

بقلم: سلمان هادي الطعمة.

(ضمن كتاب: «احمد الصافي: شاعر العصر» مط العاني -

بغداد ١٩٨٥ ص ١١٦ - ١٣٠).

توفي احمد الصافي النجفي، عام ١٩٧٧.

- رحلات الى سوريا والعراق.

بقلم: عزيز المصري، ت ١٩٦٥.

نشرها في «السياسة الأسبوعية» من صحف القاهرة. ط: انور الجندي: «اضواء على الادب العربي المعاصر». (القاهرة ١٩٦٩ ص ٧٨).

- رحلات الى العراق.

بقلم: امين سعيد، ت ١٩٦٧.

(جريدة «البلاغ». القاهرة: نوفمبر ١٩٣٣). ط: انور الجندي: «اضواء على الادب العربي المعاصر». (ص ٧٨).

- رحلات الى العراق.

تأليف: سروليس بذج، ت ١٩٣٤.

نقلها الى العربية وقدم لها وعلّق عليها: فؤاد جيل، ت ١٩٧١.

(ج ١: مط الزمان - بغداد ١٩٦٦ + ٣٨٤ ص. ج ٢: مط شفيق - بغداد ١٩٦٨ + ٣٢٨).

اصل الكتاب بالانكليزية، وعنوانه.

BUDGE (E.A. WALLIS), BY NILE AND TIERIS: A NARRATIVE OF JOURNEYS IN EGYPT AND MESOPO — TAMIA ON BEHALF OF THE BRITISH MUSEUM BETWEEN THE YEARS 1888 AND 1913. (2 VOLS., LONDON, 1920)

وما نقله المترجم، يخص رحلات بذج في العراق.

وراجع ما كتبه الشيخ جلال الحنفي، بشأن الترجمة العربية، في مجلة «الاديب» (٢٩ (بيروت ١٩٧٠) ج ١٥ ص ٤٢ - ٤٤).

- رحلات البارون اوبنيم الامساني في سورية وحلب والعراق.

بقلم: عيسى إسكندر المملوك، ت ١٩٥٦.

(مجلة «الآثار» ٣ (زحلة ١٩١٣ - ١٩١٤) ص ١٩ - ٢١، ١١٩ - ١٢٢، ٢٢٤ - ٢٢٥، ٣٠٩ - ٣١٢).

- الرحلات الداخلية في عهد الاتراك من بغداد الى الجبال الشرقية بطريق الكوت ومنها الى جهات بدره وجصان ثم الى وادي باكسايا والمودة بالطريق نفسه الى مدينة الناصرية بالمتفق ومنها الى ميدان حرب الشّمية.

تأليف: الشيخ محمد رضا الشبيبي، ت ١٩٦٥.

(لم تطبع).

- رحلات سبستاني الى العراق في القرن السابع عشر.

نقلها من الايطالية الى العربية : الاب الدكتور بطرس خداد.

( مجلة والموردة ٩ (بغداد ١٩٨٠) ع ٣، ص ١٦٧ - ٢١٢).

عنوان الاصل الايطالي :

SPEDITIONI ALL' INDAIE ORIENTALI DI MONSIGNOR  
SEBASTIANI. (2 VOLS., ROMA, 1666 — 1672).

- رحلات السيد محسن الامين.

تأليف : السيد محسن الامين العاملي، ت ١٩٥٢.

(نشرت في : دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت،

د ٢٨٠ ص).

تتضمن على : رحلتين الى الحجاز، ورحلة الى العراق،

ورحلة الى ايران،

- رحلات الشمال الى كركوك ومنها الى الزاب الكبير

ومنايله.

تأليف الشيخ محمد رضا الشبيبي، ت ١٩٦٥.

(لم تطبع).

- رحلات في انحاء الموصل.

تأليف : كوركيس عواد.

وهي سبع رحلات قصيرة، قام بها سنة ١٩٣٠ - ١٩٣٤ م ولم

تطبع.

- رحلات في ربوع كردستان.

بقلم : احمد مرزوق.

القسم الثاني : رحلة السليمانية.

(جريدة والتأخي، بغداد ١٤/٤/١٩٧١؛ ص ٣ و ٦).

- رحلات في الوطن العربي : الى العراق.

(دار العودة - بيروت ١٩٧٧، ١١٧ ص).

- رحلاتي الى البلاد العربية : العراق - الكويت - البحرين -

الاردن.

تأليف : فريد مخلوف.

( دار الروائع - بيروت ١٩٥٩، ٢١٨ ص).

- رحلة الاب فنشيو الى العراق (القرن السابع عشر).

تأليف : الاب فنشيو مارية دي سانتا كاترينا دي سينا.

نقلها من الايطالية الى العربية : الاب الدكتور بطرس خداد.

(مجلة مجمع اللغة السريانية ١ (بغداد ١٩٧٥) ص

١٧٩ - ٢٠٣). ثم افردت في رسالة. ونشرت بقية هذه الرحلة

في مجلة والموردة (٥ ع ٣ : بغداد ١٩٧٦) ص ٧١ - ٨٩.

- رحلة الاب لويس شيخو من بيروت الى الهند : نقد ما ورد

ليها عن بغداد.

بقلم : الاب انتانس ماري الكرمل، ت ١٩٤٧.

(مجلة ولغة العرب، ٢ (بغداد ١٩١٣) ص ٥٧٢ - ٥٧٦).

- رحلة ابن يحيى العراقي الكردي.

تأليف : محمد طه بن يحيى بن سليمان بن محمد العراقي

الكردي، من اهل القرن ١٢ هـ = القرن ١٨ م.

طُوف في مدن الاكراد العراقية، والشام، ومصر.

(مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٤٨٠ جغرافيا).

- رحلة ابي طالب خان الى العراق واوردته سنة ١٢١٣ هـ =

١٧٩٩ م.

نقلها من الفرنسية الى العربية : د. مصطفى جواد، ت

١٩٦٩. (مط الايمان - بغداد ١٩٦٩، ٤٣٢ ص).

- رحلة ابي الطيب المنتهي من مصر الى الكوفة.

بقلم : احمد رمزي.

(مجلة الرسالة والرواية، ١٩ (القاهرة ١٩٥١) ص ١٢٢١ -

١٢٢٤، ١٢٧٨ - ١٢٧٩).

- رحلة ابي العلاء المعري الى بغداد.

بقلم : عبد العزيز الميمني الراجكوتي : ت ١٩٧٨.

(ضمن كتابه واي العلاء وما اليه. المط السلفية - القاهرة

١٣٤٤ هـ ١ ص ١٠٢ - ١٧٢).

- الرحلة الاخيرة التي حصلت لمؤلفها عبد الرحمن بن ابراهيم

المصري، وهي رحلة الشتاء والصيف، مُدبرج من بغداد الى ان

عاد اليها سنة ١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ.

(مط الاداب - بغداد ١٣٢٩ هـ ٦٠ ص).



- رحلة الى آثار دير المعلق (في شمال مدينة بئله المتروسة ،  
المسما اليوم «اسكي موصل»).

بقلم : الطران غريغوريوس بولس بهنام ، ت ١٩٦٩ .  
(مجلة «لسان المشرق» ٣ (الموصل ١٩٥١) ص  
٢١٤ - ٢٢٠). جرت هذه الرحلة في ١٣ نيسان ١٩٥١ .

- رحلة الى البصرة وجوارها .  
(مجلة «المقتبس» ٨ (دمشق ١٩١٣) ص ٤٤٣).

- رحلة الى بغداد .  
بقلم : الطران غريغوريوس بولس بهنام ، وقد نشرت غفلاً  
من اسمه .  
(مجلة «المشرق» ١ (الموصل ١٩٤٧) ص ٧٩٩ - ٨٠١).

- الرحلة الى بغداد سنة ١٩٣٤ م .  
تأليف : ج بيلي فريزر  
نقلها الى العربية : جعفر خياط ، ت ١٩٧٣ .  
(اعدها للنشر في مناسبة احتفالات بغداد والكتدي سنة  
١٩٦٢).

- رحلة الى بغداد سنة ١٣٦٠ هـ - ١٩٤٠ م .  
بقلم : مصطفى الشهابي ، ت ١٩٦٨ .  
(«الشنوات» . بيروت ١٩٦٦ ص ٢٨٧ - ٣١٨).

- رحلة الى بلاد الرافدين .  
تأليف : محمد بن علي الاكوع الحوالي .  
(ورد ذكرها في نشرة «اخبار التراث العربي» ع ٩٧ الصادر  
في ١١/١٩٧٦ ص ٢).

- رحلة الى بلاد الهند ، ابتداءً من الموصل ببغداد الى البصرة سنة  
١٨٦٣ والعودة اليها سنة ١٨٦٥ .  
تأليف : المطران قورلس بولس دانيال ، ت ١٩١٦ .  
منها نسخة ، بخط المؤلف ، لدى الاستاذ سهيل قاشا في  
الموصل ، ضمن مجموع لمؤلف الرحلة (ص ٢٤ - ٦٤) . ولم  
تُطبع .  
وقد توه فيليب طرازي هذه الرحلة ، في كتابه : «واصدق ما  
كان من تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان» (٢) (بيروت  
١٩٤٨) ص ٣٥١ .

- رحلة الى جبال الحكارية سنة ١٨٨٥ .  
تأليف : الاب شموئيل جميل ، ت ١٩١٧ .  
ذكرها الطران سليمان الصائغ ، في «تاريخ الموصل» (٢) :  
(٢٧٧)

- رحلة الى الحيرة .  
تأليف مهدي بن علي البحراني ، ت ١٨٢٧ .  
ظ : الذريعة ١٠ : ١٦٩ ، الرقم ٣٣٠ .

- رحلة الى رجال شُجعمان في كردستان .  
تأليف : دانا آدمز شمدت .  
تقديم ويليام و. دوغلاس .  
نقلها الى العربية وعلق عليها : جرجيس فتح الله .  
(دار الطليعة - بيروت ١٩٧٢ ؛ ٤٦٤ ص).

- الرحلة السهلة .  
ارجوزة ، نظمها : محمد سعيد بن محمود الحكيم النجفي ،  
المعاصر ، في نحو ١٨٠ بيتاً . (ظ : الذريعة ١٠ : ١٦٧ - ١٦٨ ،  
الرقم ٣١٦) قلنا : السهلة ، مسجد بالكوفة . انظر : معجم  
البلدان لياقوت الحموي ، مادة «السهلة» .

- رحلة الى شغاثا وقصر الاخير واحد بن هاشم .  
للاب انتناس ماري الكرمل ، ت ١٩٤٧ .  
(مجلة «لغة العرب» ٣ (بغداد ١٩١٣) ص ٢٥ - ٣٩).

- رحلة الى هيرتا .  
بقلم : محمد جاسم البهرزي .  
(مجلة «صوت الاسلام» ٤ (بغداد ١٩٦٨) ع ٢٧ - ٢٨ : ١٥  
شباط ١٩٦٨ ، ص ٢٦ - ٢٧ ع ٢٩ - ٣٠ : ٢٩ شباط  
١٩٦٨ ، ص ١٨ - ١٩ ع ٣١ - ٣٢ : ٢٨ آذار ١٩٦٨ ، ص  
٢٦ ع ٣٣ - ٣٤ : ١٥ نيسان ١٩٦٨ ، ص ٢٦ - ٢٧ ع  
٣٥ - ٣٦ : ٢ أيار ١٩٦٨ ، ص ٢١ - ٢٢).

جاء في معجم البلدان (٣) (ليسك ١٨٦٨) ص (٦٠٤) :  
«عَبْرَتَا : قرية كبيرة من اعمال بغداد ، من نواحي النهران ،  
بين بغداد وواسطه» .

- رحلة الى العتبات المقدسة .  
بقلم : د. صلاح الدين المتجد .

٢٢٧

(مجلة «البلاغ» ١ (بغداد ١٩٦٦) ع ١٢ ص ٧٧ - ٨٥)

- رحلة الى العراق .

بقلم : احمد امين ت ١٩٥٤ .

(ضمن كتابه : «حياتي» . ط ٢ : دار الكتاب العربي - بيروت

١٩٧١ ص ٢٢٧ - ٢٣٢).

- رحلة الى العراق .

تأليف السيّد : ذبّولافوا .

ترجمة : علي البصري .

فدّم له : د. مصطفى جواد .

(مط اسعد - بغداد ١٩٥٨ ، ١٨٦ ص).

- رحلة الى العراق (سنة ١٩٤٤).

تأليف : مصطفى الشهابي ، ت ١٩٦٨ .

(رسالة طُبعت في دمشق سنة ١٩٤١ ، كملحق للجزء الثالث

من المجلد الثاني لمجلة «دمشق» (١٩٤١) ص ٢١٨).

ونُشرت في «محاضرات المجمع العلمي العربي» ٣ (دمشق

١٩٥٤) ص ٣٣١ - ٣٦٢).

- رحلة الى كركوك .

للمطران بولس ببنام ، ت ١٩٦٩ .

(مجلة «لسان المشرق» ١ (الموصل ١٩٤٩) ع ٦ - ٧ ص

٧٧ - ٨٠).

- رحلة الى الكوفة .

تأليف : مهدي بن علي الجواني ، ت ١٨٢٧ .

ط : النريفة ١٠ : ١٦٩ ، الرقم ٣٣ . وفيها ذكر فضل

مسجد الكوفة .

- رحلة الى ما بين النهرين في مطلع القرن التاسع عشر .

تأليف الرحالة الانكليزي : وليم هود WILLIAM HEUDE

. نقلها الى العربية ، عن الترجمة الفرنسية لها ، المنشورة في

باريس سنة ١٨٤٠ م ، ووضع حواشيها وعناوينها : الاب البير

ابونا . (مجلة «بين النهرين» ٢ (الموصل ١٩٧٤) ع ١٥ ص

٧٥ - ٩٦).

- رحلة الى النجف .

تألي : ابي الثناء شهاب الدين محمود الالوسي ، ت ١٨٥٤ .

منها نسخة خطية ، في ورقتين ، ضمن مجموع ، برقم ٣٢٤٢٧٢ ،

في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد - ط : عبد الله الجبوري : فهرس

المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد (٤) (بغداد

١٩٧٤) ص ٤٤٩ - ٤٥٠ ، تسلسل ٢٤٣ تاريخ).

- رحلة الى النجف الاشرف .

بقلم : محمد هاشم عطية .

(مجلة «البيان» ٢ (النجف ١٩٤٧) ص ٨٩١ - ٨٩٢).

- رحلة اولياء جلبي في العراق .

ألّفها بالتركية اولياء جلبي ، وعنوانها : «اولياء جلبي سياحتنا

ملمسي» القسم المتعلق منها بالعراق ، نقله الى العربية : يعقوب

نعم سركيس ، ت ١٩٥٩ ، ولم يطبع .

- رحلة اوليفيه الى العراق .

نقلها : الاب الدكتور يوسف ختي ، الى العربية .

- رحلة اوليفيه : القسم الخاص بالموصل .

نقلها من الفرنسية الى العربية : د. داود الجلبي ، في سنة

١٩٥٣ ، ولم تُنشر ، منها نسخة خطية في مكتبة الاوقاف العامة

بالموصل (خزانة الدكتور داود الجلبي) . راجع : سالم عبد الرزاق

احد : فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل (٦

الموصل ١٩٧٧) ص ١٨٩ ، وما ذكره د. فيصل دبّوب ، في

ترجمته للدكتور داود الجلبي في «مجلة معهد المخطوطات العربية»

(١٣) (القاهرة ١٩٦٧) ص ٧ الرقم ١٠).

- رحلة ايناتا الى اربلدو .

بقلم : د. عبد الهادي الفزادي .

(مجلة «دور» ٢٧ (بغداد ١٩٧١) ص ٥٣ - ٦٢).

- رحلة بتر وديلا فاله الى العراق في مطلع القرن السابع عشر

للميلاد .

نقلها الى العربية : الاب الدكتور بطرس حداد .

(جامع للطبع) .

- رحلة البحارة الشجعان .

تأليف محمد شاكّر السبع .

(مط الشعب - بغداد ١٩٨٥ ، ٩٦ ص).

بقلم : محمد الحال .  
 (ضمن كتابه : «البيتوشي» . مط المعارف - بغداد ١٩٥٨)  
 ص ٢٣ - ٢٨ .  
 - رحلة البيتوشي الثانية (سنة ١١٨٠ هـ) الى الاحساء ونزوله  
 في البصرة ورجوعه الى كردستان للمرة الثانية .  
 بقلم : محمد الحال .  
 (ضمن كتابه : «البيتوشي» . ص ٢٨ - ٣٠) .  
 - رحلة البيتوشي الثالثة (سنة ١١٨٨ هـ) الى الاحساء ونزوله  
 بالبصرة .  
 بقلم : محمد الحال .  
 (ضمن كتابه : «البيتوشي» . ص ٣١ - ٣٥) .  
 - رحلة تاهل الى العراق (سنة ١٧٨٩ - ١٧٩٠ م) .  
 نقلها الى العربية : الاب الدكتور بطرس حداد .  
 (مجلة «الموردة» ١١ (بغداد ١٩٨٣) ع ١ : ص ٢٥ - ٤١ ع ٣  
 ص ٥٧ - ٨٤) .  
 - رحلة تجارية الى الشرق : البصرة .  
 بقلم : خليل الاسود .  
 (المجلة التجارية السورية الاميركية ٤ (نيويورك : حزيران  
 ١٩٢٢) ص ١٤ - ١٧) .  
 - رحلة تشيزاري فيديريجي .  
 نقلها الاب الدكتور بطرس حداد ، من الايطالية الى العربية ،  
 وستشر في مجلة «الموردة» ، العدد الخاص بالرحلات .  
 - رحلة تقيح زناد البصيان .  
 تأليف : سليمان قبضي ، ت ١٩٥١ .  
 (ضمن كتابه : «في فصرة النضال» . بغداد ١٩٥٢ ، ص  
 ٨٩ - ٩٦) . وهي رحلته سنة ١٩١٠ - ١٩١١ الى : البصرة -  
 الخليج العربي - جدة - مكة - المدينة - دمشق - بيروت - استانبول  
 - العودة الى البصرة .  
 - رحلة تكريت .  
 بقلم : حسن الامين .  
 (مجلة «العرفان» ٣١ ( ١٩٤٢ - ١٩٤٥ ) ص  
 ٤٩١ - ٤٩٧) .

قصة حقيقية وقعت احدائها على نهر دجلة ، سنة ١٩٤١ .  
 - رحلة البطريق اغناطيوس الفرام الاول بريميوم الى العراق .  
 (النشرة السريانية لابريشية حلب السريانية الارثوذكسية ، ١  
 (١٩٤٥) ص ٤٤٩ - ٤٥٣) .  
 - رحلة البطريق اغناطيوس الياس الثالث الى العراق .  
 (مجلة «الحكمة» ٢ (القدس ١٩٢٧) ص ١٥٣ - ١٦٢) .  
 - رحلة بغداد .  
 تأليف : ابي القاسم بن زين العابدين بن كريم .  
 (مط السعادة - كرمان ١٣٧١ هـ - ٨٢ ص) .  
 - الرحلة البغدادية .  
 تأليف : عبد الله السويدي ، ت ١١٧٤ هـ - ١٧٦١ م .  
 نسختها الخطية ، لدى الاسرة السويدي في بغداد .  
 - رحلة بكنكهام الى العراق سنة ١٨١٦ م .  
 بقلم : سليم طه التكريتي .  
 (مجلة «بغداد» . ع ٢١ (أب ١٩٦٥) ص ١٣ - ١٥) .  
 - رحلة بكنكهام : وصف بغداد .  
 تأليف : الرحالة الانكليزي : ج . س . بكنكهام ، ت  
 ١٨٥٥ .  
 ترجمة : محمد علي حلاوي .  
 (مجلة «سومر» ١٠ (١٩٥٤) ص ٢٦٧ - ٢٧٩ ، ١١  
 (١٩٥٥) ص ٨٥ - ٩٥) .  
 وكان سليم طه التكريتي ، قد ترجم هذا الفصل بشيء من  
 التلخيص ، ونشره في مجلة «بغداد» . (ع ٧ و ٨ لسنة ١٩٦٣) .  
 - رحلة بنيامين .  
 للرحالة الانكليسي بنيامين التطيلي ، وقد قام برحلته في حدود  
 سنة ١١٦٥ - ١١٧٣ م .  
 نقلها من العبرية الى العربية وعلق عليها : جزرا حداد ، ت  
 ١٩٧٢ .  
 (المط الشرقية - بغداد ١٩٤٥ ، ٢٣٦ ص) .  
 تصدرها مقدمة كتبها عباس الغزوي ، ت ١٩٧١ .  
 - رحلة البيتوشي الاولى (سنة ١١٧١ هـ) الى الاحساء  
 ورجوعه الى كردستان .

- الرحلة الجهادية الى جسر الكوفة .

تأليف : محمد مهدي البحراني ، المتوفى في النجف سنة ١٩٢٥ لم تُطبع . ذكرها علي الخاقاني ، في «شعراء الغري» (١٠) (النجف ١٩٥٦) ص ١٣٣ .

- رحلة حديثة الى الشيخ هادي والريان هرمزد .

للمطران سليمان الصائغ ، ت ١٩٦١ .

(مجلة «المشرق» ٢٠ (بيروت ١٩٢٢) ص ٨٣١ - ٨٤٥) .

- الرحلة الحسينية .

تأليف : محمد حسين الجبائي الحلبي ، ت ١٩٣٣ . وصف فيها رحلته من النجف الى كربلاء سنة ١٩٠٣ . نشرها : كاتب الطريحي ، ت ١٩٠٨ .

(مط الحبل المتين - النجف ١٣٢٩ هـ - ٣٢٢ ص) .

ثم نشرها برمتها تقريباً : علي الخاقاني ، ت ١٩٧٩ ، في كتابه : «شعراء الحلة» (٤) (النجف ١٩٥٢) ص ٤٢١ - ٤٣٨ .

ونوه بها : محمد هادي الاميني ، في «معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال الف عام» . (النجف ١٩٦٤) ص ٤٨٠ ، الرقم (٢٠٧٢) .

ملاحظة : الجبائي ، نسبة الى عملة الجبائوين بالحلة .

- الرحلة الحضرية .

قصيدة ، نظمها : عبد الصاحب للملائكة ، في وصف رحلة قام بها بعض اعضاء جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ، الى اطلال مدينة «الحضر» في العراق .

(مجلة «الكِتاب» ٥ (بغداد ١٩٧٠) ع ٢ - ١٣ ص

١٦٣ - ١٦٥) .

- رحلة ديلاً فاله .

للسائح الايطالي : بئرو ديلاً فاله PIETRO DELLAVALLE  
ت ١٦٥٢ .

سائح سياحة واسعة ، استغرقت خمسة اعوام

(١٦٦١ - ١٦٦٢م) ، زار خلالها بلاد اشور وبابل وايران

وبعض الاصقاع المجاورة الاخرى .

نقل المطران جرجس دلال (ت ١٩٥١) بعض ما يخص بلاد العراق منها ، ونشره في مجلة «نشرة الاحد» التي كانت تصدر في

بغداد (اعداد السنة الاولى ١٩٢٢) .

كما ان الخوري عبد الاحد جرجي ، السرياني (ت ١٩٥٠) ، نشر في تلك المجلة نفسها (١ : ٩٢) ، نبذة من رحلة هذا الرحالة ، بعنوان : «السفر من حلب الى بغداد» .

ونقل سعاد هادي العمري (ت ١٩٧٢) ، وُصفَ بغداد حسبما جاء في هذه الرحلة . راجع كتابه : «بغداد كما وصفها السياح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة» . بغداد ١٩٥٤ ص ١٩ - ٢٠) .

- رحلة ديلاً فاله الى العراق .

نقلها من الايطالية الى العربية : الاب الدكتور بطرس حداد ، واعددها للنشر جسرت هذه الرحلة ، سنة ١٦٦١ - ١٦٦٢ م . (راجعها في العدد الخاص بالرحلات من مجلة «المورد» .

- رحلة ديالى .

بقلم : حسن الامين .

(مجلة «العرفان» ٣١ (١٩٤٥ - ١٩٤٦) ص ١٣٥ - ١٤٠) .  
بعقوبة والضواحي . النهران . الخالص والعينكة . خانقين .  
معامل تكرير البترول في حدود ايران . الاباب .

- رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠ .

تأليف : لودويج جيمس ريج .

نقلها الى العربية : بهاء الدين نوري ، ت ١٩٦٠ .  
(المجلد الاول (ولم يصدر غيره) : مط البك - بغداد ١٩٥١  
٢٥ + ٣٥٩ ص) .

الاصل بالانكليزية ، وعنوانه :

RICH (CLAUDIUS JAMES), NARRATIVE OF A RESIDENCE  
IN KOORDISTAN AND ON THE SITE OF ANCIENT  
NINEVEH. (2 VOLS., LONDON, 1836).

تعريف ونقد ، بقلم : عبد القادر المغربي ، ت ١٩٥٦ (مجلة  
المجمع العلمي العربي، ٢٨ (١٩٥٣) ص ٢٨٩ - ٢٩٣) .

- رحلة السائح الايطالي فسبارو يلبي ١٥٧٩ - ١٥٨٨ م .  
وصف فيها سياحته من حلب الى العراق ، ماراً بالفلوجة

وبغداد والبصرة ونقلها من الإيطالية الى العربية: القس (هو)  
المرحوم البطريرك الكلداني) بولس شيخو. ونُسختها الخطية  
كانت في خزانة يعقوب سركيس ببغداد. ولم تطبع. ولا اعلم  
اليوم شيئاً عن مصير هذه المخطوطة.  
- رحلة سيدي علي رئيس في العراق.  
بقلم: عباس المزوي، ت ١٩٧١.

(مجلة المعرفة، ٢ (بغداد ١٥ مايس ١٩٦٢) ع ١٣٣ ص  
٤ - ٦، ٣٢).

- رحلة الشتاء في دار السلام.  
بقلم: عائشة عبد الرحمن (= بنت الشاطئ).  
(مجلة الهلال، ٦٦ (القاهرة ١٩٥٨) ج ٣، ص ٥٢ - ٥٧).  
- رحلة الشتاء والصيف.  
تأليف: مهدي بن علي البحراني، ت ١٢٤٣ هـ =  
١٨٢٧ م.

ارجوزة في رحلته من البحرين الى الكاظمية. راجع: اغا  
بُزُوك: التريمة الى تصانيف الشيعة (١٠: ١١٦٩ الرقم  
٣٣٠).

- رحلة الصيف في شمال العراق.  
تأليف: عبد الرزاق الطاهر.  
(نشرت ضمن كتابه: «صور من العراق». مط السعادة -  
القاهرة ١٩٤٧، ص ١٢٥ - ١٧٤).  
- رحلة طلاب دار المعلمين الابتدائية ببغداد، الى: الحلة،  
كربلاء، سدة الهندية طويريج.  
بقلم: عبد الجليل داود.  
(نشرها في جريدة «العراق» لصاحبها رزوق غنام، الصادرة  
في بغداد في شباط ١٩٢٦).

- الرحلة العراقية.  
تأليف: سليمان ظاهر، ت ١٩٦٠.  
لم تطبع. ورد ذكرها في «مجلة المجمع العلمي العربي» (٣٦  
١٩٦١) ص ٥٠١ الرقم ٩، وفي «الاعلام» للزركلي (٣ ط ٤)  
ص ١٣٥).

- الرحلة العراقية .

تأليف: عزيز نصر الله .

وهي رحلته من مصر الى العراق، سنة ١٩١٦ .

(مط التقدم - القاهرة ١٩١٦، ١٢٨ ص).

- الرحلة العراقية الايرانية .

تأليف: محسن الامين العاملي، ت ١٩٥٢ .

نشرها ابنه: حسن الامين .

(مط الانصاف - بيروت ١٩٥٤ : ٤٥٦ ص).

- رحلة غاسبارو بالي الى العراق في القرن السادس عشر .

نقلها الى العربية: الاب الدكتور بطرس حداد. (مُعْتَمَدَةٌ للطبع).

- رحلة الغراف .

بقلم: حسن الامين .

(مجلة «المرفان»، ٣١ (صيدا ١٩٤٢ - ١٩٤٥) ص ٢٦٠ -

٢٦٣، ٣٧٧ - ٣٨١). الشطرة . البدعة . الرفاعي . قلعة

سكر . الحمي . الكوت .

- رحلة الفرات .

تأليف: كاظم الدجيلي، ت ١٩٧٠

وصف رحلته الى الفرات وكربلاء وشغالاتا. ولم تطبع. راجع:

رفائيل بطي: الادب العصري في العراق (١: ١٩٢).

ادهم الجندي: اعلام الادب والفن (٢: ٢٠١).

- رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤ .

تأليف: جيمس بيلي فريزر، ت ١٨٥٦ .

نقلها الى العربية وعلق عليها: جعفر الخياط، ت ١٩٧٣ .

(مط المعارف - بغداد ١٩٦٤ : ٢٢٤ ص).

اصل الكتاب بالانكليزية، وعنوانه:

FRASER (JAMES BAILLIE), TRAVELS IN KOORDISTAN  
AND MESOPOAMIA. (LONDON, 1840).

- رحلة فنتنسو الى العراق في القرن السابع عشر .

ترجمة: الاب الدكتور بطرس حداد.

(مجلة «المورد» ٥ (بغداد ١٩٧٦) ع ١٣ ص ٧١ - ٨٩).

- رحلة في انحاء العراق .

بقلم : يوسف هرمز نجو، ت ١٩٦٥ .  
(نشرها تباعاً في جريدته «صوت الشعب» التي كان يُصدرها  
في بغداد).

- رحلة في البادية.  
من مذكرات : اسكندر الخائلك.  
(بيروت ١٩٣٦، ٢١٦ ص).  
وصف رحلته من لبنان الى العراق سنة ١٩١٤ عن طريق بادية  
الشام والجزيرة.

- رحلة في بادية السماوة سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م.

بقلم : محمد رضا الشبيبي، ت ١٩٦٥ .  
(مجلة المجمع العلمي العراقي، ١١ (١٩٦٤) ص : هـ-ث  
ث ، ١ - ٣٢). ثم افردت في كتاب. (مط المجمع العلمي  
العراقي - بغداد ١٩٦٤، ش ش + ٦١ ص).  
- رحلة في العراق، او خاطرات الحسيني.  
تأليف : عبد الرزاق الحسيني.

(ط ٢ : المط العصرية - بغداد ١٩٢٥، ١٥٩ ص).

- رحلة قصيرة الى دير مار متى ١٦ - ١٩ نيسان ١٩٤٧ .  
بقلم المطران غريغوريوس بولس بيهام، ت ١٩٦٩، وقد  
نشرت غُفلاً من اسمه.

(مجلة المشرق، ١ (الموصل ١٩٤٧) ص ١٠٤٦ - ١٠٤٧).

- رحلة لجان الى العراق سنة ١٨٩٦ م.  
تأليف الرحالة الفرنسي لجان GUILLAUM LEJEAN وقد  
عاش سنة ١٨٢٠ - ١٨٧١.

ترجمها من الفرنسية الى العربية وعلّق عليها : الاب الدكتور  
بطرس حدّاد . (مجلة السوردة، ١٢ (١٩٨٣) ع ١٣ ص  
٥٧ - ٨٤).

- رحلة ماركو بولو تصل الموصل.

بقلم : عبد المنان محمد بشير.  
(مجلة والجامعة). تصدرها : جامعة الموصل ٣ (الموصل :  
كانون الاول ١٩٧٢) ع ١٥ ص ٦٣ - ٦٧.

- رحلة الختني الى الكوفة، وبعد سنة ٣٥١ الى سنة ٣٥٤ هـ.  
بقلم : محمود محمد شاكر.

(ضمن كتابه «الختني» ١ (القاهرة ١٩٧٧) ص  
٢٦٣ - ٢٧٦).

- رحلة «متكر» الى بلاد ما بين النهرين وكرمنان.

تأليف : الميجر إي. بي. سون.

ترجمة وتعليق : فؤاد جميل، ت ١٩٧٢ .

(١ - ٢ : بغداد ١٩٧٠ - ١٩٧٢، ٣٦٨، ٢٨٤ ص).

الاصل بالانكليزية، وعنوانه فيها :

SOANE (E. B.), TO MESOPOTAMIA AND KURDISTAN IN  
DISGUISE. (LONDON, 1926).

- رحلة مَدَام ديولافوا الى كَلْداء - العراق سنة ١٨٨١ م =

١٢٩٩ هـ.

نقلها الى العربية عن الترجمة الفارسية : علي البصري.

قدم لها : د. مصطفى جواد، ت ١٩٦٩ .

(مط اسعد - بغداد ١٩٥٨، ١٨٦ ص).

- رحلة المشرق (سنة ١٥٧٣ - ١٥٧٦ م) الى العراق

وسوريا ولبنان وفلسطين.

تأليف : الرحالة الهولندي راوولف DR. LEONHART

RAUWOLF ترجمة وتعليق : سليم طه التكريتي.

(دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٨، ٢٣٢ ص).

منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية.

- رحلة المظفر.

تأليف : خليل المظفر الموصل.

(ج ١ : مط محفوظ - الموصل ١٣٥٨ هـ، ١٦٠ + ت ت

ص).

- رحلة المعري الى بغداد.

للدكتور طه حسين، ت ١٩٧٣ .

(ضمن كتابه : «تجديد ذكرى ابي العلاء»، المطبوع في

القاهرة. ص ١٣٩ - ١٦٠).

- رحلة من القسطنطينية الى البصرة عام ١٧٨١ م.

تأليف الرحالة الايطالي سستيفي، من اهل القرن الثامن عشر

للعيلاد، وقد زار العراق، وألف رحلته باللغة الايطالية، ونقلها

الى العربية. الدكتور المطران روفائيل بيدوايد، ولم تطبع.

القاهرة ، لدى بطرس عابد ، خوري كنيسة الكلدان في القاهرة .  
ومنها ايضا نسخة خطية في المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين في  
بيروت (الرقم ١٤٩) .

- رحلة من الموصل الى القدس .

تأليف : المطران بولس دانيال ، ت ١٩١٦ .

جُرّت هذه الرحلة سنة ١٨٧٢م .

منها نسخة ، بخط المؤلف ، لدى الاستاذ سهيل قاشا ، في

الموصل ، ضمن مجموع مؤلف الرحلة ، ص ٦٩ - ٨٣ .

- رحلة من الموصل الى ماردين .

تأليف : المطران بولس دانيال ، قام بها سنة ١٨٩٨م .

منها نسخة ، بخط المؤلف ، لدى الاستاذ سهيل قاشا ، في

الموصل ، ضمن مجموع مؤلف الرحلة ، ص ١٠٩ - ١١٦ .

- رحلة من الموصل الى مدينتي .

تأليف : المطران بولس دانيال ، قام بها سنة ١٨٥٦م .

منها نسخة ، بخط المؤلف ، لدى الاستاذ سهيل قاشا ، في

الموصل ، ضمن مجموع مؤلف الرحلة ، ص ١٣ - ١٤ .

- رحلة المنشىء البغدادي .

تأليف : محمد بن احمد الحسيني المعروف بالمنشىء البغدادي ،

كتبها سنة ١٨٢٢م ، بعد ان تجول في ديار الكرد وقواطن العراق

الاعرى .

نقلها من الفارسية الى العربية : عباس العزاوي ، ت ١٩٧١ .

(طبع لشركة التجارة والطباعة المحدودة - بغداد ١٩٤٨

١٢٨ص) .

- رحلة منظومة الى الكاظمين .

تأليف : صادق بن محسن بن مرستضى آل الاعسم ، ت

١٨٩٠ .

ذكرها الشيخ جعفر محبوبة ، في كتابه : «ماضي النجف

وحاضرها» (٢ النجف ١٩٥٥) ص ٢٣ ، وقال : عندي منها

نسخة ، وهي في ١٥٦ بيتاً .

- رحلة المواطن العراقي «الياس الموصل» ، أول سائح عربي

يصل الاميركبين .

- رحلة من شرقي دجلة الى هربى الفرات

تأليف : محمد رضا الشبيبي ، ت ١٩٦٥ . لم تطبع .

- رحلة من ماردين الى الموصل .

تأليف : المطران بولس دانيال ، ت ١٩١٦ .

جُرّت هذه الرحلة سنة ١٨٥٨م . منها نسخة ، بخط المؤلف ،

لدى الاستاذ سهيل قاشا ، في الموصل ، ضمن مجموع مؤلف

الرحلة ، ص ١٤ - ١٩ .

- رحلة من الموصل الى بغداد (سنة ١٨٨٦) .

تأليف : المطران بولس دانيال .

منها نسخة ، بخط المؤلف ، لدى الاستاذ سهيل قاشا في

الموصل ، ضمن مجموع مؤلف الرحلة ، ص ٨٨ - ٩٢ .

- رحلة من الموصل الى بغداد ، برقة السيد محمد التشيندي

وقاسم اها الاسعري ، بخصوص رسم الجسر .

تأليف : المطران بولس دانيال ، وقد تمت هذه الرحلة سنة

١٨٦٢م . منها نسخة ، بخط المؤلف ، لدى الاستاذ سهيل قاشا ،

في الموصل ، ضمن مجموع مؤلف الرحلة ، ص ١٩ - ٢٤ .

- رحلة من الموصل الى ديار بكر وسيورك ، والعودة الى

الموصل .

تأليف : المطران بولس دانيال ، قام بها سنة ١٨٦٧م

منها نسخة ، بخط المؤلف ، لدى الاستاذ سهيل قاشا ، في

الموصل ، ضمن مجموع مؤلف الرحلة ، ص ٦٤ - ٦٩ .

- رحلة من الموصل الى دير الشرفة في لبنان .

تأليف : المطران بولس دانيال ، قام بها سنة ١٨٥٠م .

منها نسخة ، بخط المؤلف ، لدى الاستاذ سهيل قاشا ، في

الموصل ، ضمن مجموع مؤلف الرحلة ، ص ١ - ١٢ .

- رحلة من الموصل الى رومية ، وما جرى له في طريقه وفي

المدينة المقدسة .

تأليف : القس نجلر الكلداني الموصل ، ت ١٧٥٥م .

نشرها الاب لويس شيخو ، في مجلة «المشرق» (١٣ بيروت

١٩١٠) ص ٥٨١ - ٥٩٢ ، ٦٥٦ - ٦٦٨ ، ٧٣٠ - ٧٤٤ ،

٨٣٥ - ٨٤٣) ، عن نسخة بخط مؤلفها ، وقف عليها حينذاك في

بقلم : ابتهاج عمر طاهر الراضي .

(مجلة المورد) ٤ (بغداد ١٩٧٥) ع ٢٢ ص ١٦٧ - ١٩٤ .

- رحلة الميجر سون الى كردستان متذكرا باسم ميرزا فلاح حسين شيرازي . بمناسبة مرور ٢٠٠ سنة على انشاء السليمانية .

عرض وتلخيص : جمال بابان .

(سلسلة حلقات ، ظهرت في جريدة العراق) كانت الحلقة

الثانية بتاريخ ١٢/٢٤ / ١٩٨٤ ، ص ٤ .

- الرحلة النجفية .

تأليف : فرج العمران القطيفي .

نشرها في آخر كتابه : «سقط الغوالي وملنقط اللالي» . (المط

الخيلدية - النجف ١٩٥٦ ؛ ص ١٥١ - ٣٣٢) .

- رحلة نيور الى بغداد في القرن الثامن عشر .

نقلها من الالمانية الى العربية : سعاد هادي العمري ، ت ١٩٧٢ .

(مط دار المعرفة - بغداد ١٩٥٤ ؛ ٧٢ ص) .

- رحلة نيور الى العراق في القرن الثامن عشر .

تأليف : كارستن نيور .

ترجمة : د . محمود الامين ، ت ١٩٨٠ .

راجعها وعلق عليها ووضع فهراس : سالم الالوسي .

(دار الجمهورية للنشر والطبع - بغداد ١٩٦٥ ؛ ١٨٠ ص) .

مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

نقدها : محمود الملاح (بتوقيع : ج) .

مجلة وصوت الاسلام ٢ (بغداد ١٨ كانون الاول ١٩٦٥) ع ١١٦ ص ٢٤ - ٢٦ .

- رحلة نيور الى العراق في القرن الثامن عشر .

لترجمة الدانماركي كارستن نيور .

نقلها من الالمانية الى العربية : د . محمود الامين ، ت ١٩٨٠ .

القسم الاول : من بغداد الى الموصل . مجلة وسومر ٩

(١٩٥٣) ص ٢٥٠ - ٢٨٠) . ثم افرد في رسالة . (مط الرابطة

- بغداد ١٩٥٣ ؛ ٣٢ ص) .

- رحلتان الى الحجاز والعراق .

تأليف : الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله ، المعروف بابن

البيج ، ت ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م .

ظ : هدية العارفين (٢ : ٥٩) .

- رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا .

تأليف : الرحالة الانكليزي : جيمس ريموند ولستيد .

ترجمة وتعليق : سليم طه التكريتي .

(بغداد ١٩٨٤ ؛ ١٢٨ ص) .

- رحلتي الى العراق .

تأليف : فاروق الحريري .

(طبع سنة ١٩٤١) .

- رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦ م .

تأليف : جيمس بكنفهام (١٧٨٦ - ١٨٥٥) : J. BUCK-

INGHAM ترجمة : سليم طه التكريتي .

(ج ١ : مط اسعد - بغداد ١٩٦٨ ؛ ٣٢٨ ص) .

ج ٢ : مط دار البصري - بغداد ١٩٧٠ ؛ ٣٨٦ ص) .

- سفرة الى البصرة .

تأليف : عبد الله حسن .

(مط الصباح - بغداد ١٩٤٦ ؛ ١١٤ ص) .

- سفرة من «دويندي يازيان» الى «ملي تاسلوجه» .

تأليف : توفيق وهي ، ت ١٩٨٤ .

(مط المعارف - بغداد ١٩٦٥ ؛ ٣٦ ص) .

- صدى الفؤاد الى حمى الكاظم الجواد .

تأليف : محمد بن طاهر السماوي ، ت ١٩٥٠ .

(مط الغري - النجف ١٩٤١ ؛ ط ٧١ ص) .

- هجائب الدنيا في عمارة بابل .

تأليف : فيرتر كرشن .

ترتيب : د . صبحي انور وشيد

(بغداد ١٩٧٦ ؛ ٧٨ ص) .

- العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي

نالتريه .

نقله الى العربية ، وعلق عليه ، ووضع ملاحقه وفهارسه :



بشير فرنسيس وكوركيس عواد.

(مط المعارف - بغداد ١٩٤٤، ١٨٤ ص).

- هروس الفرات او بابل العظمى.

تأليف : عبد الكريم بني.

(المط الشرقية - الموصل ١٩٤٢، ٣٢ ص).

- لغروب في الموصل .

تأليف : توفيق حسين، ت ١٩٥٤ .

(مط الاستقلال - بغداد ١٩٤٧، ٨٨ ص).

- في البصرة .

تأليف : معن المعجلي.

(مط الاستقلال - بغداد ١٩٤٨، ١٣٦ ص).

- قصبة في مَهَب الريح .

تأليف : كافن ماكسويل.

ترجمة صادق عبد الصاحب التميمي .

(منشورات مكتبة الحياة ، بيروت، دت، (١٩٦١ م) ١٢٢ ص).

٢٢١ ص).

اصل الكتاب بالانكليزية، وعنوانه فيها.

MAXWELL (GAVIN), AREED SHAKEN BY THE WIND. (LON-

DON, 1957).

- قلب العراق.

تأليف : امين الريحاني، ت ١٩٤٠ .

(بيروت ١٩٣٥، ٣١١ ص. ط ٢: بيروت ١٩٣٩ .

- مذكرات اسبوع : في بغداد، البصرة، القرنة.

تأليف : مرزة حمزة شبر علي.

(مط الغري الحديثة - النجف ١٣٧٠ هـ؛ ٤٨ ص).

- المرشد الى مواطن الآثار والحضارة.

تأليف : طه باقر، ت ١٩٨٤، فؤاد سفر، ت ١٩٧٨ . (١ -

٦: بغداد ١٩٦٤ - ١٩٦٦، ٣٠، ٤٩، ٦٨، ٤٠، ٢٥، ٢٦ ص).

الرحلة الاولى : بغداد - عنه - القوائم.

الرحلة الثانية : بغداد - سامراء - الحضر.

الرحلة الثالثة : بغداد - الموصل.

الرحلة الرابعة : بغداد - كركوك - السليمانية.

الرحلة الخامسة : بغداد - اربيل.

الرحلة السادسة : بغداد - حلبجة.

- مشاهدات نيسور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة

١٧٦٥ م.

ترجمة : سعاد هادي العمري، ت ١٩٧٢ .

(بغداد ١٩٥٥، ١١٢ ص).

- من غمان الى العمادية، او جولة في كردستان الجنوبية.

تأليف علي سيدو الكوراني.

(مط السعادة - القاهرة ١٩٣٩، ٢٧٢ ص).

- من القدس الشريف الى النجف الاشرف.

تأليف : عزمي النشاشيبي.

(مط دار الايتام الاسلامية - القدس ١٩٥٠، ٩٨ ص).

- مناطق الاهوار في القسم الجنوبي من العراق.

للدكتور ابراهيم شريف.

(مط جامعة الاسكندرية - الاسكندرية ١٩٥٤، ص ٣٣ - ٦٦)

مستل من مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية.

- منطقة الحيرة : دراسة طبوغرافية مستندة الى المصادر

الادبية.

تأليف : د. صالح احمد العلي.

بحث نُشر في : «مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد» سنة

١٩٦٢.

ثم افرد في رسالة. (بغداد ١٩٦٢، ٢٨ ص، يليها خارطة).

- الموصل في القرن الثامن عشر حسب مذكرات دومينيكو

لاتزا.

نقله الى العربية : المطران روفائيل بيدويد.

(ط ١ : مط النجم - الموصل ١٩٥١، ٧٨ ص)

ط ٤ : المط الشرقية الحديثة - الموصل ١٩٥٣، ١٠١ ص).

- يوميات البصرة.

تأليف : د. مصطفى عبد القادر النجار، د. عبد الامير محمد

امين، عبد الوحيد خان.

(١ - ٢ : بغداد ١٩٨٠، ٣٩٦، ٤٠٨ ص).

منشورات اتحاد المؤرخين العرب .

# الرحلات الخطية في دار صدام للمخطوطات

اعداد

اسامة ناصر النقشبندى

دار صدام للمخطوطات - بغداد

ازدهرت فيها الرحلات بدأت مع حركة النهضة العربية الحديثة في القرن الثالث عشر للهجرة / التاسع عشر للميلاد واستمرت حتى الوقت الحالي .

ويسرنا ان نعرف قراء والمورد الكرام في هذا العدد الخاص بما تحويه دار صدام للمخطوطات ببغداد من رحلات خطية معظمها لم ينشر او يعرف به سابقاً ، وامتدت للفترة من القرن العاشر الى الثالث عشر للهجرة (السادس عشر الى التاسع عشر للميلاد) وشملت العراق وبلاد الشام والقدس ومصر ومكة والمدينة واسطنبول . وكانت منطلقة من الوطن العربي الى خارجه ما هذا رحلة عالي بك من اسطنبول الى داخل الوطن العربي كما كانت رحلة الطهطاوي الى باريس والخورني الياس الى امريكا . آمل ان تنال هذه الرحلات اهتمام الدارسين والباحثين لما تحتميه من معلومات مهمة توثق لنا بعض الجوانب التاريخية والجغرافية والأدبية .

وقد تبعت في التعريف بهذه الرحلات الاسلوب الذي اعتلت عليه في فهارس المخطوطات التي انجزتها ، فذكرت عنوان الرحلة واسم المؤلف وترجمته ، ثم اقتبس بعض الاسطر من اول المخطوط وبالقدر الذي يميز كل مخطوط عن غيره ، والمحت بشكل موجز مسار الرحلة ووجهتها وما تحتميه من

دأب العرب منذ القديم على الحركة والترحال لأسباب كثيرة . تجارية او دينية او اقتصادية او عسكرية وغيرها ولدت عندهم رغبة تلقائية للمشاهدة والوصف والملاحظة ، وقد اكسبهم ذلك مقدرة على اكتشاف الظواهر الطبيعية والحياة في مختلف جوانبها وفي شتى الامكنة والبقاع واعتادوا على رحلات الشتاء والصيف .

وبعد ظهور الاسلام واتساع الفتوحات العربية الاسلامية كانت جيوش التحرير العربية تصحب معها المحدثين والحفاظ والفقهاء والعلماء ، فظهرت حاجة جديدة للترحال لغرض نشر الثقافة العربية الاسلامية والتبشير بمبادئ الدين الجديد والرحيل الى الحواضر العربية الاسلامية التي كانت مراكز اشاع فكرية يقصدها العلماء وطلاب العلم للالتقاء بالشيوخ والدراسة على ايديهم والحصول على إجازات الدراسة والتلقي منهم . وقد لعب بعضهم بأساء المدن التي رحلوا عنها والمدن التي قصدها .

وتواصلت الرحلات وتعددت اهدافها واختلفت اتجاهاتها ويمكن ان نقول ان الرحلات في التاريخ العربي شهدت ترقى نشأة متميزة ، الفترة الاولى بدأت منذ عصر الفتوحات العربية الاسلامية ونشطت باتساع رقعة العالم الاسلامي والى القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد . والفترة الثانية التي

## الاول :

(الحمد لله ففتح الابواب ، ومسر الاسباب ، ملل ، الصليب ، سهل الذهب والاياب الى سرح سيد الاحباب ، احمد ان اودع في كل قضاء لطفاً . . . ويعد فاني منذ ما قنت عني التمايم ، ونبتت بي العمائم ، يبول في خاطري ويختلج في ضمائري ، الوصول الى ربوة الشام والتشزه بكل روض بها بسلام . . . )

وهي رحلة الحياوي الى اسطنبول التي بدأها من المدينة المنورة وممر بالمقبة وبلاد الشام واسطنبول وقد وصف المؤلف الابنية الالترية والمدن والفلاح والوديان والمباني القديمة وكل ما صادفه في طريقه وصفاً دقيقاً وواضحاً . كما تحدث المؤلف عن الاعلام والشعراء والادباء والكثير من الناس الذين صادفهم ، ونقل الكثير من اشعارهم وقصائدهم وذكر مؤلفاتهم ، حتى غلب على هذه الرحلة الجانب الادبي والشعري .

نسخة جيدة ترقى الى القرن الثاني عشر للهجرة الثامن عشر للميلاد . ناقصة الاخر .

الرقم ١٣٦٢

القياس ٩٩ ص ٢٠ × ١٤,٥ سم ٢١  
معجم المؤلفين ٤٦/١ فهرس المطبوعات العراقية ٣٥٥/٢  
ذخائر التراث ٥٠٤/١

طبعت بتحقيق الدكتور رجاء محمود السامرائي ببغداد سنة ١٩٦٩م

x x x

تلخيص الابريز الى تلخيص ياريز

لرفاعة بن بدوي بن علي الطهطاوي القاسمي المتوفى سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م

## الاول :

(سبحان من سير اقدام الانام الى ما مضى في سابق علمه ، ويسر للانسان اقدام على عتم قضاياه وحكمه ، فلا يحصى لقوي وضعيف . . . اما بعد فيقول العبد الفقير . . . وانه سهل الى الدخول في خلعة صاحب السعادة ، اولاً في وظيفة

معلومات ، واشترت الى تاريخ النسخ واسم الناسخ والقياسات وما تضمنته كل نسخة من قراءات وسماعات واجازات .

ورجعت في عملي هذا الى بعض المصادر والمراجع منها :  
١ - ادب الرحلات للدكتور حسين محمد فهم - الكويت ١٩٨٩

٢ - الاعلام لحير الدين الزركلي مدار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٩

٣ - ابضاح المكنون في الدليل على كشف الظنون لاسماعيل باشا البغدادي - اوفسيت بغداد ١٩٦٧

٤ - تاريخ الادب العربي في العراق - عباس الزاوي - بغداد  
٥ - التوقيعات الالهامية لاحد مختار باشا - بولاق ١٨٩٣

٦ - ذخائر التراث العربي الاسلامي - لعبد الجبار عبد الرحمن بغداد ١٩٨١

٧ - كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة اوفسيت بغداد ١٩٦٧

٨ - معجم المطبوعات العربية والمعرية - ليوسف الياس سركيس القاهرة ١٩٢٨

٩ - معجم المؤلفين لعمرو رضا كحاله - دمشق ١٩٥٧  
١٠ - معجم المؤلفين العراقيين - لكروركيس عواد بغداد ١٩٦٩

١١ - هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي - اوفسيت بغداد ١٩٦٧

اما الرموز التي استخدمتها لغرض الاختصار فهي :

رقم = رقم المخطوط في دار صدام للمخطوطات

ص = عدد الصفحات

x سم = الطول x العرض

ص = عدد الاسطر في كل صفحة

x x x

تحفة الادباء وسلوة الغرباء

لابراهيم بن عبد الرحمن بن علي الحياوي المدني المتوفى سنة

١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م

واعظ العساكر الجهادية ، ثم منها الى رتبة مبعوث الى باريس  
 صعبة الافندية المبعوثين لتعلم العلوم والفنون الموجودة بهذه  
 المدينة البهية فلما رسم اسمي في جملة المسافرين وعزمت على  
 التوجه اشار عليّ بعض الاقارب والمحبين لاسيا شيخنا المطار ،  
 فانه كان مولع بسماع عجائب الاخبار والاطلاع على غرائب  
 الآثار ، ان انبه على ما يقع لي في هذه السفرة وعلى ما اراه وما  
 اصادفه من الامور الغريبة والاشياء العجيبة . . . )

وتسمى هذه الرحلة كذلك (الديوان النفيس بانوار باريس ،  
 وقد جعلها المؤلف في مقدمة مرتبة على اربعة ابواب . وعدة  
 مقالات .

نسخة جيدة ترقى الى فترة المؤلف تملكها اسماعيل بن حمد  
 ابن سالم سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م  
 الرقم ١٣

القياس ٣٠٦ ص ١٦ × ٢١ سم ١٩س  
 الاعلام ٢٩/٣ معجم المؤلفين ١٦٨/٤ معجم طبع ٩٩٢  
 × × ×

الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام والحجاز  
 لعبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني بن اسماعيل  
 النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣١م  
 الاول :

(الحمد لله الذي بمعونته تتم الامور ويمؤونه الدارة على خلقه  
 تصلح احوال الجمهور ويتوفيقه لانواع العبادة تنشرح الصدور  
 ويتوفيقه على اجتناس السعادة يحصل . . . )

وتعرف هذه الرحلة كذلك برحلة النابلسي الكبرى . حيث  
 ان للمؤلف ثلاث رحلات الاولى رحلته الصغرى الموسومة بحلية  
 الذهب الابريز في رحلة بعلبك والباق العزير . ورحلته الثانية  
 وهي الوسطى وسماها الحضرة الانسية في الرحلة القدسية التي  
 كتبها سنة ١١٠١هـ / ١٦٨٩م

رتب المؤلف رحلته على ثلاث اقسام هي :

القسم الاول : في الجولان من البلاد الشامية

القسم الثاني : في الكلام عن البقاع المصرية

القسم الثالث : في الوصول الى الاقطار الحجازية

نسخة جيدة كتبها عبد الحميد بن اسماعيل الحكيم  
 البرودي سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م تتضمن الجزء الاول من  
 الكتاب

الرقم ٥٥٥

القياس ٤١٠ ص ١٧ × ٢٢ سم ١٩س  
 معجم المؤلفين ٢٧١/٥ طبعت اكثر من مرة آخرها بتحقيق  
 احمد عبد المجيد هريدي بالقاهرة - ذخائر التراث ٨٧١/٢

× × ×

نسخة اخرى تتضمن الجزء الثالث بخط ناسخ الجزء الاول عبد  
 الحميد بن اسماعيل سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م

الرقم ٥٥٦

القياس ٥٣٨ ص ١٧ × ٢٢ سم ١٩س  
 × × ×

نسخة اخرى مصورة بالاستساخ عن نسخة مكتبة  
 الدراسات العليا التي كانت ضمن خزانة الاستاذ كوركيس عواد  
 والتي باعها مع مجموعة مخطوطاته الى مكتبة الدراسات العليا .  
 وهذه النسخة كتبت بخط ناسخ الجزئين الاول والثالث وهي  
 مكتملة لها . والرحلة باجزائها الثلاثة كانت ضمن خزانة الاب  
 انتناس ماري الكرمل .

الرقم ٣٠٥٤٤

القياس ٢٣٢ ص ١٧ × ٢٢ سم ١٩س  
 × × ×

رحلات عبد الباقي الالوسي :

لعبد الباقي بن محمود بن عبد الله الالوسي المتوفى سنة  
 ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م  
 الاول :

(في بيان السفرة الخامسة . . كان الخروج من بغداد يوم  
 الخميس ثاني ربيع الاول سنة الالف والمائتين والاثنتين والتسعين  
 نسله تعالى التسهيل وفي اليوم الثاني وصلنا الصفلاوية وركبنا

الوايوبر المسمى مسكنه ... )

وتتضمن رحلات عبد الباقي بن ابي النشاء الالوسي  
الخامسة والسادسة والسابعة .

فقد كانت سفرته الخامسة سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤م الى  
اسطنبول عن طريق الرمادي وهيت وآلوس وحديثة  
والسفرة السادسة الى منطقة شهرزور والتي تجعل مركزها  
مدينة كركوك حيث صار نائباً فيها وكان بمعيته زوجته سنة  
١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م والسفرة السابقة بعد ان عين نائباً في مركز  
ولاية تليس حيث سافر الى اسلابول بمعية زوجته سنة  
١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م وقد ذكر المؤلف في سفراته هذه المدن والقرى  
والتي مر بها والاعلام الذين صادفهم

نسخة جيدة كتبت بخط المؤلف سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م  
في اولها قائمة في بيان اسفار المؤلف من بغداد . فذكر سفرته  
الاولى بمعية والده ابي النشاء الالوسي الى اسطنبول سنة  
١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م والثانية بعد وفاة والده سنة  
١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م والسفرة الثالثة الى اسطنبول حيث عين نائباً  
في معرة النعمان والسفرة الرابعة عندما عين نائباً بحمص سنة  
١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م وكان معه اخيه احمد شاكرا الالوسي وقد  
سميت هذه السفرة (الروضة اليانعة في السفرة الرابعة) وسنأتي  
على ذكرها

الرقم ٢/٣٠٣٦٨

القياس ١١ص ١٦×٢٢سم ١٦ص

معجم المؤلفين ٧٥/٥ الاعلام ٢٧٢/٣

x x x

رحلة الى بيت المقدس

لحمدا امين بن خليل بن محمد بن ابراهيم الفتال الذي كان  
حياً سنة ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م

الاول :

( الحمد لله ملهم العباد المسير الى اقاليم البلاد وموقفهم لسلوك  
طريق الرشاد المنعم عليهم بالرحلة من دمشق دار الاجياد الى  
القدس المشرفة مقر الافراد والصلاة والسلام على سيدنا محمد

المهدي الى طريق الرشاد والمحيي بدعوته الى الحق اهل الزينج  
والعناد ... )

وهي رحلة المؤلف من دمشق الى القدس سنة  
١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م قال انه بعد ان وقعت بعض الاحداث  
بدمشق في تلك الفترة وحكت الهموم بنفوس الناس ، فقرر ان  
يسلي نفسه بالسفر فقام بهذه الرحلة الى بيت المقدس ، وقد  
وصف فيها الامكنة والبقاع والادوية ، كما تحدث عن الادباء  
والعلماء والشعراء الذين التقى بهم . وبين كذلك اهمية بيت  
القدس وقضله ، وموقعه وبناءه . وتسمى هذه الرحلة ايضاً  
برحلة الفتال .

رافق المؤلف في هذه الرحلة علي اغا بن مصطفى الشهير  
بحموي زاده . ومصطفى اغا الشهير بقزاز زاده .

نسخة جيدة لعلها بخط المؤلف ، عليها قراءة على المؤلف  
لعبد الله السويدي وقراءة اخرى محمد بن احمد المعروف بعقيلة  
المكي سنة ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م

الرقم ١٠٧٨٣

القياس ١٥ص ١٧×٢٤سم ٣٠ص

x x x

رحلة الى الديار المصرية .

لمحب الدين محمد بن منصور بن ابراهيم بن سلامة اللنمقي  
المعروف بالمحيي المتوفى سنة ١٠٣٠هـ/ ١٦٢١م  
الاول :

(ان احل ما تنطق به السنة الاقلام ، واول ما تنحل به اسماع  
فوي الافهام ، حمداً لله سبحانه على نعمه المتوافرة . . وبعد  
فصلت ان اثبت في هذه الاوراق رحلتي الى الديار المصرية  
صحبتي قاضي قضائتها صاحب النفس القدسية والخصال  
الملكية ، شيخ مشايخ الاسلام وملك العلماء الاعلام . . )

وهي الرحلة التي قام بها المؤلف من دمشق الى مصر ثم الى  
القدس سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م وقد صحبه فيها قاضي القضاة  
جوي زاده ، ونوري افندي مفتي دمشق .

وقد تضمنت هذه الرحلة بعض القصائد والاشعار

وتراجم للرجال والاهيان والقضاة الذين التقى بهم المؤلف بمصر . وكذلك وصف لبعض الامكنة والبقاع التي مر بها في طريقه .

نسخة جيدة كتبها حسين صدقي بن علي بن اسماعيل القرشي الدمشقي سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م عن نسخة خزانة كتب لخزانة الشيخ عبد القادر بنهان ، كما نقلت التقاريض التي كانت على تلك النسخة وهي : تقريظ اسماعيل بن احمد النابلسي سنة ٩٨١هـ / ١٥٧٣م وتقريظ محمد بن محمد بن عماد الدين الحنفي سنة ٩٨١هـ / ١٥٧٣م وشمس الدين محمد بن القاسم بن المنصور سنة ٩٨١هـ / ١٥٧٣م

الرقم ١١٢٩٢

القياس ٩٢ ص ١٥ × ٢٤ سم ٢١ ص

معجم المؤلفين ٥١/١٢

x x x

#### رحلة الديار المصرية والرومية

لفضل الله بن عبد الدين بن محمد بن عبد الدين بن ابي بكر منصور المحمي<sup>(١)</sup> الدمشقي المتوفى سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م الاول :

(احمدك اللهم حذاً يطلع في منازل ثنائك بدور المعاني ويدع بديع اصجلزه آيات المثاني ، وتتجلى في افق قصاحته ، وشفق بلاغته انوار المشارق ... وبعد فاني فرح لما في دوحه الشام وخضن سياتين الاراك والبشام من فنة ارتدوا اودية المجد ، وحازوا قصب السبق في مضمار العل عن اب وجد ... )

وهي رحلة المؤلف من بلاد الشام الى مصر حيث اقتضى اثر جله ثم الى بلاد الروم وقد قابل الكثير من الاعلام المعروفين في المدن التي مر بها ولهم بعض اساتذة والده يحيى بن زكريا وابراهيم الماهري ومحمد بن اندريس

نسخة جيدة كتبها عبد الله السيد الشريف المعروف بسعدني زائدة في مدينة سلانيك سنة ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م

الرقم ٩١٧٧

القياس ٤١ ص ١٦ × ٢٥ سم ٢٧ ص

معجم المؤلفين ٧٦/٨ الاعلام ١٥٣/٥ هدية العارفين ٨٢٢/١

#### رحلة الرشدي

للسيد احمد بن محمد كاظم بن محمد قاسم الحسيني الرشدي .  
الاول :

(اما بعد فيقول الطالب سواء الطريق ومن هو يبهر المصيان غريق ... انه كان لي اخ يارع ، ويدرساطع مثلني عما لاقيته في هذا السفر وما واجهته فيه من الخطر ، وتفصيل ذلك ، والسلوك في تلك المسالك ، فقلت له يا اباي احل اللبيب ... )  
وهي رحلة المؤلف من مدينة كربلاء الى بغداد والى كرمان ، وقد ضمنها مشاهداته في المدن والقرى والبقاع التي مر بها .

نسخة جيدة كتبت بخط المؤلف مؤطرة الصفحات بمداد ذهبي .

الرقم ١١١٨٧

القياس ٤٢ ص ١١ × ١٦ سم ١٢ ص

x x x

#### رحلة الشتاء والصيف

لمحمد بن عبد الله الحسيني الموسوي المدني المعروف بكبريت المدني المتوفى سنة ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م الاول :

( الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده ... اما بعد فانه لا يخفى على من سبر الدهر وخبر احواله ورأى تغيراته وشاهد في ذوي الفضائل افعاله ، ان من ارتدى بحماد الحلال وتحل بحل الفضائل والكمال ... )

وهي رحلة المؤلف من المدينة المنورة الى الاسناتة التي بدأها في ١٧ محرم سنة ١٠٣٩هـ / ١٦٢٩م وضمنها مجموعة من الاخبار والقصائد الشعرية للشعراء الذين صادفهم كما وصف المدن والقرى التي مر بها واهم العماثر والاسواق .

نسخة جيدة ترقى الى القرن ١٢هـ / ١٨م اكمل كتابتها عبد المجيد خادم قرية الحضرة الاعظمية سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م

الرقم ٦٣٢١

القياس ٢٨٨ ص ١٥×٢١ سم ١٩ س

معجم ١٦٣١ ،

x x x

رحلة عالي بك

ترجمة عباس المزايي المحامي المتوفى سنة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م  
وهي رحلة قام بها عالي بك الذي كان والياً على طربزون  
من اسطنبول الى بغداد فالتقى سنة ١٣٠٠ هـ/١٨٨٢ م وقد  
وصف المدن التي مر بها وهي ديار بكر ، ازمير مرسين ،  
اسكندرون ، حلب ، عيتاب ، آمد ، ماردين ، تل كوجك ،  
حصن كيفا ، جزيرة ابن عمر ، الموصل ، تكريت ، سامراء ،  
بغداد ، اصل الرحلة باللغة التركية وعربها عباس المزايي ،  
وكتبت هذه النسخة بخطه

الرقم ٣٣٣٥٢

القياس ٢٤ ص ٢١×٢٨ سم ١٨ س

x x x

رحلة العمادي

لعله شهاب الدين بن عبد الرحمن بن عبد محمد العمادي  
المتوفى سنة ١٠٧٨ هـ/١٦٦٧ م  
الاول :

(الحمد لله المنعم على عباده بالاعانة والتوفيق الصاحب في  
سفر الرفيق ، ونعم الرفيق الهادي بفضلته الى سبيل الحيرات  
واقوم طريق ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . . . وبعد فقد  
عزمت بعدما استشرت في عنوان الشباب ، وجزمت عب ما  
استخرجت بعنوان شريف الكتاب فشددت مطية ركابي وشيدت  
دعائم الرحلة كدهابي وركبت جواد الاخطار لبلوغ  
المراد . . . )

نسخة نفيسة كتبت بخط النسخ الجيد سنة

١٠٥٦ هـ/١٦٤٦ م

الرقم القياس ٤/٩١٧٧

القياس ٦٢ ص ١٥×٢٥ سم ٢٧ س

لم يرد اسم صاحب الرحلة صراحة وإنما ورد ضمن نص في  
تقريض للكتاب اسم شهاب الدين العمادي سنة  
١٠٥٩ هـ/١٦٤٩ م كما ذكر ان والد المؤلف من الاعلام المعروفين  
ومتوفى سنة ١٠٥١ هـ/١٦٤١ م (معجم المؤلفين ١٩١/٥) مما  
جعلني احتمل ان يكون صاحب الرحلة هو الذي وضعت اسمه  
اعلاه .

x x x

رحلة اللحائي

لاحد اللحائي افندي الذي كان حياً سنة ١٢٩٣ هـ/١٨٧٥ م  
الاول :

(الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان ، ومنحه عقلاً  
امتاز به عن سائر الحيوان ، وعلمه ما لم يعلم ، وفهمه ما لم  
يفهم ، والصلاة والسلام على من اسرى به ليلاً الى المسجد  
الاقصى ، وعرج به الى حضرة القدس فكان قاب قوسين ،  
ورأى من آياته الكبرى ما لا تكاد تحصى . . . وبعد ان خرجنا يوم  
الخميس بكرة النهار فخره شعبان من الزوراء . . . )

وهي رحلة المؤلف الذي كان مدرساً في بغداد وقد خرج في  
رحلته متوجهاً الى اسطنبول وقد ذكر القرى والمدن التي مر بها  
وذكر موقعها والناس الذين صادفهم فيها وبعض الجوانب من  
الحياة الاجتماعية والتقاليد العامة . وكان طريقه الى هيت  
وحديثة وعنه والقائم والصالحية والميادين والدير وقبايق وتدمر  
ودمشق ويبروت ثم ركب السفينة الى قبرص ومنها الى لندن  
وازمير والقسطنطينية .

نسخة جيدة كتبها عن نسخة المؤلف السيد احمد شمس

الدين الالوسي . في آخرها تقريض للرحلة

الرقم ٣٢٤٦

القياس ٢٨ ص ١٥×٢٢ سم ١٩ س

نشرت هذه الرحلة ضمن عدد مجلة المورد الخاص بادب  
الرحلات الى العراق بتحقيق الدكتور عبد السلام وؤوف .

x x x

## الرحلة المحنية والباحة الهاشمية الى الديار الشامية والمصرية

للسيد محسن ابي طيخ المتوفى سنة ١٩٦١

الاول : (الحمد لله الذي امر بالرحلة والتسيار وحث على النظر والاعتبار والصلاة والسلام على رسوله المختار وآله والائمة الاطهار ... اما بعد فقد اتفق لي سنة ١٣٤١ هـ مغادرة وطني ومسقط رأسي العراق والتجول في ديار الشام وفلسطين ومصر وتدنو ما امكن تدوينه من مشاهداتي في تلك البلاد وقد عزمت الآن على نشر تلك الحواطر المدونة ، ورأيت الواجب تقديم مقدمة اشرح فيها الاسباب التي حثتني على الخروج ... )

نسخة حديثة لعلها بخط المؤلف الرقم ٣٧٤٤٣  
القياس ١٠٦ ص ١٦.٥ × ٢١ سم ١٨ س  
معجم المؤلفين العراقيين ٨٩/٣

x x x

الروض الخصيب في رحلة السيد النقيب  
لابي اسماعيل مصطفى نور الدين بن محمد الواعظ المتوفى  
سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م

الاول :

(الحمد لله تعالى على نعمه ، ومنه ، وكرمه ، والصلاة والسلام على من اسرى به الى المحل الاسنى ، والمقام الاسمى وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه ... )

وهي رحلة المؤلف من بغداد الى البصرة الى صفوان وقد وصف فيها مشاهداته في البصرة وجبل سنام وصفوان وعرف ببعض من التقى بهم من الوجوه والاهيان .

نسخة جيدة تقع ضمن مجموع كتبه احمد شاكرا الالوسي  
سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م

الرقم ٣٠٣٨٦

القياس ٤ ص ١٥ × ٢٣ سم ٢٠ س

نشرت هذه الرحلة ضمن عدد مجلة المورد الخاص بادب الرحلات الى العراق بتحقيق ظمياء محمد عباس .

معجم المؤلفين العراقيين ٣١١/٣ نشر المؤلف رحلته هذه ضمن كتابه الروض الازهر في تراجم السيد جعفر

## الروضة الباتمة في بيان السفرة الرابعة

لعبد الباقي بن محمود بن عبد الله الالوسي المتوفى سنة  
١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م

الاول :

(الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين ... اما بعد ... فاني ذاكرا في هذه الاوراق ما حصل في سفري من مسقط رأسي بغداد الى دار الخلافة اسلامبول ... فاقول اني بعد ان استعفيت عن نيابة الحلة الفيحاء خرجت من بغداد الزوراء ومعني اخي الذي تنقل في منازل ... )

وهي رحلة المؤلف الرابعة من بغداد الى اسطنبول التي قام بها سنة ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م برفقة اخيه احمد شاكرا الالوسي وقد ضمن المؤلف رحلته هذه رسالته الموسومة (الاجوبة الالوسية على الاسئلة الفقهية .

نسخة جيدة كتبها محمد جواد سنة ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م بخط النسخ الجيد ، في اولها فائدة عن سفرات المؤلف السبعة والامكنة التي قصدتها في كل سفرة . وعليها تقييضي لاحد فارس الشدياق .

الرقم ١/٣٠٣٦٨

القياس ٥٠ ص ١٦ × ٢٢ سم ١٣ س

الاعلام ٢٧٢/٣

x x x

سلوة الغريب واسوة الارب

لصدر الدين علي خان بن احمد بن محمد بن معصوم الحسيني  
المتوفى سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م

الاول :

(الحمد لله الذي جعل الارض مهاداً وسلك فيها سبلاً ... وبعد فيقول المفتقر الى ربه الغني على صدر الدين بن احمد ... هذا واني منذ كبر عن الطوق عمري ، وارتفع عن مناقشة الاتراب عمري ، لم ازل اصايح واماسي ، ما يبد ايسره الرواسي ... ولقد منيت بكربة الغربة ، وتشتت الحال ... فازمعت على ان اجمع ، ما وقع لي من ذلك رحلة تكون لاولي



الالباب نحله اثبت فيها ما وقفت عليه . . . )

وهي رحلة المؤلف من مكة المكرمة التي خرج منها ليلة السبت في ٦ شعبان سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م الى الهند . وقد كتب المؤلف الرحلة سنة ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م ووضع مقدمة فيها ورد في السفر والاغتراب من نظم ونثر ذمياً ومدحاً .

نسخة نفيسة مؤطرة الصفحات بمداد ذهبي وازرق مزوقة الاول بزخارف هندسية ونباتية ملونة ومذهبة . بعض كلماتها كتبت بمداد ذهبي وازرق واجر .

كتبها عن نسخة المؤلف بخط النسخ الجليل جلال الدين بن حسن العباسي سنة ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م

الرقم ٩٦٣٦

القياس ٣٨ سم ١٩,٥ × ١٢ سم ١٧ س

معجم المؤلفين ٢٨/٧ ذ/كشف ٢٥/٢ الاعلام ٢٥٨/٤

طبع ذخائر التراث ٢٤٥/١

x x x

سباحة في اميركا

للخوري الياس بن حنا الكلداني الموصل من رجال القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد

وهي رحلة تغلب عليها الطابع الديني قام بها الخوري الياس من سنة ١٦٦٨ الى سنة ١٦٨٣م الى امريكا ويعتبر اول من سبق من ابناء الشرق الذين رحلوا الى امريكا .

طبعت هذه الرحلة في مجلة المشرق البيروتية سنة ١٩٠٥ في المجلد الثامن . ثم طبعت سنة ١٩٠٦ بناية الاب انطون رباط اليسوعي .

نسخة ترقى الى القرن ١٣هـ/١٩م ناقصة الطرفين وبعض الصفحات من الوسط .

الرقم ٦٣٧٢

القياس ١٩٨ سم ٢٢ × ١٦ سم ١٧ س

x x x

غرائب الاختراب وتزهة الالباب في الذهاب والاقامة والاياب .

لابي الشاه شهاب الدين محمود بن عبد الله الالوسي الحسيني

التوفى سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م

الاول :

(الحمد لله الذي اخذ بيدي ، فاوصلني على اكف الراحة الى دار الخلافة ، واعطاني ما اقوى به خلدي فلم اذق ذرعاً فيها قطعت . . . ويعد فاني خرجت من زوايا الزوراء متجهاً اقوم طريق . . . )

جمع المؤلف في هذه الرحلة ، رحلته الاولى الى اسطنبول والتي سماها نشوة الشمول في الذهاب الى اسلامبول سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م ورحلته الثانية التي عاد بها من اسطنبول الى بغداد والتي سماها نشوة المداد في العودة الى مدينة السلام . وتسمى هذه الرحلة (جامع الرحلتين)

نسخة جيدة كتبت بخط المؤلف سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م

في اخرها تقرير لعيد الباقي العمري .

الرقم ٣٠٣٩٣

القياس ٣٨٢ سم ٢١ × ١٢,٥ سم ١٤ س

معجم المؤلفين ١٢/١٧ تاريخ الادب العربي في العراق

٢٣٣/٢ - ٢٣٥ ذ/كشف ١٤٣/٢ ، فهرس المطبوعات

العراقية ٣٦٠/٢

x x x

نسخة اخرى

كتبها محمد صالح بن حيدر سنة ١٢٣٠هـ/١٨٨٥م

الرقم ٨٩٧٣

القياس ٣٥٨ سم ٢١ × ١٦ سم ٢٣ س

x x x

نسخة اخرى

كتبها علي علاء الدين الالوسي حفيد المؤلف سنة

١٣١٧هـ/١٨٩٩م ببغداد . في اولها قصيدة لعبد الباقي

العمري في رثاء المؤلف وقصيدة اخرى في رثائه لعباس الحلبي

المغازي .

الرقم ٦٣٧٤

القياس ٢٥٢ سم ٢٩ × ٢١ سم ٢٥ س

x x x

الاول :

(الحمد لله الذي جعل التنقل في السهول والادوية لذوي  
الادواء الحبيبة او المعنوية . . . وبعد فقد اقتضت بعض الحوادث  
الكونية سفري الى قبة الاسلام ودار السلطنة القسطنطينية ، فلما  
عدت منها الى وطني الزوراء . . )

نسخة جيدة كتبها محمد علي بن جواد سنة  
١٢٧٩هـ/١٨٦٢م في آخرها تقريض على الرحلة لسليمان بن  
داود وعبد الله افندي القضي المدرس بمدرسة الصاغة ببغداد  
ومحمد امين العمري الموصل وعبد الباقي الفاروقي وعبد الغني  
الجميل .  
الرقم ١/٩٠٥٧

القياس ١٤٦ ص ٢١،٥×٢١ سم ٢٢ ص  
معجم المؤلفين ١٤٣/١٢ هدية العارفين ٤١٩/٢ قدس  
المطبوعات العراقية ٣٦٢/٢ تاريخ الادب العربي في العراق  
٢٣٥/٢

x x x

النسخة المسكبة في الرحلة المكية  
لاي البركات عبد الله بن حسين بن مرعي السويدي<sup>٣</sup> الترقى  
سنة ١١٧٤هـ/١٧٦١م  
الاول :

(احمدك اللهم يامن سهلت لمن ام بيتك صعوبة المسالك ،  
ومنحتك فضلاً منك بان وفقته لمعاطات جميع المناسك والصلاة  
والسلام على سيدنا محمد افضل من لبن بالعمرة والحج . . . )  
وهي رحلة المؤلف من بغداد الى مكة المكرمة حيث ادى  
فريضة الحج ورجوعه الى بغداد ، وقد وصف كل ما صادفه او  
مر عليه من الشواهد والاثار .

نسخة جيدة كتبت لاجل ملا عبد الرحمن دري زادة في  
المدرسة المرجانية ببغداد سنة ١٢٤٥ هـ/١٨٣٠م تملكها عبد  
الملك محسن ومحمد سعيد مدرّس الرادية سنة ١٢٤٥ هـ/١٨٣٠م  
الرقم ٢/٦٣٣٥

القياس ٢٢٨ ص ٢١،٥×٢١ سم ٢٠ ص  
الاعلام ٨٠/٤ تاريخ الادب العربي في العراق ٢١٠/٢

x x x

نسخة اخرى

كتبها بخط النسخ الجيد محيي الدين بن عبد الحميد بن محمد  
مكي الشيعلي البغدادي سنة ١٢٢١هـ/١٩٠٣م في المدرسة  
المرجانية ببغداد  
الرقم ٣٠٣٥٩

القياس ٢٤٨ ص ٢١،٥×٢٨،٥ سم ٢١ ص

x x x

نشوة الشمول في الذهاب الى اسلامبول  
لاي الشتاء شهاب الدين محمود بن عبد الله الألويسي المتوفى  
سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م

الاول :

(مبحان الذي اسرى بعبده وسلك به قصد السبيل الى محل  
قصد ، وصلاة وسلاماً على من دنى فتدلى فكان في اقل من غلوة  
سهم قاب قوسين او ادنى وعلى آله واصحابه الذين شقوا من  
بوائدي الاسرار بايدي . . . . . وبعد فقد اسرى في القضاء بعد  
فصلي من نصب منصب الافتاء من مدينة السلام الى دار السلطنة  
العظمى وعرج في القدر . . . . )

نسخة جيدة كتبها محمد امين بن صالح الجميل سنة  
١٢٧٦هـ/١٨٥٩م عليها تملك لابن المؤلف احمد شاكرا الألويسي  
الرقم ١/٣٠٤٠٦

القياس ١١١ ص ٢٠،٥×٢١ سم ١٩ ص

معجم المطبوعات العراقية ٣٦٢/٢ هدية العارفين  
٤١٩/٢ تاريخ الادب العربي في العراق ٢٣٥/٢

x x x

نسخة اخرى

جيدة الخط كتبها محمد علي بن جواد سنة ١٢٧٩ هـ/١٨٦٢م  
الرقم ٢/٩٠٥٧

القياس ٥٨ ص ٢١،٥×٢١ سم ٢٢ ص

x x x

نشوة المدام في العود الى مدينة السلام  
لاي الشتاء شهاب الدين محمود الألويسي المتوفى سنة  
١٢٧٠هـ/١٨٥٤م

## نسخة اخرى

كتبها عبد الرزاق بن فليح البغدادي في آخرها فائدة لعباس  
الغزالي مؤرخة سنة ١٩٣٩م

الرقم ٩٠٩٠

القياس ٤١٥ ص

١٧×٢٤ سم ١٩ س  
x x x

## نسخة اخرى

تتضمن جزء من الفصل الثاني من الرحلة وهي مختصرة عن  
رحلة السويدي لولده . وقد نشر هذا المختصر الشيخ محب الدين  
الخطيب في كتاب باسم (مؤتمر النجف) سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م

الرقم ١١٦٦٩

القياس ٢٦ ص

١٤×٢٠ سم ٣١ س

x x x

## نسخة اخرى

كتبها بخط الرقعة علي بن عبد الله

الرقم ١٢٤٩٧

القياس ١٦٩ ص

٢١×٣٢ سم ٢٤ س  
x x x

## نسخة اخرى

تتضمن قطعة من الرحلة .

الرقم ١/١١٥٠٦

القياس ٦٦ ص

١٠×١٥ سم ١٥ س

x x x

## الهوامش والمصادر

- ١ - ولد في طهطا في مصر ، وانتقل الى القاهرة سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٥م وتعلم  
بالأزهر ، وانشأ جريدة الوقائع المصرية . من مؤلفاته : فرائب عادات الاوائل  
والاواخر ، المجلدات الثلاثة ، مبادئ المحتسبة ، المرشد الامين في تربية البنات  
والبنين ، بهية اليعجاز في السيرة النبوية ، تاريخ كنعان المصريين وغيرها .
- ٢ - ولد بدمشق سنة ١٠٥٠هـ/١٦٤١م ورحل الى بغداد وتنقل في فلسطين ولبنان  
ومصر والحجاز واستقر بدمشق الى ان تولى من تصانيفه : ديوان الالهيات ، ديوان  
الغزليات ديوان للمناجح والمراسلات ، تمثيل الانام في تصوير الرقبا جواهر النصوص  
في حل كلمات النصوص لابن عربي وغيرها
- ٣ - ولد ببغداد سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م ، اديب حنفي ، رحل الى اسطنبول وتقلد  
مناصب القضاء في عدة مناطق من تصانيفه الكثيرة : اوضح منبج الى معرفة مناسك  
الحج ، القول المأثور فيما يجب للمفتي والقاضي ، والفوائد الاوسية على الرسالة  
الانتدلية في العروض . وغيرها
- ٤ - مؤرخ نسوي ، شاعر نادر ، مشارك في بعض العلوم ولد بدمشق سنة  
١٠٣١هـ/١٦٢١م . له تأليف عديدة منها : الرحلة الحليية . ذبل على تاريخ  
البورني ، شرح الاجرومية ، ديوان شعر ، الرحلة الرومية ، وهو حفيد المحصي

- ٥ - ولد في بغداد في محلة باب الشيخ سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م وتلقى العلم فيها  
وعين واعظاً ومدرساً في البصرة سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م ثم عاد الى بغداد وكلف  
بالافتاد في المحلة . اديب فقه مؤرخ من تصانيفه : البرهان الحلي في بيان الفرق بين  
الرسول والنبي ، الفروض الأزهر في تراجم السيد جعفر ، خلاصة المال في شد  
الرجال ، الدر المنيد في احكام الاجتهاد والتقليد
- ٦ - ولد سنة ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م بمكة المكرمة والام مدة بصفه آباء بالهند . اديب  
نحوي ، يائي ، لغوي شاعر ، مؤرخ ، مشارك في بعض العلوم . من تأليفه سلافة  
المصر في عمن امثال مصر . وياض السالكين . شرح الصحفة السجادية ،  
الدرجات الزليمة ، انوار الربيع وغيرها .
- ٧ - ولد في جانب الكرخ ببغداد سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٣م وتعلم واشتهر ورحل الى  
بلاد الشام والحجاز وعاد الى بغداد وتولى بها . فقه اديب لغوي مشارك في بعض  
العلوم من تأليفه : الجملية في الاستعارات ، الخاف المحجب ، اسماء اهل بدر ،  
شرح صحيح البخاري ، انتق الوسائل في شرح دلائل الخبرات الامثال السائرة ،  
المحجب القطبية لانتق الفرق الاسلامية وغيرها .

# رحلة البرتغالي تاكسيرا الى العراق في القرن السابع عشر بقلم ساراسيرايت

ترجمة  
فؤاد قزاجي  
بغداد

١٦٠٠-١٦٠٣، وترك بعدها مذكرات موجزة عن رحلته. وعندما اشتد به الحنين الى الوطن في عام ١٦٠٤ غير رغبته في الطريق - وربما كان ذلك من جراء ارهاق السفر بالبحر - الى الطريق الاقصر لاوربا وذلك عبر بلاد الرافدين.

كانت يوميات تاكسيرا عن رحلته هذه، اول تسجيل لشخص اوروبي عن عبور الصحراء لذلك اعتبرت دليلاً عملياً لأي شخص يريد متابعة الرحلة في هذه المنطقة خطوة خطوة. وكان هذا الطريق الذي يمر عبر صحراء الشام، يربط بلاد الرافدين بالبحر المتوسط ثقافياً وتجارياً منذ ثلاثة آلاف سنة. وعندما قِيمَ الاوروبيون الى هذه البلاد في القرن السابع عشر، وجدوا انه اقصر الطرق بين اوربا وبين مصالحهم في الهند وفي الخليج العربي، والآن وعلى الرغم من الحدود والسياسات التي وضعت لبعض الحواجز على الطريق، الا ان علامات الطريق القديمة - من بقايا المدن واطلال خانات السفر والأبار المالحة، ظلت على حالها. (٣)

ولقد ازدهرت تجارة القوافل عبر الصحراء في فترات الاستقرار النسبي خلال القرنين الميلاديين الثاني والثالث، وكذلك في اوج ظهور الامبراطوريتين الاموية والعباسية في الفترة الممتدة بين القرنين الثامن والتاسع. وبالنسبة الى تاكسيرا فان اجتياز الصحراء تعني التخلص من حياة الحفر التي خلفها الغزو العثماني للبلاد الذي كانت ذروته احتلال بغداد في عام ١٥٣٤.

يتفق البرتغالي (بيدرو تاكسيرا) من اهماق قلبه، مع معاصره الانكليزي فينس موريسون اول اوروبي زار العراق، في القول الآتي:

وماحل المياه الجارية، بينما البرك الراكدة نتنه، خلّق الناس كي ينتقلوا كالطيور المحلقة.

نعم، يتفق تاكسيرا نصاً وروحاً مع هذا التعقيب. فالياه الراكدة في الابار المالحة خلال الارتفاع، تكون نتنه. نعم ان اناساً امثال تاكسيرا وموريسون قد خلّفوا للتجوال ولاسيما في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

كان هنالك احساس بالمخاطرة واه تلك الرحلات التي قام بها الرجال عبر البحار والقارات، وهي التي تعبر عن رغبة فلكتهم للاتصال المباشر بالشرق. ان عالماً مثل فرانسيس بيكون قد بطرى منافع السفر نظرياً، ولكن جوالين امثال موريسون وتاكسيرا هم الذين يشدون الرحال فعلاً.

كان تاكسيرا برتغالياً، سافر الى (غوا) (٤) في عام ١٥٨٠ وكانت مهنته الطبابة الا ان عمله في غالب الاحيان كان يتركز في تجارة الاحجار الكريمة، حيث كان تجار المجوهرات من الاوربيين، مطلوبين كثيراً في البلاطات الشرقية، يضاف الى ذلك، كان تاكسيرا عباً للاسفار، فقد زار سيلان (سري لانكا) في عام ١٥٨٨، واستقر في ميناء هرمز مدة من الزمن خلال عام ١٥٩٠، ثم قام برحلة حول العالم ثم عاد الى (غوا) بين الاعوام

وقد شجع العثمانيون استخدام هذا الطريق بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح الذي كان يبحر فيه المغامرون من التجار الاوربيين.

وقد غادر تاكسيرا ميناء (غوا) في التاسع من شهر شباط عام ١٦٠٤. وكانت رحلته حتى الخليج العربي غير حافلة، وقد وصل في نهاية تموز. كانت اشهر الصيف اكثر الشهور ازدهاماً بالتجارة في مدينة البصرة، وذلك لمبوب الرياح المواتية التي لم تأت بتاكسيرا حسب، بل جلبت معه تجاراً من الهند وباعة اللآلي من البحرين.

وفي البصرة، لم يجد تاكسيرا اية ابنية مشهودة بل وجدها مدينة ذات سور ضخيم وبيوت مبنية بالاجر وبعض الحمامات العامة اللاتفة التي تقدم خدمات طيبة حيث تستقبل الناس بعد عناء السفر. ويشار على الاوربيين عادة بارتياح تلك الحمامات، ليذكروهم بالخلمة السيئة التي يلقونها في حمامات اوطانهم. كانت الحمامات مكاناً مرغوباً باعثاً على الاشارة، تزدهر في البصرة لكونها ملتقى الطرق بالنسبة للعراق والخليج العربي والجزيرة العربية وايران. اما صادرات البصرة الاساسية فهي التمور، الغذاء الرئيسي الذي كان يرسل الى جميع انحاء الخليج، وكذلك الحال بالنسبة الى العديد من انواع الحبوب والخضروات. وهناك تجارة مربحة اخرى مع الهند وفارس، هي تجارة الخيول. كانت البصرة قد تخلصت من اثار الحرب التي جرت بين الفرس والعثمانيين وانتهت بسيطرة الاتراك. وكانت الحماية العثمانية المؤلفة من ثلاثة آلاف جندي، تمول من وارد رسوم الكمر كالتقيلة. وعلى اية حال، فقد كان وجود العديد من المقارب ذات الاحجام الكبيرة، مثار شكوى تاكسيرا.

كان تاكسيرا يرجو الوصول الى بغداد عن طريق نهر دجلة، غير ان ذلك لا يتيسر الا في فصل الشتاء. فقد تستغرق الرحلة في الصيف ثلاثة اشهر، حيث يكون دجلة ضيقاً والقاطنين على ضفافه (المتسمين بالمصف) قرييين جداً، بالإضافة الى ان المسافة ستكون ضعف طريق البر بسبب تعرج النهر. وهكذا اختار طريق البر، على الرغم من تعلم ايجاد قافلة يلتحق بها. وعلى كل فقد وافق اخيراً «الباشي» او رئيس القافلة ان يضمه اليها مع فراشه ومتاعه وان يزوده بدابة يركبها ومع قليل من الطعام الرديء الذي يقدم في ساعات غير مناسبة، الا ان تاكسيرا كان يضيف الى ذلك بعض انواع من (البسكويت)

والفواكه المعلية وخاصة مربى السفرجل، وبالبرتغالية مارميلو. (واستطيع ان اشهد على مدى قيمة في رحلة الصحراء وعلى تمتع «الباشي» بتناوله ايضاً) بالإضافة الى ذلك فقد اخذ معه ثلاثة اكياس من صبيغ النيلة لتغطية اجور سفرته التي كانت اكثر اماناً مما لو حمل ثمنها معه.

تجمعت القافلة في الثاني من ايلول في خلاء باطراف المدينة قافلة وصغيرة، مؤلفة من (١٥٠٠) جلاً و (٩٥) حماراً و (٦٠) تابعاً مسلحاً. وكانت الحرارة لاتزال شديدة بحيث يسهل فيها تمكيز الامزجة. فاليوم الاعتيادي يبدأ قبل الفجر، لذلك ساروا حتى الظهيرة، ثم توقفوا عند ارتفاع درجة الحرارة في منتصف النهار ثم تابعوا السير عند الرابعة بعد الظهر تقريباً. كانت الأبار المألقة قدرة، وفي احدى هذه الأبار وجدوا افعى ميتة. وكان الامر بالنسبة الى الدواب اكثر سوءاً، ففي يوم واحد نفقت خمسة جمال فتم نحرها وأكل لحماها من قبل مرافقي القافلة، بينما لم يستطع تاكسيرا واصدقاؤه ان يشاركوهم في تناول هذا الطعام. كانت القافلة تستقل بصعوبة من بئر الى اخرى، ومن ثم كان على اصحابها ان يجرسوا من اللصوص. وعندما خيموا في المساء وتحدثنا بشكل واضع ان احمال المتاع والجمال والدواب في الوسط، وكانت جميع اسلحتنا على اهبة الاستعداد. وقد لاحظ تاكسيرا ان احد الحماة الأجوريين ضمن القافلة هو من بين ابناء العشائر التي اعتادت السلب. وابتعد الحارس الخلفي للقافلة عنها خلسة، وراح يغي ليرفع من معنوياته. ولم يكن تاكسيرا من مثيري الفزع، غير انه لم يكن للادارة العثمانية من سلطة في خارج المدن - الا ماندر - كما كانت تسود المناطق الصحراوية شبكة من العلاقات والصراعات العشائرية بحيث لاتدع مجالاً للاغراب مها التحذروا من احتياطات لتأمين حايثهم من قبل احدى العشائر، اذ لا بد ان يتعرضوا الى الاعتداء من قبل عشيرة اخرى غيرها. ولذلك كان يتعذر عليهم السفر بدون تلك الحماية. وقد حذر تاكسيرا من وجود اشخاص آخرين مع القافلة يحاولون سلب او قتل الاوربيين الذين يعتبرونهم ارباء.

حينما يتعذر على القوافل ان تحط رحالها في بقعة ما بالصحراء فانها تحميم في خانات القوافل التي كانت في الغالب، وفقاً تخيراً او قهراً اغنياء المسلمين. فالخان الكبير يتسع لما مجموعه اربعمائة شخص مع حاجاتهم. والخانات شأها شأن الفنادق ذات مستويات مختلفة، فأحدها يقع بالقرب من مدينة

النجف - مرقد الامام علي (ع) - وكان في وقت ما فسيحاً فخياً، ولكن عندما رآه تاكسيرا وجده متسخاً وارضيته ليست مستوية تتناثر فوقها الاحجار حتى بدا له غير صالح للايواء.

كان تاكسيرا واهناً متعباً، وكان اكثر ما يحتاج اليه ليلة كاملة من النوم، وكان طعامه مؤلف من التمر واللبن الرائب والماء، اذ كان قد اتى على (البسكويت) الذي يحمله ولم تكن هناك وسيلة لعلاج هذه الحالة سوى الصبر، الشيء الاكثر ضرورة والذي يتسلح به الانسان في مثل هذه الرحلة. مهما كان ذلك القول صحيحاً او كان تعبيراً عن رباطة الجأش.

وقد حصل اصحاب القافلة على راحتهم بقضاء اربعة ايام في النجف. هذه المدينة الدينية المكرسة للذكرى ابن عم الرسول (ص)، الامام علي (ع) الذي قتل في الكوفة التي تبعد بضعة كيلومترات شمالاً، ولا يسمح لغير المسلمين بالسكنى في هذه المدينة. ان مسجدها الرائع الذي يضم وفاة الامام علي (ع) كان اقل روعة عندما رآه تاكسيرا، ولم يُسمح له بالدخول اليه. (١٠) اما مدينة كربلاء التي تبعد قليلاً عن النجف، فتبدو اكثر ازدهاراً وان كانت معادية للفرس. وقد دهش تاكسيرا لوفرة مياه الشرب فيها وكانت تُقَدَّم مجاناً في الشوارع، كما يفعل كثير من المسلمين لأرواء المسافرين.

كان رئيس القافلة قد تزوج في كربلاء وقد دعا تاكسيرا الى حفل الزفاف. ولوحظت رقة العرب بتناولهم الطعام بواسطة الملاعق. . . وقد اعجب تاكسيرا بكرم الضيافة، وان كان اعجابه بطعامهم اقل من ذلك وقال العرب يبرزون الشعوب الاخر بما يقدمونه من طعام لاي شخص يقد اليهم او يمر بهم. وبعد انتهاء اسبوع الاحتفال بالزواج استأنفنا السفر، يتأبنا خوف شديد من اللصوص. وقد بدت لنا الارض الآن اكثر خصوبة والطقس اشد احتمالاً، والحيوانات اتم راحة ولاسيا ذلك الغريب من اطلال بابل، والذي شيدته سيدة تركية تقريباً لله.

بعد مرور خمسة ايام على مغادرتنا البصرة، وصلت القافلة الى بغداد. فاذا بهذه المدينة اصغر حجماً من البصرة واقل تأثيراً، ورغم خلوها من الابنية الحجرية الفخمة فقد كانت تشابه اية مدينة اوربية في ذلك الحين. . . وحيث انها واقعة بين مفترق الطرق، فان الناس يغدون اليها وتلتقي فيها تجارهم القادمة من اطراف الشرق الاوسط الاربعة. كان الطعام فيها جيداً،

بالقياس الى رجل برتغالي جائع، ولاسيا السمك النهري وهو الطعم اللذيذ. اما القهوة التي كانت ساخنة جداً وداكنة وبدون طعم، فان تاكسيرا لم يكن شغوفاً بها على الرغم من الفوائد التي حُزِرت اليها. حيث كانت ترشفت بتلذذ في المقاهي الممتدة على شاطئه دجلة حيث يلتقي الناس فيها للتحدث والتسليّة وفق التقاليد السائدة هناك. وشاهد تاكسيرا في بعضها غلمان رشيقين وموسيقى تقليدية مؤثرة. (١١) كما لاحظ وجود جماعات من اليهود والمعجم، ويزعم بعض اليهود انهم عاشوا في هذه البلاد منذ السبي البابلي. ويمتاز البغداديون في الحقيقة، بالنظافة ودمائة الخلق فضلاً عن ارتدائهم الملابس النظرة. اما المدينة فكانت تتمتع بجو هادي ونسيم عليل.

كانت (حلب) المحطة الثانية التي تتطلب اختراق الصحراء، والسبر خلال طريق معلوم ومطروق مع تجنب الاقتراب من غير الفرات حيث تُغمر شاطئيه عما قريب بمطر الشتاء، كما ان الفاطنين هنالك لا يفلتون عداوة عن الذين وجدوا في الجنوب.

ان اربعة قوافل تجارية، اثنان في كل اتجاه، تروح وتغدو في كل عام بين بغداد وحلب. وتضم كل قافلة ما يقارب الفأ من الدواب، وان معظم الاوربيين الذين يسافرون بين هاتين المدينتين يستخدمون احدي تلك القوافل.

وعلى اية حال، كانت التحضيرات بطيئة، بينما كان تاكسيرا شديد التوق للعودة الى الوطن. وقد ضمت القافلة بضعة تجار اوربيين من بينهم اثنان من مدينة البندقية الايطالية (كان البندقيون لا يزالون التجار الرئيسيون في تلك البقاع من العالم) بالإضافة الى برتغالي متعب من البصرة الذي اسهم في تحضيرات القافلة، فلكل عشرة جمال عملة بالبضائع، ينبغي اضافة جمل آخر يحمل بالامتعة. اما القافلة المتجهة غرباً فينبغي تحميلها بصيغة النيلة والصمغ والجوز (لاستخدامها في الدباغة وصناعة الحبل) وكذلك التمور والتوابل والاقمشة الفاخرة. وكان الحصول على الطعام خلال الرحلة، امر نادر كالما وعليه يجب ان ينهيها لها المسافر مسبقاً.

كان عليهم انتظار الاخبار الواردة من حلب قبل الشروع في الرحلة. وبعد ان جاءت هذه الاخبار ووصلت بعض الرسائل من حلب، قاطعة طريق الصحراء الذي كان يستعمل للبريد السريع بشكل مفضل على طريق البحر حتى عام ١٦٠٥، وهي

السنة التي وصل فيها تاكسيرا الى بلاده. وهكذا جاءت الاشارة في الثاني عشر من كانون الاول عام ١٦٠٤ لتحرك القافلة التي كانت تقسم (١٣٠) جلاً و (٧٥) حماراً، وقد نصح تاكسيرا بالسفر في مهد مغطى ومعلق على احد جوانب الجممل، الذي يفترض ان يعلوه عدلان. ولم يتشكى تاكسيرا من هذا الامر، اذ كان المكان دافئاً واكثر اماناً من ركوب الحصان الذي قد يطمع البعض في سرقته. ولكن معظم المسافرين ابدوا انزعاجهم من فكرة استخدام المهد، كما لو كان الداخِل فيه مصلوباً. وساروا في طريق يتقاطع مع الترع، ولاحظ تاكسيرا بأسى ان القنوات غير مهتخلمة والأراضي غير المحروثة قد هطل عليها مطر غزير، وورغماً عن ذلك ظلت مياه الأبار مملوكة.

وقرب نهر الفرات الذي قطعوه عند مدينة (عانه) شاهد تاكسيرا الحقول والمزارع ونبات العترة. فاذا بهذه المدينة مزدهرة وتضم جماعات من الغرياء والمدهش حقاً عدم وجود سوق فيها تتيح للمسافر ان يتمون منها.

وكان عليهم ان يدفعوا ضريبة المرور الى امير المدينة بالإضافة الى «جزء مما يملكون» الى الحامية التركية. وهكذا ففي كل مدينة كانت تتكرر امثال هذه الضرائب. ولهذا السبب يفضل الأوروبيون ارسال بضائعهم بطريق البحر. وهذه البضائع على نوعين، الفاخر، مثل الحرير وصيغ الثيلة والتوابل، والتجليل،

### الهوامش

مثل المفض والجوز والتعود. وتجري المطالبة المضادة بتقديم الهدايا الى اتباع الامير، ولذلك كان هؤلاء يعرقلون اجراءات المرور للحصول على المزيد من الاتاوات، مما جعل اصحاب القافلة يتأخرون مدة ثلاثة اسابيع حتى ادرتهم البرد والجوع، بالإضافة الى الابتزاز الذي تعرضوا اليه من قبل اهالي المدينة، والى خيبة الامل التي اصيبوا بها من جراء احتجازهم الطويل. ولذلك حمد الله تاكسيرا عند مغادرتهم المدينة.

اما الآن فان الرتبة والوحدة التي انتابهم خلال اجتياز السهول المغطاة بالحصى قد أثقلت على اعصابهم على الرغم من ان عدم مشاهدتهم اي انسان، منته انهم في امان اكيد. وقد فزع تاكسيرا مرة، لشدة الضجة التي اثارت في القافلة حول من سيلعب، ومن الذي سيقتل، ومن الذي حانت نوبته للحراسة. وقال كل يجب ان يأخذوا دورهم فيها، كان الجو شديد البرودة وكانت المياه قد بدأت تتجمد في القرب التي تحملها.

وفي موضع يدعى (مسكنة) Sulchana قضا خمسة ايام مكرمين. وهو مكان وديء على الرغم من انه مخصص لايواء المسافرين القادمين مع القوافل. وقد بقينا في حراسة مشددة يملكنا الخوف لامن السكان القاطنين هناك بل من اولئك الذين يعيشون خارج المكان، وبعد مسيرة يوم واحد وصلوا قرية (طية) المشهورة بينابيع الكبريت الحارة ثم انطلقوا من هناك عبر الفلاة نحو مدينة حلب.

وبناء هذه الاسواق يدل على مكان هذه المدينة من مجد هريق. ان هذه الأراضي تابعة للترك اما سيدنا قاسم هريق (الشيخ ناصر الهنا) يؤدي له الحراج. وفي العادة ان تكون في هذه المدينة حامية لوامها لحسن جندبا ولكن لم يكونوا فيها حين مكوثي (انظر كتاب مباحث عراقية / القسم الثاني تأليف البحالة يعقوب سر كوس) ص ٣٣٥.

١ - وقد وصف تاكسيرا احد هذه المفاهي، وهو مقهى حسن بلشا قالاً: وهذا المبنى هو محل جديد احسنه في سنة ١٦٠١ الخوالي حسن بلشا. وقد انشأ السوق والحان والمقهي المروقة جميعها بأسمه، وهي من الابنية الضخمة... ثم قال:

ومن الابنية العامة - كما قلت سابقاً - المقهى... ويستعمل في المقهى خلعان ملاح، ملايهم فاعرة لتقديم القهوة وقيش الدرامم. وهناك الموسيقى تنزف وغيرها من وسائل التسلية واللهو. والتردد الى هذا الموضع في الفظه اكثر ما يكون ليلاً، اما في الشتاء فلهاراً. وهذا المقهى قريب من البهر (دجلة) وله نوالد وروالان تطل على البهر فيجعله منزها لطيفاً جداً (يعقوب سر كوس / المصطلح السابق ص ١٨٩).

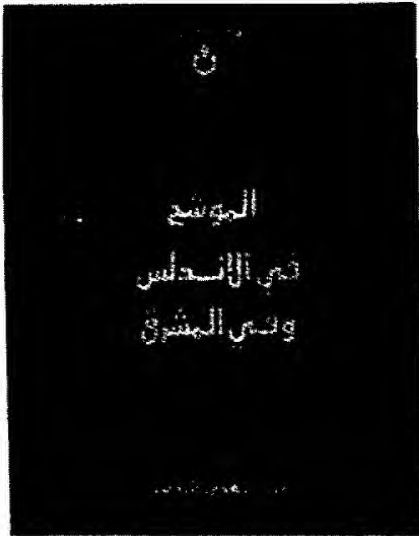
١ - فراء، مناه في شبه القارة الهندية، ظل تحت سيطرة البرتغال منذ القرن السادس عشر وحتى استقلال الهند عام ١٩٤٨.

٢ - لم يبق من تلك المدن والمخيمات القديمة سوى بعض الآثار القديمة التي تعود الى عصور سابقة.

٣ - ولد وصف تاكسيرا مدينة النجف قالاً: ودعنا مدينة الاسام علي (ر) تبار السبت ١٨ أيلول ١٦٠٤، وقد كانت هذه المدينة كبيرة، فان دورها كانت قبل مايزيد على حسين او سبعين سنة نحو سنة الف او سبعة الاف دار. وتدل عرايب معظم هذه الدور انها كانت واسعة وجيدة البناء. اما اليوم فللدور للسكونة لا تزيد على خمسمائة وسكانها معظمهم فقراء... ان المدينة هامة بسور ولكن فيه الف فتحة، وهو مبني كالخضج والدور، بالآجر والطين. والنجف ليست على مجرى، وماه أيلها ابياج، مما لئله الملب فهو من مجرى كان قد احسنه السلطان العثماني سليمان القانوني بتفتح صدره من الفرات على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة. وقد أُنفق عليه مبالغ كبيرة مع مشاق. ولم تستطع الشرب من هذا الماء لقلارته. فقد حصل في المجرى مانع جريته، وهو بحاجة الى تطهير سنوياً.

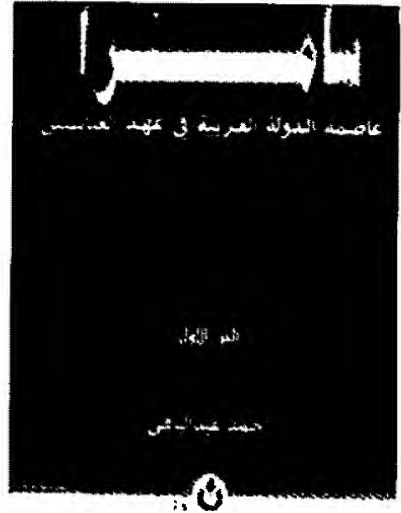
ويشاهد في هذه الحاضرة عرايب اسواق معقودة كما هي العادة في المدن العراقية،

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة





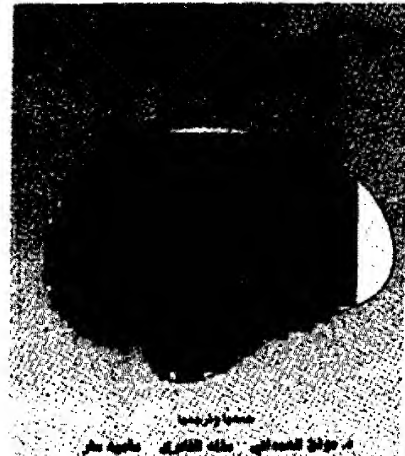
صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة



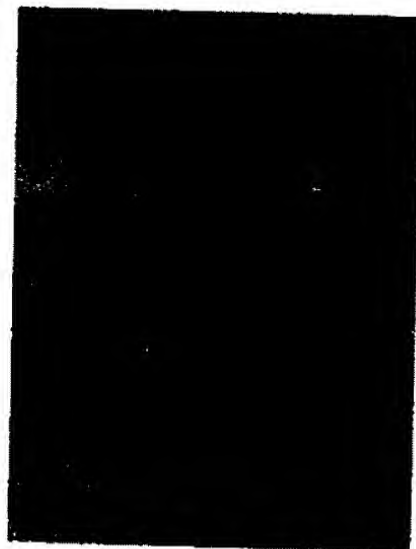
صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة



صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة



صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة



● سعر المجلة	
المراق	١٠٠ دينار
الأردن	١٠٠ دينار
مصر	١٠٠ جنيه
السودان	١٠٠ جنيه
المغرب	١٣ درهما
تونس	١٠٥ دينار
السعودية	١٣ ريال
الإمارات	١٣ درهما
الكويت	١٠٠ دينار
اليمن	١٠٥ دينار
قطر	١٣ ريال
اليونان	١٣ دراخما
إنجلترا	٣٠٠ جنيهات

● الاشتراكات	
المؤسسات الرسمية	١٢ ديناراً
داعمل العراق	٦ فنانير
في الوطن العربي	٤٨ دولاراً
في الدول الآدمية	٥٤ دولاراً
في أمريكا والاتحاد السوفياتي	٦٦ دولاراً

رقم الأبداع في المكتبة الوطنية - بغداد

( ١٠٠ ) لسنة ١٩٨٩

دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد

١٤٩٥ هـ - ١٩٨٩ م